



يوليوس ولهاوزن

الدولة العبرية

وسقوطها

نقله إلى العبرية

الدكتور يوسف العشي



كلمة المعرب

نقدم الى قراء لغة الضاد كتاباً في تاريخ الدولة العربية منذ نشأتها في ايام الاسلام الاولى الى سقوطها بقيام الدولة العباسية^(١). ونقدر اننا بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية نضع بين ايديهم دراسة تفتح امام الباحثين والمتعلمين افاقاً جديدة ، وتجهزهم بمادة متينة مستقصاة عميقة دقيقة تحليلية : مادة اجتهد مؤلفها في ان يكون عادلاً بأحكامه فيها ، غير متحيز لفئة دون فئة ، يزن القول معتمداً على علم واسع ونظر دقيق ، ويحلل الحوادث مستنداً الى خبرة بالتاريخ ومعرفة بآثاره ووثائقه ودراية بأحوال الامم التي عاصرت الاسلام او سبقته .

ولقد ظل هذا الكتاب امداً طويلاً محبوباً عن قراء العربية الذين هم اولى الناس بمعرفة ما فيه ، بينا كانت المتبعون والدارسون الاجانب ينتفعون به ويملاون جعبتهم منه ؛ فقد كان وما زال يدرس في معاهد الاستشراق بالمانيا وانجلترا وامريكا والهند . ولا يمر في هذه المعاهد دارس للتاريخ الا تناوله وافاد من مادته . فهو الكتاب المعتمد والاصل الذي لا بد من معرفته وتدارسه .

ومؤلفه يوليوس ولهاوزن Julius Wellhausen (١٨٤٤ - ١٩١٨) علم من اعلام المؤلفين في تاريخ الساميين . افردت له دائرة المعارف البريطانية ترجمة جيدة^(٢) ، مع انها حرمت من الذكر والتنويه كثيراً من معاصريه ولاحقه من كبار المستشرقين . ولا عجب فهو مؤرخ من طبقة عالية ؛ ارتفع بمؤلفاته

(١) واسمه بالالمانية Das arabische Reich und sein Sturz

(٢) انظرها في المجلد ٢٣ ص ٤٩٨ من طبعها الاخيرة عام ١٩٥٥ .

في تاريخ الكتاب المقدس وعقائده وشعوبه إلى درجة اصحاب الرأي فيه والاجتهاد . هذا ، وما انكب على دراسة التاريخ العربي الاسلامي الا بعد ان بلغ الذروة في البحث عن تاريخ اليهود والعقيدة المسيحية وتفسير العهد القديم والجديد . ولم يتطفل على التاريخ العربي تطفلاً ، فقد سبق دراسته له تعمق في معرفة اللغة العربية ؛ بل نشر من كتب ادبها الجزء الثاني من ديوان الهذليين ابان فيه عن معرفة بالغة والشعر تشهد له بالفضل^(٣) . ولم يتصد للتأليف في الدولة العربية الا بعد ان اتم الكتابة في اديان العرب في الجاهلية وفي الشيعة والحوارج وغير ذلك من الابحاث التي تمهد سبيل درس تلك الدولة .

وبعد فلسنا نبغي من الاسادة بمكانة المؤلف ورسوخ علمه ومعرفته الى ان ندل على ان الكتاب خال من الزيف والخطل . لا ! فالمؤلف على رفعة شأنه وعلو كعبه ، انما هو مستشرق يتكلم بلسان قومه ، ويفكر بمنحى عقلمهم ، وينطبع باسلوبهم في الحياة والفكر والنظر .

انه ابن اوروبا التي تنظر الى الاسلام والعرب بمنظار يلون لها تاريخنا تلويحاً يحجب عنها كثيراً من محاسنه ويجسم لها هفواته ، ويصور لها من الحسن قبحاً بعض الحين . على ان ولها وزن اراد ان يكشف هذا المنظار عن ناظره ، فاستطاع حيناً ، لكنه غلب على امره حيناً آخر .

والمعرب للكتابه لم يشأ ان يناقشه في آرائه وتصويراته ؛ فليس هذا شأنه ، والا اصبحت الترجمة نقداً للكتاب وتتبعاً له . بيد ان النهج العلمي لا يلزمه بأن يمر على آراء المؤلف التي تخالف العقيدة والشرع والسنة دون أن يبين ناحية الضعف فيها ، بل يجيزه له . وهكذا تصدى لها معقبات باختصار في حاشية الكتاب . وكان

(٣) انظر مقالة العلامة بروكلمن في مجلة المجمع العلمي العربي ٨٧/٣ وعنوانها : « تاريخ

علم المشرقيات في اوروبا وامريكا » .

من واجبه بوصفه ناقلاً للكتاب الا يُغفل من كلام المؤلف شيئاً ، حتى ولو كان منكرأً لذلك الشيء غير راض عنه . فهو يعتذر الى قرائه اذن عن انه اضطر كارهاً الى اثبات بضعة اقوال للمؤلف في مقدمته للكتاب ليس فيها من التقدير لشخص الرسول المعظم عليه الصلاة والسلام ما يجب ان يدين به كل انسان قرأ سيرته قراءة خالية من سائبة العصية القومية او الدينية . وهو آسف ايضاً من اضطراره - للواجب نفسه - الى ان يثبت آراء المؤلف عن بعض كبار الصحابة (٤) تدل على عدم تقدير للاخلاص الذي كانوا يتسمون به ، وتضعهم موضع التهمة ، مع انهم إن اخطأ بعضهم نحو بعضهم الآخر ، فما فعلوا ذلك الا عن اجتهاد وحسن نية . وقد حرص المؤلف خلال اجائه (٥) عن الفياء والغنائم ان يتهم الفقهاء بأنهم حاولوا ان يجعلوا الشرع يؤيد الحال الذي انتهت اليه نظماً مع انه يخالفه . وطبيعي ان نستنكر رأيه هذا (٦) ، فهو لم يطلع على كتب الفقه المبسوطة والاحاديث الصحيحة ولم يتعمق في دراستها .

ولئن كان المعرب يري في الكتاب ما يعيبه من كل ذلك ومن آراء في الحكم العربي 'نظر اليها بمنظار العصر الحديث ، إنه يجد في اجتهاد المؤلف في نبذ كثير من المعايير التي كان يلصقها سلفه من المستشرقين الباحثين بالاسلام والعروبة وفي اظهار الخطأ في تصور تلك المعايير ما يبرئه من تعمد القذف فيما زل به قلمه او هوى اليه ظنه .

وبعد ، فقد وضع المؤلف كتابه للعلماء المتعمقين وللطلاب المجددين ، فلم يعن بان ييسر تتبعه وقراءته ، ولم يعنون اجزاء فصوله ، ولم يبين فقرات تلك الاجزاء بل ادغم ذلك ادغاماً . وقد رأى المعرب ان ييسر للقراء من ابناء العربية ما لم

(٤) ص ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) ص ٣٢ الحاشية ٢٢ ، ص ٥٤ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ ، ٣٨١ .

(٦) انظر الحاشية ٢٧ ص ٤١ .

يبسره المؤلف ، فوضع عناوين لاجزاء الفصول ، بان اتبع ترقيم المؤلف لتلك الاجزاء بعنوان يدل عليه . ثم قسم الاجزاء الى فقرات ، فاثبت في اول الفقرة اشارة الى محتواها بعبارة صغيرة او عنوان ؛ الا انه لم يجعل ذلك في متن الكتاب لئلا يختلط بكلام المؤلف ، بل ادخله على هامش المتن بحرف صغير ، بحيث يتمكن القارىء من متابعة قراءة الكتاب دون ان تصده عناوين الفقرات عن ذلك اي صد . وتيسير آخر عمد اليه ، وهو انه اخرج المصادر التي اوردها المؤلف في اصل متن كتابه بين قوسين ، فأنزها الى الحاشية حيث اعتاد الناس ان يجدوها . وقد اضاف الى عمل المؤلف ثبت مصادره العربية والاجنبية ، وكان المؤلف قد اغفل ذلك واغفل تحديد طبعات بعضها .

وقد بذل المعرب جهده بأن يحتفظ بأسلوب المؤلف وألا يتصرف بعباراته الا بما تقتضيه صياغة العبارة العربية . وبما انه بعد عهده باللغة الالمانية ، فقد اضطر الى الاستعانة بالترجمة الانجليزية التي اجادت فيها كل الاجادة الفاضلة مرغريت غراهام فير Margaret Graham Weir فنقلت اليها كلام المؤلف بدقة تدعو الى الاعجاب وبأسلوب يكاد يكون اسلوب الاصل كلمة كلمة . ولم يرتع المعرب لترجمته الا بعد ان عرض مقدمة الكتاب - وهي اصعب ما فيه - على الدكتور ابرهارد كونت Eberhard Kunt المستشرق الالماني والاساذ يوسف زخور مدير مكتبة الجامعة السورية فقراءها معه بالمقابلة على الاصل الالماني قراءة امعان وترو واثبت ملاحظاتها عليها (٧) . وهو يقدم اليها هنا خالص شكره على الدقة والعناية التي بذلها في ذلك وعلى الملاحظات القيمة التي اوردها . وانه ليشكر ايضاً الاساذ غوستن Michel Gustin المحاضر في كلية الآداب بالجامعة السورية لما تجشمه من عناء في ترجمة العبارات اللاتينية الواردة في الكتاب الى اللغة الفرنسية التي منها نقلها المعرب الى العربية . ويشكر كذلك الاساذ

(٧) انظر تلك الملاحظات في ص ٤٩٦ - ٤٩٨ .

اليسيف Nikita Elisseeff الامين العام للمعهد الفرنسي بدمشق على حسن عونه
له بترجمة العبارات اليونانية الى الفرنسية ومنها نقلت الى العربية . والشكر
اخيراً للشاب الاديب السيد محمد عز الدين على ما بذله من جهد في الخطوات
الاولى من جمع الدليل العام للكتاب .
نرجو من الله دوماً ان يوفقنا للخير والصواب .

يوسف العش

التصدير

ان اردنا ان نجد اصح الصيغ لقديم الاخبار عن عصر
مقتطفات الطبري
من أبي مخنف
بني أمية ، فملينا ان نرجع الى ابداع قسم من تاريخ الطبري (١)
فهي فيه ولما يتسرب اليها الفساد، وما فتئت مجلوة للنظر والبحث.
وخير ما حفظه لنا في مقتطفاته المهمة الواسعة آثار الكاتب الاصيل ابي مخنف .
وفيه أقدم أدب ثري انتهى اليها واجمله .

وينتمي ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الى قبيلة
ترجة ابي مخنف
الازد من الكوفة . وشجرة نسبه الطويلة من جهة والده
تدل على اسرة عريقة في المجد . وامل مخنف بن سليم زعيم الازد في وقعة صفين
كان جده . وامل ابي مخنف محمداً وعبد الرحمن هما عما والده . وانما لنجمل تاريخ
ولادته ، الا انه في ثورة ابن الاشعث عام ٨٢ للهجرة كان قد بلغ مبلغ الرجال .
وكان صديقاً لمحمد بن سائب الكلبي (٢) . ونحن مدينون بصفة خاصة لابن محمد هذا
— وهو المشهور المعروف بابن الكلبي — بتلك النقول من روايات ابي مخنف
وكتابه التي انخذ الطبري قاعدة له بأن يرويها عنه . ولقد عاش ابو مخنف حتى
اليوم الذي سقطت فيه خلافة بني أمية . وآخر خبر له في الطبري يتصل بعام
١٣٢ للهجرة .

(١) السلسلة الثانية من طبعة ليدن التي مشرع فيها منذ نحو من عشرين سنة .

(٢) طبري ٢/١٠٧٥ ، ١٠٩٦

ويروي أبو مخنف عن محدثين معاصرين أو سالفين كعاصر
سند أبي مخنف الشمي وأبي المخارق الراسي ومجالد بن سميد ومحمد بن
سائب الكلبي . على أنه في أكبر قسم مما بورده لا يأخذ مادته عن سبقه في البحث ،
بل يجمعها هو بنفسه ex vivo ore ينقب عنها في شتى الاتجاهات وعند كل من
يقدر على الوصول إليه ممن ينقل الروايات من أصحابها انفسهم ، أو ممن حضروا
الوقائع ، فشاهدتها عيونهم وسمعتها آذانهم .

وليس الاسناد عنده مجرد صيغة أدبية بل حقيقة واقعية .
طريقته في البحث وسلسلة منته جد قصيرة دوماً . وهي بالتقريب تقتلص حتى
تكاد لاتمد شيئاً . وتختلف دوماً باختلاف الحوادث والروايات بحيث تقذف بعدد
هائل من الأسماء التي كنا جهلناها لولا إيرادها لها . ورواياته لا يفرقون بين
الاخضر واليابس . وهم يذكرون ألقاب الأشياء فلا يدعون شيئاً مجهولاً . ويعرضون
ابطالهم أمامنا يعملون ويتكلمون ، ولا يفتأون في اغلب الحالات يكررون الأشياء
نفسها باختلاف بسيط ، فيتقدم القاريء ببطء شديد . غير أن كثرة التفاصيل
تعوض هذا الخلل . وتدهشنا طلاوة الشمور بالحوادث وروايتها من أقرب مصادرها .
وتزداد قوة الرواية شدة بصيغتها الشعبية . فهي كلها حوار ومشاهد . وبجد القاريء
عدداً من الأمثلة البينة على ذلك في كتابي عن الخوارج والشيمة (٣) .

يقول مومسين Mommsen أن غير المتعلم لا يحتاج
الى دليل على أن القصة التي تبدأ قائلة بأن الراوي تلقاها
من أصحابها هي إن أخذنا بالقاعدة العامة قصص لاصحة لها .
كان مضطراً الى اتخاذ هذا النهج

غير أن علينا أن نأمل ألا يبالغ غير المتعلمين في استعمال ذوقهم السلم الصحيح .
وكم كان يكون خسارة للتاريخ لو أن أبا مخنف لم يكتب ما كتب ، بل كيف كان
يستطيع ان يكتب غير ما كتب ، فالصادر الاولي لم تكن مبسرة كل التيسير . ولقد

(٣) غوتنغن ١٩٠١ ، لاسيما ص ١٩ وما يتبعها و ٦١ وما يتبعها .

كان يستخدمها عندما كانت تمرض له ، دون أن يبحث عنها بحثاً حثيثاً، وان اتخذها نهجاً له يؤسس عليه بحثه . وما اكثر ما يستشهد بالاحلام والاشعار لبيان صحة رواياته .

ومعتمده الاكبر هو في جمعه عدداً غفيراً من الروايات المختلفة
لحادث واحد ومن الاخبار التي تنوعت مصادرهما بحيث يتسنى
لنا ان نقارن بينها ، وان نميز الغث من الثمين منها . وهو في
الوقت نفسه يتخذ الاسباب اعطى مكاناً ثانوياً للحوادث التي تبدو له غير ذات أهمية .
أما المسائل الرئيسية ، فلا يفتأ بكررها ، ويبرزها في كل حين . ويضع الاخبار
التي يختلف بعضها عن بعض متتابعة تتابعاً صالحاً بحيث تبدو بينها صلة متدرجة .
وهذا التأليف الفسيفسائي لم يوضع اعتباطاً دون اختيار أو اصطفاء . فلا تناقض في
الامور المهمة . والروايات تظهر متوافقة توافقاً عاماً . والصورة في مجموعها تبدو
مكنة موحدة لا في الحوادث وحدها بل في وصف الأشخاص ايضاً . وخطه
المؤلف ومخططه يبدان كل البيان بالرغم من المادة التي تبدو مشتتة مضطربة . ومع
ذلك فهو لا يستوفي بحث عصر كبير من الزمن ، ولا يسلسل حوادثه بالمنطق أو بالتاريخ .

وهو مغل في تحديد الاوقات تحديداً مضبوطاً انما يذكر تواريخ
مشتتة مبثثة . وكثيراً ما نراه لا يذكر الا اليوم من الاسبوع
دون الشهر أو السنة . وهو لا يصل حبل الحوادث وصلامستمرراً ،
انما يصفها منفردة ومستقلة بعضها عن بعض ، مبثثة لانحجام فيها . ويمدد الفهرست
لابن النديم اثنين وعشرين مصنفاً له باسمائها .

وما يميز أبا مخنف انه لا يبتدىء باوائل الاسلام بل بالفتوح .
ويورد بصفة خاصة اخباراً عن عهد حضره ، وذلك منذ وقعة
صفين . وعنايته تقتصر على المكان الذي عاش فيه أي العراق
وعاصمها الكوفة . ومعلوماته تفقد حسناتها فيما يتجاوز ذلك من الزمان او المكان .

كثرة رواياته
وتأليفه بينها

تحديده للزمن
ضعيف

اهتم بأخبار
العراق

وبما أن الكوفة والعراق هما مقر المعارضة للحكومة القائمة ، فقد اتخذ من هذه المعارضة الموضوع الاساسي لآخباره . والموضوع الذي يتابعه باستقصاء وشفاف خاص هو ثورة الخوارج والشيعة في عهد المستورد وشبيب وحجر والحسين وسليمان والمختار ، ثم ثورة العراقيين في عهد ابن الاشعث . ويروي أخبار الكوفة ، فتتجه ميوله مع العراق ضد الشام ومع علي ضد الامويين . وبعد فليس في هذا تميز ظاهر او على الاقل ليس فيه من التحيز ما فيه تزوير للحقائق بين ، ولعله في ظرف ما اغفل ما لم يوافقه أن يبينه ولنضرب مثلاً على ذلك اغفاله أن عقيلاً قد حارب أخاه علياً في صفين .

ولقد آثرت ان اقف على ابي مخنف في بحثي عن الاحزاب المتضاربة في العهد الاسلامي القديم . اما في تاريخ الدولة العربية التي تشكل مادة كتابي هذا ، فان ابا مخنف لا يورد مادة غنية . واخبار الكوفة ليست احسن المصادر في هذا التاريخ ، انما المصدر المهم القديم هي اخبار المدينة . وهي تستقى من معين ابعدي في الزمن من اخبار الكوفة ، لكن رواها الذين يستفاد منهم اصغر منا من ابي مخنف ، ولم يتصدوا للتأليف الابدان بدأت المدرسة الادبية تهاجر من المدينة الى بغداد .

مكانة المدينة في
اخبار الدولة العربية

واشهرهم ابن اسحق المولى العتيق ، وابو مشر وهو على ما يبدو مولى عتيق أيضاً ثم الواقدي . وما علم هؤلاء ان جمعوا المادة الخام من مصدرها الاول . وانتهت اليهم الاخبار عن طريق البيئة العلمية فانخلوها ونشروها وربطوا بينها . ولكنهم وصلوا بينها اشد الوصل واخضعوها في نفس الوقت الى ترتيب زمني تام . وكذلك تكون تاريخ متتابع من روايات متباعدة وردت بصدد الحوادث الهامة . ويجب ان يعتبر ابن اسحق مبتدع هذا الاسلوب . وكتابانه وكتابات خلفه تتخذ شكل الحوايات . وكانت هذه الحوايات هي السائدة آنذاك . والتتابع الزمني يتطلب بحثاً علمياً ومقارنة .

مدرسة بغداد المنتقلة
من المدينة

وكان علماء المدينة لذلك أهلاً . ولقد انجوا ما اجتاز الامتحان بنجاح باهر ولعلمهم هنا وهناك اتبعوا ونائق الكهنوت المسيحي ولاسيما السوري منه . ولنضرب مثلاً على ذلك تاريخ الزلازل الارضية وحوادث طبيعية اخرى . ونستطيع ان نرسم كيفية تدرجهم في محاولاتهم لتسجيل الحوادث في شبكة الزمن . ويسبق ابن اسحق في اتقان التحديد الزمني من تبعه (٤) . ويبدو ان ابا معشر ما كان له من هم الا تحديد الازمان . بل ان عناية الواقدي بالازمنة بينة للعيان (٥)

وكانت المدينة كعبة الامة الاسلامية والدولة العربية . واهمية مركز المدينة تلك البلدة في التطور التاريخي العام الذي انطلق منها تطبع بطابعها الروايات التي نمت هناك . وتلك الروايات تشيد قبل كل شيء بذكرى ذلك الزمن الزاهي المقدس من بداية الاسلام ، عندما كان الاسلام لا يزال ديناً لا انفصام فيه ، ووحدة سياسية تبدو كأنها على وشك أن تضوي العالم بأجمعه تحت لوائها . والموضوع الرئيسي الذي يبدو ان ابن اسحق قد اقتصر عليه دون غيره هو السيرة مع المغازي ، يعني حياة محمد [عليه السلام] ووضعه اسس الامة وتأسيسه الدولة وخلفاؤه في عصر الفتوح . حتى اذا انتقل مركز ثقل الدولة الى دمشق لم يغب عن النظر ان المدينة هي المركز الحقيقي للامة جمعاء . ولم ينتقل ذلك المركز الى دمشق نفسها ، بل بقي في المدينة حتى ان هذا البلد لم يكن في عصر الامويين مقام اهم جمعية عربية وحدها بل المركز الروحي للثقافة الاسلامية ايضاً ، حتى اتت بغداد فاحتلت مكانه . وقد استرعى مجرى التاريخ المدني للدولة انتباه علماء المدينة ايضاً ، ولو انهم ليسوا على اتفاق مع الحكومة .

وكان اهتمامهم بسوريه اكثر من اهتمامهم بالعراق او بخراسان . بماذاهتم الاخبار ويردد ابو معشر والواقدي بانتظام بعض البلاغات الرسمية إن

(٤) الواقدي ص ١٥ وما يتبعها

(٥) للصلات بين الاثنين انظر الطبري ٢/١١٧٢ ، ١٠٠ ، ١١٧٣ ، ٦٠

صح هذا التعبير. ونذكر مثلاً على ذلك عندما يقبض ملك على زمام السلطان أو يموت ،
وعندما يعين العمال في الامصار المهمة ، او عندما نخون عنها ، ومن يعهد اليه الخليفة
بامارة الحج ، ومن يقوم بغزوة الصيف ضد الروم. وهذه البلاغات تشكل هيكل حوايات
المدينة المنورة. ومضمونها مليء بالاخبار عن الازمات ونقاط التحول اكثر منه عن اي شيء.
آخر ، الا انه هزيل عامة . ونجده اهتمام العلماء الى ايجاز الحوادث ، فلا نرى فيها
الاميلاً قليلاً الى التفصيل ، وعطفاً قليلاً على الموضوع ، وميلاً ضئيلاً الى اصحاب
الحوادث ، على انه ليس لنا ان نبحث عن العطف على الامويين واهل الشام في
المدينة ، وايس لنا ان نتوقع منها اكثر من اهتمام جانبي بهم .

ولاريب أنه كان في سورية نفسها روايات أيضا بين اهل
الروايات الشامية الشام من العرب مثلاً ، ولكننا فقدنا ذلك . ونجد بعض
آثارها في البلاذري ، وقد نجده أيضا في عوانه الكلبي الذي كان على صلة بسورية
عن طريق قبيلته ، ولو أنه عاش في الكوفة . وينكره الطبري كثيراً راوياً للمماثل
المتصلة بسورية ينقل ذلك بصفة عامة عن ابن الكابي . وتحسن معرفتنا لروح
تلك الروايات السورية بواسطة التواريخ النصرانية لاسبانها صلة ايزيدور الاشبيلي .
ويظهر الامويون فيها في ضوء مختلف كل الاختلاف وبعطف اكثر مما نحن
معتادون ان ننظر به اليهم . ولا أعداء العرب الكلمة الاخيرة فيهم مما ينوء
تاريخهم بحمله .

ويقف المدائني موقفاً وسطاً بين ابي مخنف ومؤرخي المدينة . وهو
المدائني مؤرخ مدرسي ولكنه يورد اخباراً مفصلة . ويعني بصفة خاصة
بالبصرة وخراسان . وتكاد اكثر الاخبار المتصلة بالبصرة وخراسان في الطبري
تكون مأخوذة منه . ويأخذ بوجهة نظر المباسيين ، فيصف بها سقوط الامويين
ونشأة الدولة المباركة .

ولا اقول اكثر من ذلك في وصف تلك المراجع الاساسية
المراجع الاخرى للطبري . ويرد لمدد من الاخباريين الآخرين الذين نجعل
مؤلفاتهم روايات في الطبري لاسيما في بعض اقسام خاصة منه . وانكني است هنا في
صدد استيفاء البحث عن اقدم التأليف العربية في التاريخ، انما يبدو لي ضرورياً أن
اعطي مجرد فكرة ما عن اصولها فحسبي ما ذكرته (٦) .

وكانت فكرتي الاصلية ان اصدى لعصر الامويين بالشكل
وبالعنوان نفسه (مقدمة عن التاريخ القديم الاسلام) الذين
تصدت بها لعصر الفتوح الكبرى في القسم السادس من كتابي
المقارنة صعبة
بعد وقعة الجمل
Skizzen und Vorarbeiten هناك وفقت في المقارنة بين اخبار سيف
ابن عمر وسائر الاخبار المجموعة في الطبري . وقدمت الدليل على ان تلك الاخبار
هي أخبار سيف معدلة تعديلاً فيه تحيز . لكن سيفاً يقف عند وقعة الجمل . ومنذ
تلك الوقعة لا يجه النقد التاريخي انجهاً ثابتاً حسب نظرة معينة . بل ينقطع
جبل التوجيه الادبي . وعلينا ان ندلي بأحكامنا من قضية الى قضية استناداً الى
الحوادث وان ننفذ الى حقائق الوضع وان نقتبع اسلوب الانتقاء بل التوفيق .
والرواة يختلفون دوماً من حيث الثقة بهم ولا يتفقون الا بعض الحين هنا وهناك
دون ان يكون ذلك حول النقطة نفسها . وكذلك تصبح المناقشة اكثر
تعقيداً وادق ، ذلك ان كانت المناقشة ممكنة والامر يستحق كل ذلك الجهد .
على أن المناقشة ليست دوماً ممكنة لان المادة غير كافية . وليست هي ضرورية،
حين يؤيد الرواة بعضهم بعضاً او يكمل احدهم اخاه . وغالباً ما يمكن أن تحمل

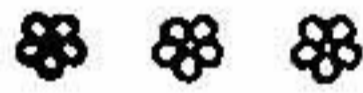
(٦) وبحت وستنفلد Wüstenfeld المشهور في المجلدين ٢٨ و ٢٩ من Abhand-
lungen der Gesellschaft der Wissenschaften in Göttingen
يفيد في اتمام عرضي .

التقارير الثابتة محل البحث او يجب ان تحمل محله . واذا قسمنا مقدار تلك التقارير
بالبداية، نجد انها تتسع كلما تقدم الكتاب .

واني اوافق على ما ألام به من عدم ثبات الاسلوب على وجه
اعتذار المؤلف واحد . وان اختلاف نوع الروايات مسئول عن تغيير اسلوبه .
هذا وقد دفعت الى عدد من التبعات بمن سبقني اكثر مما دفعتني اليه المادة نفسها .
واني اشعر باني مضطر حيناً الى ان اعطي نتائجها غير ما اعطوه .

ولها وزن

غوتنغن ، تموز ١٩٠٢



الدولة العربية ومفوطها

الفصل الاول

المقدمة

١ - الدعوة في مكة

خرجت الجماعة السياسية الاسلامية من الجماعة الدينية. وحدث
الرسول يؤسس الامة
السياسية من الامة
الدينية
اسلام محمد [عليه السلام] وتكليفه باداء الرسالة في وقت يكاد يكون
واحد. ولقد بدأ بنفسه ، وكان قبل كل شيء قد تملكه الايمان
بالله اتقدير العظيم واليوم الاخر . غير ان اليقين الذي ملا
قلبه كان كبيراً بحيث انطلق خارج نفسه . ولقد شعر انه ملزم بان ينشر النور ،
وان ينير الطريق لآخوانه الذين كانوا في الظلام يعمهون ، فينقذهم من ضلالتهم.
وسرعان ما أسس جماعة صغيرة في مكة .

تلك الجماعة كانت تربطها رابطة الاعتقاد بالله واحد لا يراه
الراؤن . وهو خالق الكون ومالك الروح . وتربطها ايضاً
رابطة القانون الاخلاقي الذي نشأ من ذلك خدم -ة لله
لغيره ، وكسباً للنفس لا للدنيا ، ومحاماً عن العدل والرحمة لا عن المال .
رابطة الاخلاق
في الامة

وفي اقدم السور القرآنية الاولى كان التوحيد اخلاقياً شديداً في اخلاقه ، كما كان في التوراة القديمة وفي خطبة الجبل . وسرعان ما اثارَت فكرة الخالق فكرة الاحتكام الى عدله بعد الموت شأنها في الانجيل . والخالق يدعو الانسان اليه ، ويحضه على عمل ارادته لاعلى مجرد الاستسلام لها . والاسلام الاصلي ليس جبرياً بما للكلمة من معنى مألوف . وإلهه ليس رب دين فقط ، بل العدل والاخلاق عنده مرتبطان برباط لا يخل . فحيناً تقوى فكرة العدل وحيناً آخر فكرة الاخلاق ، كل ذلك حسب مشاعر الساعة دون اي قصد في حفظ التوازن بين الفكرتين ، او اي شعور في وجود التباين بينهما . ولم يكن محمد [عليه السلام] فيلسوفاً ولا عقائدياً .

وكانت الجماعة الاسلامية من الوجهة الخارجية مرتبطة ببعضها ببعض برباط التقيد بالطقوس الدينية . والاسم القديم الذي كان يطلقه عليهم غيرهم (الصابئون) لعل، مصدره هذه الطقوس دون غيرها . وهذه اقدم سور القرآن تنص على الصلاة والركوع والتهجد ، ولو انها لم تحدد فيها عهد بالضبط ، ولم تنظم كما نظمت بعد ذلك .

وشرع محمد [عليه السلام] يكتسب افراداً الى جانبه من الاصدقاء ، والاقارب والعبيد، لكنه كان يعتبر هؤلاء الافراد الاولي القطعة للاسلام فقط . فقد كان يرمى منذ البداية الى ان يكتسب مكة كلها اليه ، بما فيها عائلته من بني هاشم وبني عبدالمطلب وقبيلته قريش نفسها ، وكان عربياً وكان شهوره نحو عائلته وقبيلته أي شعبة بصفته عربياً شهوراً لانفهمه نحن الا نحو اقرب الاقارب .

ولم يكن العرب قد عرفوا بعد نظاماً خارجاً عن نظام القبيلة او متصلاً دونها بقوة حاكمة . والدولة عندهم ليست مؤسسة ولا أرضاً ، بل كياناً اجتماعياً . ومن ثم لم يكن عندهم في الواقع دولة بل

شعب ، ولا تنظيم اصطناعي بل مجرد نظام ناضج ، ولا موظفون حكوميون بل رؤساء عشيرة واسرة وقبيلة (١) . وصلة الرحم هي نفسها التي تربط بين القبيلة والاسرة . ولا تختلف القبيلة عن الاسرة إلا بالمدد والاتساع . وليس من اثر خارجي يتحكم في الدولة الجامعة . فكانت هذه قائمة على فكرة الرابطة الاموية وقداستها . والقراية او الايمان بالقراية - وهما امر واحد في الواقع - يعملان عمل الدين . وذلك الدين هو الروح التي جعلت القوم جسماً واحداً . والى جانب هذا كان يوجد ايضاً عبادة خارجية ، لادين يتطلب منهم مطالب اخرى ، ويربطهم برباط او الزام آخر ، اللهم إلا رابطة الدم .

ولو أن محمداً [عليه السلام] أسس عقيدة لا يعتمد أهلها بالقراية القبلية ، اكان قضى على تلك الجماعة القائمة على الروابط الدموية
ما كان الرسول يستطيع ان يعتمد على غير صلة الرحم
فهي ما كانت لتتحمل دخول عنصر اجنبي ، وهي على ما كانت عليه من روابط الضيقة الاحكام وصلاتها المتحدة . لكنه لم يكن يريد ذلك ، بل امله لا يكاد يتخيل جماعة دينية تبني على شيء آخر غير صلة الرحم . وكذلك لم تكن رسالته في ان يكتب انصاراً هنا وهناك ، وقد كان عليه بالطبع ان يتدبر بالافراد . إنما كانت رسالته في ان يكتب المجموع . وكان على شعبه ان يصبح امته ، ولم يكن يكتب في مكة بـ ecclesiola pressa .

وبعد ان عسر عليه اكتساب قبيلته قريش في مكة ، حاول ان يتصل بالقبائل والمدن الاخرى التي وجد سبيلا الى الاتصال بها في الاسواق التي كانت تقام بجوار مكة . وفي الطائف اتصل بشيوخ بني ثقيف ، يرمي

الاتصال بالقبائل الاخرى لاكتساب الكتل دون الافراد

(١) بل ان البدوي اليوم قين بان يتخيل الدولة اعني الامبراطورية العثمانية قبيلة وان يقدر قوتها بمدد نوقها (Doughty 1,230) ولم تكن الوحدة السياسية في المدن نفسها تكمن في البلدة بل في القبيلة اي قريش في مكة وثقيف في الطائف . والقرشيون يشمرون بانهم على سياسة واحدة تجتمعهم ولو كانوا خارج مكة . وقد الامر نفسه عن ثقيفين .

من وراء ذلك الى قبول جماعتهم بكاملها في الاسلام . ثم انتهى به الامر الى ان خطا خطوته في يثرب أي المدينة ، وهجرته اليها كانت حادثاً اسس تاريخاً جديداً . ولكن التاريخ الجديد لا يعني بالواقع الانفصام عن الماضي ، فلم يهدم محمد [عليه السلام] شيئاً بانتقاله من دور المبشر الى دور الحاكم ، وكان مثله الأعلى منذ القدم ألا يكتسب الافراد وخدم بل كامل الشعب .

وكان محمد [عليه السلام] لا يفترأ بعبء الرسل زعماء مرسلين من
الله اشعوبهم ، فلا يفرق بين الجماعة في دينها او في سياستها .
ولم تكن ظواهر اورواية يمثلها رغبتة في ان يستمر بالمدينة نبياً
من الله ورسولاً - سيما كان في مكة ، غير ان جهوده في مكة كانت تذهب هدراً امامي المدينة
فقد افلح . المدينة كان يقاوم في مكة اما في المدينة فقد بلغ سؤله . وفي هذا فارق عظيم . وهو
فارق ليس ظاهرياً فقط . فما يحدث للمارضين انهم يتغيرون عندما يمتلكون
السلطان ، فتختلف نظرياتهم عن اعمالهم اختلافاً واسعاً . ذلك ان الاعمال يجب
ان تحسب حساباً لوجوه الامكان . ولا تستطيع الجماعة في تطورها التاريخي ان
تفصم العرى تماماً بينها وبين المؤسسات الراهنة . وينبغي لها ان تتبع القوانين السابقة
فتحتفظ بسلطانها ، وتوسع فيه ، وهذا يفسر لنا كيف اختلف الرسول [عليه السلام] وهو
حاكم عما كان عليه وهو داع (٢) . وبيننا لما اذا اختلف حكم الدين في العمل عما هو
عليه في النظر ، ففي العمل يبرز العنصر السياسي ، بينما يتضاءل العنصر الديني .
ولكن من الواجب علينا ان نذكر ان السياسة والدين يسيران معاً من حيث
المبدأ ، ولو ان التمييز قائم بين السياسة الالهية والسياسة المدنية ، والى جانبيها
تحتفظ التقوى بمرکزها .

(٢) بيني ولها وزن كلامه هذا على كتاب سيتحدث عنه في هذا الفصل نفسه فيقول ان الرسول وضع فيه سياسته بالمدينة وسنرى (في الهامش رقم ٩) ان هذا الكتاب موضوع فلا يمكن ان يكون الاستنتاج المبني عليه صحيحاً .
(المعقوب)

٢. - تكون ارمه في المدينة

وكان الجو مهيباً لمحمد [عليه السلام] في المدينة: هيأته اليهودية
والنصرانية، فقد كان فيها كثير من اليهود. وكانت المدينة قائمة
على حدود ذلك القسم من بلاد العرب الذي كان يخضع للأثر
اليوناني الروماني والأثر المسيحي الارمني. وكانت الاوضاع
السياسية في المدينة تلائم الرسول اكثر من مكة. فقد كان يسود السلم والنظام
في مكة. والمبادئ القديمة الاجتماعية قائمة بيسر فيها. وكان هناك شعور بان
المبدأ الجديد الذي حاول الرسول أن يدخله يحدث البلبلة فكان مرفوضاً.

الايضاح السياسية
في المدينة ملاءمة
اكثر من مكة

غير أن صلة الدم لم تكن على أي حال تتمتع بالسلطان
نفسه في بلاد العرب كلها. واثرها لم يكن متساوياً في
كل درجات القرابة كلها، بل كانت اقوى في الحلقات
الضيقة منه في التي هي اوسع. فقد كان في الاولى عفويّاً، اما في الثانية فهو مسألة
واجب اكثر منه شيء آخر. وينتج من هذا ان العنصر الموحد قد يصبح أيضاً
عنصراً مفزقاً، اذا كانت مصالح المائلة على خلاف مع مصالح القبيلة او الشعب.
وما كانت الأسر تقبل أن تتنازل عن الثار الدم الذي يقع على عاتقها، حتى
مع الاسر ذات القرابة بها من القبيلة نفسها. ومن ثم كان يحدث بين القبائل
خصام على الدم، اذ لم تكن ثمة سلطة بوسعها أن تفرض السلم عند الخصام،
وان تعاقب على فصح عرى السلام. ذلك كان الحال الذي يسود في المدينة.
فقد كان الشعب منقسماً الى معسكرين متخاصمين: الاوس والخزرج. والقتل
وسفك الدماء شأن تلك الايام في المدينة؛ لا يجسر انسان على ان يخرج من حيه
دون ان يتعرض للاخطار.

اثر الخلاف الدموي
في المدينة

ويسود ذلك الوقت شغب كانت الحياة معه مستحيلة. وكان

الناس ينفون رجلاً يفتحم الخصام ويقضي على الفوضى، على
ان يكون حيادياً، والا يكون مغموساً بالخصومة المحلية

اهل المدينة ينفون
من يؤلف، يذم

القائمة، واذا بالرسول يأتي من مكة بركة من الله: كانت صلة الدم قد اخفقت في
تمكين روابط الاتحاد، فجعل الرسول الايمان محل مكانه.

وجلب معه من مكة طائفة من المؤمنين هم اصحابه

المهاجرون معه. وسار قليلاً قليلاً بثبات، يخطو الخطوة بعد
الخطوة، حتى اقام جماعة في المدينة اسسها على الدين، واطلق

الف الرسول بين
اهل المدينة بالدين

عليها لفظ امة الله. ولو اراد ان يقيم جماعة دينية فقط، لما استطاع الى
هذا سبيلاً. ذلك انه لم يكن في المدينة حكومة قائمة. وكل ما كان عليه ان يعمل
هو تحقيق الأمر الاساسي، أي اقامة النظام واعادة السلام والحق. وبما انه لم
يكن ثمة سلطان، فقد جاء سلطان الدين رئيساً قبض على زمام السلطة، وبثبت
وضعه بما يقوم به مما ينتظر منه.

وقد استخدم محمد [عليه السلام] اوسع استخدام مواهبه

ومهارته في التصدي لاشئون الجاهير. حتى اذا ارتاب
في امر، عرف كيف يسأل عنه اصلح من يقدر عليه.

اعتماده على مواهبه
واصدقائه

وكان محظوظاً بوجود سند له وثيق بين المهاجرين الذين اتوا معه من مكة، وكانوا
اقرب حلاقة من الاصدقاء عنده.

وفي الظروف التي نتكلم عنها بدت سلطة الدين قوة سياسية

قبل أي شيء آخر، قوة خلقت أمة، وعلى رأسها سلطة
تطاع. والله يمثل الدولة في اسمي معانيها. وما يتخذ عندنا

سلطة الدين
على الدنيا

باسم الملك يتخذ فيها باسم الله. والجيش والمواسسات العامة تدعى باسم الله. وفكرة
السلطات الحاكمة التي كانت غريبة حتى ذلك الحين عند العرب ادخلت بواسطة الله. وفي كل
هذا يسود الرأي بأنه لاسلطة خارجية بشرية لها حق الحكم، انما ذلك الحق لسلطان

معترف به في داخل النفس وقائم فوق الانسانية . وحكم الله نبي للملك . وحق الحكم ليس ملكاً شخصياً يقصد به تنعم صاحبه به ، فالملكوت لله . وسفيره الذي يعرف ارادته وينفذها ، انما هو الرسول . وليس هو النذير بالحقيقة وحدها ، بل هو الحاكم الشرعي الوحيد على الارض ، فلا مكان لملك سواه ، ولا لرسول غيره . وهذه الفكرة عن الرسول الحاكم ظهرت عند اليهود المتأخرين . وهي ظاهرة في التباين بين صاموئيل وشاول (۳) ، هذا والرسول يمثل ملك الله على الارض .

والله ورسوله على صلة دائمة احدهما بالآخر . وهما يقفان

الله ورسوله وشرعه
جنباً الى جنب في لفظ الشهادة . وحكم الله يمكن تعريفه
على رأس الحكم
بانه الامة ، يقوم الرسول وشرع الله على رؤسها دون ملك او

سلطة تأتي بالوراثة والاستيلاء . وعند الله لسود العدالة لا التقديس . وملكه ملك العدل وحكمه حتى ذلك التاريخ هو dicharchy . ولكننا لا ينبغي لنا ان نفهم من ذلك ان الحكم حكم لقانون غير شخصي . فلم يكن ثمة قانون حتى ذلك الحين . وقد وجد الاسلام قبل القرآن . والحكم الديني لا يشبه الجمهورية بالرغم من ذلك الرأي الذي يقول بان كل العباد متساوون امامه . والميزة الاساسية للجمهورية ، وهي انتخاب الشعب لمثليه ، لا وجود لها مطلقاً . والسلطة العليا في يد الرسول ، لا في يد الشعب . وله وحده مهمة محددة بل إلهية . وكل سلطان يؤول الى سلطانه الاعلى .

ولم يعين موظفين حقيقيين ؛ انما كان يعهد اليهم ببعض المهام ، حتى اذا اتموها انسحبوا من تلقاء انفسهم . ومستشاروه ايضاً مستشارون خاصون تصلة بهم صلة الصداقة ، وقد ضمهم

لم يفوض الرسول
الى احد سلطانه

الى جماعته .

(۳) كما يبدو مثلاً في الاول من صامويل ۸ و ۱۱

ولا اثر لتسلسل السلطة ، فحكم الدين الاسلامي ليس فيه اي
نظام للتقديس الخاص . وهو لا يشابه في هذا الحكم الديني
اليهودي بعد النفي (٤) . وليس من نظام للكهنوت ، ولا فرق
بين رجل الدين والدنيا ، او بين المهن الدينية والدنيوية . وسلطان الله يسود كل
وظيفة او عضو من اعضاء الدولة . وادارة العدل والحرب وظائف مقدسة وخدمة
الهية في الوقت نفسه . والمسجد هو مكان الاجتماع والقيادة معاً . والامة هي الجيش
ايضاً . والامام في الصلاة هو القائد في الحرب .

لاتسلسل
ولا كهنوت

ولم ينجم عن فكرة حكم الله شكل راهن للدستور . والعامل
الجديد الذي القى به محمد في حلبة البليدة القديمة احدث بلا
شك تمركز عناصر لم تكن معروفة من قبل . وقد يبدو
كأن وحدة العقيدة قد طفت على صلات الدم القديمة المقدسة . والواقع ان صلات
الدم استمرت دون تغيير ولو ان مركز الثقل انتقل منها الى المجموع . واستبدات
الامة الجديدة بالقبيلة والاسرة والعشيرة . وكانت هذه هيكل التنظيم القائم
قبل ذلك .

استمرار صلات
الدم بشكل آخر

والايمان بالله لم ينص على شيء يحتمل مكانها . ولم يوضع حق
المسلمين في المساواة السياسية ، وقد نجم عن فكرة الحكم
الديني ، لم يوضع على شكل يقضي به على خلافات الاحزاب .
واستمر رجال مكة اي المهاجرون كتلة واحدة والى جانبهم قبائل العرب من اهل

الوضع الجماعي
مستمر

(٤) وان الحكم المقدس Hierocracy عند اليهود فيما بعد النفي كان له سلطان
خارجي ولم يكن له استقلال سياسي . وهو مع ذلك يختلف عن الدولة ولو ان هذا الاختلاف
ليس على مدى معادل لما هو عليه . الكنيسة المسيحية في اوائلها اذ هو يتوارى خلف الامة .
ووضع البابوية لا يمكن ان يقارن به مطلقاً لان الكنيسة في البابوية ليست الحكومة انما هي تملك
الحكم (W. Sichel) . والحكم الديني عند قدماء الاسرائيليين يبين عن تشابه كبير بمقابلة عند
العرب وان كنا لا نجد فيه الفكرة التي تقول ان الحاكم الشرعي هو الرسول لا الملك .

المدينة أي الانصار ، وقبائل اليهود في المدينة . وبقي المهاجرون مهاجرين والعبيد عبيداً ، حتى بعد ان رضوا بالاسلام ديناً .

وقد انتهى اليانا من اول عهد بعد الهجرة قبل وقعة بدر كتاب لمحمد
كتاب الرسول
لاهل المدينة [عليه السلام] ، تظهر فيه بعض النقاط الاساسية لقانون الدولة وقد
نقد اول مانفذ في المدينة . وهذا الكتاب يلقي ضوءاً على المقدار
الذي عدت به الاوضاع القديمة ، والمقدار الذي لم تعدل به ، بعد ان اصبحت المدينة امة
موحدة . ولفظ امة ليس اسماً لروابط النسب القديمة بين العرب ، بل يفيد مجرد
الجماعة . وهي الجماعة الدينية بصفة عامة . وذلك المعنى لا يصدق منذ عصر الاسلام
وحده بل قبله (٥) . والامة في هذا الكتاب صفة دينية (٦) . فهي امة الله التي
اقامت للسلام وخفر الذمة .

والله يحكم فيها ؛ ومحمد [عليه السلام] يحكم باسمه ؛ لكنه لم
الايماذ اساس الامة
يدع في هذا الكتاب بالرسول . واواصر الوحدة هي الايمان ،
والمؤمنون سند الوحدة ، وعليهم واجبات سامية ، ولهم مزايا عالية . على ان
المؤمنين لا ينتمون وخدم الامة ، بل ينتمي اليها أيضاً كل من يحالفهم ، ويقاوم الي
جانهم ، اي كل سكان المدينة . والامة تشمل مساحة واسعة ، فحرام ما بين
لابقي المدينة .

وكان لا يزال بين الانصار وثنيون ، وهم ليسوا مستثنين من
الامة لانستني
غير المسلمين
الامة ، بل تشملهم بصفة خاصة . وهي تشمل اليهود ، ولو أنهم
ليسوا على صلة متينة بها كالمهاجرين والانصار ، وليست لهم
ذات الحقوق والواجبات ، فليست درجة الاشتراك بالامة على حد سواء دقيق .

(٥) النابتة ، ١٧ ، ٢١

(٦) ورئيس الامة هو الامام . على ان هاتين الكلمتين ايستا لغوياً متصلتين احدهما
بالاخرى اتصالاً مباشراً ولعلها ليستا متصلتين اطلاقاً . فلفظ الامة مشتق من الام . اما لفظ
الامام فمشتق من أم اي رأس .

الدولة العربية وسقوطها (٢)

والاسلوب العربي القديم في التمييز بين اهل القبيلة نفسها وبين مواليها لا يزال شبيه قائماً فيها . ومما له دلالة بينة أن الامة تشمل الوثنيين واليهود، وتكون بصفة عامة من الجماعات المتحالفة لامن الافراد . فالافراد لا ينتمون الى الامة إلا بواسطة القبيلة والاسرة . والاسر ملزمة بأن تبقى حيث هي، ومن ثم تصبح عضواً في الامة . ولم يرد تعبير ما عن امكان صدور مبدء جديد يصبح به الافراد أعضاء في الامة .

وزعماء الاسر أنفسهم باقون ، لا يستبدل بهم مثلاً موظفون نظام القبيلة في التزاماتها واجارتها في حكومة الله . أما صلة الامة بالاسر وتحديد الواجبات والالتزامات المتقابلة ، فان الاسر لم تنفك عرضة لنفقات تخرج عن كونها ذات صفة شخصية محض؛ وتلك النفقات هي دفع دية القتلى وفداء الاسرى . ولم يكن قد نشأ بعد بيت مال الدولة . والولاء هو عمل من أعمال القبيلة والاسرة . بل لا تحديد لحق الجوار نفسه ، فلكل فرد ان يجير الغريب ، حتى اذا اجاره الزم بذلك الامة كلها . ويستثنى من الجوار قريش مكة ، فهم أعداء الرسول البينون .

والاسرة ملزمة بأن تتنازل الامة عن حق النظر في النزاع المدني تنازل الاسرة عن حق الثأر أي النزاع الذي يحدث بين اسر المدينة . ذلك أن اول مهمة للامة هي أن تمنع القتال بين ذويها ، حتى اذا حدث خلاف عرض على التحكيم ، فان تنازعت في شيء فردوه الى الله ورسوله ، (٧) . ولكن اذا حدث نقض للصلح بالقوة والشر ، فليس الشخص المصاب او قبيلته بل الامة كلها ، بما فيها اقارب الجاني نفسه ، ملزمة بأن توحد قوتها ضد من ينقضه وان تسلمه الى صاحب الثأر لياخذ منه حقه في الترميض . فلم يعد الثأر لسفك الدماء يؤدي الى المنازعات العائلية ، فقد نزع عنه عنصره الخطير الذي يهدد السلام العام، وخفف ذلك العنصر بحيث اصبح كالتاليو (القصاص) .

والحق ان القصاص وجد قبل الاسلام ، ولو انه لم يكن منفذاً
تنفيذ القصاص
في اغلب الاحوال . فقد كان مما يلائم الطرفين كل الملائمة ومما
يهمهم كل الامة الا توجد قوة جبرية اياً كانت تمارس سلطانها عندهم . واول ما طبق
القصاص بدقة في المدينة ، ذلك ان الله اعلى من الدماء فيها ، وانه بيده السلطان الحق
من الوجهة النظرية على اقل تقدير . غير ان القصاص لم يبلغ بعد مبلغ العقوبة الصحيحة ،
فتطبيقه مازال في يد الطرف المتضرر ، وما زال لهذا الطرف ان يفرض حقه في
الثأر ، او أن يتنازل عنه مقابل دية من المال .

على أن القصاص يدل على تطور من الثأر يتجه نحو
انتقال الثأر من القبيلة الى
العقاب . ويسجل انتقال واجب المطالبة به من
الامة تطور نحو العقوبة
الافراد الى الامة خطوة مهمة كل الامة ، تجعل
الثأر واجباً من واجبات الدولة تتخذ عقوبة . وهذا كاف لمنع المشاحنات الداخلية .
وكذلك ساد في ارض المدينة سلام عام مطلق . وايس هناك من احلاف بمقدار
ما هنالك من اسر ايس معها تحالف او ايس التحالف معها على الاقل حقيقياً بمعنى
الكلمة . فليس من سلام عام الاسلام الامة .

والغاية الاخرى الامة هي التوحيد بين الاسر للدفاع أمام
التوحيد بين الاسر
العدو الخارجي . والمؤمنون مرتبطون برباط التماسون
ارد العدو
والتعاضد امام الناس ، يسمى ادنام بدمتهم ، فهم كتلة
واحدة امام غيرهم . وواجب الثأر من الاعداء ينتقل من المؤمن الى المؤمن
لا من الاخ الى الاخ .

وبهذه الوسيلة جردت الحرب عملياً من فكرة الثأر التي
من له حق الحرب
كانت قبل ذلك تسيير جنياً الى جنب معها ؛ فالجرب اصبحت
امراً عسكرياً . هذا ولما كانت الحرب مع الاجانب امراً يشترك فيه المؤمنون ،
فانهم يشتركون في السلم أيضاً . وليس لاحد ان يعقد لحسابه الخاص صلحاً

لايخدم الجميع . ومع ذلك فان حق القبيلة او الاسرة باشمال نار الحرب مع الاجانب لم يبلغ الغاء تاماً . وهو يتعرض للنقد نفسه الذي يتعرض له التناقض الواقع في حالة الاجارة ، فالاجارة لم تسلب من الفرد بالرغم من أنها واجب المجموع اي حق الامة والامام اذ نخول الاجنبي حق اتخاذ مقام له في المدينة (٨) . والخط الفاصل بين المجموع والاجزاء لم يحدد بعد تحديداً تاماً . ولم يبلغ الامة بمدى نموها الكامل . على أن المؤمنين هم روحها ، والرسول زعيمها . وهم معاً خميرتها وعصرها الطامح . وهم اقوى عناصر الامة ، عناصر تدفع الى الحركة والدعوة . وما اشتد الايمان الا اشتدت قوة الامة .

٣ - تكون الدولة

وقريش التي هرب منها محمد وأصحابه تبدو عدواً مبيناً للامة في الحرب افادت النظام المذكور للجماعة في المدينة . وهذه حروب صغيرة نجم عنها الحرب الحقيقية ، فتفيد فائدة كبرى في تقوية الامة تقوية داخلية . ويؤدي اول اصطدام كبير في موقعة بدر (في العام الثاني للهجرة) الى نجاح لمحمد [عليه السلام] لم يكن منتظراً . وهو نصر باهر عد تأييداً الهياً للايمان ، واحداث شعوراً بالغاً ، وكان له اثر نفسي عظيم . اضف الى ذلك انه ساعد مساعدة هائلة على الساع اثر محمد [عليه السلام] وعلى القضاء على مقاومته . وجعل الاسلام يسود في الامة ، وصهر العناصر الاجنبية او سحقتها ، وكانت مباحة قبل ذلك . ولم يعد الاسلام متساعاً ، بل اقام عهداً من الارهاب في المدينة (٩) .

(٨) وقد ظهرت تناقضات مثيلة في عهدنا وبيننا . فقد منح الدكتور شنييه Dr.Schnelle هوفمان فون فاليرسليين Hoffmann von Vallerleben الخارج على القانون منحه حق الإقامة في ممتلكاته ببوخهونز في ميكلينبورغ Buchholz in Mecklenburg التي كانت أقطمها في عهد الكونتفدرسيون الالماني وواضح ان هذا الوضع له حسناته .
(٩) اخطأ ولهاوزن في استنتاجاته بهذا الفصل وعجل بالقول . فلونظر في الكتاب الذي —

وهذا التغير يقابله ظهور المنافقين ، فالوثنيون لم يهودوا يجرأون
على البقاء وثنيين في الامة، وقد ارغمتهم الظروف على ان يعتنقوا
الاسلام ، ففعلوا ذلك بشمور غير صاف ، فكانوا لا يسترون سرورهم الخبيث كلما
دارت دفة القدر ضد الرسول [عليه السلام]، وكان اليهود في حال اسوء من حالهم، فبعد
بدو ، تغير الموقف على ما يقول الواقدي تغييراً كبيراً بما يخالف مصالحتهم، فاستثناهم
محمد وأبان أنهم ناقضون للعهد وتعمل بحجج واهية (١٠) فطردهم. وفي مدى بضعة سنين

طرد اليهود

يقول ان الرسول عليه السلام كتبه لاهل المدينة لوجوده موضوعاً يجب نبذُه ولا يصح الاعتماد عليه في شيء .
فهذا الكتاب ، على اهمية ما ورد فيه ووضعه اصولاً في التشريع والفقہ ، لم ينقل عنه كتاب من
كتب الفقہ او الحديث الصحيح . والذي اورد هذا الكتاب ابن اسحاق (انظر سيرة ابن هشام
طبعة صبيح بالقاهرة سنة ١٣٤٦ ، ١ / ٣٠١) ولم يروه بسنده . ونقله عنه ابن سيد الناس
(عيون الاثر طبعة القدسي سنة ١٣٥٦ ، ١ / ١٩٨) واطاف ان كثير بن عبد الله بن عمرو
المزني روى هذا الكتاب عن ابيه عن جده . فيكون ابن اسحاق قد اخذ بهذا السند او بسند
يشابه طريقه . ولننظر الآن ما يقول علماء الرجال في هذا الكتاب . قال ابن حبان البستي : « روى
كثير عن ابيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنها الا على
جهة التعجب » (تهذيب التهذيب ٨ / ٤٢٢) . والنسخة كما هو معروف بمجموعة من الاحاديث
يروىها احد المحدثين عن آخر (انظر الكفاية للخطيب البغدادي ، طبعة حيدرآباد ص ٢١٤) . فنسخة
كثير عن ابيه عن جده التي تتضمن هذا الكتاب موضوعة ، فالكتاب اذن موضوع . وهذا ما
يفسر لنا كيف اهملته كتب الصحاح وكتب التشريع ، اذ لا مجال للاستشهاد به الا على جهة التعجب
تعجب كما يقول ابن حبان . ولو عرف ولها وزن ان الكتاب موضوع لما استشهد به ولكفانا
مؤنة ما نغز به من استثناء اليهود منه

(العرب)

(١٠) قول ولها وزن ان الرسول عليه السلام تمل بحجج واهية فطرد اليهود قول مردود لا يستند الا
الى روايات ضعيفة او روايات اوردت اخف الحجج لا أهمها . والحجة الاساسية يجب ان تبحث
عنها لا في كتب السيرة التي نخلتها اخبار كثيرة يمترض عليها بل في كتب الاحاديث الصحاح ليكون
الرأي قاطعاً . واليك حديثاً صحيحاً ورد في سنن ابي داود (كتاب الخراج ، باب في خبر النضير) يمل
موقف الرسول ويورد حجته الاساسية فيقول ما خلاصته : ان اليهود كانوا يتفاوضون مع قريش لقتال الرسول
عليه السلام قبل بدرو بعدها . ثم يزم اليهود بعد بدر على القدر فيرسلون الى محمد عليه السلام اياتهم مع ثلاثين من —

محا جماعة اليهود محواً من واحة المدينة حيث كانوا عاقدين احلافاً شبيهة باحلاف القبائل العربية ، وسلمت مزارعهم القيمة من النخيل الى المهاجرين الذين كانوا لا يمتلكون ملكاً او ارضاً انما كانوا مسلمين الى ضيافة الانصار او معتمدين على التجارة او الغزو ، وهكذا جعلهم مستقلين عن الانصار ، واصبحوا مزارعين وملاكين في المدينة . وقد شد في هذا أزر نفسه لأن المهاجرين كانوا حرسه ، ان صح هذا التعبير . والخلاف الخفي الذي ماقي قائماً بين قبيلتي الانصار — الاوس والخزرج — جعل للمهاجرين أهمية تامة .

وتجمعت قريش بمدانكسارها في بدر للاقيام بحملة ثار على محمد الحرب مع مكة
 [عليه السلام] يقودها بوسفيان ، فانتصروا عليه فعلا في جبل أحد قرباً من المدينة ، لكنهم لم يفيدوا من انتصارهم استفادة صحيحة ، بل اکتفوا بشرف النصر ، وانكفئوا الى بيوتهم راجعين ، وهكذا لم يحدث ضربتهم المما كسة اذى كبيراً بالرسول ، وكان قد أعد نفسه لها ؛ وسرعان ما عوض خسرانه فيها . والمهجوم الثاني الذي قامت به قريش على المدينة بمساعدة الوثنيين واليهود ضاع هباء منثوراً . وحالفت قبائل صغيرة مجاورة للمدينة الامة المحاربة حلفاً سياسياً اول الامر ، ثم حلفاً دينياً بعد ذلك . وقاتل الاسلام ، وانتقل تدريجياً من الدفاع الى الهجوم . ونظر العرب الى الحرب الكبيرة القائمة بين الوثنية والله ، بين مكة والمدينة نظر المتأمل الواقف .

— اصحابه فقط وذلك ليقتلوه غدراً . هذه خلاصة الحديث فهل يدعهم يتصلون باعدائهم ويديرون وسائل قتله؟ ليس لوها وزن ان يجاوب بنعم . لانه هو الذي في كتابه هذا نفسه (الفصل الثالث رقم ۴) ينمز مصعب ابن الزبير في موقفه من اهل الكوفة ، وكانوا في جيشه الذي حارب به عبد الملك بن مروان فيقول : « ولم يستطع مصعب ان يحزم امره فيعامل الخائنين بمنف ، اولئك الخائنين الذين كانوا على صلة بعبد الملك بل تركهم وشانهم » . وماذا كان هؤلاء الخائنون يعملون : انهم كانوا يتلقون كتباً من عبد الملك بن مروان . ولا اظن ان ما يجوزه ولها وزن لمصعب لا يجوزه للرسول عليه السلام وهو ليس ممرضاً للخيانة فقط بل للقتل غدراً . وبمد ، فحجة الرسول عليه السلام في طرد اليهود من المدينة حجة لا بار عليها

(المعرب)

13/727

وتم تعريب الاسلام نفسه أثناء القتال الخارجي مع الوثنية
 العربية بطريقة بديمة نامية . وكان محمد [عليه السلام] قد بدأ
 خطوته، وهو مقتنع بأن دينه في جوهره نفس الدين اليهودي
 والنصراني ، فكان يتوقع أن يتلقاه اليهود في المدينة ، وقد فتحوا أذرعهم لاستقباله .
 غير أنه خاب فأله منهم خيبة مريرة . فهم لم يعترفوا به رسولاً ، ولم يعترفوا بأن
 رسالته مثل رسالتهم ، ولو أنهم ، سياسة منهم ، دخلوا في اول الامر في الامة التي أقامها .
 وبما انهم لم يعتبروا اليهودية معادلة للاسلام ، بل عدوها مخالفة له ، فانه هو من جهته
 جعل الاسلام يخالف اليهودية بل يخالف النصرانية . فحدد الصبغ والشعائر التي يتميز
 بها دينه والتي تبدو لنا قليلة الاثر ولكنها في الواقع كثيرة الخطورة حددها بحيث
 انفكت عن التعبير عن النقاط التي تجمع بين الاسلام واخوانه من الاديان بل
 وسعت شقة الخلاف . فانخذ الجمعة يوماً رئيسياً للعبادة العامة بدلا من السبت والاحد .
 واستبدل الأذان بالبوق والناقوس . والغى صيام عاشوراء يوم الاستغفار الكبير .
 واتخذ شهر رمضان بدلاً من صوم الأربعمين (*) .

الحرب مع اليهود
 والبعد عن دينهم

وينا كان يؤسس الاسلام على اسلوب يقضي به بدقة على
 تعريب الاسلام

الطقوس اليهودية والنصرانية، كان يقربه في الوقت نفسه من
 العروبة . فهو ما بقي يعتبر نفسه الرسول المرسل للعرب خاصة ، رسولا يتاقى رسالته
 ويبلغها باللسان العربي . وهي رسالة تضمنتها التوراة والابجيل معاً . ويبدو انه لم
 يشمر بميل طبيعي الى الكعبة في مكة ، وبذوب الكعبة ؛ ولكن الظروف دفعته
 الى خطوة لا بد منها ، فبدل القبلة ، وأمر بأن ينجه المصلون الى مكة لا الى القدس ،
 وأعلن أن مكة هي الحرم المقدس ، بدلاً من القدس ، وهي بيت الله الحقيقي على الارض .
 وشرع الحج الى الكعبة ، بل شرع تقبيل الحجر المقدس . وقبل مركز العبادة الوثنية
 في الاسلام ، وادخل فيه الاعياد الوثنية الشعبية (*) ، وطلب من التاريخ حسب

(*) هذه الافكار التي يرضها ولها وزن افكار او حاشا اليه تصوره الرسول المعظم رجلاً يعمل
 بوحى الساعة . وليس هنا محل مناقشته في مسائل ، من الديهي ان الرسول عليه السلام ، وهو الصادق
 الامين ، كان ينقل فيها لسان الوحي ، ويصدع فيها بما يؤمر .
 (المعرب)

العادة أن يبرر هذا التصرف، فقيل ان المكان المقدس وشعائر مكة كانت توحيدية في أصلها، أسسها ابراهيم، ثم مسخت بآخر الأزمنة فأصبحت وثنية. وانتزع ابراهيم ابو الايمان من اليهود، وجعل مؤسس دين اسلامي عربي وجد قبل الاسلام مركزه بمكة. وهكذا فصل الاسلام عن اليهودية، وبدل بحيث أصبح ديناً عربياً قوياً. (*)

وبهذا الحقت مكة بالاسلام روحياً قبل فتحها في العام الثامن للهجرة. واتخذ هذا الفتح صيغة الاستسلام. ودبرت تلك الصيغة بالاتفاق مع ابي سفيان. وهدى قبل ذلك الخوف من ان مكة مقبلة في الاسلام على ضياع قوة اجتذابها الديني للعرب، تلك القوة التي كانت تهبس بها. نعم انها كسبت، فأصبحت المكان المقدس الوحيد من أمكنة العبادة الوثنية الذي احتفظ بمعبده وبأعياده الى جواره، في الوقت الذي الغيت فيه كل الامكنة المقدسة الاخرى وكانت الحرب قد كافت القريشيين خسارة جسيمة، واذا بالرسول [عليه السلام] يحاول لأن جهده ابراهيم كيف يفيدون من صداقته، فيقدم الهدايا الى زعمائهم وبمطيبهم دلائل عديدة على حسن نيته. وهذا الأسلوب في اقناعهم بالاسلام أسماء ائتلاف القلوب. ومما كان يدفعه الى ذلك عطفه الشديد على مسقط رأسه.

ولقد ذهب في محاولة التصالح مع أهله إلى درجة أخافت موقف الرسول من الانصار من أن يجعل مكة مركز حكومته فيمجر يثرب. لكن هذا الخوف لم يكن في محله، فقد ظلت يثرب المدينة أي بلاد الحكومة. ولم ينقل محم [عليه السلام] الى مكة، فاعتم القريشيون ذوو الطموح الذين يودون ان يكونوا على صلة به وبحكومته أن هاجروا إلى المدينة، وعلى رأسهم ابو سفيان وبنو امية. ولم يكن هذا في صالح الانصار، فقد استمرت المهاجرة من كل بلاد العرب لا من مكة وحدها تزداد قوة في بلادهم، فالمدينة كانت تجذب اليها اجتذاباً قوياً أفئدة الشيطيين ممن يبنون النجاح والحظ. وكان الرسول [عليه السلام]

(المعرب)

(*) انظر ما ورد في هامش الصفحة السابقة.

يتقبلهم دون أخذ أو رد ، يضمهم بترحاب الى قوته ، ولو أنهم قد لا يكون لهم
ماض لا غبار عليه .

وتركت القبائل العربية الامور تجري مجراها حتى ذلك الحين .
ثم انها بعد استسلام مكة ومالحة من سقوط بني هوازن ، استسلمت
الواحدة تلو الاخرى الى الفاتح ، واعتنقت الاسلام . ولم يتم
ذلك بعمل افرادي ، بل قام به الزعماء عن الشعب . واستسلم ممثلو القبائل وشيوخها الى
محمد [عليه السلام] وحاولوا أن يفوزوا بأكثر الشروط لملائمة لذويهم ولهم شخصياً . حتى
اذا كانت قبيلة قد فرقت النزاع على الزعامه ، حاول أحد المتنازعين أن تكون له اليد العليا
على الآخر عن طريق الاسلام . وكان كثيراً ما يعرض لمحمد [عليه السلام] امثال تلك
الفرصة السانحة . وهكذا كان الانتقال الى الاسلام عملاً سياسياً ، هو الالتحاق بالامة
في المدينة . وكانت شعائر الاسلام مقبولة وحدها دون غيرها ، لاسيما منها الصلاة
والأذان والزكاة . ولم يكن المبشر ونير دون بلداً إلا بعد أن يتم انتقاله الى الاسلام ،
فيؤسسون عبادة الله فيه ، ويلقنون عناصر الدين والفقهاء ، وكان كل ما يطلب من
المسلم هو اقامة الشعائر . فالإيمان في واقع الامر موكول للسرائر .

وختم ادخال مجموع البلاد العربية في الاسلام بسورة البراءة في
العام التاسع للهجرة ، وبحجة الوداع في العام العاشر . فاعلان أن
العبادة في مكة والطقوس الدينية في جوارها اسلامية محض ،
ولم تعد الوثنية تجرؤ على أن تشاركها فيها ، فقد اقيم غيرها في مقرها الذي كان
وثنياً خالصاً ، بل طالب الاسلام بالبلاد العربية جميعاً ، ونفى كل العرب الذين ظلوا
وثنيين ، ولكن سلام الله ظل معروضاً على كل من ينتقلون الى حكم الله .

وان تحدث حرب داخلية بعد الآن ، والاسلام يجب
ماقبله ويبطل أسباب الحرب القديمة . وكل مطلب من
مطالب الثأر وكل دين في الدم يجب أن يلقي تحت الأقدام ، وذلك تشريعاً يختلف عن
تشريع سولون Solon ، فهو أوسع منه وأكمل . ومن حجرة المدينة انتشر حكم الله

اسلام العرب
في الجزيرة

لامكان في الجزيرة
لغير المسلمين

انشاء الدولة الاسلامية

في بلاد العرب قاطبة. واستمرت القبائل وارتقراطيتها، لكنها خضعت في سبيل مختلفة الى نوع من المراقبة يمارسها موفدو محمد [عليه السلام]، وأصبحت بكاملها وحادثة في دولة مركز حكومتها المدينة. وتوج عمل محمد [عليه السلام] بإنشاء هذه الدولة التي، وإن كانت غير متينة كل المتانة، إنما هي مع ذلك حصن قائم أمام الفوضى والانحلال العام. ولم يتوف الرسول [عليه السلام] وفاة الشهداء بل التحق بالرفيق الأعلى وهو في أعلى أوج الفلاح. ولا يجوز أن نلومه أنه بنى ملكوت الله على أساس طبيعي معين، ذلك أنه وإن دفنته الظروف كثيراً إلى أن يستخدم طرائق غير قدسية، وأن يحتاج بالله في ذلك، فإنه ينبغي أن يعد مخلصاً.

٤ - الجهاد والغنائم

اعتقدت القبائل العربية أنها إنما أقسمت بين الولاء للنبي [عليه السلام] وحده؛ فالفكرة العامة عندهم هي أن قسم الولاء يختص بمن أقيم له. وبمده وفاته ارتدوا عن المدينة أكثر مما ارتدوا عن دين الله. وكان الوضع في المدينة مضطرباً، غير أن حكم الدين تغلب على الإلزام التي حدثت نتيجة لتغير الحاكم، فدعا بلاد العرب إلى الطاعة.

وبدا أن أصلح طريق لتسوية الخلاف هو التوسع إلى خارج البلاد، ذلك أن هذا الطريق كان أسلوباً مباشراً في تهدئة البلبلية الداخلية. وبالجهاد وجهت القبائل العاصية نحو صالح الإسلام ووفق بينها وبينه. والدعوة إلى الإيمان لم تكن أكثر من حجة تتخذ للحرب. ولم يكن حرض أعداء الله على اعتناق الإسلام إلا قضية شكلية قبل الشروع في القتال. فمن المفروض أن أولئك الأعداء لن يقبلوا بذلك فعلاً.

وكانت هنالك قاعدة تتخذ مع العرب وأخرى مع غيرهم، فلم يكن للعرب مجال للاختيار. وكان عليهم أن يقبلوا بالإسلام ديناً، فقد انتشرت فكرة عدم التسامح ببقاء أي دين في

الردة

الجهاد يقضي

على الفتنة

لا مجال للعرب
إلا في الإسلام

أرض العرب غير دين محمد (١١) . وتم التساوي بين الاسلام والعروبة ، بحيث لا يصح لاحد أن يصح مسلماً دون ان ينتمي للعروبة، او ان يلتحق بأسرة عربية . اما غير العرب فلم يكونوا ملزمين بأن يعتنقوا الاسلام ، فالمفروض فيهم آنذاك ان يحتفظوا بدينهم . وبما أنهم غير عرب ، فهم لا ينتمون الى وطن الحكومة الاصلي . ولم يقصد ادخالهم فيه ، بل وضعهم تحت سلطانه . وتلك كانت الغاية من الحرب .

وهكذا نشأ من الحكومة الوطنية التي اقامها محمد [عليه السلام]

دولة وحكم من الدين على العالم ، وذلك بعد وفاته . وينتمي

الجهاد قبل كل شيء

الى تلك الدولة صنفان من الناس مختلفان من حيث الدين

والسياسة . والاسياد فيها هم العرب مسلمين ومحاربين وفاتحين . ونحوات أمة

محمد [عليه السلام] فأصبحت جيشاً . واتخذت الشعار الدينية من صلاة وصيام

وغير ذلك مكاناً ثانوياً بالنسبة الى الجهاد . وأصبح الاسلام بهذه الصورة واضحاً

يبدأ للبدو أيضاً ، فقد كانت هو الراية التي تقودهم الى النصر والغنيمة .

ولئن حدث اسوء ما يمكن ان يحدث فهم الى الجنة ذاهبون . وفي البلدان

المفتوحة نظم الحكيم تنظيماً حربياً كتنظيم الجيش . وقائمة المواطنين تكون سجل

الجيش . وتكون القبائل والعشائر القطع والسرايا . ولا يدخل فيها من العرب الا

الأقوياء ، وهم المقاتلة . وللتمييز بين من يتقون في بيوتهم وبين المقاتلة ، دعي هؤلاء

بالمهاجرة ، أي من يخرجون الى مراكز الجيش الكبيرة التي منها توجه الحرب

وتدار . ذلك أن المهجرة لم تعد تعني المهاجرة ، بل أصبحت تدل على الخروج مع

الزوج والاولاد الى المراكز السياسية والحربية بغية الخدمة فيها (١٢) . ولا يتمتع

(١١) اما تغلب التي سمع لها بان تظل نصرانية فقد كانت تقيم في الجزيرة .

(١٢) وهذا معنى المهجرة مثلاً في الحماسة ٧٩٢ البيت الثالث :

فاجنة الفردوس هاجرت تبتمني ولكن دعاك الخبز احسب والتمر

وانظر القطامي ، ٤ ، ٢٥ .

المواطن بكامل حقوقه الا في الجيش وفي العاصمة والثغور . والبدوي الذي يقبع في بيته الى جانب قطيعه لا يمد مواطناً يتمتع بكامل الحقوق ، بل لا يكاد يمد مسلماً (١٣) .

ودار الهجرة اودار السلام الاولى هي المدينة ، فهي التي سارت منها جحافل الرجال في اول الامر ، ثم اضيفت اليها المصور (جمع مصر) ، واليهما الهجرة قد تكون . وقد اختير في سورية عددهن المدن القديمة . واسست في الاقطار الاخرى مدن تقيم فيها الجبوش ، كالفسطاط في مصر ، والقبروان في افريقية الرومانية ، والبصرة والكوفة في العراق .

ومن هذه النقاط التي انخذ منها العرب مركزاً لقيادتهم العسكرية الجديدة استطاعوا أن يفرضوا الطاعة على الامصار ، والحكم العسكري المطلق هو القائم فيها . والامير الذي يستولي على مدينة ما يصبح اول والٍ عليها . ويكون خلفه فيها قادة حربيين قبل كل شيء .

وكا ان الجيش كان الامة ، فالامير كان الامام ايضاً: اماماً في الصلاة ، لاسيما يوم الجمعة الذي عليه أن يخطب فيه . فكان وعلى الحرب والصلاة ، وهو يقبض الى جانب ذلك طبعاً على السلطة التنفيذية التي منها اقامة المدل ؛ وباقامة المدل يسود الامن . وكان الامراء اول الامر بقييمون المدالة بانفسهم . ثم عمدوا الى تعيين قضاة في المواسم (١٤) .

(١٣) كتاب الخراج ليعحي بن ادم ٥ ، ١٨ و ٥٩ ، ١٥ وانظر كتابي عن الخوارج (göttinger Ges . der Wiss, 1901) ص ٩ .

(١٤) ولم يكن في عهد عمر قضاة . فلم يكن في ذلك العصر اختلافات كما قد يستتج . وانا نسمع عن اول قاض في الكوفة في عصر معاوية او يزيد الاول .

وفي الجملة القى الامراء بالشئون الداخلية، بل الى حد ما بفصل
القبائل والهجرة
قبل الاسلام
الخصومات ايضاً، الى الجماعات التي تتصل بها تلك الخصومات.
ذلك أن العرب احتفظوا بأسلوبهم القبلي القديم، حتى في
البلدان التي سقطت في أيديهم. غير انه سرعان ما بدا الاختلاف. فان بلاد العرب
نفسها، باعتبارها حلقة صغيرة، اصبحت تشكل وحدة حقيقية تدير قطعانها،
وتتنقل مجتمعة، وتدخل نفسها وغيرها من القبائل الاخرى في زمر مختلف أهميتها
ويتزايد عددها. غير ان هذه الزمر لا تدل حقاً على شيء كبير؛ وقد تغير ذلك
بالموجة الكبيرة التي اجتازت تخوم البادية.

والقاعدة العامة ان القبلية لا ترحل بأسرها من موطنها الى
مكان واحد تنزل فيه، بل تتبع اقسام من القبيلة هنا وهناك:
القبائل والهجرة
بعد الاسلام
اقسام لا تستطيع ان تعيش بنفسها، فتتحالف مع اقسام
اخرى من قبائل يجمعها بها بعض النسب وتنتمي معاً الى فرع واحد عال،
فتكسب بذلك قوة التضامن الذي لا بد منه. وكان ذلك يسيراً عندما لم يكن
مكان واسع للهجرة، كما كان الشأن قبل ذلك، وعندما كانوا يجتمعون معاً في المظاعن
ويعيشون باتصال وثيق فيما بينهم. خذ مثلاً على ذلك الكوفة التي كانت تعطي
صورة عن تشعب القبائل الواسع في البادية. وهكذا يمكن ان نفهم كيف بلغت
المحالفات الواسعة شأنها الحقيقي بضرب من ضروب الضم والالحاق: شأن لم يكن
لها قبل ذلك ابدأ، وكادت تخلو منه فيما بعد في بلاد العرب نفسها. وقد قوى
اجتماع ظروف اخرى هذا الميل الى تشكيل زمر اصبحت خطيرة في تاريخ
الامبراطورية العربية.

وكان غير العرب ممن اخطروا الى الخضوع والتبعية رعية^(١٥)
باعتبارهم مختلفين عن العرب المقاتلين الاعيان، وعليهم يعتمد
غير العرب رعية
يقدمون الجزية
اساس الدولة المالي. يقدمون من الجزية رزق أسيادهم.

(١٥) اني استعمل لفظ الرعية في اضيق معنى لتلك الكلمة تمييزاً لها عن العرب الذين
اصبحوا اصحاب السلطان الحقيقي.

والجزية ضريبة الرعية وهي اثقل من الزكاة ، وتعتبر مهينة لمن يؤديها. ووجهت الحكومة العربية قدر المستطاع عنايتها الى شئون الضرائب اكثر من شئونها الخاصة . وفي الامصار التي كانت رومانية ، أصبح البطارقة حيناً كثيراً زعماء مدنيين لجماعاتهم . وفي المقاطعات الفارسية ظل الدهاقنة كما كانوا عليه من قبل . وهؤلاء الزعماء كانوا مسئولين عن الضريبة في مقاطعتهم . ولم يكن يهم الحكومة إلا ان تعرف اوصلت الضريبة كما ينبغي ام لا . وكانت من واجب الولاة ان يقبضوا على زمام رعيتهم بحيث يجعلونهم يدفعون ضريبتهم . ثم آل الامر حيناً كثيراً الى تعيين موظف مالي الى جانبهم ، لم يكن يلقى دوماً استحسانهم . ذلك ان عليهم ان يسكروا البقرة من قرنيها وان يدعوها واقفة حتى يأتي هو فيحتلبها .

وحق الغنيمة الذي كان عند العرب قديماً والذي اقره محمد
الغنيمة والجزية
[عليه السلام] ببعض التعديل كون اساس الضريبة ونظام
وضع الرعية على الاجمال . حتى اذا استسلمت مدينة او مقاطعة الى المسلمين صلحاً ،
حفظ السكان حياتهم وحريةهم وممتلكاتهم بدفعهم الجزية مقابل العفو عنهم وخفر
ذمتهم : جزية يؤدونها مبلغاً كبيراً من المال ، او وفقاً لعهد يعقد حين استسلام
مدينتهم^(۱۶) . اما اذا غلبوا عنوة ، فقد سقطوا تحت شرع الحرب ، أي فقدوا كل
حق لهم . فاصبحوا وكل ما يملكون غنيمة للفاتحين . ويؤخذ خمس المال لله اي
للدولة ، حتى ان املاك التاج والاراضي والممتلكات التي تركها اصحابها تذهب
الى بيت المال^(۱۷) . وكل ما سوى ذلك من ارض او شعب ، ناهيك عن الممتلكات

(۱۶) ويؤدون في بعض الحالات خدمات حربية على الحدود حتى اذا فعلوا اعفوا من
الجزية . ذلك ان الجزية كانت تعتبر ضريبة مقابل التحرر من الخدمة العسكرية التي كانت على
عائق العرب .

(۱۷) يحيى بن آدم ۴۰ .

المنقولة ، يقسم حسبما يقضي به الشرع بين المحاربين في الجيش الذي قام بالفتح ،
لا بين المسلمين كافة . غير ان ذلك لم يكن ليستمر .

وكان من المستحيل ان يستمر انتقال تلك الممتلكات الهائلة

الارض

من يد الى يد ، فضلا عن الصعوبات التي يحدثها ذلك الانتقال

في الطبقات الدنيا التي تحرث الارض بفردھا دون ان تمتلكھا . وما كان يسع
العرب ان يقتسموا نصف العالم ، اذ يصبح عندئذ صحراء . ولم يكونوا يجراون
على ان يتوزعوا على الاراضي الواسعة ليديروھا ؛ حتى اذا ارادوا ان يحتفظوا
بسلطانهم ، كان سبيلهم الوحيد الى ذلك هو ان يكونوا من انفسهم كتلة عسكرية .
ويقال ان محمداً [عليه السلام] قال (١٨) : « جعل رزق هذه الامة في سنابك
خيلها وازجة رماحها ما لم يزرعوا ، فاذا زرعوا كانوا من الناس » . وفضلا عن ذلك
كان ينبغي لهم ان يفكروا في المستقبل ، حتى اذا وزع كل شيء في الحال بين
الفاتحين الاولين الحقيقيين ، تبذرت الغنائم باسرع مما كانوا يضعون يدهم عليها .
وهكذا كانت الارض تعتبر رأس مال ثابتاً ، وتقطع لاصحابها السابقين حتى
يدفعوا فائدتها . وهذه الفائدة كانت تعود الى المحاربين العرب والى ورثتهم ،
فلا يعود رأس المال إنما يعود دخله (١٩) . والمدن والمقاطعات التي كانت تسقط
حرباً لم تكن حالها في واقع الامر اسوأ من غيرها من التي استسلمت . والاسم
الذي يطلق على الضريبة في كلتا الحالتين واحد (٢٠) . وكل ما هنالك ان الضريبة
في حال الاستسلام كانت معينة تعييناً شرعياً ، فما كان ممكناً تعديلها

(١٨) بحی ٥٩ .

(١٩) وهذا مماثل الضريبة (سفر التكوين ٤٧) التي كان يؤديها الفلاحون المصريون
لفرعون دليلاً على ان ارضهم ملك لفرعون وانهم عبيده .

(٢٠) بحی ١١ : فكل ارض في السواد تروى بالافنية ارض خراج . وانظر ايضاً ١٣ ،

٣٣ ، ٣٥ وما يتبعها .

بصورة تعسفية (۲۱) .

وهكذا نشأ بعد عصر محمد [عليه السلام] فرق بين الغنيمه والفيء ، فالغنيمه هي ما يرد المعسكر من مقتنيات منقولة ومن اسرى يوزع ذلك دفعة واحدة بين المقاتلة . اما الفيء فهو الغنيمه من العقارات وما عليها ، بما لا يوزع بل يترك لصاحبه الاول مقابل اداء الخراج ، بحيث يتلقى المالكون الحقيقيون دخله فقط حسب قانون الحرب (۲۲) .

على ان الدولة تجمع الخراج بواسطة موظفيها ، ولا تدفع قسمة ذلك تامة كل عام الى المقاتلة اصحاب الحق فيه او الى وراثتهم . ولا تدفع اليهم الانفقة معينة ، اما ما تبقى فيذهب الى بيت المال . وهكذا يقتصر تنظيم الفتوح على الاحتلال العسكري بغية استغلال الرعية . والاختلاف بين الحالة الماضية للامور وبين وضعها الحالي قليل .

تنظيم الضرائب

وكانت السلطة الحاكمة تتبدل ، اما وضع العامة من دافعي الضرائب البائسين ، فقد ظل على ما كان عليه في الماضي . وادارة العرب تقتصر على شئون المال . وديوان الملك هو دار المحاسبة . واحتفظ العرب بالموظفين اليونانيين والفرس ، فكان هؤلاء الموظفين الفنيين الوحيدين عندهم . واحتفظ العرب اجمالاً باسماء الضرائب القديمة وانواعها ، ولم يحدثوا تبديلاً يذكر في مقدارها وكيفية جمعها . ولو ان المدنيين الذين يقال انها مسحوا العراق ورسموا خريطته كان لهما نصف ذكائها ، لاستفادوا بعض الاستفادة مما عملاه . وفي كثير من

(۲۱) وفي حالات عديدة ايضاً وضع غيرهم فيما بعد صوراً لمهود استسلام . ولم يكن ذلك امراً صعباً نظراً لضعف المعرفة بالدبلوماسية انذاك وللظلام الذي سرعان ما خيم على تاريخ هذه العصور العاصفة من الفتوح .

(۲۲) الفيء كلمة مأخوذة من القرآن (السورة ۵۹ الآية ۷، ۶) لكن الفرق بين الغنيمه والفيء لم يذكرفيه في غير شرعي . وكلمة الفيء تمنى المودة (يحيى ۳۳ ، ابن هشام ۷، ۸۸۰) ولا تستعمل مجرد الفائدة بل لرأس المال الذي يجلبها . ويفرق الفقهاء بين الغنيمه والفيء . ويحملون لذلك التفريق اصلاً في الشرع . ولا يدركون انه حدث باثر المادة خلافاً للقرآن .

الحالات كان الخليفة يقتصر على تأييد التدابير التي يتخذها قواده. وكان عمل هؤلاء مستنداً الى الظروف المحلية .

واعلم الفتوح تم في عهد الخليفة عمر. وهو الذي يمد منظمها. الغنيمة توزعها الدولة
ومما لا شك فيه انه لم يبدع أي اسلوب جديد كما رأينا، على أنه هو الذي انقضى حق الغنيمة وكان معمولاً به عند العرب. وجعل الدولة تتوسط فيها بين الجيش والرعية . وكان يحمي الرعية حماية مائة، وقد قوى الدولة على الجيش بواسطة الضريبة التي كانت تدفعها الرعية .

٥ - الخلفاء وفريسي

ولم يسر تطور القانون السياسي جنباً الى جنب مع تطور لا فكرة في الحكم عند العرب
السلطة السياسية . ولم يكن في التقاليد العربية القديمة علم عملي للحكومة ، وليس شيء من ذلك في فكرة الحكم لديني أيضاً . وشعر الناس بهذه الحاجة بمجرد ظهور القضية المهمة، الا وهي: الى من ترجع زعامة الحكم الديني ؟

ولم تثر هذه المسألة طول حياة محمد [عليه السلام] . فقد كان الرسول من يكون خلفاً للرسول
ممثل الله والحاكم الديني الحقيقي . والحكم الديني بلائمه كل الملائمة . على أنه لم يتحقق الظن بأن الساعة الآخرة ستقوم بمجرد وفاته . فلم يخرب الكون، وتوفي دون أن يتأكد من ان رعيته لم تترك من غير راع . ولا ريب انه ترك القرآن والسنة فيهم ، غير انه لا يمكن ان يستبين احد من القرآن او من السنة من هو الذي سيكون خلفاً له ، بل لا يمكن ايضاً ان يستنتج من القرآن والسنة انه ليس من حاجة الى ذلك الخلف . وكان يبدو انه لا بد من امام للصلاة وزعيم للحكومة . ولم يكن هنالك اسلوب منظم الانتخاب . ولاحق في وريثة محمد [عليه السلام] وبدا كأن وفاة الرسول انقضى الحكم الديني، ولو أن هنالك رعية نقيية لم تؤمن بان ذلك ممكن . وارتدت القبائل العربية، وظهر في المدينة نفسها خطر الانشقاق .

وبما أنه لم يكن هنالك من ترتيب ما في من يكون خلفاً
للرسول [عليه السلام]، فقد كان السبيل الوحيد هو ان يقبض
احدهم على السلطة بسرعة خاطفة. وكان أقدم اصحاب الرسول
اصحاب الرسول
الأول والخلافة
وأصدقائه من مكة، وعددهم قليل، على اتصال وثيق بسلطانه؛ وكانوا، ان صح هذا
التعبير، اول قطفة للإيمان واعيان الحكم الديني اعياناً ذوي اصل وطبع اسلامي
حقيقي. وحق انهم لم يكن لهم عمل رسمي الا أنهم كانوا يكونون مجلس الرسول
فيؤثرون فيه أثراً كبيراً. اما وهم الآن محروون من رعايته فلن يدعوا السلطة فقلت
من أيديهم، بل امسكوا بزمام الحكم امسكاً شديداً، بعد أن أخلى محمد [عليه
السلام] ذلك الزمام من يده.

وكان رئيسهم من الناحية الفكرية عمر بن الخطاب، وهو
حري بأن يعد المؤسس للحكم الديني الثاني، ذلك الحكم الذي
قام دون الرسول [عليه السلام]. وكان عمر طويلاً سريع
الحركة عالي الصوت شديداً في النزاع. وبصوره المؤرخون
أبو بكر
وعمر بن الخطاب
وسلطان الدين
حاملًا الدرّة في يده دوماً. ولم يكن موارباً في المسائل، يسر في الاذن كالمنافقين،
بل كان نقياً لا يتدخل فيها لا بعينيه. وأيد أولاً ابا بكر صاحب الرسول [عليه السلام]
وموضع ثقته. ولم يتسلم الحكم إلا بعد وفاته التي حدثت بعد قليل من الزمن.
وعهد أبو بكر اليه بالخلافة بوصية أوصاها (٢٣) وبرغبة أبدأها قبل وفاته؛ على ان
ذلك كان تثبيتاً لأمر تمت الموافقة عليه من ذي قبل. وكان ابو بكر شاعراً
شعوراً تاماً بانهم لم يصرح الرسول [عليه السلام] بحقها في الحكم، بل استولى عليه استيلاءً.
وان كل ما يقدر ان عليه هو أن يجملها حكماً غير المشروع مشروعاً بما رسته وفقاً

(٢٣) ووصية الرجل في فراش الموت تقليد قديم عند العرب. وفي الحرب للامير الحق
والواجب ان يمين في حالة وفاته قائداً وقائداً آخر معه وهكذا. والمسلمون يمدون انفسهم جيشاً
انظر Die Contin. Isidori Hispana, ed. Mommsen, par. 98

لفكرة الحكم الديني . وبما أن حكم الله عن طريق الرسول [عليه السلام] قد انفق ، فقد ثبتوا حكمه بان اتخذوا آياته وسنة رسوله مبدءاً لهم .

وكانوا يودون أن يعتبروا ممثلين مؤقتين للرسول الحاكم الذي الخليفة يمثل الرسول منح وحده حق حكم الدين . ودلوا على ذلك بالاسم الذي أطلقوه على أنفسهم ، الا وهو الخليفة . ودعا أبو بكر نفسه خليفة رسول الله ، وسمى عمر نفسه خليفة خليفة رسول الله ؛ ثم وجدوا هذا الاسم طويلاً ، فأصبح لقبهم الخليفة مجرداً من الاضافة . وحملوا أيضاً لقباً آخر وهو امير المؤمنين .

وكان بنو قريش يشاركون ابناء قبيلتهم من اصحاب النبي [عليه قريش والانصار السلام] الاولين البارزين ، ومنهم الخلفاء الاولون ، يشاركونهم في سلطانتهم . ولا تقتصر تلك المشاركة على بني قريش الذين انتقلوا الى المدينة يوم الهجرة ، او الذين انتقلوا الى المدينة قبل فتح مكة ؛ بل تشمل الذين اعتنقوا الاسلام مضطرين بعد الفتح . فالنسب أثبت شأنه الى جانب الايمان . وبالرغم من ان قريشاً قاومت الاسلام ماوسمها ذلك ، فقد كانت ترى ان لها الحق في الحكم لان محمداً خرج من دوحتها . ونجد لدعواها تأييداً عنده وعند اصحابه ، بل ان العرب بالاجمال اعتبروا ان من المسلم به ان تظل السلطة الحاكمة في يد اسرة واحدة أو لا ففي يد قبيلة او فرع واحد ، بحيث تعتبر ملكها المشترك يمارسه شخص واحد منها . ولم يعترض على افضلية قريش في الاسلام الا الانصار . وكانوا قد تلقوا بلطف في اول الأمر وهم هاربون . وضمنوا لهم المقام والمثابرة والحماية .

وكذلك لم يعترضوا على ان محمداً [عليه السلام] كان يؤثر اصحابه المكيين بوجوه مختلفة ، اولانهم هم كانوا يحملون من الحرب اثقل حمل ، مع ان الآخرين من قريش ، كانوا يأخذون حصص الاسد من الفنيمة ، كما تم حين توزيع ممتلكات اليهود الذين طردوا من المدينة مثلاً . على ان الشعور نما بينهم بأن الروح التي ابدوها اوضحت اكثر مما يستطيعون تحمله ، فحاولوا ان يدلوا على انهم يريدون ان يكونوا اسبانياً في دارهم ،

الانصار يتحملون
اقل حمل

لا ان يقنعوا بفئات الضيوف . فثبثوا حفيظتهم حيناً كثيراً ، يستثيرهم بصفة خاصة
وعيم لهم سابق ذو مكانة بينهم من قبيلة الخزرج . وكان يظن ان الرسول هاضم
حقه . غير ان غيرة الاوس من هذا الرجل كانت تنشب حالا ، ولما اختلف الانشقاق
الخطير ، ويستفيد من ذلك الطرف الثالث الذي وقف خارجاً عن النزاع .

وفي تلك الظروف كان من السهل على محمد [عليه السلام]
حاجتهم الى الرسول ان يستقي من الانصار على حسن نيتهم هذه ، وهم مدينون له
بانقاذهم من الهلاك الذي كانوا يردوا اليه بأنفسهم : وكانوا عندما يفكرون في ذلك
بمترفون بأنهم لا يستطيعون ان يستغنوا عنه . وكان يشغل بالهم التفكير بأنه قد يترك
مدينتهم ويذهب الى مكة بعد الفتح فيقيم فيها .

وهكذا استمرت الامور على الصورة التي بدأت فيها ،
والقرشيين ما فتئوا يثبتون اقدامهم في المدينة ، يشد ازورهم
عدداً من المهاجرين اتوا من قبائل اخرى وسموا ايضاً بالمهاجرين .
وما زال الانصار يتناكرون اكثرية ضائلة ، على عهدهم ينضون شيئاً فشيئاً . وعند وفاة
الرسول [عليه السلام] حاولوا المحاولة فورية بان يثبتوا حقهم بالحكم في مدينتهم ، او لاختتم في
الاستئصال وقتلوا ان المدينة لم تدم مدينتهم ، بل مدينة الرسول [عليه السلام] وانه جعل منها
شيئاً مخافاً كل الاختلاف اي مركزاً للعروبة والاسلام . ولقد اخذوا على
حين غرة بما قام به عمر وغيره من الصحابة من عمل سريع خاطف ، ثم انقسموا على
انفسهم بحزبانهم القديمة ، واصبحوا اقلية ، وقد اتت موجة قوية من البدو
المهاجرين ووقفت ضدهم الى جانب المهاجرة .

ومن حسن الصدق ان ثارت في ذلك الوقت بالذات قبائل
العرب على المدينة ، فاختلفت الحزبان الداخلية امام ذلك
الخطر الخارجي المشترك . واصبح الانصار مرة اخرى في
الخطوط الاولى من قتال العدو وفقاً لتقاليدهم . وكانت لهم
حرب الردة تضمهم
في نصف الاول
من المجاهدين

اليد الكبرى أيضاً في الفتوح، لاسيما في فتوح الشام. وكانوا العمود الفقري للقوات
الاسلامية، ولكن لم تكن لهم كلمة في انتخاب الرؤساء.

اضف الى ذلك انهم ظلوا بعض الشيء في صف المعارضة
للاحكام، غير أن معارضتهم كانت تظهر وتختفي بظهور ومعارضة
المتدينين العامة للاحكام القاعين واختفائها. وما ظهرت المدينة
بمجموعها مركزاً للمعارضة ومركزاً للسنة الاسلامية والاستقرار الطيبة الاسلامية
المضطهدة الا بعد ذلك. ومن الخطأ الا ترى في الانصار الامعارضين، فهم كانوا
بدأ واحدة مع المهاجرة على بني امية حتى في ثورتهم الكبرى التي اتمت بوقعة الحرة.
وانبعوا القرشيين الذين ادعوا بالخلافة. وما قاتل الانصار يوماً بأنفسهم مجتمعين
في حزب مستقل. واعترف كل الاطراف بزعامه قريش، ولو ان هذا الاعتراف
لم يخرج من أعماق القلب: اعترفوا جميعاً وقد يستثنى الخوارج. واتخذ الانصار
موقف الحياد في الخصام بين القبائل التي كانت الواحدة بعد الاخرى تسلم بالحكم
لقريش دون نفسها، مهما بلغ استيائها من اوائك الذين ولدوا أصحاب
الحق بالخلافة.

وقريش الآن ابست متحدة كل الاتحاد وهي لم تكن بالاصل
الاتبعاً الرسول [عليه السلام] وصحبه الاقدمين. ولم تحظ
بالاهمية في الاسلام الا بهم. فهم من قريش يتون بالنسب اليها، اما الآن وقد ظهر
فيها مزيج خطير من الارستقراطية الاسلامية الفعلية، ارستقراطية تعتمد على
صحبة الرسول [عليه السلام].

وهذا ما حدث بعد وفاة الخليفة عمر ونشوب مسألة خلفه.
ولم يوص عمر بالخلافة املي. وكان علي يدعي الخلافة بوصفه
ابن عم الرسول [عليه السلام] وصهره. وكان يعتبر نفسه مهضوم الحق. وآثر
عمر ان يترك للشورى انتخاب خليفة مكانه، دون ان يضم مجلس الشورى كل

المسلمين ودون ان تستشار الامصار الاخرى ، فقد كانت المدينة وحدها هي المدينة . ولم يحسب الانصار في المدينة حساب كبير ، ولا لاقرشيين من حيث مجموعهم عامة لا افراداً ، فلم تظم الشورى الا الستة الاحياء من بين اقدم اصحاب الرسول . وكانوا على ثقة من انهم سيدتفقون على انتخاب احدهم ، كما يفعل مجلس الكرديناوية حين انتخاب البابا . أما بقية الشعب في المدينة ، فلم يكن له من حق او واجب الا ان يبائع الرجل المنتخب . وتلك المبايعه تقتصر على الانصياع لنتيجة الانتخاب وتم في المدينة .

وقد تجاوز الستة عالياً . ولم يشأوا الاعتراف بان ادعاه بالخلافة

انتخاب عثمان

يعملو غيره ، فاختاروا الشيخ المسن عثمان بن عفان من بني امية .

وكان عثمان اقلهم دعوى وخطورة ، ولهذا كان صالحاً في نظرهم فقد كانوا يريدون ملكاً نعمة . وما كانوا يبغون شخصاً آخر كعمر . غير ان النتيجة خيبت آمالهم ذلك ان عثمان لم يقدم ، بل افاد عائلته التي استسلم لها مخناراً أو غير حذر .

وبنو امية ينتمون كالرسول [عليه السلام] الى عبد مناف

بنو امية يدخلون

وكانوا اكثر ثراء ، واهمية وقوة من بني هاشم وبني عبد المطلب .

في الاسلام

وحلوا بعد بدر محل بني مخزوم الذين كسرت شوكتهم في

تلك الموقعة (۲۳) . واحرزوا بقيادة زعيمهم الحكيم ابي سفيان ممنة في مكة ، واصبحوا

وجوه القوم في نضال قريش لمحمد [عليه السلام] ومدينته . وبالرغم من انهم

كسروا في هذه الحرب ، فهم لم يفقدوا لذلك مكانتهم واثرتهم ، بل احتفظوا بها في

الامة الجديدة التي اضطروا الى الانضمام اليها ، ويسر محمد [عليه السلام] سبيل

دخولهم فيها . واجهد نفسه مبيئاً لهم انهم ان يخسروا بانضمامهم هذا .

وعندما فقدت مكة مكانتها السياسية هاجروا الى المدينة ،

مكاتبهم الجديدة

وقبضوا على ناصية الحال هناك . ثم انهم لاءموا انفسهم مع

في الحكم

الزمن ، ونظموا عقيدتهم حسب الظروف ، فسما كعبهم بتلك

(۲۳ب) للصراع بين بني مخزوم وعبد مناف انظر ابن هشام ۲۰۳ وما بعدها ؛ ۲۲۹ .

الوقائع نفسها التي كانت تهددم بالزوال . وهذا يزيد بن ابي سفيان ومعاوية أخوه
بعده يصبحان في عهد أبي بكر وعمر ذوي مكانة في المدينة او لا ففي غيرهما من المدن
ثم هاجم اولاء بني امية يبلغون الخلاوة مع عثمان ، فقد كان حكمه حكمهم . وقد عين
عثمان مروان كاتباً له في المدينة ، والقي إليه بمقاليد الحكم ، وملاً وظائف
الدولة بأقاربه .

وبهذا تعرض اسخط زملائه من اعضاء الشورى . وكان

عثمان وسخط
اهل الشورى

هنالك خمسة ، منهم علي وابن عوف وطلحة والزبير وابن ابي

وقاص . ولم يكن لابن ابي وقاص طموح سياسي ، ومات ابن

عوف قبل عثمان نفسه ؛ غير ان عائشة ارملة الرسول [عليه السلام] خلفت هذين

الاثنين . وكانت لها مكانة تعادل مكانتها في مجلس الاسلام الاعلى . وفرضت احترامها

فرضاً كبيراً . ووجد اكار الصحابة انفسهم ، وقد هدت مكانتهم التي كانوا عليها

حتى ذلك التاريخ بسلالة كانت تتقدم نحو العرش . فنقموا نقمتهم على بني امية .

فهل لهم ، وهم اعيان الدين الاصيلون الذين نمت جذورهم في الاسلام ، هل لهم ان

يقبلوا بالتنحية من قبل اسرة شريفة عريقة في الوثنية تزعمت قريشاً في نضالها

للاسلام . ولقد حاولوا ان يمدوا الخليفة عن عصابته كادعوم . ولما لم يقدروا على

ذلك اتجهوا ضد الخليفة نفسه . وعملوا ما في وسعهم في المدينة لهدم سلطانه ، وشجعوا

الساحطين من العرب في الامصار .

٦ - الفتنة في عهد عثمان

واياً كان ، وقد كانت الامور في خضم من الهيجان في الامصار

المحاربون والقيء

التي يقطنها العرب . وكان الزمن قد تحول بعد ان توقفت

حروب الفتح الكبرى . وتبع السلم الاضطراب والصلابة الاستهتار . ولم يعد

العرب المقاومون ملزمين بالخدمة في ميادين القتال ، بل كانت لهم من الفراغ

ما يفكرون فيه . وكانوا راضين بأن تطالبهم الحكومة بالقيء ، اي المقارات الثابتة

وما عليها من اشخاص مما غنموه حين الفتح ، راضين مادامت الغنائم تتدفق عليهم

من الحملات الدائمة ، فقد كانوا لا يدرون ماذا يفعلون بالقيء . اما الآن فقد ادركوا انهم بقوة الزمن وضغطه اذنوا بتجريد انفسهم من انفس حصاة من الغنيمة ، دون ان يكونوا بذلك شاعرين . ولو انهم حصلوا على دخل انفيء بكامله ، اي قيمة الخراج ، لما بالوا بشيء .

ولكن الامر كما رأيت لم يكن هكذا . فالجزية مع غيرها من دخل الحكومة كانت تتدفق على بيت المال ، دون ان تعطي الحكومة المحاربين من العرب شيئاً غير اجورهم . وكانت الحكومة هي التي تمسك بمقاييد بيت المال ، مع ان ما فيه يعود بالواقع الى الجند . وقد اصبحت الحكومة مستقلة عن الجيش ، بما افاء به الفتح الذي قام به من غنائم هي بالحق غنائمه . ولم توزع الحكومة الأرض وما عليها بل ضمت خراجها إلى نفسها .

ثم اضحى الجند نابها لها بالاجور التي كانت قادرة على ان تمنحها إياها او تمنعها عنه ، بالمدى والمقدار الذي يحلو لها . وكانت الحكومة قبل ذلك تعتمد على الجند ، اما الآن فيعتمد الجند على الحكومة . وايس من العجب بعد ذلك ان يمتد المقاتلة انهم خدعوا من تلك الحكومة الجاحدة التي عمودها الفقري انما هو بيت المال ، سمت به عليهم وملكت به زمامهم .

وها هم اولاء مدعون ان المال الذي جمع من الغنائم انما هو ملكهم لاملك الدولة ؛ وهو مال المسلمين لامال الله (٢٥) وبتحتجون بأن دخل النبي ، كان يجب أن يوزع ، حتى اذا صح لهم نهبوا بيت مال الامصار ، ولم يرتضوا بأن يخص بيت المال بالفائض عنهم . وكانت غيرتهم من السلطان موجبة طبعاً ضد الموظفين الذين كانوا يتمتعون بأمواله وحوله وطوله وقد وجدوا

(٢٥) الطبري ٢٨٥٨/١ وما بعدها .

من الظلم ان يهدم السلطان عن معاشهم (٢٦) كما كان يفعل .

وذلك بالواقع وعين الامر احتجاج على ما انتهجه عمر من اسلوب .
اختلاف شخصية الخليفة
فقد كان عمر هو الذي انزع النقيء من يد الجند ، ونقله الى
الدولة خلافاً لما نص عليه القرآن (٢٧) ، واتباعاً لاسلوب
جری عليه محمد (٢٨) [عليه السلام] على مدي واسع وبقدر ملبح . اما ان تكون
النقمة قد فشت في عهد عثمان لا في عهد عمر . فتعليل ذلك في اختلاف شخصية
الحاكم لا في اختلاف الزمن وحده . وهذا عثمان يقول بحق : ان من الاشياء ما قد
قيل له مما لم يجروا انسان على ان يقوله لعمر . وعثمان ينقصه حزم سلفه .

ومن ثم ظهر من طغيان العمال وانايتهم في عهده ما لم يظهر في
عهد عمر ، فقد كانوا يرهبون جانبه وهذا في غاية السوء لان
عثمان كان قد درج على ان ينتخب عماله من ذوي رحمته ،
طغيان العمال في عهد عثمان
فبدا كأن الدولة اصبحت ملكاً لحزنة من الاشخاص ، منحوا من الامتياز وخولوا
من الحق ما اثروا به على حساب الامصار .

(٢٦) والاسم الرمني للحكم والدولة هو « السلطان » والاسم الديني هو الله [جل جلاله] .
ونقظ السلطان اصله ارامي

(٢٧) لم يخالف عمر في ذلك نص القرآن بل فسر ما فيه : انظر كتاب الحقوق المندنية
للاستاذ مصطفى الزرقا ص ٧٦ ومقالا المدكتور معروف الدواليبي في مجلة « المسلمون » السنة الاولى
ص ٦٦٧ عنوانه « كيف استعمل الصحابة عقولهم في فهم القرآن » (المعرب)

(٢٨) وكان محمد [عليه السلام] اقر للدولة بحق منكم ما ننمه دون حرب ، بل سبق عمر
فصادر الاحياء القديمة (جمع رحى) فجعلها مراعي لنوق بيت المال وخبوله . واستن بذلك سنة في
مصادرة الاراضي انظر Reste arabischen Heidenthums (1867) ص ١٠٧ وما بعدها .

والنقى كبار الصحابة بأهل الامصار في المدينة ، بمضدم
 اكثر من في المدينة لاسيما الانصار . ويقوم على رأسهم علي
 وطلحة والزبير يؤيدونهم في حقدم على عصابة عثمان .
 ويحقدون عليه هو حقداً منشأه سبب آخر مختلف . فقد كان بهم ان يؤيدوا
 خصومتهم مع عثمان بالقوة اللذيذة الضرورية ، حتى تصح دعواهم بانهم انما يثلمون
 الحكم الديني الاصيلي القديم ، وانهم ابطال القرآن والسنة ، فيستخدموا النعمة
 العامة لثقتهم الخاص . وبما ان موقفهم من عثمان كان جريئاً غير لائق ، فقد ربأوا
 بأنفسهم ان يملنوا الحرب عليه جهاراً معتمدين على عون اهل المدينة . بل القوا
 بالخصام الى الامصار ، ففي يدها قوة الدولة في الحرب والمال ، بينما لا تتمتع المدينة الا
 بسلاطان الاسلام الروحي .

كبار الصحابة يشجعون
 اهل الامصار

وفي عام ٣٤ (٦٥٤/٦٥٥) كتبوا الى الامصار يقولون :
 ان اردتم الجهاد فمكانه عندنا في المدينة . وجاء الجواب من
 الكوفة تحرك
 الكوفة اولاً ، وفي الكوفة مركز قيادة مقاومة المقاتلة ضد الحكومة . وفي نهاية
 عام ٣٤ (حزيران ٦٥٥) كان العمال مجتمعين للحج في مكة مع الخليفة حسب العادة ،
 فشبب العصيان هناك يقوده مالك الاشتر اليمني البارز ، وكان من اصدقاء علي الخالص .
 واتخذ الف رجل من الكوفة مكانهم أمام بلدتهم ، وقطعوا طريق الدخول على
 عاملهم سعيد حين اقبل من مكة . ومع ذلك فقد عزل عثمان سعيداً دون اخذورد ،
 وارسل للثأرين طاملاً محبباً الى قلوبهم ، فأسكنهم ذلك اليوم .

وبدلاً من اهل الكوفة انجبه المصريون شطر المدينة . وكان
 مصر تحرك أيضاً
 عثمان قد عين في مصر بدلاً من فاتها عمرو بن العاص ابن عمه
 ابن ابي سرح الذي كان قد نفاه الرسول . فكان عمرو اذن عدوه ، وكان رجلاً
 خطراً ، عمل على اثارة الشعور ضده في المدينة . ولعله لم يربأ بنفسه عن ان يعمل
 الشيء نفسه في مصر . وكان هنالك ثأرون آخرون منهم محمد بن ابي حذيفة
 ربيب الخليفة ، ومحمد بن ابي بكر من مؤيدي علي المتحمسين ، انفصلوا بسفهم

في الموقعة البحرية الكبرى مع الامبراطور قسطنطين عن الاسطول العربي قائلين:
إن الجهاد الحقيقي قد اضحى مهجوراً . واتهموا عثمان تهماً خبيثة منكرة، واخذوا
عليه بصفة خاصة تمييز اقاربه في جميع الاعمال الكبيرة ، وبذره بذوراً خطيرة في
ذلك . كان هذا في عام ٣٤ .

وفي السنوات التي تبعتها ابي خمسة عربي من مصر الدعوة
الى جهاد العدو الداخلي . وظهروا امام المدينة حوالي الشهر
العاشر من سنة ٣٥ (نيسان ٦٥٦) وقدموا بعض المطالب
للخليفة ، وهددوا بالاجواء الى القوة اذا رفض تلك المطالب . ووقف اهل المدينة
الى جانبهم وعاضدوم ، اللهم الا عدداً قليلاً منهم . وبما ان عثمان لم يكن عنده قوات
اجنبية تحت تصرفه في بلده ، مع أنه حاكم أقوى دولة في الارض ، فقد اذعن ورضي
بأن يتفاوض مع اوائك الطغام . وعمل على اقناع المصريين بالعودة واعداء ايام
بالاستجابة الى شكواهم . ولكنهم ما كادوا يذهبون حتى عاد فقوى موقفه ، وقد سنده
مروان وانسابوه من امية .

وفي يوم الجمعة من ذلك الاسبوع خطب من على المنبر يقول:
إن المصريين شعروا بخطأهم فانسحبوا (نادمين). وانفجروا اهل
المدينة ، ومنهم المتدينون في عاصفة من الغضب عليه . ولم
يكتفوا بأن قرعوه ، بل حصبوه بالحجارة حتى وقع مغشياً عليه فحمل الى بيته .
وكان هذا آخر مرة بظهر فيها امام الملا في الجامع . وهام اولاء اهل المدينة
يبدون زمراً زمراً امام دار عثمان (٢٩) الملاصقة للمسجد ، فلا يأتون حين يطلب
اليهم التفرق .

خطبة عثمان وقده
بالحجارة

(٢٩) الدار مجموعة بيوت او غرف ليس لها الا باب واحد . واللغة العربية لاتفرق بين
البيوت والغرف .

وبعد بضعة أيام عاد المصريون فجأة للاظهار في الميدان، وقد جلبوا معهم كتاباً بتوقيع الخليفة ضدهم ، فوضوه أمامه وأنكر أنه كتبه ، وأعلن انه لا يدري من أمره شيئاً فقالوا:

عودة المصريين
وحصارهم عثمان

ان كان يحدث مثل هذا الشيء خلافاً لارادتك فانت است خليفة . وأصر عثمان على ألا يمنع أتباعهم له بخلع نفسه ، وقال: لن أخلع سر بالاً ألبسنيه لله . وظل محصوراً منذ تلك الساعة في داره يدافع عنه خدمه ومواليه وعدد صغير من أقاربه .

واخلى أهل المدينة الجو للمصريين وخدمهم . ولو ارادوا لما تمذر عليهم ان يصمدوا أمام بضع مئات من الرجال . وهم البادئون بالثورة على الخليفة ، ما تركوا للمصاة الآخرين منها

موقف كبار الصحابة
من حصار عثمان

الا اتامها . بل أنهم في هذا قدموا عونهم ، لاسيما منهم عدد من الانصار . ولم يسع اعلام الصحابة امثال علي وطلحة والزبير سعيهم في ان يخدموا الفتنة، واليوم يقع عليهم في تأحيح نارها . وكان موقفهم موقف الاسف من أنهم لا يستطيعون ان يساعدوه لانهم لم يكونوا أحراراً . على أنهم كانوا يحاولون في ذلك التظاهر دون الفعل . والحق أنهم لم يعملوا شيئاً ايوقفوا مجرى الحوادث أملاً منهم بأن الامور تؤول الى مصالحتهم .

وسبب المدافعون عن الدار تبدل الامور الى اسوء، وهو سفك الدم . فقد اتى أحدهم حجراً على رأس احد الصحابة القدماء، وكان يقف بين الجمهور وقتله . وبنى عثمان أن يسلم المذنب .

هجوم التوار على
دار عثمان وفتنه

ومن ثم وحد المحاصرون ان معهم الحق وعليهم واجب استبعاد كل الاعتبارات ، فشرعوا في مهاجمة الدار . وكان ابن أويس البلوي من اهل مصر يقود الهجوم مستنداً الى المسجد . وقاتل أصدقاء عثمان في الدار دفاعاً عنه ، بل حاولوا بعد ان اضرمت النار فيه أن يصمدوا المهاجمين . على أن عدداً من هؤلاء كانوا قد نفذوا الى الدار من بناء مجاور ، واقتحموا حجرة الخليفة التي كانت تلو فيها في المصحف أمامه دون أن تشغله الضجة الآتية من الخارج . وكان محمد بن ابي بكر ابن صديقه

وسلفه هو اول من رفع يده عليه، وضرب الضربة القاضية كنفانة بن بشر النسيبي .
وصب عدد من الآخرين جام غضبهم على الجملة . وبعد ذلك الحادث لم يعد من سبب
للحرب، فاستطاع من بقي حياً من المدافعين أن يحجوا بأنفسهم دون صعوبة . وكان
ذلك في يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ (١٧ حزيران ٦٥٦) .

واجل دفن الخليفة زمناً طويلاً ، حتى جازف عدد من ذوي
الايمان ، فدفنوه استجابة لطالب زوجه نائلة الكابية . وبسط
جثمانه دون ان يغسل على باب ، فكان رأسه يقرعه قرعاً يقابل خطوات حامله
وهي تضارب . وكانوا مسرعين به في ظلام الليل ، والأحجار ترشقه ، واللعنات
تدبمه . ودفنوه في حش كوكب . ولم يرض الانصار بمواراته في مقابر المسلمين ،
فلم يكن دفنه خيراً من الدفن في مذبح الخيول .

٧ - عمر علي بن ابي طالب

وقتل عثمان حدث يفوق أي حدث آخر في الاسلام فمئذ
أن قتل أصبح بالسيف يعرف من هو خليفة المسلمين . وفتحت
باب الحرب الأهلية كيلاً توصل بمدها أبداً (٣٠) . أما وحدة
الامة المحمدية المتمثلة بشخص الامام رأساً لها ، فبوسمها في أكثر تقدير أن تستمر
بالقوة استمراراً ظاهرياً . اما الواقع فان الجماعة تزعزعت ونجزأت أحزاباً
يسمى كل حزب منها الى تهديم سياسة غيره واشهار السلاح على الامام القسام
لا حلال امامه محله .

(٣٠) ولذلك دعي الخليفة المقتول بـ « الباب المفتوح » .

وكان ذلك ابتلاء. مؤمناً للاقتداء (٣١)؛ حتى اذا لم يتدخلوا في
الامر، كانوا على خلاف مع الاوامر التي حض عليها الاسلام ^{ابتلاء. الاقتداء. بمقتله}
والتي تنص على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. واذا انحازوا الى احدي
الطائفتين، خالفوا النظرية الاساسية لحكم الدين، وهي ان على المؤمنين الا يهدروا
دمهم والا يقاتل بعضهم بعضاً، والا يحاربوا الا الكفار. ولقد حير عقلمهم الجواب
على السؤال الآتي: «ماذا تقول بمقتل عثمان».

ووقعت تبعة هذا العمل القاضي على عاتق علي. فبعد موت
رجوح كفة علي ^{رجوح كفة علي}
ابي بكر وعمر وابن عوف، اصبحت صهر الرسول ورئيس
الصحابة دون منازع. وكان له من الاحترام في نفوس الناس اكثر مما لطلحة
والزبير: ام الناس في صلاتهم عندما كان عثمان محاصراً، وعين اميراً للحجج من
عنده. وكان اهل المدينة لاسباب الانصار منهم يعتبرونه خلفاً مقررراً لعثمان متفقاً
عليه. وانتمى المصريون أيضاً الى حزبه، وقاموا بما قاموا به لاجله لاشخص آخر،
ورجحت كفته بهم في ذلك الوقت المتبايل، فبويع بمسجد المدينة في اليوم الذي
قتل فيه عثمان.

على أنه بعد ان انقضت فورة الساعة الاولى، فترت حماسة
المصريين. ولم يستقبل اهل المدينة بالهتاف خليفتهم الجديد <sup>خروج طلحة والزبير
الى عائشة</sup>
الذي تلقى سلطانه من ايد غير طاهرة، ولم يعضدوه. وأسفه
الحظ آنذاك، فقد قلب له طلحة والزبير ظهر المحن دون خجل او حياء، فوجد في
ذلك الحججة الصحيحة لقتالهما. وكانا يعملان ضد عثمان، دون كلل او ملل مادام
حيّاً، يتظاهران بان ذلك لصالح علي الذي ارتضيا ان يمثلا ما يحلوه. اما الآن فقد
اصبحا منافسيه، فانهاه بأنه هو الذي اوحى بقتل آل الى مصلحته. وتركوا المدينة
وذهبا الى مكة حيث كانت عائشة ام المؤمنين.

وكانت عائشة معكفة بعيدة عن الثورة على عثمان، تلك الثورة
التي كان لها فيها أيضاً ضلع مهم، وذلك قبل ان تبلغ مداها:
ابتعدت لتفصل يدها متبرأة منها، ولتحتفظ في الوقت نفسه
بمكائنها، بعد ان يكون كل شيء قد انتهى. وما كانت تطيق علياً، حتى اذا بلغها
انه بويع بالخلافة، اعلنت جهاراً ان عثمان شهيد، ودعت للثأر من الخليفة الجديد.
والتف حولها عدد من الهاربين الذين كانوا يضمرون غير رأبها، وحضر طلحة
والزبير فاتجأ اليها. واصبح الثلاثة زعماء الثورة على علي، وجبهتها في الجزيرة
العربية. غير انهم ما كانوا يستطيعون من مكة ان يحاربوا المدينة، وهي بعيدة
عنهم كل البعد. فقرروا ان يتركوا الجزيرة العربية وان يذهبوا الى البصرة حيث
كانت لهم علاقات وصلات. ودبروا امرهم لامتلاك ذلك البلد، وجعله حصناً لهم.
وامام هذا الوضع رأى علي أنه لا يجوز البقاء في المدينة،
فتبعهم الى العراق، واتجه شطر الكوفة حيث كان مالك
الاشتر اليميني ذو السطوة والنفوذ يهي له السبيل. وباهل الكوفة هاجم اهل البصرة،
وتغلب عليهم قريباً من بلدتهم في وقعة الجمل التي سميت كذلك لانهما اشتد سعيهما
حول جمل عائشة (في ٩ كانون الاول ٦٥٦). وقتل طلحة والزبير وخسرت
عائشة المعركة، فانسحبت من ميدان العمل. وعقد اهل البصرة صلحاً مع علي،
واعترف العراق كله به، فبقي هناك واتخذ الكوفة مقراً له.

عائشة تتحرك
الى البصرة

وقعة الجمل

واذن فالنتيجة المباشرة لمقتل عثمان كانت ان مدينة الرسول
فقدان الجزيرة العربية
قوتها الجاذبة
[عليه السلام] لم تعد مقر الخلافة، فقد استقرت هذه
خارجها، وفقدت الخلافة قدسيته، واصبح الصراع من
اجلها مسألة قوة. والقوة انما هي في الامصار. وكانت القبائل قد هاجر معظمها
الى الامصار التي اصبحت معسكرات. وفقدت الجزيرة العربية سحرها، بل ان
اهل المدينة انفسهم هم الذين ختموا الامر بدعوة اهل الامصار الى بلادهم وتركهم
يعملون ما يحلو لهم فيها متنازلين بذلك عن سيادتهم. وحكم اعيان الصحابة على

أنفسهم حكماً سياسياً ، فقد هدموا السلطان الروحي الذي به تتعاقب سلامتهم ، حتى اذا أصبحت القضية قضية قوة كان غيرهم اقوى منهم . ومنذ تلك الساعة سقطت الجزيرة العربية الى مستوى دون الذي كانت عليه قبل الاسلام ، وقد جمعتها المهاجرة الى الامصار قاعاً صافصفاً . وانا لاسمع شكوى ملووعة عن ذلك في الاناشيد القديمة (٣٢) .

وانفكت المدينة عن ان تكون مركزاً للدولة واصبح من المدينة اضعف مركزها العيث كل سعي لاعادة مكانها الضائعة اليها . لكنها استمرت فقط بلدة الاحاديث النبوية ، نمت دراستها فيها وانتظمت ، واصبحت المدينة ملجأ من فقد مكانته من الارستقراطية الاسلامية ، تلك الارستقراطية التي كان محنو عليها محمد [عليه السلام] واصبحت الآن تسمى من المدينة اسمع صوتها بعض الحين . وكان للمدينة سحرها عند من يستطيع ان يعيش حيث يشاء وعند من ختم حياته السياسية ، او اعزل الحياة العامة لاسباب اخرى . وهكذا أصبحت مدينة المؤمنين بلدة الجماعات الفنية البارزة التي كانت تصبو الى اللهو . واصبحت المدينة بلدة الملاذ والموسيقى والغناء والخفة والاستهتار .

وحكم علي من الكوفة على الدولة العربية بأسرها ، اللهم الا سورية . فقد كان هذا المصير يشغل جزءاً من عزلا . والعرب الذين وردوا عن طريق المهاجرة بأكثر الاحيان كانت لهم تقاليد تختلف عن تقاليد الكوفة والبصرة . وبقوا مدة طويلة تحت السيطرة اليونانية الرومانية ، وكان لهم قبل الاسلام مملكة هي مملكة

مركز معاوية في الشام
يختلف عن موقف
علي في الكوفة

(٣٢) يشكو بريق هذلي من انه يعيش الآن وحيداً شيخاً عجوزاً مع عدة نساء واطفال في ربيع كان عامراً بالناس . ويشكو أبو خراش وغيره مما يشكو منه بريق . ويجيد الخليفة عمر نفسه مضطراً الى ان يضعط على فتى يطالب قبوله في الجيش فائلاً له ان واجبه نحو ابيه وامه اقوى من واجبه نحو الهجرة وذلك يشابه انجاه مرقس ١٠/٧ وما بعدها .

الفسانيين ، فكانوا معتادين بمض الاعتياد على النظام والطاعة . وما كانوا يصون
حكامهم ، حتى ولو كان هؤلاء الحكام من بني امية . وهذا معاوية يظل مدة عشرين
عاماً عاملاً على سوريا مرضياً عنه ورضاء عاماً . واذن فلم يخطر له ببال ان يخلي عن
عمله وان يبايع علياً . وموقفه من علي يختلف عن موقف الزبير وطلحة . وهو
موقف اكثر ملائمة له منها . ولم يكن يدعي الخلافة ولم يطالب بها ، انما اقام ركائزه
في مصر الذي كان يحكم فيه . ولم ير ان مكان عمله اصبح شاغراً بمقتل عثمان ، بل
تمسك به خلافاً للثورة .

وكان حربياً بان يسجل في ماضيه بالايمان وطاعته للحاكم
الشرعي معارضته للمعصيان ؛ وانه لمعصيان مهما قيل فيه . حتى
ولو قام به المؤمنون باسم الاسلام . وكان من حظه انه ،
وهو ابن عم الخليفة المقتول ، له من حقه وواجبه قبل غيره من الاقارب ان يثار له ؛
فقد كانت له وحده وسائل تحت امرته ، فهو يمتلك في الشام جيشاً منظماً على قدم
الاستعداد .

معاوية حري
بالمطالبة بالتأثر

وسار علي واهل العراق بعد وقعة الجمل مباشرة الى الشام ،
وانقضوا على جيشها على حدود الفرات . ودارت رحى حرب
صفين الضاربة دورنها في مصلحة علي . غير ان اهل الشام عندما شمروا بأن
الخطر يهددهم بتقطيعهم اربا اربا ، رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح . وفهم اهل
العراق ماذا يعمنون . فهم يقولون : انكم تهترون دماء المسلمين الذين يتبعون مثلكم
كلام الله واحداث هذا اثره فيهم . فلقد أدت بهم بطولتهم في الدفاع عن حق السلطان الى
النضال ضد عثمان ، ثم ضد طائفة واهل البصرة ، وضد معاوية واهل الشام اليوم .
وهكذا فالجماعة مقبلة على تشتيت الشمل . فهل هذا حق ؟

رفع المصاحف

وفي ساعة من ساعات الماطفة القوية طفت فكرة هذا التناقض
على أفئدتهم فجأة ، فأصبحوا ضائمين ، والقي المؤمنون الذين
كانوا في الصف الاول من القتال بسلاحهم امام القرآن ، وكانوا مثلاً يمتدنى ،

انخداع العراقيين

الدولة العربية وسقوطها (٤)

فاتمدى بهم الآخرون . واضطروا علياً الى أن يوقف الحرب وان يحل مسألة الخلافة بالقرآن لا بالسيف ، اي بحكمته يهتدي بالقرآن . حتى اذا طرضهم علي ، هددوه بمصير كصير عثمان . ولما اخذوا يسرون عائدين من صفين الى الكوفة ، بدأ يتجلى لجيش علي بكامله أنهم حرموا من النصر بخديعة سافلة .

وكان اوائك للذين وقعوا في حبائلها اولاً فساقوا غيرهم معهم افاقتهم من الخديعة هم الذين ندموا اشداً لندامة . وعتفوا انفسهم بانهم خولوا عقولهم ان ترتاب ، وانهم في لحظة من اللحظات ارتبكوا في ايمانهم بعد الثورة على عثمان ، لكنهم لاموا علياً ايضاً لقبوله بالانحسار ، وجملة سلامة القضية اتي كانوا يناضلون لأجلها مجالا الأخذ والرد . فطلبوا اليه أن يلغي حالا مادفعوه اليه دفماً خلاف ارادته ، وان ينقض الصلح الذي عقده توأماً مع السوريين . حتى اذا لم يدعن ، ولم يسر حسب اهوائهم تخلوا عنه ، وانخذوا لهم مسكراً آخر في حروراء قرب الكوفة ، فسموا بالحرورية لذلك . لكنهم اشتهروا بالخوارج اكثر .

ولم يقودوا الناس معهم هذه المرة . بل ان اهل العراق بمجموعهم ، وفي مقدمتهم دوماً اهل الكوفة كما يجب ان يكون مفهوماً ، تمسكوا تمسكاً متيناً بعلي . غير ان صلاتهم به كانت تختلف عن صلات معاوية بأهل الشام ، فليست

موقف اهل الكوفة
من علي
وموقف اهل الشام
من معاوية

ودية مثلها . فمعاوية لم ينشأ في صفوف اهل الشام ، بل امسك بالسلطة من علي . وهو ليس مديناً بمر كزه لاتباعه ، بل هو مستقل عنهم ، حتى اذا امرهم أطاعوه . وكان اولئك الاتباع مقتنعين ايضاً بأن له الحق في حرب قتلة عثمان ؛ وأيا كان فهم يرون قضيته قضيتهم . واقدر عرفوه منذ امد بعيد فأجلوه . يضاف الى ذلك أنهم منذ عهد بعيد ، افوا الجوارح الحربي بعض الالفة . هذا ولم يكن الناس ينسون أن علياً مدين بسلطانه للثورة ، وليس عنده من الوقت ولا من الوسائل ما يعوض به هذه العلة بصفات شخصية خارقة . ولم ينس اهل العراق انهم هم الذين رفعوه . وكانوا عارين عن النظام ، ولعلمهم من التدين بحيث لا يتبعون خليفتهم أنى قادهم .

ولا ريب انهم بعد ان سبق السيف العزل ندموا على أنهم
عدم تماظ اهل المراق
جملوه بخسر المعركة في صفين ، ولكنهم لم يتمظوا بخطأهم ،
فيما ونوه بقوة على اهل الشام بعد ان مر قرار التحكيم مرور الهزل وطاد الصراع .
ولم يستطع علي ان يدفعهم الى موقعة جديدة ، لانهم لم يكونوا يلبون مطالبه
الضرووية بالسرعة التي يرجو . فمكنوا معاوية من ان يستولي على مصر ، فيتمب العراق
ويضئنها بيموت خاطفة تغير عليه حتى لتبلغ الكوفة . وعندما اجتمعوا واصبحوا
على أهبة السير قُتل علي .

وشعر ابنه الحسن وقد خلفه انه ليس كفتناً للساعة ، فباع
حقه في الخلافة الى معاوية ، فأصبح هذا قادراً على ان يدخل
الكوفة دخولاً مبيناً . واصبح على اهل الكوفة ان يبايعوه .
وهكذا ختمت الحرب الاهلية .

انتقال الخلافة

الى معاوية

٨ - الامويون ومعارضوهم

وقاز الامويون بالخلافة ، واكن ما كان قدمهم ثابتاً مكيناً
الا في سورية ، ومعها العراق ومصر . اما فيما سوى ذلك
فقد الفوا مقاومة سرية او غير سرية . فلم يستطيعوا ان يثبتوا
اقدامهم الا بالقوة . وكانوا دوماً منهمكين بمنع قيام الثورات او بايقانها . ومدفق
مركز هذه الثورات العراق وبصفة خاصة الكوفة .

انهاك الامويين

بالمقاومة

وقد غلب اهل العراق في صراعهم مع اهل الشام ، او على
الاقل خسروا المعركة . ونتج عن ذلك ان الخلافة ومعها
بيت المال انتقلت من الكوفة الى دمشق . وقد اقض ذلك
مضاجع الكوفيين بمد ان سبق السيف العزل . كانوا اصحاب الدولة ، وادا
بلدئهم الآن تتدنى فتصبح مجرد مصر من الامصار . وضاع منهم دخل الاراضي

خسارة اهل المراق

بانتقال الخلافة

التي استولوا عليها ، وصار عليهم ان يقبلوا باجور هي فئات مائدة اسيادهم .
وكانوا مغلوبين على امرهم ، تغلبهم عليه تلك الصدقات التي هم محتاجون اليها ،
والتي في يد الامويين تخفيضها او الفاؤها . فلاعجب اذن ان يروا في حكم اهل
الشام نيرا ثقيلاً ، وان يتأهبوا لدفعه متى سنحت الفرصة المواتية لهم بذلك .

واقوى ثورة ضد الامويين انما خرجت من العراق ، وقام
بها مجموع العرب فيه لاحزب خاص . فكلمهم منفقو الكلمة
في حقدهم على افلات الحكم من ايديهم ، وفي بغضهم لمن
ورثوه منهم . وكان وضعهم يقتضي ان يردهم دوماً ولاية اشداء يحفظون الامن في
هذا القطر الصعب ، ويلزمونه الطاعة . لكن الامر آل الى ان اصبح العراق
يساس بالقضاء على الروح العسكرية ، وبادخال القطع السورية فيه ، وباقامة
حكومة حربية حقيقية ، مركز قيادتها في مدينة محصنة بنيت من جديد ، لا في
العاصمة القديمة لذلك القطر .

واصبحت قضية العراق قضية الاسلام ايضاً . فالله والحق
يحاربان القوة . وحدث اتحاد بين المقاومة والايمان . واصبح
من واجب المسلم ان يؤيد الخير بالقول والعمل ، وان يحول
دون من يمضي امر الله . ويجب عليه ان يعمل بامر الله وحده ، بل عليه ايضاً ان
يعمل جهده لكي تكون كلمة الله هي العليا بين الناس . والمزلة والارجاء محظوران .
والايمان يجعل الفرد مشتركاً في الحياة العامة ، اذ يجمله مسئولاً عن المجموع .
والسياسة هي حقل التجربة له . وتلك هي الفكرة الحقيقية لحكم الله (٣٣) .

اتحاد المقاومة
مع الايمان

(٣٣) ونجم عن النتائج السيئة ميول سلمية اثبتت نفسها في الاسلام ، والحالة هذه ، وبعيت
بعيدة عن السياسة التي اعتبرتها فتنة واتخذت حذرهما من اسبابها الدينية . ومن كبار ممثلي هذه
الميول سعيد بن المسيب في المدينة والحسن البصري .

وبعد فقد كان للدين انذاك سلطان يؤيد وضع الاشياء الراهن ، وبعلم الناس ان من واجبه اطاعة ذوي الامر ، والا يعملوا مايسبب التفرقة في الامة . لكنه في الواقع استخدم سلطانه قبل كل شيء لتنظيم المقاومة . واذا بفكرة حكم الدين تعارض معارضة خطيرة كيان الامة الذي آل اليه امرها . فلا ترضى بان يكون للحوادث السابقة سلطان المؤيد الشرعي ، وبان تخضع الدولة ما يؤيد كيانها ، اي ان تحتفظ بسلطانها وتوسع فيه . وتأتي الامة بان يكون تمييز بين الحكومة القائمة وبينها .

والماخذ الدائم الذي يؤخذ على الامويين هو انهم كانوا

اصولا وفروعا اخطرا عداة النبي [عليه السلام] ، وانهم اعتنقوا

الاسلام في آخر ساعة مرغمين ؛ ثم افلحوا في ان يحولوا الى

انفسهم ثمرة حكم الدين ، اولا بضعف عثمان ، ثم بحسن استخدام نتائج قتله . هذا واصلمهم يفقدون مزية زعامة امة محمد [عليه السلام] . ومن المهن التي بلي بها حكم الدين انهم اصبحوا قائمين عليه ، مع انهم كانوا وما فتئوا مفتصبين لسلطانه . وقوتهم في جيشهم الذي هو على قدم الاستعداد في الشام . ولكن قوتهم لا يمكن ان تصبح حقا .

وازدادت الضغينة على الامويين بما انضم اليها من الشكاوى

على السلطان التي اصبحت الآن شكاوى من الامويين وهم

اصحاب السلطان . وهي النقاط نفسها تماد وتكرر : عمال

يسبثون استعمال سلطانهم ، واموال للدولة تذهب الى جيوب

عدد قليل من الناس ، بينما لا يحصل غيرهم على شيء ، وزنى وقمار وشرب . كل ذلك اصبح رأس المذات فلا يعاقب عليه (٣٤) .

الشكاوى على
العمال شكاوى
على الخلافة

(٣٤) ظلم ، استتار (بالفاء) ، تعطيل الحدود . وكان من المطلوب ايضاً ان يعتبر العمال مسئولين وان يعضوا من قاسوا منهم عن ظلمهم لهم . ولم يرض الخلفاء بهذا الطلب فكانوا يقتصرون - في طلبهم للحساب عن ولاية من ينسحب من ولايتهم - على انتزاع اكبر كمية من المال ممكنة .

وكان الفقهاء والقراء هم الذين يتزعمون جماعة المؤمنين .
وكانوا يقاومون الامويين ، كما كانت الكتاب اليهوديون
والفارزيون يقاومون المسمونيين . والقانون الذي كانوا

علماء الدين يتزعمون
المقاومة

يعارضون به السلطة الحاكمة هو ايضاً قانون وضعي مطلق مكتوب منقول .
وكانوا يجدونه في القرآن والسنة يفسرونه بالقرآن ، ويعرضونه على السنة . والسنة
ما زالت في وضع مائع جداً ، تجمل المسائل السياسية المتأخرة نحمل من قبل الرسول
[عليه السلام] في الاتجاه الذي يرغبون فيه وبصورة متناقضة بمض التناقض .

واكثر اصحاب المقاومة الدينية ضميراً وتقي بين الاتقياء هم
الخوارج . فالحق الالهي عندهم يصبح مبدعاً ثورياً تاماً .
وهم يتباهون باول عمل ثوري قاموا به ، الا وهو قتل عثمان .

الخوارج اكثر المقاومين
نورة

ويتخذ الخوارج من الاعتراف به شعاراً لهم مخالفين بذلك اوائك الذين يستحيون
من هذا العمل بعد ان سم . وثابر الخوارج على ثورتهم متجهين ضد معاوية مع غيرهم
من اهل العراق ، اذ لم يعترف معاوية بتلك الثورة . ثم ثابروا عليها متجهين ضد
علي ، عندما تساهل في شؤون الله ، فانفصلوا بذلك عن اشياعه . ومع انهم
ساعدوا على تثبيت الدعوة لعلي ، فهم ابوا ان يكونوا من حزبه ، بل انى الذي
كان فيه اهل الشام هم حزب معاوية . والذين عندهم ليس دين معاوية ولا دين علي
بل دين الله وحده . وأي امرى ضحى للحاكم في اي شيء من عقيدته الدينية او
السياسية ، واي امرى وضع طاعة الحاكم فوق طاعة الله كان كافراً . واكفار كفار ،
وليسوا مسلمين . ويرى الخوارج انهم وحدهم مسلمون بل هم يطالبون بان يقتصر
اسم المسلمين عليهم وحدهم . وهكذا سفكوا دم المسلمين لآخرين ، دون حياء او
خجل . ذلك انهم انما يقومون بالجهاد ضد وحدهم . واللامه اتي توجه انهم بانهم
سقتو شمل الجماعة لانأي منهم على شيء . وهم يطعنون على اهل السنة البائسين الذين
لا يميزون بين الخنطة والشهير . فهم اي الخوارج هم وحدهم الذين يذكرون الجماعة الحق .

والاسلام اجتمع فيهم مسكرهم، واليه هاجروا من الجماعة الخاطئة،
اقترابهم بهجرة الرسول [عليه السلام] وبالرغم من أن رأيتهم معاد
للملكية، فلمهم بصفتهم ممثلين لوحدية جماعة المؤمنين خليفة لهم
او امامهم، بأمهم بالصلوات، ويقود جيوشهم. ولكنهم يراقبون اعماله. ويماقبونه
بمجرد ما يرون انه خطأ خطوة سيئة؛ ويمدونهم مرتدا اذا لم يتبرأ من ذنبه.
ويختلفون في مسألة الامام الحق فيما بينهم فضلا عن اختلافهم مع غيرهم. وولد
الخلافة في الرأي على نقاط صغيرة انشقاها بينهم.

هم الامة وامامهم
هو الامام

واهتموا بمبادئ حكم الدين اهتماماً عظيماً، وجعلوه اساساً
للعقيدة والوجدان بحيث اصبح في الواقع مسخفاً، جعلوه
اساساً لذلك في الحين الذي تبين فيه انه لا فائدة منه
ترنجي، او انه هدام للجماعة. ووجهوا قوتهم جميعها نحو هدف لا يمكن بلوغه،
وقادهم الدين الى حكومة نشيطة، لكنها بعيدة عن السياسة ومستثناة.
ولم يكونوا جاهلين هذا، بل تخلوا عن النجاح، فلا يصبون الا الى انقراض
ارواحهم. يسرون بان يلقوا الموت في ساحة الوعي، ومع الموت عفو الله. فقدشروا
انفسهم في سبيل الجنة. وبالرغم من ذلك، بل ربما بسبب ذلك، تغلبوا على
جيوش كبيرة. واصبحوا مدة من الزمن مصدر رهبة وخوف للعالم الاسلامي.
ومع انهم كانت فرقهم دوماً صغيرة، فقد كانت يستحيل افنائهم، ولاح انهم
اشتدت قوتهم مرة اخرى بعيداً عن ميدانهم. فمبادئهم تتمتع بقوة جذب لا تقهر.
اما غيرهم من المعارضين فكانت روح مقاومة الحكومة الراهنة التي تدعى انها
تقية كانت هذه الروح تؤججها المصالح الدنيوية، وكان لها اذن مظهر آخر،
يستخدمها رجال ذوو طموح، يسمون للفوز بالسلطان. وفي اضطراب الساعة
تمسك الخوارج ثابتن بمبادئ الاسلام. وسموا جهاراً وبمزم لتحقيق حكم الله،
وسموا بضرارة اشد لتحقيق مبادئهم الصارم الخيالي في مثاليته.

نظرتهم الى حكم الدين
غير سياسية

وَمُخْتَلَفِ الشَّيْعَةِ فِي هَدْفِهِمْ اخْتِلافاً بَيْنَا عَنِ الْخَوَارِجِ ، وَإِنْ
 كَانُوا قَدْ نَشَأُوا إِيضاً فِي الثُّورَةِ عَلَى عَثْمَانَ ، فَهَمَّ بِكَرْهُونِ
 الْأُمَوِيِّينَ كَرَاهَةً أَشَدَّ عُنْفًا مِنَ الْخَوَارِجِ ، لِأَنَّ هَمَّ بِمَقْتُونِ
 الْمَلِكِيَّةِ السَّلَاطِيَّةِ فِي حُكْمِ الدِّينِ عَامَةً ، بَلْ لَأَنَّ هَمَّ بِمَلِكِيَّةِ سُلَاطِيَّةِ شَرْعِيَّةٍ تَجَابَهُ
 تِلْكَ الْمَزِيغَةُ . اسْتَسْوَأَ مَلِكُ آلِ بَيْتِ الرَّسُولِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ، وَزَعِيمُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلِيٌّ
 صَهْرُهُ . وَالشَّيْعَةُ اسْمٌ لِأَسَاسِهِ شَيْعَةُ عَلِيٍّ . وَشَيْعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْوَلَاةُ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، بِصِفَةِ خَاصَّةٍ ،
 تَعْبِيرًا لَّهُمْ عَنِ أَهْلِ الشَّامِ شَيْعَةُ مَعَاوِيَةَ . وَظَلَّ عَلِيٌّ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى بَعْدَ
 وَفَاتِهِ ، رَمَزًا لِسُلْطَانِهِمُ الضَّائِعِ . وَتَشْيِيمُهُمْ لَيْسَ إِلَّا تَعْبِيرًا عَنِ شَعُورِهِ فِي الْحَقِّدِ عَلَى
 الْأُمَوِيِّينَ ، بِكَفِّهِ ذَلِكَ الْقَطْرَ الْمَقْمُورِ ، وَلَا سَبَابًا مِنْهُ الْكُوفَةَ عَاصِمَتَهُ الَّتِي
 انْحَطَّتْ مَكَانَتُهَا .

شعور الشيعة
نحو الامويين

وَكَانَ زُعَمَاءُ الْقَبَائِلِ وَالْأَسْرِ فِي الْكُوفَةِ يَشَارُكَونَ غَيْرَهُمْ مِنْذُ
 الْأَصْلِ هَذَا الشُّعُورَ بِيَدَانِ وَضَمُّهُمْ الَّذِي بَاقِيَ بِالمَسْئُولِيَّةِ عَلَى عَاتِقِهِمْ
 جَنَحَ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَمْتَصِمُوا بِالْحَيْطَةِ وَالْحِكْمَةِ ، فَلَا يَشْرَعُوا
 فِي الْقِيَامِ بِثُورَةٍ لِأَهْدَفِهَا ، بَلْ يَرُدُّونَ الْجَاهِلِينَ عَنْهَا حِينَ يَنْظَلِقُونَ فِيهَا . وَهَاهُمْ
 أَوْلَاءُ بِاسْمِ السَّلَامِ وَالنِّظَامِ بِضَمُّونَ نَفُوزِهِمْ تَحْتَ تَعْرِيفِ الْحُكُومَةِ ، كَيْلًا بِمَرْضَا
 وَضَمُّهُمْ لِلْأَخْطَارِ . وَإِذَا هُمْ يَصْبِحُونَ غَرَبًا ، أَكْثَرُ فَاكْثَرُ عَنِ الشَّيْعَةِ الْحَقِيقِيَّةِ
 وَاعْدَاءُ لَهُمْ ، يَشْتَدُّ عِدَاؤُهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، تِلْكَ الشَّيْعَةُ الَّتِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ عَسْكَهَا
 بَوْرَثَةُ الرَّسُولِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] إِخْفَاقُهَا فِي تَحْقِيقِ رَغْبَاتِهَا الْخِيَالِيَّةِ ، بَلْ زَادَ فِيهِ .
 وَكَانَتْ مَقَاوِمَتُهَا لِلْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ الْقَبِيلِيَّةِ الْحَاكِمَةِ تَضْيِقُ الْخَنَاقَ عَلَيْهَا ، وَتَبْعَتْ الْعَزْمَ
 فِيهَا ، وَهِيَ هَيْذِي تَنْشَقُّ عَنِ الْإِكْثَرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَاقِلَةِ .

موقف زعماء
القبائل في الكوفة

وَتَبَرَّزَ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ فِرْقَةٌ فِي الْكُوفَةِ ، كَانَتْ قَبْلَ
 ذَلِكَ بِعِيدَةٍ عَنِ الْإِنظَارِ يُطَلَّقُ عَلَيْهَا اسْمُ السَّبْئِيَّةِ . وَإِذَا هِيَ تَغْيِيرُ
 شَكْلِ الْإِسْلَامِ تَغْيِيرًا تَامًا ، فَهِيَ قَدْ وَضَعَتْ شَخْصَ الرَّسُولِ [عَلَيْهِ
 السَّلَامُ] خَارِجًا عَنِ الْقَانُونِ الشَّخْصِيِّ (فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ) وَفَوْقَهُ ، ذَلِكَ الْقَانُونُ

السبئية
وروح النبوة

الذي كان يعتبره الاخرون بعد وفاة محمد [عليه السلام] كافياً . وهو عند الخوارج خاصة المصدر الوحيد الذي يجب كل تدخل بشري وكل تعجيد انساني . اما في رأي السبئية فشخص الرسول لم يمت مع محمد [عليه السلام] ، بل استمر حياً ، يتعاقب في ذريته . واخذوا ببدأ التناسخ ، وادخلوا فيه فكرة خاصة تقول بان روح الله التي تبعث الحياة في الرسل تنتقل بعد وفاة احدهم الى الآخر ، وان روح نبوة محمد [عليه السلام] بصفة خاصة انتقلت الى علي ، واستمرت في عائلته . واذن فليس علي في نظري مجرد خلف شرعي للخلفاء الذين سبقوه . انه ايس في مستوى واحد مع ابي بكر وعمر اللذين اندسا مغتصبين بينه وبين الرسول . انما هو الروح القدسية تجسدت فيه . وهو وريث الرسالة . ومن ثم فهو بعد وفاة محمد [عليه السلام] الحاكم الوحيد الممكن للامة ، تلك الامة التي يجب ان يكون على امامتها تمثل حي لله (٣٥).

ويقال ان اسم السبئية مشتق من ابن سبأ . وهو يهودي من اليمن . واصلهم من قبائل قليلة العدد من الكوفة ، لكنهم انتشروا خارج تلك القبائل ، ولا سيما بين الموالي من الفرس ذوي العدد العديد في الكوفة الذين اتخذوا الاسلام ديناً لهم . اعني انهم انتشروا بين غير العرب . ويلفون منزلة سياسية كبيرة في عهد المختار الثقفي الذي جعلهم حرسه ، بل اكتسب الشيعة القدماء الى جانبه ، وانهز فرصة الفوضى والانشقاق ثانية للقضاء على الارستقراطية العربية في الكوفة واقامة حكم فيها برئاسته ، تزيل فيه الشيعة كل فرق بين العرب والفرس ، بين الاسياد والرعية . بيد ان نجاحه كان قصير الامد ، فقضي على شيعته . لكنه هو الذي عبد الطريق لنجاحها بعد ذلك.

السبئية
والمختار الثقفي

(٣٥) ولا ريب انهم منحوا اسم الرسول لمحمد [عليه السلام] وحده . ولكنهم بالواقع جعلوا ذريته مكاثين له ونسبوا اليهم السلطة الالهية وعدوهم معصومين .

٩ - الخلف القبلي في العصر الاموي

وهذه المقاومة الدينية او المتخفية بلباس الدين تكاد لاتكون
كبيرة الخطورة على الامويين ، لولم تكن من حيث خصومتها
للعرب ، خصومة لانت بصلة الى الحكيم الديني ، بل اصامها
كامن في العروبة ، ومن ثم في الملك الذي بلغه العرب بالفتوح ، وبلغوا به علواً
عظيماً ما بلغوه في الوثنية الجاهلية .

خطر المقاومة
من حيث المرق

واجب الولاية نار هذه الخصومة اكثر ، ولم يكن تحت تصرف
الولاية الا شرطة قليلة . وفيما سوى ذلك كانت فرقهم من
مقاتلة مصر ، وهي قوة الدفاع في القبائل ، حتى اذا احسنوا
التصرف تهباً لهم ان يضربوا القبائل بعضها ببعض ، وان يثبتوا مركزهم بينهم .
بيد ان هذا لم يكن يفلح الا في بعض الحالات ومع بعض القبائل في بداية العهد
الاموي . وكثيراً ما كان يحدث ان الوالي يعتمد على احدى القبائل ضد الاخرى ،
وبوجه عام على قبيلته التي اتى بها معه ليبدأ عهده بها ، فتشاركه القبيلة التي اخذها
حرساً له ، تشاركه في حكومته وفي المزايا التي يضمنها للتصرف بالوظائف والمال بمتناول
اليده ، حتى اذا اتى وال جديد ، اتت قبيلة اخرى الى الحكم . وينتج من ذلك ان القبيلة
التي نحيت تصبح عدواً لدوداً للقبيلة التي تحكم . وهكذا اضحت الميزات القبلية
ملطخة بالسياسة والحصام على الغنائم السياسية .

العمال يأجبون الفتنة
باتباعهم من القبائل

وكانت خراسان ، وهي تابعة للبصرة ، اسوأ شيء في هذا الشأن ؛
ففيها بلغت بنو قيس في عهد ابن خازم شأواً بعيداً في القوة ؛
وكذلك ازدهت في عهد المهلب . ونشب بدلا من الحصام
القديم بين بكر ونعيم اول خلاف بين قيس ونعيم . ثم بين الازد وقيس ، وبأخرة
بين ازد وربيعة من جهة ، وبين قيس ونعيم من جهة اخرى . وفي الشام والمراق

الخلاف بين القبائل
في خراسان وغيرها

أخذ كل من القيسيين والكابيين طرفاً مختلفاً من النزاع على الخلافة بين ابن الزبير والامويين وإذا بالنزاع يصبح نضالاً ضارياً بسبب استمرار الصلات العدائية الى ما بعد تلاشي سببه السياسي الاصلى . واصبحت الفوارق اشد خطراً . وسبب ذلك الميل تكون زمر قبلية كبيرة . وهو ميل سبق وجوده قبل ذلك (٣٦) .

ولعب القيسيون في الشام وخراسان دوراً بارزاً في السياسة القيسيون يكونون عصابة ويضمون بني تميم وكانوا منتشرين في كل مكان ، يمثلهم في الوظائف العليا الثقفون من ذريتهم . وكانوا متمسكين ، وهم اول من كون عصابة حقيقية انتشرت خلال الدولة بأسرها ، تسمى دون حياء الكسب السلطة الحاكمة . وزى في زمرة بني قيس الكبرى نفسها بني تميم ، وكانوا اكثر عدداً في البصرة وخراسان . وكانوا يتميزون في قبيلتهم بمفاخر سامية . زد الى ذلك انهم لم يسموا سعيماً حثيثاً وراء الوظائف ، ولم يمتوا كثيراً بالسياسة العليا ، ولم يكونوا بالاصل على صلات حسنة بالقيسيين ، غير أنهم بعد ذلك اتحدوا بهم تحت راية مضر . هذا وقد كان ازد عمان في البصرة والكوفة ألد اعداء لقيس الازد وكلب يتحدان وتميم . فالتحقوا ببقية اليمنيين في خراسان ومنهم ربيعة بكر . ثم انضمت بأخرة الى تلك الحلقة قضاة الشام (اي كلب) . وهم معتبرون يمنيين . اما ان يكونوا يمنيين بالواقع ، فذلك موضع الشك . وهم بقوا في الحقيقة في حضيض حزب اليمنيين الاعداؤ منهم لقيس (٣٧) . وهكذا كان الانشقاق سائراً في طريق الازدياد (٣٨) . وقريش وبنو امية أنفسهم ما كان يوسمهم ان يقيموا دعواتهم على

(٣٦) انظر اعلاه ص ٢٩ .

(٣٧) انظر القطامي (نشرة بارث Barth) ٢٩ : ٥٦ : ٩٣ وما بعدها .

(٣٨) والاتصال لم يكن دقيقاً . وقد يختلف باختلاف الاسباب : فقبيلة من القبائل تسند ذلك الحزب او غيره من الاحزاب التي تتصل بها لتدل على انتسابها الى حزب قوي يهها جلب رضاه . وكان يظهر من الشعراء وهن خاص في ادعاء صلة النسب بمن يحتلون مراكز عالية .

ذلك الازدواج الذي كان يشطر العالم العربي شطرين متباعدين .

وضغطاً غير العرب على مكان الشق المنصدع ، وقد اعتنقوا
موقف الموالي الاسلام وعددهم غزير ، لاسيما منهم جماهير الايرانيين الذين
وقعوا اسرى في الحرب بالكوفة والبصرة . ويفوزون في الاسلام بحريتهم
الشخصية (٣٩) ، لا بكامل حقوقهم المدنية والحربية مع فوائدها المادية . ويصبحون
موالي لبعض الاسر العربية . على أنهم لم يقبلوا في الامة الا مؤيدي تابعين الاسر
العربية . فاسلامهم وحده غير كاف ، لأن السلطان كان في الواقع حكماً عربياً
بالتخصيص ، وملكاً للعرب على الشعوب المغلوبة . وكان هذا مخالفاً لفكرة حكم
الله الذي ما كان له ان يكون ملكاً ، بل ما كان يجوز له ان يكون ملكاً ، لاسيما
اذا كان الامر حكم العرب على غير العرب من المسلمين . والايمان بالله والاعتراف
بقدرته السامية تنفي الفروق بين الامم نفياً باتاً ، واذا بالاسلام يستخدم وسيلة
ملائمة يفوز بها الموالي بحصتهم في الحكم الديني ، وينزعون بها بعد ذلك من
العرب مزاياهم .

ولقيت دعوى الموالي حظوة عند الانقياء من العرب أنفسهم .
ورأت الاحزاب المعارضة فيهم بصفة خاصة محالفين لها ضد
الامويين الذين يمثلون السلطة الحاكمة للامة العربية للاسلام .
وفتح الخوارج الطريق فقبلوا الموالي في جماعتهم وجيشهم
بحقوق متكافئة لحقوقهم . واحتذى الشيعة حذوهم فحصلوا على نتائج اكبر .

حظوة الموالي عند
الانقياء والخوارج
والشيعة

(٣٩) وكان عادة لا واجباً ان يطلق سراح اسرى الحرب ان قبلوا الاسلام . ولم ينتج عن
ذلك ابدأ ان المسلم في نظر الله والشرع لا يمكن ان يكون عبداً للمسلم ، بل على العكس من
ذلك من المفهوم ان العبيد يتبعون دين سيدهم لاسيما منهم من ولد في بيت السيد .

وقد رأينا كيف تحالفت فرقة شيعة في الكوفة مع الموالي
هناك . واذ هي تتقدم ويتقدم الإيرانيون معها . ولا ريب أنه
قضي على هذه الفرقة في الكوفة سريعاً بواسطة العرب ،
ووقعت في حيز النسيان . ولكنها ما لبثت بعد حين ان انتقلت
من الكوفة الى الارض الإيرانية الخالصة اي خراسان . وانتشرت هناك بين السكان
الأصليين الذين اعتنقوا الاسلام . وتحت راية الاسلام اي راية الشيعة ، اخرج
الخراسانيون العرب من بلادهم ، ثم انهوا الحكم العربي انها تماماً ، واقاموا العباسيين
مكان الامويين .

الشيعة تنتقل الى
خراسان فتعارب
العرب باسم الدين

١٠ - الحاجة الى تصحيح الرأي عن الدولة العربية

ان نظرة الاستشراق المادية تحتاج الى التصحيح احتياجاً
تصحيح نظرة الاستشراق كبيراً . ويجب على كل حال في تاريخ الاسلام ان تغفل
نظرتهم عن المدة التي استمر فيها العرب امة حاكمة ، والسياسة هنا تقف في الصف
الاول ، وتستغرق كل الاهتمام بنهاية دون حوادث الحضارة حقاً .
والسياسة لا تعني القضاء والقدر في صورة حكم مطلق ، بل
هي الاعمال المقدسة يشترك فيها جميع المسلمين بالجسم والروح ،
وان كان اشتراكهم دون فهم لطبيعة الجماعة البشرية وحدودها .
والسياسة تأرجحها الميول العامة من دينية ووطنية واجتماعية . وادي صهر هذه
الميول وصراعها مع وضع الأشياء الراهن الذي لم يكن يمثل بعهد من الحكم طويل
ولا رجال متقدمين في العمر (٤٠) ادى الى تبلبل كبير ولايسهّل استعراض ذلك

دخول عناصر كثيرة
في السياسة

(٤٠) واغلب الخلفاء والعمال كانوا شباناً ولم يعيشوا حتى الشيخوخة اللهم الا معاوية ونصر
ابن سيار . وكانوا يحكمون مدة قصيرة واو ان الولاية كانت تنتقل من يد الى يد بسرعة اكثر
من الخلافة .

ان مسرح الحوادث يشمل انما وارااضي تمتد من الهند الى المحيط الاطلسي .

ويبدو لي ان هذه المقدمة ضرورية للتمهيد والهداية ، بحيث

هدف المقدمة

يستطيع القاريء ان يمسك باهداب العرض الآتي ، وان

يحتفظ بها ، وبحيث يحتاط من سوء الظن بان البحوث الآتية عن تاريخ الاسلام

القديم هي بحوث مستقصية . فهدفها الاول انما هو الامويون ، والنضال على السلطان

بين الحكومة العربية والقوى المماضة ، واستكناة هذا النضال آخر الامر أمام

الثورة التي دامت منذ آخر الخلافة في المدينة . ولا مكان هنا للبحث بصفة كاملة

عن الاحزاب والامصار كل في نظرتها الخاصة ، وإن كان هذا مهماً كغيره

للفهم الصحيح للاسلام . وقد جمعت في موضوع منفصل بعض التعليقات على

خراسان ذلك المصردى الاهمية الخاصة . اما عن الخوارج والشيعة والحروب مع

الروم في هذا العهد فاني احيل القاريء الى المحاضرات المطبوعة في :

Nachrichten der philosophich-historischen Klasse der Göttinger Gesellschaft der Wissenschaften, 1901.

* * *

الفصل الثاني

علي والحرب المدنية الاولى

١ - وقعة صفين

روي المدائني عن ابي مخنف (١) ان فائلة زوجة الخليفة عثمان
قبص عثمان
المقتول ارسلت قميص عثمان ، وعليه دمه الى معاوية ، وروته
كيف قتل ، واستشهدت بالاية ٩ من السورة ٤٩ وما تنبأت به . واقدم رواية
لسيف ذكرها الطبري (٢) تقول ان النعمان بن بشير احضر الى دمشق قميص
عثمان مخضباً بدمه مع اصابع فائلة مقطوعة بالبراجم . والاصابع اضيفت اضافة الى
القميص ، ففائلة ليست لها يد في ذلك . وعن سيف في رواية لاحقة ان معاوية
عرض الاشياء التي تحمل دم عثمان استثارة لاهل الشام ، وظلت الاشياء معروضة
طاما كاملا . فقد مضت سنة بين مقتل عثمان ووقعة صفين . ويروي المدائني عن
عوانه (٣) وحده ان معاوية اثار ثائرة اهل الشام امام جرير الذي ارسله علي لاختد
البيعة من معاوية ، وتم له بذلك الشعور الذي توخاه . وهكذا كانت القضية حيلة
تجمل علياً يتخوف من مهاجمته .

(١) الاغانى ٧١/١٥

(٢) ٣٢٥٥/١

(٣) الطبري ٣٢٥٤/١ وما بعدها ؛ وانظر الكامل للبرد ١٨٣ وما بعدها والدينوري

١٦٦ وما بعدها .

ويقول الواقدي (٤) ان معاوية لم يثر غيره على علي بمقدار ما اتاره
غيره عليه . ففي الشعر الذي انتهى اليه ، بلومه ابن عمه الوايد
ابن عقبة على تبادلته الرسائل مع علي ، وعلى انه ، وهو من اقرباء
عثمان ، لم ينهض للقيام بواجب الثار . وقد كان معاوية بطبمه سياسياً . وكان أقل
ما يمكن تحملاً الى القتال مع اهل العراق ، فقد كان في الوقت نفسه مهدداً من
قبل الروم ومن قبل اهل مصر الذين كانوا من حزب علي .

حت اهل الشام
لمعاوية

وما كان يطمع في الخلافة ، بل كان طموحه الاول انما هو
ان يحتفظ على أقل تقدير بولاية الشام ، وان يمتلك مصر
التي ما كان يجسر على التخلي عنها لمنافسيه ، وهو عازم على حماية
مؤخرته . وقد حثه عمرو بن العاص على ذلك . وكان عمرو قبل ذلك يعتبر العصيان
على عثمان وسيلة لغاية يستهدفها ، متخذاً كل ما قدر عليه ليعود الى ولايته السابقة .
وبعد قتل الخليفة ، تعاقد مع معاوية بحلف شريف بعيد النظر ، يبغى به الوصول
الى تلك الغاية (٥) . وهكذا سار معاوية وعمرو قبل كل شيء الى مصر ، فالتحقا في
خداع حامل علي عليها ، وهو محمد بن ابي حذيفة واسراه (٦) .

الاحتفاظ بالشام
وضه مصر

وكان عليها بعد ذلك ان يعودا الى لقاء علي نفسه . وكان
علي هو الباديء بالخصاص . فقد كان هو صاحب الدعوى
بالخلافة وبمحكم الامة جميعها . حتي اذا اطمأن على العراق واعددته ، غادر معسكره
العام بالنخيلة قرب الكوفة (٧) في نهاية عام ٣٦ (ربيع عام ٦٥٧) متجهاً الى الغرب
حيث ظهر عدد من البصريين . وكان معاوية وعمرو في انتظاره على حدود الشام في

لقاء علي

(٤) الطبري ٣٢٥٢/١ وما بعدها .

(٥) الطبري ٣٢٥٣ وما بعدها ؛ وانظر الدينوري ١٦٧ وما بعدها .

(٦) الطبري ٣٢٥٢ وما بعدها ، ٣٤٠٧ وما بعدها .

(٧) في غربي او شرقي الكوفة على طريق الشام (الطبري ٣٣٤٥/١) وعمل بوب

هناك . وموقعة بوب تدعى ايضاً موقعة النخيلة .

سهل صفين على الفرات غير بعيد عن الرقة. (٨)

ورواية الطبري عن وقعة صفين مأخوذة كلها تقريباً من أبي مخنف
دون غيره. وتلك هي: سار علي مع خير قواته على الطريق المعروف
للجيوش، محاذياً للدجلة ثم متقدماً في الجزيرة. والتقى قريباً
من قرقيسياً بطلائع جيشه التي كان عليها في الواقع ان تسير على يمين شط الفرات.
وبعد ان قطموا جميعاً الفرات قريباً من الرقة، لاقتهم طلائع جيش الشام قريباً من
سور الروم. ولكنها انسحبت دون ان تلتحم بهم. ولما أخذ جيش علي يقبم
خيامه، علم ان اهل الشام قد احتلوا مكاناً قريباً من الماء على الفرات. وبما أنه لم
يكن لكلام مجال، فقد أرغم اهل الشام على التراجع بالقوة دون أن يُقطع سبيلهم
عن الماء. (٩). وظل الجيشان خلال شهرين من ذي الحجة عام ٣٦ الى محرم عام ٣٧
معسكرين الواحد منهما مقابل الآخر.

وأخيراً بدأت المعركة العامة يوم الأربعاء في الثامن من صفر
سنة ٣٧ (١٠) واستؤنفت صباح يوم الخميس بمزم اشد واقوى.
وكان السوريون مجهزين تجهيزاً اصلياً من اهل العراق؛ ومظهر جندهم احسن (١١)
واخذ يعين الكوفة من جناح علي الايمن يضطربون امام الفرق التي اتخبوا لها.

(٨) بين Barbalissus وقبصرية (Theoph., AM. 6148) و Barbalissus

هي بالس (فتوح البلدان ١٥٠ وما بعدها؛ Assem., B.O. 2,332).

ويسمى تيوفان المكان صفين Sapphin (A.M. 6151)؛ وفي النقوش السورية
لحنش Hanash (Journ. As., 1900, II, 285ff.) في عام ٩٦٨ لبناء المدائن
(Sel. 968) تسمى Sapphe او Sepphe في المدرج الحكومي وكذلك في
Cosmographer of Ravenna حيث ترد Sephe و Barbalission حنباً الى جنب.

(٩) الطبري ١/٣٢٥٩ - ٣٢٦٩.

(١٠) يوم الاربعاء ٢٦ تموز ٦٥٧ او ٦١٤٨ بعد الخليفة او ٩٦٨ لبناء المدائن.

وانظر الهامش رقم ٨.

(١١) الطبري ٣٣٢٢.

الدولة العربية وسقوطها (٥)

وذلك بالرغم من شجاعة قرائهم الضاربة . ولكن مالكا الاشتهر اقبل حوالى
المساء إليهم ، وارغم العدو خطوة خطوة على ان يعود الى مخيمه . واستمرت المعركة
طوال الليل حتى الصباح . وكانت ليلة الهبيجا ، حقاً تلك الليلة ليلية القادسية (١٢)
وفكر معاوية بالهرب .

وكان الظفر قاب قوسين او ادنى من الاشتهر ، حين رآه فلت
من قبضة يديه فيضطر الى ان يلقى بسلاحه ؛ وذلك استجابة
لما تكرر من نداء علي له بهذا . فهاهم اولاء اهل الشام يرفعون المصاحف على رؤوس
الرماح محكين آيات الله بدلاً من السيف ، وقد اصبح السيف يهدم بنتائج ليست
في صالحهم . وخذع اهل العراق وأرغموا علياً على إيقاف القتال والمفاوضة مع
معاوية ، مهددين باللجوء الى القوة إن لم يفعل .

وباقتراح من معاوية اختير رجلان ثقتان لبيينا وفقاً لحكم
التحكيم القرآن من له الحق في السلطان . وهما عمرو عن اهل الشام
وأبو موسى الأشعري عن اهل العراق . وكان يجب ان يصدر القرار في شهر
رمضان في مكان يقع بين العراق والشام .

ورواية ابي مخنف عن وقعة صفين طويلة جداً على النحو من
الظفر في رواية
ابن مخنف
رواية موقعة القادسية ونهاوند . وتاريخ الحوادث التي وقعت
قبل ان تبدأ الملاحمة الحقيقية يشغل مكاناً كبيراً .
وهذا شهر محرم خلو من الحوادث . اما الأشهر السابقة
التمهيد للحرب صفين
واللاحقة فهي طافحة بها ، تتخذ صورة واحدة طافحة :

(١٢) الطبري ١/٣٠٢٧ ، الكامل للبرد ٧٥٣ . ولا بد انها كانت ليلة الخميس . لكن
موقعة صفين في الطبري ٢/٧٢٧ حدثت ليلة الاربعاء وكذلك في رواية ابي مخنف . انظر انساب
الاشراف ٣٠٣٤٩ .

أولاً بالاستعداد للدخول في المفاوضات ، وثانياً بمارك منفردة حصلت بعد اخفاق تلك المفاوضات، معارك يظهر بمناسبة الأعيان من انصار كل من معاوية وعلي . واختلاف اسماء هؤلاء الاشخاص بين حين وآخر لا يضر بتماثل المواد . وانا ان نستنتج ان بداية المارك في ذي الحجة بطابق بالواقع بدايتها في صفر . وانها ليست منفصلة عن الموقعة الحقيقية بكامل شهر محرم (١٣) . وعلى هذا النحو يكون الوقت السابق للمركة اقصر . ولاريب ان كلا الطرفين كان كارهاً بمض الكره ان يستمر الحكم للسيف (١٤) ، ولم يكونا مستعجلين بالثروع . وربما كان للعادة القديمة التي تحرم سفك الدماء في الشهر الحرام بمض الاثر في ذلك . وهذا بيت شعر يحدد الوقت حيث قال (١٥) :

فما بين المنايا غير سبع بقين من المهرم او ثمان

ولست لدينا صورة واضحة عن مجري الموقعة الحقيقية . سير الموقعة غير واضح فقد وصفت باضطراب يشابه اضطرابها . ولاريب اننا نجد هنا وهناك روايات منسقة عن توزيع الفرق وترتيبها وقيادتها؛ غير انها تتضارب بعضها مع بعض ، بحيث تكاد لا تكون لها قيمة عملية في معرفة سير المركة الحقيقي . ويضم الوصف كتلة من الروايات تعتمد على مصدر احد الطرفين دون الطرف الآخر . وتعرض مختلف المراحل دون ان يفلح راويها في استخراج وحدة فسيفسائية منها . ففيها خلل في الترابط الداخلي . ولا يمكن ان يميز الأخضر من اليابس فيها .

(١٣) لا يذكر الدينوري المواقع المنفردة الامرة واحدة وبدرجة ثانوية بحيث تدخل مقدمة للاصطدام العام . اصف الى ذلك انه على اطلاع ادق بالامر بكامله من ابي مخنف لاسيما في التفاصيل الدقيقة . واول مصحف رفته اهل الشام هو مصحف دمشق الجميل الذي ثبت على خمس حراب وحمله خمسة رجال (٢٠١ ، ٢٠) وهذا يشابه تماماً ما ورد في سيف الذي يسير الدينوري معه في اتجاه واحد . ولا تزال الابيات التي يرويها ذات قيمة .

(١٤) الدينوري ١٩٢ ، ٥ ، ١٩٥ ، ٩ ، ٢٠١ ، ١٥ .

(١٥) الدينوري ١٨٢ والمسعودي ٤ / ٣٥٠ .

وكل راو مبال الى ان يرى في وضع قبيلته النقطة المركزية،
 سبب النصر الحقيقي وان ينسب النصر الاساسي لابطالها. ولا يظهر بصورة كاملة
 الاشترا
 نامة ان مالكاً الاشر هو البطل الحقيقي لهذا اليوم الا في
 نهاية المعركة. ولكنه لم يمتدح بذلك جهاراً الا في شعر الشاعر النجاشي (١٦) الذي
 اشترك في المعركة :

رأيت اللواء كظل العقاب يقهجه الشامي الأخرز
 دعونا له الكبش كبش العراق وقد خالط المسكر المسكر
 فرد اللواء على عقبه وفاز بمحظوتها الاشر
 ولكنه في هذا بمستوى كثيرين غيره ، شيد بأعمالهم كما شيد بأعماله (١٧).

والى جانب زعماء القبائل يبرز علي وابن عمه عبد الله بن العباس ممة
 غير الاشر من القراء والصحابة
 بروزاً خاصاً. وهناك بيان خاص بأن القراء صمدوا امام
 اهل الشام ، بينما هرب غيرهم أمامهم ، وانهم تقدموا للموت
 واستشهدوا في سبيل علي ، فبرهنوا بذلك اقوى برهان على حقه. ويذكر من بين
 الزعماء ابن بدبل وهشام بن عتبة ولاسيما الشيخ المعمر عمار بن ياسر الذي يقال
 ان الرسول [عليه السلام] قال له : « لتقتلنك الفئة الباغية » (١٨). وتطفي تلك الاخبار
 على الاشر ، فيختفي في ظلها . فالأخباريون المتأخرون يكرهونه ، وقد يكون
 ذلك لأنهم ، كسيف منهم ، يرون فيه ثوروباً . ولبس عند المسمودي واليمقوبي
 ما يقولانه عنه ، فيها ينسبان كل فخر لقيادة علي السامية ، شأنهم في ذلك شأن
 الطبري (١٩) .

(١٦) الدينوري ١٩٨ .

(١٧) وبينهم ايضاً من يبدو انه لم يحضر المعركة ابدأ كقيس بن سعد . انظر ص ٨٠

وما اراد التقى ابو الدرداء ان عمله انما هو من اختراع الدينوري ١٨١ .

(١٨) ابن هشام ٣٣٧ .

(١٩) ٣٣٢١ وما بعدها

على ان ابا مخنف لا يذهب كل هذا المذهب، فهو يصف بمطف
ابو مخنف يشهد بالاشتر
ظهور ذلك البطل اليماني في حربه اللامع (٢٠) . ويمترف بأثر
شخصيته القوية. واذا بالاشتر لا يقف حيث وضعه علي، بل يقف على رأس قبيلته
بني النخع . وترفعه حماسته واعماله الى قيادة الهمدانيين والمذحجين معاً . وبهما
يفترع النصر من اهل الشام . وهو ايضاً الوحيد في دقة شعوره ، فغيره يتخلى
عن حقه في المجد بالمركة، اما هو فلا . وهو عربي اصيل شريف، يختلف عن اوائك
المتدينين المتعصبين والسياسيين الدهاة او الفاترين .

وجه النظر الشامية
ولم تنته إلينا رواية عن وجهة النظر السورية . ولو اتت
لكانت مختلفة عن رواية ابي مخنف ، دون ان تكون اوثق
منها الا يسير ، كما نرى في نيو فان (٢١) حيث يقول : « ولقد فاز معاوية بالنصر
واستولى على الماء ، فهرب رجال علي من العطش . هذا ومعاوية لم يكن ينبغي
القتال ، واذا به ينتصر انتصاراً يسيراً . ولا ريب ان ابا مخنف ينتصر للمراقبيين
ولعلي على اهل الشام ومعاوية .

حجة علي اقوى
ولكن الآخرين
مقتنون بمدالة
قضيتهم
فحجة علي اقوى ، ومعه عدد من الاتقياء اكبر . وقد اغفل
ابو مخنف أن يقول إن أخا علي كان يحاربه (٢٢) ، وان لم
ينكر أن بعض اولاد الخليفين ابي بكر وعمر كانوا مع
اهل الشام . اصف الى ذلك ان اقراء الاربعة آلاف لم يكونوا
كلهم مع علي وان اهل الشام كانوا مؤمنين بمدالة قضيتهم كما كان المراقبيون . ولا جدال
في أن المراقبين مؤمنون ايماناً شديداً بحق علي ، غير انهم مازال بعضهم يسائل بعضهم

(٢٠) الطبري ٣٢٩٧ .

(٢١) A.M. 6148 .

(٢٢) البخاري (طبعة بولاق ١٢٨٩) ٦٧/٢ وما بعدها : ١٣٩ : ١٤٥ : ١١/٣ :

(DMZ.) 1884, 43 .

البرهان، ويتناقشون فيما بينهم ومع مخالفهم . وهي مناقشات استمرت بعد صفيين حيناً طويلاً من الزمن دون ان تنتهي (٢٣) . ولم يكونوا متحمسين لقتال اخوانهم في العقيدة والعرق ، بل ابانوا عن رغبتهم في وضع حد للحرب . اما خصومهم فكانوا اول الامر ضعفاء، وما اشتدت قوتهم الا بعد ذلك .

٢ خروج الخوارج

ورواية ابي مخنف للحوادث اللاحقة هي كما يلي :

خروج الخوارج
الى حر وراه
لما سار الجيش عائداً عن اقصر طريق على الشط الايمن
للفرات ، ظن المراقبيون ان الامر قد انتهى . واخذ بعضهم
يلوم بعضاً . ووجه جانب من اللوم الى علي ، بالرغم من انه لم يوقف القتال الا مرغماً ،
حتى اذا سار شطر الكوفة خرج عنه اثنا عشر الف رجل ، وعسكروا بحر وراه
فدعوا بالخوارج او الخروريين (٢٤) ، وكانت كلمتهم التي اجتمعوا عليها ان قالوا
محتجين على قرار التحكيم ولا حكم الا الله . وكان برأسهم شبيب بن ريمي الرياحي
وعبد الله بن الكواء البشكري وبزبد بن قيس الارجسي ، وهم ابرز رجال في قبائل
الكوفة الثلاث الكبيرة : تميم وبكر وهمدان .

(٢٣) ورأى علقمة النخعي اباة في الحلم وكان قتل في صفيين . فقال له ان المراقبين
المقتولين تخاصموا مع اهل الشام في السماء على اي القضيتين اعدل : قضية اهل المراق ، ام الشام
فحك الله سبحانه وتعالى للمراقبين . واحال حذيفة المدائني رجلين مترددين باي الجهتين يأخذان
من طرفي الفتنة الى حكم للرسول [عليه السلام] مؤداه ان قاتلي عمار بن ياسر من الفئة الباغية .
وهناك اشعار لكعب بن جعيل وشمران آخرين في الدينوري ١٩٩ ؟ (١٩٠) وما بعدها
و ٢٠٦ تشهد بمدالة دعوى اهل الشام .

(٢٤) انظر عن الطرفين المتمارضين من حيث الدين والسياسة في اول الاسلام

Abh. der Göttinger Societät, Band V, No2 (1901)

وافلح علي في أن يعيد هؤلاء الرؤساء الى حظيرته ، فقد
وعد اخدم بولاية اصفهان والري ، ومنحه اياها . وعاد
الحرويون الى الكوفة ، فالتحقوا به ، ولكنهم كانوا مترقبين ،
يؤكدون انه وعدم بان يقودهم حالاً لقتال اهل الشام . حتى اذا لم يفعل ، ودبر
في رمضان من عام سبع وثلاثين للهجرة امر التحكيم في دومة الجندل ، قالوا انه
نقض عهده ، واعتزلوه ثانية . واقاموا عليهم خليفة لهم مكانه ، هو عبد الله بن
وهب الراسبي الازدي : بايعوه لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ (٢١ آذار ٦٥٨)
ثم تركوا الكوفة الواحد بعد الآخر ، واجتمعوا في النهروان في اليم الآخر من
اللدجلة (٢٥) . ومن هناك استدعوا اخوانهم من البصرة ، فالتحق هؤلاء بهم ،
وعدد خمسمائة عليهم مسمر بن قنبر التميمي .

علي
يستعيد رؤساءهم

وبعد ان اتت مهزلة التحكيم ، اعتقد علي ان له الحق في العودة
الى قتال اهل الشام ، فجمع جيشه في معسكر النخيلة ودعا
الخوارج الى الالتحاق به ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل طلبوا
أن يعترف امام الناس بارتداده ؛ وان يعلنه . وهكذا سموا قبوله التحكيم يوم صفين
علي خلاف رأيه ارتداداً .

عزم علي على
حرب الشاميين

واراد علي ان يسير الى الشام بدونهم ، لكن جيشه الح عليه
بالحملة على الخوارج ، لانهم فتكوا في طريقهم من البصرة
الى النهروان بعبد الله بن خباب بن الارت وبزوجته ، وهو
ابن اقدم من آمنوا بالرسول [عليه السلام] (٢٦) . واذعن علي لمطلبهم . وحاول
عبدان يقنع الخوارج بتسليم القنلة بمحض ارادتهم . وحاول عبداً أن يقنعهم بان

الحاح جيشه
بمحر الخوارج

(٢٥) النهروان اسم للقناة المشهورة في مقاطعة جوخي من المدائن (الطبري ٢/٩٠٠)
واسم ايضاً لمكان قريب منه يدعى بصفة ادق جسر النهروان (دينوري ٢١٧) . وعن مقاطعة
جوخي انظر الطبري ٣/٢٧٥ ، ٣٨٥ ، ٤٠٦ .
(٢٦) ابن هشام ٢٣٤ .

رأيه مماثل لرأيهم في الواقع وعين الامر، وانه يريد ان يدع الامر للسيف ضد عدوم المشترك، ولكنهم اجابوا قائلين: « انك ستفعل غداً ما فعلته بصفين، ولم ينته الطرفان الى اتفاق بينهم، بل تهبأوا لنضال مميت.

ويقول ابو مخنف ان موقعة النهر وان حدثت في عام ٣٧ للم هجرة بل قتال الخوارج

حوالي آخر هذا العام، فالخوارج لم يبرحوا الكوفة الا في شهر شوال، وهو الشهر العاشر من السنة. وكان زعمائهم في حروراء قد تخلوا عنهم، بل قاتلهم شيث قتالاً مريراً، وكذلك الاشعث وكان قبل ذلك يمد من حزبهم. زد الى ذلك ان عددهم اصبح الان اقل مما كان عليه في معسكر حروراء اي اربعة الاف مقاتل فقط. بل ان عدداً من هؤلاء المقاتلين تسللوا عائدين الى الكوفة، وقابل علياً زهاء مائة منهم جهاراً، وانصرف فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة فارس الى الديسكرة، اما من بقي فقد فتك بهم الاثمانية منهم.

واكتفى اهل الكوفة بالقضاء على الخوارج، ولم يعودوا يودون الحرب مع اهل الشام. وكان علي بن ابي طالب يذعن لرغبتهم. ثم ما علم ان وجب عليه ان يتصدى لمصاة آخرين تمججوا بالتحكيم ايضاً. الا انهم استخدموه استخداماً مختلفاً عن الخوارج. فقد لحق الخيريت بن راشد الناجي بعلي بن ابي طالب مع ثلاثمائة رجل الى الكوفة بعد موقعة الجمل، وقاتل معه في صفين وفي النهر وان ايضاً. غير انه انفصل عنه عندما امتنع عن اقرار حكم المحكمين، فسار تلقاء الاهواز عن طريق المدهار. والتحق به عدد من غير العرب الذين امتنعوا عن تأدية الضرائب وانضموا الى الكوفيين وغيرهم من العرب الذين يشاركونه في ارائه السياسية.

وبعد ان كسره في رائمهمز جيش من اهل الكوفة بقيادة معقل بن قيس التميمي، انسحب الى البحرين مسقط رأسه واستنار بني ناجية الذين امتنعوا عن تأدية الخراج منذ

عام ٣٧، واستنار بني عبد القيس ايضاً.

انهزام الخريز
ولجوؤه الى
البحرين

وحدثت الناس بما ارادوا ان يسموه منه . فلام علياً بشأن
الخوارج وانه ترك الناس يتحكمون في شئون الله ، ثم تمسك
برأيه الاصيلي ، وهو ان علياً كان يجب عليه ان يقبل بحكم
المحكمين . وبرر عمل من رفضوا دفع الصدقات قائلاً : ان الصدقة يجب أن ترد على
الفقراء من اهل البلد نفسها ، لا ان توضع في بيت المال . بل انه ضم اليه الذين
ارتدوا الى النصرانية ، وقد رأوا الصراع المعيت بين امة محمد [عليه السلام] ،
فبان لهم انه ينبغي لهم الا يتوقعوا من علي سوى قتلهم على ارتدادهم .

ضم الناقلين
والمرتدين

ولم يدعه معقل بن قيس الذي كان قد طرده من الاهواز
يرتفع وحيداً في البحرين ، بل اشتبك معه في قتال ممت
وصد بنو ناجية مرات ثلاثاً هجوم تلك القوات المتفوقة . ولما قتل الخريت وسبعمون
ومائة رجل اشنت شمال البقية ، وانتهى كل شيء .

معقل يشنت
شماله

ذلك ما ذكره ابو مخنف (٢٧) ولا يتفوق عليه في ذلك اليعقوبي
وابن الاثير والدينوري ، لكنه يدع مجالاً الاعتراض عليه ،
لا سيما في عرضه الزماني . وبعد ان ذكر ان الخوارج لم
يختاروا لهم خليفة الا بعد شهر من اجتماع الحكمين ، وانهم من ثم ذهبوا الى
النهران ، جعلهم في النهران عندما تلقى علي نتيجة التحكيم وجمع جيشه بالخبيلة
ليقاتل اهل الشام . وهذا يعني انهم تركوا الكوفة قبل صدور التحكيم . ثم ان
الخريت كان لا يزال يقاتل مع علي في النهران . فلا بد ان تكون موقعه
النهران قد حدثت قبل اجتماع الحكمين ، (٢٨) لان الخريت انما نقم على علي بعد

تناقض ابي مخنف
في الترتيب الزمني

(٢٧) الطبري ١/٣٣٤٥ - ٣٣٨٦ . ٣٤١٨ - ٣٤٤٣ . يوجد في نسخة الطبري المخطوطة
خرم سد فراغه في طبعة ليدن (٣٣٦٤ - ٣٣٦٨) من ابن الاثير .
(٢٨) وبصورة ادق قبل ان تبلغ اخبار نتيجة التحكيم الكوفة . وقرار التحكيم قد
يكون موافقاً في الزمن لوقفة النهران او بالاحرى قبل ذلك . وقطة الخلاف هنا هي فقط متى
تلقى علي خبر القرار .

ذلك الاجتماع . ومن جراء هذا الخلل في منطق الحوادث ، تنهار نظرية ابي مخنف باجملها . فملي لا يستطيع ان يفكر بالحرب مع اهل الشام الا بعد اجتماع الحكيم . فاذا كانت وقعة النهروان قد حدثت قبل ذلك ، فجمع القطع الحربية في النخيلة لا يمكن اذن ان يكون بقصد اهل الشام ، بل بقصد الخوارج وحدهم . واذن فلا اهميته لدفع الكوفيين علياً خلافاً لرغبته ليقودهم ضد الخوارج ، بدلا من ان يقودهم ضد اهل الشام .

وابو مخنف لا يخطيء في تاريخ وقعة النهروان بتحديد الشهر بالتقريب فقط ، بل بتحديد العام نفسه ، فهو يضمه في احد الشهرين الآخرين من عام سبع وثلاثين . ولقد اعترض الطبري محققا على هذا (٢٩) . وانا لنعرف الان التاريخ المضبوط من كتاب انساب الاشراف للبلاذري (٣٠) ، فقد حدثت المعركة لتسع خلون من صفر عام ٣٨ (١٧ تموز ٦٥٨) .

ووفقاً لهذا يكون اجتماع الحكيم لم يتم في رمضان عام ٣٧ بل في عام ٣٨ . ويجمله الواقدي (٣١) في شعبان عام ٣٨ ، وهو تاريخ متأخر قليلا عن اجتماع الحكيم ان كان معاوية قد حارب المصريين في صفر عام ٣٨ ، لاسابق له (٣٢) كما ذكره الواقدي (٣٣) . ولئن كان الاجتماع لم يتم الا بعد بداية عام ٣٨ ، فان من المرجح ان يفصل بين الاتفاق في سفين على التحكيم واجتماع الحكيم سنة كاملة .

(٢٩) ٣٣٨٧/١ - ٣٣٨٩ .

(٣٠) DMZ., 1884, 393 .

(٣١) الطبري ٣٤٠٧/١ .

(٣٢) الطبري ٣٤٥٠ ، ١٦ .

(٣٣) الطبري ٣٤٠٦ وما بعدها .

ويروي الزهري وهو محدث قديم جداً من محدثي المدينة
مكان الاجتماع
ان الوقت الذي حدد اولاً قد مدد . وتقرر ان يلتقي الحكمان
في دومة الجندل ، واذا حصل عائق ما ، فيجتمعان في السنة التي بعدها في
اذرح (٣٤) والتقى في اذرح (٣٥) . وكان ذلك اذن بعد سنة من صفين ، اي عام
٣٨ . ويذكر الواقدي (٣٦) وابو معشر (٣٧) والزهري اذرح مكانا لاجتماعها .
ولا يحدد ابو مخنف المكان في النص المنزه به ، بل يجعله في وسط الطريق بين
الكوفة ودمشق (٣٨) وبعد ذلك يذكر المكان المهود دومة الجندل ، ولكنه في
نص آخر (٣٩) يسمي دومة واذرح جنبا الى جنب ، فيقول « بدومة الجندل باذرح »
هذا ان كان النص مضبوطا .

وبهذا الاسلوب العاري عن الضبط والتأكيد من حيث الزمن
لانرف بالضبط تاريخ
والمكان ، تروى لنا حادثة من اهم حوادث التاريخ الاسلامي
الحادثة ومكانها
القديم . بل اطلعنا على جوهر هذا الحادث واساليبه ونهاية
التحكيم اقل شفاء الغليل .

ويقدم ابو مخنف عن ذلك روايتين (٤٠) . الاولى عن الشعبي
رواية الشعبي
وهي كما يلي : بعث علي اربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني
الحارثي وبعث معهم عبدالله بن عباس ، وهو يصلي بهم ، وابو موسى الاشعري

(٣٤) الطبري ١/٣٣٤١ .

(٣٥) الطبري ٢/٨ . والمكان يقع في جبل الشراة ويمكن ان يكون قد اختير لاعتبارات
خاصة باهل المدينة الذين كان لهم الحق بان يقولوا كلمتهم في الموضوع .

(٣٦) الطبري ١/٣٣٥٣ وما بعدها : ٣٤٠٧ .

(٣٧) الطبري ٢/١٩٨ .

(٣٨) الطبري ١/٣٣٣٧ .

(٣٩) الطبري ١/٣٣٥٤ ، ١٠ وما بعدها .

(٤٠) الطبري ١/٣٣٥٤ وما بعدها .

مهم ، وبمث معاوية وعمرو بن العاص في اربعائة من اهل الشام . ويظهر هنا ابناء
الارستقراطية الاسلامية التي كان يتألف منها مجالس محمد [عليه السلام] وحاقيقته
من ابن عمر وابن الزبير وغيرهم دون الرجل المسن ابن ابي وقاص ، بظهور مرشحين
انفسهم على انهم اصحاب الحق الاول للخلافة . وقدم عمرو برهانا على حق معاوية في الحكم
مستنداً الى حق الثار الذي نصت عليه السورة ١٧ الآية ٣٥ . ونظم حجته
بوعود لابي موسى حاول بها اغراءه . وكان مرشح ابي موسى للخلافة ابن عمر .
ولكن ابا موسى لم يكن ليملق بشبك الاغراء . وهنا تنقطع رواية الشعبي . وليس
من اشياء ثانية باسافيد اخرى الا عدداً ضئيلاً من الحجج التي قدمها عمرو ضد
عبد الله بن عمر .

ثم يتبع هذا في ابي مخنف رواية اخرى عن ابي جناب الكلبي ،
وهو الوحيد الذي نقل نتيجة المفاوضات فيقول : التي عمرو
وابو موسى في دومة الجندل . وكانت طريقة ابي موسى

رواية ابي جناب
الكلبي

دوما ان يقول رايه اولاً . ولم يشأ ان يسمع شيئاً عن معاوية وعن ابن عمرو ، واقترح
خلع علي ومعاوية . وترك امر تقرير من يتولى الحكم الى الشورى ، اي الى مجالس
لا استفتاء شعبي : مجلس ينتخب من الارستقراطية الاسلامية على غرار ذلك
المجلس الذي دعاه عمر فوق اتفاقه على عثمان واعلن عمرو عن رضائه بهذا الاقتراح .
وبالرغم من تحذير ابن عباس تقدم ابو موسى في الكلام امام الناس كما دته .
واعلن انه اتفق مع عمرو على خلع علي ومعاوية وعلى دعوة الشورى . ثم قام عمرو ،
وقال انه يخلع علياً ، لكنه يثبت معاوية وايا لثمان ومطالباً بدمه . فصب ابو موسى
اللعنة عليه ، واستهزأ هو به ، وتبع ذلك شغب واضطراب . وهرب ابو موسى
من اهل الشام الى مكة ، ثم انصرف عمرو واهل الشام الى معاوية ، فسلموا عليه
بالخلافة . وعاد ابن عباس الى علي يسم عليه بها ايضاً . ولمن علي معاوية وعصابته
في الصلاة ، فادى اليه معاوية اللعنة بمثلاً .

من هذا لنا ان نظن ان ابا موسى جازت عليه الخديعة ، وان
عمرأ لم يف بوعده . وتلك حيلة يقع في شراكها اكثر الناس
حكمة وتعقلا . واثمن كان في الامر خديعة ، فهي من طرف
عمر و ، وعمر و لم يكن محتالاً . وهذه القصة عن مجلس التحكيم لا تصدق ، وان
كان الواقدي يعتبرها حقيقة ثابتة (٤١) كما يظن (٤٢) . ولعل للشعبي رواية مخالفة ،
ولكن نهايتها مع الاسف مفقودة .

النظر في انخداع
ابي موسى

وانا لنستطيع ان نصحح الخبر بواسطة الرواية التي ذكرناها
سابقاً عن ابي مخنف والتي تتصل بالخرية بن راشد . فقد
لام الخرية علياً لانه لم يدعن الحكم ابي موسى في ترك أمر
انتخاب الامام للشوري (٤٣) . وبقتضي اللوم ان يكون اقتراح الشوري مقبولاً
عند اهل الشام ، والا لم يلزم علياً .

الانخداع يناقضه
خروج الخرية

هذا ومعاوية لا يتعرض لخسارة كبيرة به ، فهو لم يصح بعد
خليفة ، ولم يناد به في الواقع خليفة الا في عام اربعين بالقدس .
اما علي فما كان ليتنازل عن المكانة التي يحتملها ، فيترك حقه
معلقاً بالشوري ، ومن السهل التنبؤ بهذا . وعلى ذلك فان عمرأ قام بعمل فيه دهاء
حين اتفق مع ابي موسى . وما حصل عليه كان اقصى ما يمكنه الحصول عليه ، اياً
كان الحال . ذلك أن معاوية لا يتعرض للنوع من الخلع الذي يتعرض له علي .
ورفض الاعتراف بحقه إنما يضر بعلي وحده .

لاخسارة لمعاوية
في رأي ابي موسى

(٤١) الطبري ٨٤/٢ .

(٤٢) ويقدم ابو عبيدة من البصرة بعد ذلك رواية مشابهة في الطبري ٤٤٦/٢ وما بعدها
وانظر ٤٤٤ .

(٤٣) هكذا في الطبري ٣٤٣٤ ، ١ ، ٣٤٢٧ ، ٢ ، وخلافاً لهذا بيد والخرية (١٠٣٤١٩) خارجياً صرفاً . ويناقض هذا الخبر مجرى الحوادث بكامله وتفسيره انه داخل في اتجاه عرض ابي مخنف
للتدابير المتخذة لمجلس التحكيم .

وبعد ان ارتكب علي خطأه الاول بقبول التحكيم ، لم يعد
له من وجه لتصحيحه الا بأن يتراجع فيه ، واذا بالاخبار بين
المراقبين بسوءن جهدهم ليظهروا هذا الأمر مظهر الشيء
الذي يعذر صاحبه ، فيوجهون اللوم كله الى عمرو وابي موسى الحكيمين المضربين (٤٤).

علي يضطر الى
التراجع

٣ . - استيلاء معاوية على مصر

واستولى عمرو على مصر في بداية عام ٣٨ بعد اجتماع الحكيمين
مباشرة على ما يظهر . وقد كانت اجريت محاولة قبلها عام ٣٦
ذكرتها سابقاً . ولكني اعود إليها هنا لانير عدداً من النقاط هي موضع الشك .
يقول ابو مخنف (٤٥) ان ابن ابي سرح - وهو عامل عثمان
الذي هرب من مصر - كان ينتظر في حدود فلسطين نتيجة
الثورة في المدينة . وعرف مقتل عثمان ، وتلقى في الوقت
نفسه خبر تعيين علي قيس بن سعد بن عبادة أبرز رجل في
الأفصار عاملاً على مصر . ووصل قيس دون جيش اللهم الا سبعة أتباع ، ومعه
كتاب مؤرخ في صفر من عام ٣٦ . وكان أتباع علي اصحاب الحول والطول في
مصر ، وان كان فيها بعض من يتحزب لعثمان ممن اجتمعوا في خربة بيتا في اللدنا
بقيادة يزيد بن الحارث الكناني .

انارة عدد من النقاط

رواية ابي مخنف:

١- تعيين قيس بن سعد

على مصر

(٤٤) الطبري ٢/٧١٠ : ٦/٩٢٩ . ١ .

(٤٥) الطبري ١/٣٢٣ : وما بعدها ؛ ٣٢٤٣ : وما بعدها ؛ ٣٣٩٢ : وما بعدها .

(٤٦) ولم يكونوا ابدأ في طرف معاوية في اول الامر . فلفظ « الثمانين » لا يعني

« الامويين » ، وفي الكوفة ايضاً يوجد من قناعتهم مع عثمان ولكنهم لا ينتمون الى حزب اهل

الشام ، بل يتخذون ضرباً من الموقف المحايد اي شيئاً يشبه موقف ابي موسى : انظر الطبري ٢/

٦٥٩ والمقدسي ٢٩٣ ، ١٩٠ .

وعقد قيس مع يزيد هذا معاهدة حياذ واخرى مع حليف
قبيلته مسعدة بن مخلد الانصاري الذي كان أيضاً من
حزب عثمان . وعلى ذلك فلم يكن باستطاعة معاوية ان
يتقدم في مصر كما كان يشتهي .

٢ - قيس يتعاقد
مع حزب عثمان

وحاول معاوية ان يكتب قيساً نفسه . ففناه بثروة كبيرة إن
التحق به . وبالرغم من أنه لم يفلح في هذا ، فهو لم يتم ان
اشاع أن قيساً انفق معه : اراد بذلك ان يجرمه
ثقة علي ، وذلك ما أفلح فيه .

٣ - معاوية يشبع
أن قيساً معه

فقد طلب علي الى قيس أن يعامل بشدة من كان على الحياذ
في مصر مختبراً بذلك اخلاصه ، حتى اذا اعترض على الطلب
أقاله ، واقام محمد بن ابي بكر مكانه . وكان في حاشية علي
تأمر علي قيس ذلك الانصاري الذي كان والده ابن عبادة
قد نازع ابا بكر في الخلافة . ودهش قيس عند وصول خلفه ، لكنه لم يحجم في
ولائه لعلي . وبعد ان بقي قليلاً في المدينة رحل الى علي في الكوفة ، وحارب معه
في صفين (في مبدء عام سبع وثلاثين) .

٤ - علي يختبر قيساً
ويقوم محمد بن ابي
بكر مكانه

وعهد علي الى محمد بن ابي بكر بمصر في رمضان عام ٣٦ ،
فخير الدين وقفوا على الحياذ بعد شهر من تعيينه بين ان
يقدموا الطاعة الكاملة ، او ان يجلووا عن الاقليم . فامتنعوا

٥ - محمد بن ابي بكر
وحزب عثمان

واخذوا حذرهم ، غير انهم بعد موقعة صفين صدوا هجماته مرات عديدة وشجعهم
نجاحهم ، فثاروا بقيادة معاوية ابن حنيفة السكوني ليثأروا لدم عثمان .

ولقي منهم محمد اكثر مما يستطيع . فاضطر علي الى ان يقرر
ارسال مالك الأشتر بطل صفين الى مصر . وكان مالك في
ذلك الوقت مقيماً في نصيبين من الشام في حدود العراق .

٦ - الاشر بين مصر
فيسم

فذهب هو أيضاً الى مصر دون جيش ، وقتل مسموماً في قلزم . واعلن معاوية

من علی المنبر وفاته بلمجة الظفر، وكان هو الذي دبر سمه . وألح علي علي محمد فظلم في عمله الخطر مستاءً جداً .

هذا الخبر عن ابي مخنف الذي هو اساس ما يأخذ به التاريخ
تصحيح خبر ابي مخنف الاسلامي اليوم تصحيحه روايات اخرى اكثر دقة . فان
قيس بن سمد لم يكن اول ولاية علي علي مصر ، فقد خلف محمد بن ابي حذيفة (۴۷) .

وكان ابن ابي حذيفة قد بقي في مصر عندما سار العصاة
۱- خبر ابن ابي حذيفة منها علي عثمان الى المدينة ، وطرد ابن ابي سرح ، واستولى

علي ذلك المصر باسم علي (۴۸) . وهذا معاوية وعمرو ويدران في عام ۳۶ هـ تدراج
هذا الفتى الى المريش على حدود فلسطين . فهما لم يشاءا ان يوغلا في مصر الى
ابعد من هذا البلد (۴۹) ؛ لان اتباع عثمان لم يشتركا معهم . واحيط بابن ابي حذيفة
في المريش فاسر ، وقتل بعد ذلك . وايس هنالك اتفاق على تاريخ قتله وكيفيته .
ويقول المؤلف السوري الذي روي تولد كه عنه (۵۰) ان حذيفة ابن اخت معاوية
قتل بأمره عام ۹۶۹ لبناء المدائن اي بين عامي ۳۸-۳۹ للهجرة (۵۱) وهذا التاريخ
يؤيده ابن الكلبي (۵۲) ، غير انه يقول ان معاوية كان ينوي ترك محمد بنجو بنفسه
بعد ان هرب من السجن (۵۳) ، ولكن رجلا من ختمه ضرب عنقه دون علم

(۴۷) الواقدي في الطبري ۱/۳۲۵۲ وما بعدها ؛ ۳۴۰۷ . وفي البلاذري ۲۲۷ وما
بعدها . ويوافق الطبري ۱/۳۲۳ دون اسناد .

(۴۸) الطبري ۱/۲۹۶۸ .

(۴۹) بالرغم مما ذكر في الطبري ۳۴۰۷ ، ۱۷ .

(۵۰) DMZ., 1875, 89 .

(۵۱) وبسببه حذيفه مع انه يقول ان والده لا يسمى ابا حذيفة ، وبسببه ابن اخت معاوية
مع انه ليس ابن اخته في الحقيقة بل ابن اخت امه (ابن هشام ۱۶۵ ، ۲۰۸)

(۵۲) الطبري ۱/۳۴۰۸

(۵۳) انظر الطبري ۲/۲۱۰ والدينوري ۱۶۷ ، ۱۵ .

معاوية ، وذلك بعد ان داته عليه حُمُرٌ فاكتشفه في غار بحتوران . ويؤرخ
الواقدي مرة اخرى (٥٤) قتله في العام الذي سجن فيه ، اي سنة ٣٦ ، وامل هذا
التلويح منلوط .

وبعد ان اسرا ابن ابي حذيفة ، خلفه قيس بن سعد ، فلم يكن
بامكانه اذن ان يتخلى عن مصره في رمضان عام ٣٦ ويشترك
بوقعة صفين كما يدعي ابو مخنف . ويقول الزهري (٥٥) إنه
لم يقل من منصبه إلا بعد تلك الموقعة ، بل لم يذهب رأساً الى علي بالكوفة إلا
على مضض . فقد كان يريد أن يبقى في المدينة ، ولكن مروان بن الحكم وامويين
آخرين اخافوه ، فظهر الى علي ، وانزعج من ذلك معاوية انزعاجاً كبيراً .

٢ - قيس لم يشترك
بوقعة صفين

وكان خلفه المباشر الاشر ، ولم يرد محمد بن ابي بكر مصر
الا بعد ان سم الاشر عند دخوله إليها . ويذكر ابن الكلبي
خلافاً لهذا الخبر ان الاشر (٥٦) لم يوفد الى مصر الا بعد
مهلك محمد بن ابي بكر ، غير ان قوله خطأ محض مهما كان من امر .

٣ - خلف قيس
هو الاشر

وكرر معاوية وعمرو عام ٣٨ هجوماً على مصر بعد أن تخليا
عنه عام ٣٦ ، فجازاهذه المرة انتصاراً عظيماً على محمد بن
ابي بكر . وفي هذا أيضاً تتضارب الاخبار في الطبري :

هجوم معاوية على
محمد بن ابي بكر

فأبو مخنف يقول (٥٧) ان معاوية بعد اجتماع الحُكَماء وما كان
له من الامصر « تتحالف مع مسعدة ابن مخلد ومعاوية بن
حُديج الذين لحقا به . وكانا قبل ذلك لا يودان الاتصال به . وقدم عمرو بستة آلاف
رجل ، وكتب هو ومعاوية كتباً يهددان بها محمد بن ابي بكر ، ويدفئانه الى أن

رواية ابي مخنف في ذلك

(٥٤) الطبري ٣٢٣٣ ، ٧ : ٣٤٠٧ ، ١٥ .

(٥٥) الطبري ٣٢٤١ وما بعدها ؛ ٣٢٤٦ ؛ ٣٣٩١ وما بعدها .

(٥٦) . الطبري ٣٢٤٢ .

(٥٧) الطبري ٣٣٩٦ وما بعدها .

يترك ذلك الاقليم . وارسل محمد الكتب الى علي ، وطلب منه النجدة ، لكنه لم يفر منه بطائل ، بل تركه وما عنده ونادى محمد فاجتمع حوله الفا رجل ، أحسنها وأوثقها لديه كنانة الشجيري قاتل عثمان (٥٨) وكان علي قد شاد به (٥٩) . وبعد قتال ضار ، اضطر كنانة الى ان يستسلم امام تلك القوة الغالبة ، وتشقت الآخرون ، وهرب محمد بن ابي بكر وحيداً دون تبع معه فآوى الى خربة ، واكتشف أمره فيها ابن حديج ، واستخرج منها وقتل صبراً . وادخل بعد ذلك في جوف حمار واحرق فيه . ومنذ ذلك الحين لم تعد اخته عائشة تستطيع أن تأكل اللحم المشوي (٦٠) . وروي الواقدي (٦١) الحادثة بشكل آخر ، فيقول إن عمر أخرج

رواية الواقدي

في أربعة آلاف فيهم ابو الأعور ومعاوية بن حديج . فابن حديج اذن لم يكن آنذاك في مصر . واقتتلوا قريباً من المسناة (٦٢) فهرب كنانة ومحمد ، واختبئا عند جيلة بن مسروق ، فدُلَّ عليه معاوية بن حديج ، فأحاط به ، فخرج محمد ، فقاتل حتى قتل . وكانت المسناة في صفر سنة ٣٨ .

ونهاية أمر محمد أسرح في الشمر والخيال في ابي مخنف منها الروايات غير موثوق بها في الواقدي . وهي تشابه بعض المشابهة مصير محمد الآخر (اي ابن ابي حذيفة) الذي يقول المقرئ (٦٣) انه قتل كالجار ، ويقول الكافي إن الجرح لها شأن في قتله . ولنا في حاجة الى أن نتفصل في الأمر ، فنحن نستطيع ان نرى مرة اخرى كم الروايات عن هذه الحقبة غير موثوق بها .

(٥٨) ولنا ان تقارن بهذا نقده في سيف .

(٥٩) الطبري ٣٤٠٢ ، ١١ .

(٦٠) انظر الطبري ٣٦٨/٣ .

(٦١) الطبري ٣٤٠٦ وما بعدها .

(٦٢) يسمي المسعودي ٤٢٢/٤ المكان كم شريك . وهذا التباس . انظر ياقوت ٤٣٣٠

(٦٣) Vlolen, Recherches, p.58 (in Verhandl .der Amster-

dam. Akademie, 1894, Letterkunde 1,3) .

٤ . - آخر امر علي

لم بتحسن موقف علي منذ حرب صفين : ففي المراق كانت
موقف علي في الكوفة مقاومة الخوارج له لشدت . وكان البصريون غير متحمسين ،
اللهم إلا عدداً قليلاً منهم كأبي الأسود الدؤلي . ولاربب ان اهل الكوفة وقفوا
الى جانبه بماطفتهم دون قوتهم جميعها . وكان بينهم كثير من المهاجرين او من
اتباع عثمان ، وانتقل قسم من هؤلاء الى معاوية .

وكان لضعف موقف علي في مقره نفسه أثره الطبيعي في
تطور الحوادث . فمنذ عام ٣٧ اي قبل عصيان الخريت احتفظ
عرب البحرين بالضرائب لانفسهم ، وارتد كثير منهم الى
النصرانية . وكانت الامصار الايرانية مستاءة ومتراخية في تأييدها (٦٤) . ومما
يدعو الى العجب انهم لم يسموا الى اسقاط النير الاجنبي عنهم وطرد الحامية العربية
بكاملها . وكان أصلح رجال علي بعد وفاة الاشر قيس بن سعد وزيايد ابن ابيه .
أما ابن عباس الذي عهد إليه بالبصرة ، فقد دل على أنه لانفع يرجى منه ، ولا
يجوز الثقة به .

وشعر علي بحق أن أكبر خسارة مني بها هي وقوع مصري
معاوية طليق اليدين قبضة عمرو . فقد حول ذلك معاوية ان يبقى طليق اليدين ،
مبحث لم يلبث أن أمن جانب الروم بمقده هدنة مع قسطنطين ، ثمها تأدية جمل سنوي .
ولان ذكر الروايات العربية ذلك إلا عرضاً (٦٥) . على أن نيو فان يعلمنا ان ذلك

(٦٤) خراسان : فتوح البلدان ٤٠٨ وما بعدها : الطبري ١/٣٢٤٩ وما بعدها :
٣٢٨٩ وما بعدها : اذريجان والري : ٣٢٥٤ . فارس ٣٢٤٥ : ٣٣٩٣ : ٣٤٢٩ :
٣٤٤٩ : الاهواز : ٣٤٢٩ .

(٦٥) فتوح البلدان ١٠١٥٩ : ١٦٠ : ٨ . DMZ., 1875, 96 . وانظر الحكاية في
الطبري ٢/٢١١ : دينوري ١٦٨ وذكر في المسعودي ٥/٢٢٤ عن عبد الملك .

حدث عام ٦١٥٠ (اي عام ٩٦٩ لبناء المدائن وعام ٣٨/٣٩ للهجرة) (٦٦) .
ولم يخاطر معاوية بهجوم منظم على علي . بل اكتفى
بعوث معاوية الى المراق بانها كه هنا وهناك . ففي عام ٣٨ أرسل ابن الحضرمي الى
البصرة ليدفع بني تميم الى العصيان . ولكن زياد ابن أبيه - وكان مستخلفاً عن
ابن عباس فيها - طلب من الازد أن يحموه ويمنعوه ، فالتحموا النار ، وقتلوا
ابن الحضرمي بعد أن تخلى عنه أكثر بني تميم . هذه هي رواية المدائني (٦٧) . وهو
يذكر أيضاً (٦٨) عن عوانة بعض البعوث من اهل الشام على اهل المراق في عام
٣٩ ، لاسيما بعوث النعمان بن بشير الى عين التمر ، وسفيان بن عوف الى الهيت
والانبار ، وعبد الله بن مسعدة الفزاري الى تبراء ، والضحاك بن قيس الى
القنطرة طائفة (٦٩) . والظاهر أنها مجرد طلائع ، كان اهل الشام يهربون فيها بغنائمهم ،
فيذبهم خصومهم ، ويدرك الكوفيون احدى البعوث مرة .

وفي الاغانى (٧٠) واليعقوبي (٧١) تعتبر بعثة يسر بن أبي اوطاة
بعثة يسر بن أبي اوطاة المشهورة للحجاز واليمن من هذه الطلائع . ويؤرخها البكائي
أيضاً (٧٣) نقلاً عن عوانة في آخر عهد علي ذاكراً أن جارية بن قدامة سمع به مثل

(٦٦) استخدمت لتوافق سني بناء المدائن مع تاريخ الخليفة

Göttinger Nachrichten, 1901, 414 ff .

(٦٧) الطبري ٣٤١٤/١ وما بعدها .

(٦٨) الطبري ٣٤٤٤ وما بعدها .

(٦٩) انظر اليعقوبي ٢/٢٢٨ ، ٦ ، ٣٠٢٢٩ ؛ ٣٣٠ ، ٩ الاغانى ١٥/٤٥ وما بعدها .

ويقول ابو معشر والواقدي (في الطبري ١/٣٤٤٧) ان معاوية نفسه خرج في عام ٣٩ لكنه
سار حتى الدجلة ثم عاد .

(٧٠) ٤٥/١٥ وما بعدها .

(٧١) ٢/٢٣١ .

(٧٣) الطبري ١/٣٤٥٠ .

علي وهو سائر الى حرب ابن ابي أرطاة . ويقول الواقدي (٧٤) ان هذه البيعة لم تحدث إلا عام ٤٣ بعد وفاة علي .

وينقل البكائي (٧٥) عن ابن اسحاق (٧٦) رواية عن مهادنة معاوية يدعو بالخلافة
جرت بين علي ومعاوية في عام ٤٠ إثر مكاتبات طويلة . لكن
هذه المهادنة لم تدم طويلاً ، ذلك ان معاوية تسمى بالخلافة
في القدس في اول عام ٤٠ . وعقد البيعة لنفسه عند أهل الشام . وكان في ذلك
تحد لملي رد عليه باعداد حملة كبيرة على أهل الشام . وأوقف القيام بها مقتله .
ويؤيد المؤلف السوري الذي يورده نولدي مبايعة معاوية في القدس . وهو يروي
بالتتابع روايتين مختلفتين للحادث نفسه فيقول في إحداها : « اجتمع في عام ٩٧١
ابناء المدائن كثير من العرب في القدس ، ونصبوا معاوية ملكاً عليهم ، فصعد الى
الجلجلة . وقدم فيها وصلي ، ثم تقدم الى الجسمانية ، ثم انحدروا الى ابراهيمية مريم
حيث صلى أيضاً ، ويقول في الثانية : « وفي شهر تموز من عام ٩٧١ ، اجتمع
الامراء وكثير من العرب ، فبايعوا معاوية ، وصدر الأمر بأن يذاع في كل جزء
من اقسام بلاده انه قد أعلن ملكاً (٧٧) . ولم يحمل تاجاً كما يفعل ملوك العالم في
عصره ، غير انه أقام عرشه في دمشق ، ولم يشأ ان يقيم في مدينة الرسول ، .
وببدأ شهر تموز ٩٧١ لبناء المدائن (٦٦٠ ميلادي) في ١٦ صفر عام ٤٠ للهجرة .
وعن المسروقي أيضاً (٧٨) ان اهل الشام بايعوا معاوية في ايلياء (القدس) عام ٤٠ .
ومن الخطأ ان يقال ان ذلك لم يحدث إلا بعد وفاة علي . هذا ومن المدهش أن

(٧٤) الطبري ٢/٢٢ .

(٧٥) الطبري ١/٣٤٥٣ .

(٧٦) هكذا يجب ان تقرأ بدلا من ابي اسحاق ، لان البكائي في السيرة هو وسط
بين ابن هشام وابن اسحاق .

(٧٧) الكلمة التي لم يفهما نولدي هي (اعلن) اشتقت من السريانية « qualles »

(٧٨) الطبري ٢/٤ وما بعدها وانظر ١/٣٤٥٦ .

معاوية انتظر طوال هذه المدة قبل ان يدعي الخلافة. ويقول في صلة ايزيدور (٧٩) انه بقي خمس سنوات civiliter، اي Civis مواطناً من عام ٣٦ الى ٤٠، ثم عشرين سنة بعد ذلك ملكاً .

ويقول المؤلف السوري ان علياً نوى قبل وفاته السير الى معاوية ككرة اخرى . وهذا الخبر ورد في سنة مغلوطه (٩٦٩ بدلا من ٩٧١ او ٩٧٢ لبناء المدائن) ، ولكنه صحيح بنفسه . ويقول اليعقوبي (٨٠) الشيء ذاته . ويتفق الرواة على ان علياً كان تحت تصرفه حين وفاته جيش من اربعين الف رجل ، كانوا متحمسين للسير الى الشام . فمن غيره أعد هذا الجيش ، ولاية غاية بعد اذ لم يكن ضد السوريين ؟

علي بنوي السير
الى الشام

وحدث مقتل علي يوم الجمعة في ١٥ رمضان سنة ٤٠ في جامع الكوفة (٨١) . وتوفي يوم الاحد التالي في ٢٤ كانون الثاني سنة ٦٦١ . وهذه التواريخ التي اوردها الواقدي (٨١ب) يؤيدها ضبطها وتحديد لها لا أيام الاسبوع . اما ما يخالفها فردود . وكان القاتل خارجياً ، وهو عبد الرحمن بن ملجهم المرادي ، او بصورة ادق التجوبي (٨٢) . ويدعوه الخوارزمي مفتخرين (٨٣) : واخا مراد . ورواية احد افراد قبيلته ، وهو ابن ميثاس (٨٤) ، تدل على ان امرأة اسمها قطام قد حرضته على القتل . واشترطت لتكون زوجته ان يأخذ بثأر النروان من علي .

. Byz Arab., par. 25, ed. Mommsen (٧٩)

. ٢٠ . ٢٣٨ : ١٥ . ٢٣٤ / ٢ (٨٠)

(٨١) الكامل للبرد ٩ . ٥٥٣

(٨١ب) الطبري ١ / ٣٤٦٩ : ١٨ / ٢ .

(٨٢) الكامل للبرد ١٧ . ٥٥٣

(٨٣) الطبري ١٨ / ٢ .

(٨٤) الطبري ١ / ٣٤٦٦ .

وهي رواية تنفي الخبر الذي وضع بغية التسوية والانسجام
والذي يجعل ابن ملجم واحداً من خوارج اقساموا في مكة
ان ينقذوا الامة في يوم واحد من الطغاة الثلاثة : علي و معاوية
وعمر و ؛ فقسّم شخصي كهذا ، بتخذه افراد ثلاثة يذبو عن عادات قدماء الخوارج
كما اشار ابن الاثير (۸۵) . ولم يجد تلميح ابي الاسود بأن معاوية استأجر القاتل اقل
توثيق له حتى بين اعداء معاوية ؛ مع ان قتل علي كان دون ريب في صالح معاوية ،
اذ به وحده يفوز بالملك . وفي الطبري (۸۶) ان الحسن بن علي لام اهل الكوفة على قتلهم
والده . وقال الخليفة المنصور شيئاً مما لا (۸۶ب) . وبدل ذلك على ان ابن ملجم وقطاماً
كانا في مقرها بالكوفة (۸۷) لا في مكة .

لاصحة لاتفاق
الخوارج الثلاثة

۵ . — الصلح بين معاوية والحسن

واصبح معاوية الآن مهاجماً (۸۸) . وتقدم الى العراق على
الطريق المألوف للجيش بالجزيرة ، وأقام معسكره
قريباً من متسكين على الدجلة في حدود الموصل من السواد .
ولكنه لم يصل الى هناك الا بعد مقتل علي بأمد ما .

معاوية يهاجم العراق
قبل مقتل علي

وفي اثناء ذلك حدثت حوادث اضطراب ضد الحسن بن علي
الذي خلف والده . ولم يكن الحسن يرغب في الحرب ، وان
كان من دوائه اربعون الف رجل متحمسون للقتال . وابتهرز الفرصة بعد ستة

الصلح

(۸۵) ينبغي الا تنكر ان معاوية وعمرأ تمرضا لا ضرار من الخوارج . غير ان المزج
بينها تسفي ، فكأنما عملت بالاتفاق في زمن معين .

(۸۶) الطبري ۳/۲ .

(۸۶ب) الطبري ۳/۳ .

(۸۷) انظر الطبري ۱/۳۴۵۶ وما بعدها ؛ ۳۴۶۵ وما بعدها ؛ اليعقوبي ۲/۲۵۱

وما بعدها ؛ الكامل للبرد ۵۴۶ وما بعدها ؛ ۵۸۳ .

(۸۸) اليعقوبي ۲/۲۵۵ .

أشهر فيتنازل عن الخلافة ، ويصالح معاوية . وتلك خلاصة عامة للحوادث صحيحة .
أما مجرى الأمور بالضبط بعد مقتل علي ، فقد روي بصورة مضطربة فيها خال .

وفيما يلي رواية الزهري عن ذلك : عهد علي الى قيس بن سعد

رواية الزهري
عن الصلح

برئاسة الجيش ، ووعدته بأن يكافئه بأذربيجان بخام منها
الاشعث . وقام قيس بالحملة متحمساً . غير ان الحسن كان

يبغي الحصول على خير الشروط من معاوية ، فخلع قيساً لمعارضته له في ذلك ؛ وعين
عبد الله بن عباس مكانه (۸۹) . وكان الحسن قد أثار الشك في نفوس اهل الكوفة

بسلكه القريب عند البيعة ، فقررُوا أنه ليس صاحبهم . اما هو ، فما عم ان حصل
على دليل عن مشاعرهم نحوه ، وذلك أنه اتى عليه بمول في ظرف لم يوضح امره ،

فشرع في مفاوضة معاوية ؛ وتنازل عن سلطانه مقابل قدر عظيم من المال ، واسف
بمد ذلك من انه لم يطلب ضعف ذلك المبلغ (۹۰) وكان ابن عباس قد فاض معاوية

قبله ، وترك الجيش في حالة من العسر والضيق . وانتخب الجيش قيساً قائداً له ، مهمته
ان يقوم بالحرب حتى يحصل على الضمان لاتباع علي بالعمق والامان على أموالهم

وارواحهم . وهذا ما أدركه بيسر من معاوية الذي كان يرى في جلبه الى طرفه
نصراً عظيماً . غير ان قيساً لم يأخذ المال الذي عرض عليه ، ولم يفاوض اشيء

يصل الى يده .

وللبكائي عن عوانه (۹۰) رواية اخرى (۹۱) . وهي ان قيساً لم تكن

رواية عوانه

له القيادة على الجيش بأسره ، بل على الشرطة وحدها . وتقدر

بأثني عشر الف رجل . واحتفظ بهذه القيادة حتى بعد وفاة علي . وتقدم الحسن
نفسه بقوانه الرئيسية الى المدائن ، وارسل الى قيس وشرطته ايلقوا معاوية في

(۸۹) الطبري ۱/۲ وانظر ۱/۳۳۹۲ .

(۹۰) الطبري ۲/۵۵ .

(۹۰ب) وبداية رواية عوانه مخدوفة عوضت برواية اخرى قيل انها مواقفة لرواية عوانه .

(۹۱) الطبري ۲/۲-۲ .

مسكن . وارتفع صوت في معسكر المدائن فجأة يقول : ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن . والتجأ الحسن الى المقصورة البيضاء . ومن هناك شرع في المفاوضة مع معاوية غير مبال باحتجاج اخيه الحسين . وادرك من معاوية ماطلبه ، أي ماني بيت مال الكوفة ودخل دارا بمجرد عن سنة والوعد بالألا يلعن ابوه علي من على المنبر بحضوره (٩٢) .

ويورد اليعقوبي (٩٣) أيضاً رواية اخرى . وفيها انه روجه
رواية اليعقوبي وسواء
بعبيد الله بن عباس في اثني عشر ألفاً لقتال معاوية ، ومعه قيس
ابن سعد بن عبادة الانصاري ، وامر عبيد الله ان يعمل بامر قيس بن سعد ورأيه
وحاول معاوية عبثاً ان يرشو قيساً ، فما افلح إلا برشوة عبيد الله بالف الف درهم .
وصار عبيد الله اليه في ثمانية آلاف من اصحابه . وكان الحسن مع قواته الرئيسية
في المدائن ، فارسل معاوية المغيرة ووسطاء آخرين اليه فخرجوا من عنده وهم
يقولون ويسمعون الناس انه اجاب الى الصلح . . . فوثب المعسكر بالحسنة ،
فانتهبوا مضاربه وما فيها ، فركب الحسن فرساً له ، ومضى به في مظالم ساباط ، وقد
كمن له الجراح بن سنان الاسدي فجرحه بعمول في فخذه . . . وحمل الحسن الى
المدائن ، وقد نزع نزواً شديداً ، واشتدت به العلة ، فافترق عنه الناس . وقدم
معاوية المراق . ولم يبق أمام الحسن إلا ان يتنازل عن الخلافة . ورواية الدينوري
شبيهة بهذه مع اختلاف يسير (٩٤) . وهي تقول إن اهل اليمن وربيع الكوفة اتقدوا
الحسن في ساباط من يد مضر الكوفة .

(٩٢) وفي بعض المواضع من الطبري توجد تبديلات في الروايتين . ففي ٨/١ وما بعدها
و ٧ ، ١٥ قيل ان الازيمين الف رجل لا يكونون الشرطة بل الجيش بكامله . ويقول الزهري
ان لقيس وابن عباس معاً الامرة على كل الجيش .
(٩٣) ٢٥٤/٢ وما بعدها .
(٩٤) ٢٣٠ وما بعدها .

وزبدة القول أن عوانه واليعقوبي يتفقان مخالفين المزهري ؛

اختلاف الروايات

وفكرة الزهري غير واضحة . وهناك بضع اختلافات في

الرواية لا يمكن تفسيرها . فالقول مثلاً لاعلاقة له حيناً بنهب السراق في الزمن

والمكان ، وحيناً يتصل به . وللنزعات اثر في بعض الاختلافات الاخرى . وبمحاو

اليعقوبي والدينوري اظهر ان الحسن معذور في موقفه مع الكوفيين (٩٥) . اما

الزهري فيظهره في اسوء صورة .

على ان اكبر خلاف سببته النزعات هو ماورد بصدد ملوك

الاختلاف بشأن

عبد الله بن العباس جد ملوك بني العباس . ففي عصر السيادة

عبد الله

العباسية كان خطيراً ذكر الحقيقة عن هذا الرجل المقدس .

وايس من طريقة تتبع الا السكوت عن الدور الذي لعبه او ابعاده تماماً عن

الأمر (٩٦) ويقول الزهري - وهو من قداماء المحدثين وتوفي قبل العصر العباسي-

(٩٥) الدينوري ٢٤٢ . ١٥ .

(٩٦) ويقول سيف (Skizzen,6,144) ان مستشار علي في المدينة كان منذ ذلك

الوقت عبد الله بن عباس ؛ وكان له ناصحاً ابداً ، لكن نصحه لم يكن دوماً يتبع . ثم اصبح

امير البصرة ، فكان يعد علياً منها (الطبري ١/٣٢٥٦ ، ٣٣٧٠) . ويقول ابو مخنف انه

برز في صفين ، وكان برأس الجناح الايسر لجيش العراق (٣٢٨٥ ، ٣٢٨٩) . و اراد علي

ان ينتدبه للتحكيم (٣٢٣٣) لكنه عورض في ذلك ، فأرسله الى دومة الجندل ، وكان يكاتبه

اليها دون غيره (٣٣٥٤) ويتجاهل ابا موسى الاشعري . علي ان ابا معشر (٣٢٧٣ ، ١٦)

واليعقوبي (٢/٢٥٤ ، ٣) يقولان ان ابن عباس قاد الحج عام ٣٦ (وعام ٣٥ ايضاً) فلا يكون

قد اشترك في معركة صفين حتماً . ولا يلائم ذلك المدائني فيؤكد قلا عن ابي معشر (٣٤٤٨) ان

« عبد الله لم يتهدد الموسم في عمل حتى قتل علي » . وفي عام ٣٨ شخص ابن عباس من البصرة الى علي

في الكوفة ليواسيه بحضوره علي ضياع مصر . حتى اذا ارغمت اضطرابات فارس عاد الى البصرة

فارسل زياداً الى فارس ، وهذا ما يقواه المدائني في الطبري ١/٣٤١٤ ؛ ٣٤٣٠ ؛ ٣٤٤٣ .

اما رواية ابي مخنف في الطبري ٣٤١٢ ؛ ٣٤٤٩ فتختلف عن ذلك ، اذ يقول ان عبد الله

ارسل من البصرة كتاباً الى علي بواسيه فيه وانه ليس هو الذي ارسل زياداً الى فارس بل علي . وابن

عباس يعود الى الميدان عندما اراد معاوية ان يجبر زعماء الاستقراطية في المدينة على مبايعة ابنه =

ان عبد الله بن عباس ارتاب بنية الحسن وأنه يود الصلح فسبقه ، وضمن انفسه المال الذي كان وضع بده عليه . ثم ترك الجيش العراقي في الضيق والعسر ، وانطلق بالسر مخفوراً الى مدسكر اهل الشام . ولا يقول عوانه شيئاً بهذا الصدد . ويجعل اليعقوبي عبيد الله بن العباس مكان عبد الله اخيه الاكبر .

و يبدو المدائني مطلعاً على خلاف المحدثين حول من انتقل الى عبد الله ام عبيد الله معاوية في عهد الحسن ، اهو عبد الله ام عبيد الله (٩٧) . فليست القضية مجرد اختلاف في النسخ (٩٨) و مجرد تصحيف . فهو يرى انه عبيد الله ، كما يرى ذلك عمر بن شبة (٩٩) والبلاذري (١٠٠) .

وبعد فعبيد الله كان عاملاً على اليمن ، حين توجه بسر بن ابي اوطاة بحملته اليها ، ويقع في قبضة بسر ابنا عبيد الله ، فيذبحان وتفقد امها عقلها من جراء ذلك . ويقول الواقدي ان هذه الحملة جرت عام ٤٢ . وكان عبيد الله لا يزال في اليمن انذاك يحارب معاوية . وعلى ذلك فلا يمكن ان يكون قد استسلم له قبل ذلك بسنة او سنتين . ولا ريب ان الواقدي لا يمكن في اي حال من الاحوال ان يكون وجد خبراً يفيد استسلامه لمعاوية . ويدعي عوانه ان الحملة جرت في النصف الثاني من عام ٤٠ ، غير انه مما يبعد عن

عبيد الله يقاتل في اليمن بسراً

— يزيد . فيقول المدائني (الطبري ١٧٥/٢) ان خمسة ائاس رفضوا البيعة وبينهم عبد الله بن عباس لكن البطولة في هذه المارضة للطاغية لم تنتج شيئاً . ولا بد ان عبد الله اصابه شعور بالمرارة من تجاهل معاوية ويزيد له تجاهلاً تاماً . ويبدو معظم الاخباريين في هذه المناسبة متجاهلين لشأنه ايضاً .

(٩٧) الطبري ٣٤٥٦/١ وانظر ٣٤٥٣ .

(٩٨) وهذا رأي دي غويه 393, DMZ., 1884, de Goeje , الذي تبناً للمعارضين

يميل الى قراءة عبد الله بدلا من عبدالله في الطبري ٣/٢ ، ٧٠ ، ١١ . انظر :

.Van Vloten, Opkomst der Abbasiden, 12, n.1.

(٩٩) ٣٤٥٣/١ وما بعدها .

(١٠٠) DMZ., 1884, 392 f.

التصديق أن يكون عبيد الله مستهجلاً بالتفاهم مع قاتل ولديه .

وعلاوة على ذلك ، فإنه أسهل عندنا أن نجد سبباً يجعل عبيد
 الله يُستبدل بعبد الله من أن نجد سبباً للحالة الماكسة .
 ولم يكن مؤسس دولة بني العباس الذي عاش المدائني في ظلها ،
 واخلص لها أن يعرض أسوء القول عنه من أنه كان أول من تعاقد مع الامويين
 الفاسقين . أما اخوه عبيد الله فجائز ان يضحى به من اجله .

الافق عند بني العباس
 ان يكون عبيد الله

اضف الى ذلك انه ولو كان الأمر على ما وصف ، فليس عبد الله
 يبرأ باستبدال اخيه به الا تبرئة جزئية . فالسال الذي وضع
 يده عليه كما يقول الزهري ، والذي تركه له معاوية هو مال
 مأخوذ من بيت مال البصرة ، شأنه في ذلك شأن الملايين الخمسة من الدراهم التي
 منحت للحسن ، والتي هي ما يحويه بيت مال الكوفة . ويؤيد ذلك ابو عبيدة (١٠١)
 فهو يوافق الزهري على أن عبد الله سار بعد وفاة علي من البصرة الى حيث الحسن ،
 واخذ معه مالا من بيت المال . وقد صبغ عنقه بحيث بان ان المال ليس اكثر من
 حقه في اوزاقه .

ما هو وجه اخذ عبد الله
 مال البصرة

غير انه من المدهش ان المدائني وعمر بن شبه والبلاذري
 لا ينكرون ان عبس الله نجما بيت مال البصرة . على انهم
 يذكرون انه فعل ذلك في عهد علي بعبد مركة النهر وان (١٠٢)
 وانه ليس لذلك علاقة باستسلامه لمعاوية (١٠٣) . فيكون قد
 أخذ بيت المال مرتين من قبل ولدين من ذرية العباس يتشابه اسمها ، ويهجران في
 ازمان متقاربة عملها دون اكتراث ، فيفقدان على نفسيهما من المال الشيء الكثير .

مؤرخون يدعون
 ان مال البصرة
 اخذ في عهد علي

(١٠١) الطبري ١/٣٤٥٦ .

(١٠٢) DMZ., 1884,392 .

(١٠٣) ووضع اليد على بيت المال لم يكن معتبراً امراً سيئاً جداً . فقد كانت العادة

(الطبري ٢/٧٥٢ : ٨٧٢) غير ان التصالح مع معاوية امر لا يفتخر .

على انه من المرجح ان ذلك حدث مرة واحدة . فالزهري
 مصيب حين يقول ان عبد الله لا عبيد الله هو صاحب الحسن،
 كما كان صاحب علي قبله، وانه باع نفسه لعاوية قبل الحسن (۱۰۴)
 بل انما نجده في المدائني مع علي في عام ۳۹، ونجده بعد اعلان الصلح في حاشية معاوية (۱۰۵).
 ونمت الجماعة على يد معاوية وهي اتحاد امة محمد [عليه السلام]
 في مدة خلافة واحدة، وذلك في النصف الاول من عام ۴
 وصيف عام ۶۶۱ ميلادي . وتختلف الاخبار عن التاريخ
 المضبوط . فيقول الياس النصيبيني ان الحسن تنازل لعاوية يوم الاثنين ۲۱ ربيع
 الاول سنة ۵۴۱، اي الثلاثاء في ۲۶ تموز سنة ۶۶۱م (۱۰۶). ويقول الواقدي (۱۰۷)
 ان معاوية سار الى الكوفة في ربيع الثاني سنة ۴ (آب سنة ۶۶۱) وتذكر رواية
 مجرولة (۱۰۸) ان الصالح عقد في ربيع الثاني، غير ان معاوية لم يدخل الكوفة الا في
 اوائل جمادى الاولى . ويروي المدائني ان دخوله كان إما في ۲۵ ربيع الاول او
 في ۲۵ جمادى الاولى (۱۰۹). بيد أنه كان لا يزال بالكوفة في رجب، فقد راسل
 منها بسراً الى البصرة، وبسر اتى الى البصرة في رجب، وبقي فيها ستة اشهر (۱۱۰)
 وعين معاوية المغيرة بن شعبة عاملاً له على الكوفة في جمادى الاولى عام ۴ (۱۱۱).

المرجع عبد الله
 لا عبيد الله

عام الجماعة

والاخلاف في تاريخه

(۱۰۴) ان ولها وزن يهول امر اتحاق معاوية مع الحسن وابن عباس على اخلاء ما في بيت
 المال لها، فن المعروف ان بيت المال يوزع بين اصحاب الحقوق، ومنهم الخليفة والامير
 واتباعها . فما ادري ولها وزن ان الباقي في بيت المال انذاك لم يكن حصة الحسن واتباعه
 وحصة ابن عباس واتباعه بحيث كان من حقهما الاحتفاظ به والا وقفا في عجز مالي ليس من
 واجبهما ان يتعرضا له .

(المعرب)

(۱۰۵) الطبري ۱۱/۲

(۱۰۶) ويخالف ذلك اليعقوبي وحده ۲۵۶/۲ .

(۱۰۷) الطبري ۹/۲

(۱۰۸) الطبري ۹/۲

(۱۰۹) الطبري ۷/۲

(۱۱۰) الطبري ۱۲/۲

(۱۱۱) الطبري ۱۱۱/۲ ؛ ۱۱۴ .

الفصل الثالث

الصفبانيون والحرب الأهلية الثانية

١ - حكم معاوية

حارب معاوية الروم طوال حكمه في البر والبحر بحماسة
ترك معاوية امر العراق ومواظبة تفوق كل من خلفه . وامتدت يده مرتين الى
عاصمة المدون نفسه (١) . هذا وقد ترك مهمة تثبيت سلطانه في
الى الولاية

العراق الى عماله في الكوفة والبصرة . والاخبار التي انتهت اليها توجه نظرنا الى
المغيرة وزباد ، فتذكرها اكثر من معاوية نفسه ، شأنها في ذلك شأن الاخبار
الاخرى التي تجعل حوادث عبد الملك - صنو معاوية - على هامش حوادث الحجاج .

وهؤلاء العمال الثلاثة هم جميعهم ثقفيون من الطائف ، تلك
مكانة بني ثقف
البلدة العالية ذات الموقع الجميل التي كانت شقيقة مكة : ظهر
شأنها في الاسلام الى جانب مكة والمدينة ، واحتلت مكة متميزة لدى القبائل ،
كما يظهر من حرب الردة عام ١١ . وبمختلف الثقفيون عن الانصار بأنهم كانت لهم
مخالفات متينة وقديمة مع الحكام من قريش ، لاسباب الامويين منهم الذين كانوا
على صلاة وثيقة بالطائف حيث يمتلكون الاراضي والمزارع . وكان الثقفيون

(١) انظر عن ذلك Göttinger Nachrichten, 1901, 414 ff حيث جمعت اخبار

حملات الامويين على الروم .

مشهورين بدهانهم (٢) . واحتفظوا بتلك الشهرة، حتى اذا كان حكم بني امية قدموا طائفة رائمة من الرجال النابغين . وينتمي اليهم المختار ومحمد بن القاسم مع غيرها من الرجال البارزين المديدين .

اما المغيرة بن شعبة الذي اقامه معاوية على الكوفة عام ٤١ع (٣) وصف المغيرة
فقد كان قضي قبل ذلك حياة هائجة ماثجة . وتعطي الاخبار بصدده صورة حية لرجل تغريه الحياة ولا رادع برده . وكان طوالاً قوي البنية اعور، فاقد الثنية ، ضخم الهامة ، افلص الشفتين ، اصهب الشعر جداً، إلا أنه خضبه بالسواد بعد ذلك، وكان يفرقه فروقاً اربعة (٤) .

ونفي قبل العام الثامن للهجرة الى المدينة بسبب قتله صديقه
المغيرة في عهد الرسول وهو نائم قتلاً دنساً . واسدل في الاسلام الستار على ماضيه وفتح له ولا مثاله سبيل العمل . واخرجت الظروف منه رجلاً جديداً . واحتفظ بصفاته القديمة النافعة . وتقرب من الرسول [عليه السلام] الذي كان قادراً على ان يحسن استخدامه . وفي العام التاسع عهد اليه بأن يهدم المعبد الوثني في مسقط رأسه ، فقام بذلك ، ونقل الذخائر القيمة التي تحويها خزانة المعبد . وكان يعرف محل الخزانة بالضبط ، اذ كان ينتمي الى اسرة اقوام على ذلك المعبد . وعند

(٢) وعندما حاصر محمد [عليه السلام] الطائف عام ٨ للهجرة التحق عبيدة الفراري بحيشه أملاً في ان ينضم اسيراً لامرأته يكون له منها ولد داهية ، لانه هو لا يمكن ان يلد منه دهاة . يقول العرب : ان هذا الخبر الذي اوردته ولها وزن مخالف للحقيقة . ويبدو انه اخطأ فهم العبارة التي وردت في سيرة ابن هشام (غزوة الطائف ٢/٢١٦ طبعة مصر سنة ١٣٤٦) فميينه يقول : « اني والله ما جئت لاقا تل تقيفاً معكم ولكني اردت ان يفتح محمد الطائف فاصيب من تقيف جازية اطأها لملها تلد لي رجلاً فان تقيفاً قوم منا كبير « وشتان بين هذا وبين ما ذكره ولها وزن . (٣) الطبري ١١/٢ وما بعدها : ١١١ : ١١٤ .

(٤) سقط في طبعة بولاق من كتاب الاغاني اول ترجمته لكن ما سقط موجود في نسخة

مونيخ ومنها نشرته في DMZ., 1896 .

دفن الرسول [عليه السلام] رمى بخنجره في القبر قبل ان يغلق بقليل ، او كما قال حتى يكون له حق الادعاء بأنه آخر الناس عهداً بالرسول المقدس [عليه السلام] ومنذ ذلك الوقت ثابر على الجري وراء السلطة دون خجل.

وسمى لان يظهر بمظهر المنتهي الى الارستقراطية الحاكمة في
الاسلام . وكان يحشر نفسه في الامور الخطيرة دون ان
تدخله في الشؤون
دون دعوة

يدعى الى ذلك ، كما فعل في شوري عمر وجمع الحكيم في دومة الجندل . وبالرغم من أنه كان يستبعد ، فقد كان يعود دوماً في المرة التالية هادئاً . وقد عرف بجرأته وتقاه كيف يتبجح بالاسلام امام اوائك الرجال المظلم من الفرس . والدور الذي كان يؤثره ، لانه . الاثم له هو دور الرسول والوسيط . وكانت معرفته باللغة الفارسية تحمله المجل الاوفي (٥) في ذلك .

وبلغ قبل كل شيء العمل الذي كان يصبو اليه في البصرة ، فقد كان وردها مع اول عامل عليها ، وهو عتبة بن غزوان المزوج من الطائف ، وخلفه بعد وفاته . ويقال انه هو الذي

اقامته الديوان
بالبصرة

اقام الديوان بالبصرة ، فكان ديوانه مثالاً أخذت منه الدواوين الاخرى . ويقال ايضاً انه هو الذي قتل فيلكان إزقباد (٦) ، وانه فتح ميسان بل الاهواز .

غير أن شغفه الذي لاحدله بالنساء ادى به الى السقوط .

شغفه بالنساء
وبروزه في نهاوند

فقد عزل لارتكابها الفاحشة عام ١٧ ، ولو أن الحكم بمقابله تحول الى رواية مسرحية تدخل عمر فيها . وكان عمر شديداً

فيما سوى ذلك . ومع هذا فان نجمه لم يابل ، بل برز في نهاوند . وورد الكوفة بعد ذلك مباشرة في عام ٢١ خلفاً لعمار بن ياسر . وفي ولايته هذه ، فتح أهل

(٥) الطبري ١/٢٥٦٠ .

(٦) Marquart. Eranschahr, 41 يرى ان هذا هو اللفظ الصحيح لابرقباد

أو ايزقباد .

الكوفة الميدا وادريجان . هذا ومولاه ابو لؤلؤة الذي ارسله الى المدينة ليعمل
نجاراً حداداً هو الذي قتل الخليفة عمر .

وفي عهد الخليفة عثمان ، اصبح المغيرة على الهامش ، فهو لا ينتمي
نصيحته لملي
الى الامويين الذين اصبح في ايديهم كل الاعمال ، ولا الى
الصحابة المقربين الذين وقفوا مناهضين . ولم يشترك بالثورة على عثمان ؛ غير انه
برز مرة اخري بسبب تلك الثورة ، اذ يقال انه هو الذي نصح علياً بأن يعترف
بمعاوية عاملاً على الشام ، حتى اذا لم يقبل بنصيحته ، تركه والتحق بمعاوية .

وجعل لنفسه باسم معاوية مهمة امارة الحج في عام اربعين .
استخدام معاوية له
وكان معاوية يدرك قيمة امثال هذا الصاحب ، فما عم بعد
استيلائه على المراق ان منحه ولاية الكوفة التي كانت له في السابق .

ها هو ذا الآن ، وقد تقدم به العمر بعد ماض مضطرب ، يبلغ
الشأو الذي كان ينبغي ان يظل فيه . وكان يسمى في ولايته
موقفه من السلطان
والشئ
ألا يمس كرامة من هو اعلى منه او ادنى . وموقفه من معاوية
موقف الحذر على قدر سوي مع موقفه من تأرجح الأحزاب الكوفية . ولم يكن
يخفي ذلك (٧) . هذا ما وصفه به ابو مخنف في اخباره عن المستورد وحجر بن عدي .
وهو وصف صحيح لا غبار عليه (٨) . ومحور سياسته الاحتفاظ بولايته ، وقد افلح
في ذلك . وكان يتدبر بدهاء ايتنبأ باندفاعات السلطان في امر عزله ، فيضع
حداً لها (٩) .

(٧) الطبري ٣٨/٢

(٨) Chawarig (Abh. der Göttinger Societät 1901, V, 2), 19 ff. (٨)
59f. (في المجلد نفسه) Shia .

(٩) الطبري ٧١/٢ وما بعدها ؛ ١٧٣ وما بعدها ؛ ٢٠٨ وما بعدها .

الدولة العربية وسقوطها (٧)

وكان كفوئاً للخوارج في عهد المستورد . اذ كان اهل الكوفة الكوفيون يرضون عنه يبذلون قصاراهم لاقاذه منهم ، غير ان الخوارج لم يكونوا حطرين في الكوفة . وكانت غالبية اهل الكوفة الساحقة تتخذ علياً رمزاً لاستقلال العراق السياسي ؛ ولهم في هذا اسوة بالشيعة . ولم يكونوا يخفون ذلك ، بل كان منهم من يجروء على ان يتكلم كلاماً مثيراً امام الملا . بيد ان المفيرة كان يدعمهم وشأنهم . وبدلاً من ان يفضي على الشر في مهده ، كان يفتبط بمعض الاغتباط بالتنبؤ بنتائج ، اذ كان على ثقة من انه لن يعيش حتى يصطدم بتلك النتائج . فحمة ان يتخذ نفسه ، وان يدع خلفه ما كان يكره ان يفعله ، مما هو جزء من عمله (١٠) . وهذا يوجب الكوفيين طبعاً . ثم رأوا انهم « ما وليهم وال بعده مثله » (١١) . وسار هو في سبيله يكذب ويحني ثمار كذبه حتى آخر عهده . اما تاريخ وفاته ، فالروايات تتراوح بين العام ١١٥٩ هـ (١٢) .

وعندما خضعت العراق لماوية ، ارسل اولاً رئيس الجيوش عبد الله بن عامر على البصرة بسر بن ابي اوطاة الى البصرة ليقمع ثورة حمران بن ابان . وبعد ان اعاد بسر الأمن ، ترك البصرة مع جيشه ، وسار على ما يقول الواقدي (١٣) الى الحجاز واليمن . واول امير حقبلي أقامه معاوية على البصرة (في آخر عام ٤١) هو عبد الله بن عامر الاموي الذي سبق ان كان والياً عليها بضع سنوات في عهد عثمان .

وكان السلطان في البصرة بيد القبائل لا بيد الحكومة . وبما لا امن في البصرة ان هذه القبائل لم تكن موحدة ، وكانت دوماً منهمكة بالـ

(١٠) وهذا الوضع يشاركه فيه كثير من العمال في هذا العصر كما بين عامر (الطبري ٢/٦٧) والوليد بن عتبة (٢/٢١٩) والنعمان بن بشير (٢/٢٣٩) وبنو (٢/٥١ : ٤٦٥ وما بعدها) .
(١١) الطبري ٢/١١٢
(١٢) انظر الطبري ٢/٨٦ وما بعدها : ١١٤ : الاغاني ١٤/١٤٨ .
(١٣) الطبري ٢/٢٢

بفوتها نفع ما ، فانا نستطيع أن نتصور نتائج ذلك . وما كان امن الناس في الكوفة يتأثر كثيراً بالاضطراب الحزبي في السياسة والدين . اما في البصرة ، فكان السلب والقتل في الشوارع شبيهاً مألوفاً موروثاً عن عهد ابن عباس . ولم يود ابن عامر أن يتخذ تدابير عنيفة . بل رأى على غرار المغيرة ، الأبطحي بسلافة شخصه لمجرد تثبيت الحكم . وكان يكره قطع يد السارق . ويقول : وكيف انظر الى رجل قطعت اياه أو اخاه .

واقتهى ذلك بان كان اكثر من ان يتحملة معاوية ، فرجاه
 الصديق ان يعتزل عمله ، وسوغه مقابل ذلك ما اصابه من
 بيت المال ، وزوجه ابنته . وكذلك اصبح ابن عامر حمياً
 ولده ووالد زوجته (١٤) . وخلفه احد الازديين ابي السبيل لزياد الذي كان قد
 اختير لهذا العمل وكان على الازدي ان يترك عمله بعد اربعة اشهر . تلك هي
 رواية المدائني (١٥) .

معاوية ينحبه
 وزوجه ابنته

والمدائني يغذي الطبري أيضاً باكثر اخباره عن زياد . وزياد
 ينتمي كالمغيرة بن شعبة حاميه الى الثقفيين الذين اقاموا
 بالبصرة منذ تأسيسها ، والى اسرة ابي بكرة التي تم لها الرخاء والمهل العالي لما
 تمتلكه من املاك واسمة (١٦) . وزياد من اصل متواضع : سمي باسم امه سمية ، قابوه
 كان مجهولاً . وفتح الاسلام له ابواب العالم أيضاً . حتى اذا بلغ الرابعة عشرة من
 عمره ، اصبح صاحب المطاء او محاسباً لجيش البصرة . فقد كانت يكتب ، ولا بد
 للحاسب من ان يعرف الكتابة . بل قيل ان عمر بن الخطاب لاحظ يومئذ كفايته
 الفائقة .

نشأة زياد

(١٤) كان ابن عامر والد زوجة يزيد بن معاوية .

(١٥) الطبري ١١/٢ وما بعدها : ١٥ وما بعدها : ٦٧ وما بعدها : ٦٩ وما بعدها .

(١٦) الطبري ١٢/٢ . وعن صفات هذه العائلة انظر الرواية التي يتجلى فيها البغض في

الطبري ٨٠١/٢ وابن هشام ٣٧٤ ، ١٧ على الهامش .

وفي عهد علي كان شخصاً بارزاً في البصرة . وكان عليه ، وقد
استخلفه أميرها عليها ، ان يتدبر شأن ثورة بني تميم التي قامت
بإشارة من معاوية . وقد ساعده الازد في ذلك ، فكان لهم
شاكراً أهدأ (١٧) . ثم ان علياً ارسله الى فارس ليقيم الطاعة والامن في هذه المقاطعة
التي لا يؤمن لها ، فقام بذلك حق القيام ، دون ان يلجأ الى القوة والبطش . وبعد
ان توفي علي ، اقام بحصنه في اصطخر ، وتحدى معاوية أمداً طويلاً ، دون غيره من
عمال علي . واضطر بسر الى ان يهدده بقتل اولاده الثلاثة الذين خلفهم في البصرة ،
إن لم يخرج من حصنه فرفض ، على أن الاولاد انتشلوا من يد الجلاد في آخر
لحظة بأمر من معاوية تمكن ابو بكر من الحصول عليه وتقديمه في الوقت اللازم ،
وذلك اثر رحلة خاطفة الى الكوفة وعودة منها (١٨) .

زياد على البصرة
ثم على فارس

وعهد الى المفيرة بأن يقبض على اموال زياد التي كانت بالبصرة
المفيرة يتوسط بالتفاهم
على انه لم يستطع طبعاً ان يجدها ، فالتفتي لابن قيس أخيه .
وتوسط المفيرة ليجمع زياداً يكف عن مناهضة معاوية ويستسلم اليه . وحدث هذا
عام ٤٢ . وتفاوض معاوية عن خديمتها له حين تقاسم بيت مال فارس دونه ، بالرغم
من انه اطلع على الخديمة . وكان في ذلك تجارة رابحة لكلا الطرفين اللذين كانا
يفهم احدهما على الآخر ، فينتفعان بهذا الفهم انتفاعاً كبيراً .

وختم معاوية الوضع بأن اعترف بان ابن سمية ولد شرعي لابي ابي
الحاق زياد بنسب ابي سفيان
سفيان ، وضمه بذلك الى نفسه والى عائلته ضمماً مطلقاً . وكان
ذلك فضيحة كبرى لم يذكرها الطبري ولم يؤرخها الا على أنها « فيما قيل » (١٩) .

(١٧) الطبري ٨٠/٢ .

(١٨) وهذه القصة هي حقاً من الاساطير ، ولا حاجة الى ان يؤتى باغرب منها في رواية
يذكرها مولر A. Müller (Islam 1,337) وتتضمن ان اولاد زياد قاموا بثورة في

البصرة ، ووقفوا لاجلها : فقد كانوا صفييرين في السن انذاك .

(١٩) الطبري ٦٩/٢ وما بعدها . وانظر ٤٧٧/٣ وما بعدها .

ولم يرق هذا التبني لبني أمية وليزيد بن معاوية نفسه ، فقالوا
زمناً طويلاً على صلوات فآترة بذلك المتبني الذي قد لا يكون
ابناً لأبي سفيان . وليست الأسماء الهجائية المشهورة التي
قيمت في تبنيه ورددت هي من وضع المغني السيار ابن مفرج الذي وضع أسماء
أخرى هجائية في الحادثة نفسها ، بل لأحد الأمويين ، وهو عبد الرحمن أخو مروان
ابن الحكم الخليفة (٢٠) .

استياء بني أمية
من ذلك

وكان معاوية قد فرض على زياد الإقامة أولاً بالكوفة حيث
تولية زياد على البصرة كان تحت مراقبة المغيرة الطيفة . وكان المغيرة قد اتخذ دور
الأب بالنسبة إلى زياد . وكان زياد يختلف إلى بيته ويتودد لامراته . ثم إن معاوية
أرسل إليه بأن يحضر إلى دمشق . وهناك على ما يظهر رفعه إلى مرتبة أخيه . ولما
عاد زياد إلى الكوفة ، خشي المغيرة أن يكون قد وضع حثفه بظلمه ، فرفع زياداً
إلى ولاية الكوفة دون نفسه . غير أنه سرعان ما ورد كتاب من دمشق فيه عهد
لزياد على ولاية البصرة والأمصار الشرقية التابعة لها .

وفي نهاية ربيع الثاني أو بداية جمادى الأولى من عام ٤٥ ،
ورد زياد البصرة ، وافتتح عهده بها بخطبة ألقاها ، من على
المنبر ، بدأها ببرنامج دون أن يحمد الله فيها ، ولذلك سميت الخطبة البتراء . قال فيها :
« أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، ولقد اتبعتم السفهاء ، ولم ينزل
بهم ماترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم اطرقوا وراءكم
كنوساً في مكائس الرب . . . اني لا اوتى بمدايح الا سفكت دمه . . . وإياي
ودعوى الجاهلية ، فاني لا اجد أحداً دعاها الا قطعت أسنانه . . . ومن غرق قوماً
غرقته ، ومن حرق على قوم حرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه . ومن نبش
قبراً دفنته حياً ، واني أقسم بالله لا أخذن الولي بالولي ، ووقد كانت بيني وبين اقوام

خطبه

أحسن ، فجعلت ذلك دبر اذني ونحت قدمي . . رب مبتس بقدمنا سير ،
ومسرور بقدمنا سبتس . . انما نسوسكم بسلطان الله . . ونذود عنكم بفيء
الله (۲۱) . . ولنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ، ولكم علينا العدل فيما وابتنا . .
واعلموا اني مهما قصرت عنه فاني لا اقصر عن ثلاث : است محتجبا عن طالب حاجة
منكم ولو اناني طارقاً في الليل ، ولا حابساً رزقاً ولا عطاءً عن ابانة ولا بجزراً لكم
بمناً . . ولا تشربوا قلوبكم بفض ساستكم ، فيشتد لذلكم غيظكم ، ويطول
له حزنكم . . وایم الله ان لي فيكم لصرعی كثيرة ، فليحذر كل امری ان
يكون من صرعای ،

وفرض احترامه عليهم بأمثلة من الشدة الدائمة في اول الامر .

وافلح في اقامة امن في البصرة وایران بل في الصحراء العربية

الخوارج يطأطئون
رأسهم

لم يعرف مثيله من ذي قبل . وتقص علينا أقاصيص عجيبة

بهذا الشأن ، حتى ان الخوارج طأطأوا رؤوسهم في البصرة أمامه . وكان قسم منهم

ایس خيراً من اللصوص العاديين الا بالاسم ، بحيث يستحقون ان يعاملوا

كاللصوص (۲۲) .

ولما توفي المغيرة في عام ۵۰ او ۵۱ ، حصل زياد على عمله مع

جمعه الكوفة الى البصرة

احتفاظه بامارته في البصرة . وكان عليه في الكوفة ان يعيد

الى النظام تراث السوء الذي خلفه المغيرة . فقد حسب الشيعة في الكوفة ، وعلى

رأسهم حجر بن عدي الكندي ، نائبه عمر بن حُرَيْث وهو يؤم الناس في الجامع ،

فشخص الى الكوفة متدخلاً .

ومسكه حجر من نفسه ، فقد قامه بالسلاح مع اتباعه حينما

تمسكه من حجر

قصد ان يوقفه . وبذلك قضى على نفسه . وتمكن منه زياد

بن عدي

دون صموية كبيرة ، حتى اذا اضحى الامر جداً ، اعان

(۲۱) لفظه الجلالة تسمى « الدولة » في حكم الله .

Chawarig 2,4f. (۲۲)

الكوفيون انفسهم ممثل الحكومة الذي كانوا يبعضونه ، اعانوه على اصحابهم الذين كانوا يمطفون عليهم ، بل و قاموا على الهمة التي اتهم بها رئيس العصابة المسجون . وارسلت الوثيقة الى الخليفة في دمشق . فقتل ستة منهم رفضوا ان يتبرؤا من علي . على ان الأمر لم ينته بهذا ، فقتل هؤلاء الرجال البارزين احدث اثرأ عميقاً في اهل الكوفة ، واعتبرت القبائل عاراً عليها انها لم تنقذ اصحابها من سلطان الدولة . ونظر الشيعة الى حجر واصحابه في الاضطهاد نظرهم الى الشهداء (٢٣) .

وتروي لنا الاخبار بعض تدابير زياد الادارية ، فقد شرع في

تجديد بناء جامع الكوفة تجديداً واسماً (٢٤) ورفع الحصى من

ارضه ، واستبدل بها بلاطاً متيناً . ويقول البلاذري (٢٥) انه فعل

ذلك خوفاً من ان يظن الناس على غابر الايام ان نقض الايدي سنة في الصلاة ، على انه

ينبغي لنا ان نتصور انه فعل ذلك ليمنع سيل الحصى من ايقاف الملاحظات المهمة التي

ترد في الخطب المنبرية .

وهناك تدبير آخر اكثر خطراً ، الا وهو تقسيم حامية

الكوفة الى اربع زمر . وبها وحدث القبائل المختلفة كل

الاختلاف في زمرة واحدة ، ليس رئيسها زعيم القبيلة بل

من تنتخبه الحكومة (٢٦) . وفي توزيع اهل البصرة المماثل خمس زمر ، يظهر

المبدء القبلي اكثر . واملنا ان نتطبع ان ندل على حركات التنقل السياسية حين

نذكر انه ارسل عدداً كبيراً من العائلات الكوفية والبصرية الى خراسان

واسكنهم فيها (٢٧) .

Shia, 56 ff. (٢٣)

. الطبري ١/٢٤٩٢ (٢٤)

. فتوح البلدان ٢٧٧ (٢٥)

. Shia, 58 n. 1 (٢٦)

. الطبري ٢/٨١ : ١٥٦ : فتوح البلدان ٤١٠ (٢٧)

وتوفي يوم الثلاثاء، الرابع من رمضان (۶۷۳ آب ۶۷۳) ، وقد
 بلغ من العمر ثلاثاً وخمسين سنة . وللدلالة على طباعه ،
 نورد قصتين لها بعض القيمة . اولهما انه عندما طلب عام
 ۳۸ او ۳۹ ان نجيره الازد ، واراد ان يعرف هل يدافع عنه رؤساؤهم امام هجوم
 بني تميم عليه ام لا ، اضحكه بسذاجته جواب بات تلقاه (۲۸) فقال : ما كدت
 مكيدة قط كنت الى الفضيحة بها اقرب مني للفضيحة يومئذ، ما غلبني من الضحك .
 والثانية انه ذكر لامرأة العجوز المغيرة تلك الفتاة الجميلة التي كان يحبها واتي
 تزوجها فيما بعد ان تظهر امامه دون خوف ولا وجل ، فهي محرم عليه، لانه بالواقع
 أبو المغيرة ، أفليس احد اولاده اسمه المغيرة ؟

قصتان تدلان
 على طبه

وعلى ذلك ، يخيل إلينا انه لم يكن رجلاً منزماً . اما في حكمه ،
 فلم يكن يستجيز الهزل . ومع ذلك فهو لم يكن ظالماً الا في
 اذهان العرب الذين يعتبرون الحكم القوي طغياناً ، لاسيما اذا
 استعمل فيه السيف مع الرعية العاصية .

لم يكن منزماً
 ولا ظالماً

اما معاملته للشيعة ، فلنا عن ذلك اخبار دقيقة عند ابي مخنف
 الذي كان يعتقد عقيدتهم . واسلوب زياد معهم يقف عند
 عقاب عدد صغير من رؤسائهم الذين قاوموه بالسلاح . وهذا
 ما يجعلنا ننظر نظر الارتياب الحق الى الاخبار التي لم تتضح مناسباتها واتي تروي
 لنا اضطهاداته البربرية للشيعة عامة (۲۹) .

قساوته بمقاب القليل
 من الشيعة

(۲۸) الطبري ۱/ ۳۴۱۵ . ولانستطيع من نص نسخة ليدن ان نكتشف ما قيل مما هو
 مضحك في كلمة صيرة بن شيان . على ان اسماء القبائل مشوهة فيها . ويمكن اصلاحها من الطبري
 ۱۰۳۴۱۸ ، وابن دريد ۱۵۰ : ۱۵۴ .
 (۲۹) الطبري ۲/ ۲۶۶ : ۶۲۲ .

وفي البصرة خاصة لبس للشيعة ان يتذمروا منه، وكانوا
مما ملته للشيعة بالكوفة
مرتاحين واحة لا بأس بها . وكان رئيسهم شريك بن الاعور
الخارثي و كريماً على زياد ، وابنه من بعده ينعم بثقتها . ثم اساء ابن شريك استعمال
تلك الثقة اساءة سافلة قبل وفاته بقليل (٣٠) .

وكان الخوارج اكثر خطراً في البصرة . وهم على ضروب
مما ملته للخوارج بالبصرة
مختلفة ، وبعضهم شريف اتقي ، وآخرون منشقون ، لا رادع لهم ،
فهم فطروا على سفك الدماء . وكان عمل زياد موجهاً ضد جرائم هؤلاء ، لا ضد
شعور الآخرين . ولم يعدم الا بضعة من محركي الفتنة وبعض ذوي الأذى . ولم
يقم بحركة قتل عامة . وهذا ابو بلال اجل رجل بين خوارج البصرة يؤيد سلوكه ،
ويشتمن ممن شوها اسم الجماعة سافكين دماً لا يميز فيه . والاخبار التي تناقض
ما قلنا يجب ان تعتبر افتراءات خلقتها الحزازات .

ويصور المدائني وتلميذه عمر بن شبة ستمرة بن جندب اداة
يضرب القبائل
بعضها ببعض
طبيعة في يد زياد الطاغية ، يبطش بها في البصرة . وكان رئيس
شرطته . ويقال ان زياداً قوى هذا الجيش الدائم تقوية كبرى
ليستطيع استخدامه اساساً لطغيانه . اكن الواقع انه لم يقض في الكوفة على ثورة
الشيعة بواسطة الشرطة ، بل بعون من القبائل نفسها . وافلح في العراق كما افلح
في فارس ، فاوقفهم عند حدم دون استخدام وسائل غير مألوفة . وكان يجمع حوله في
السيرة حسب العادة القديمة حلقة من الاعيان اجري لهم رزقا وخرياً ، وكان يتحدث
اليهم في الشؤون العامة بحديث سهل . ويجعل امراء القبائل مستواين عن سلوك
أفراد قبائلهم .

وتمكنه الغيرة القائمة بين القبائل من أن يضرب بعضها ببعض؛
 ليس له من الوسائل
 ثم أنه فضلا عن ذلك له حق التصرف ببيت المال والاشراف
 أكثر مما لسلفه
 على توزيع الأرزاق ، هذا والشرطة في قبضة يده ، غير
 أنها ليست أقوى بكثير مما كان لسلفه . اضعف الى ذلك ان كل عامل كان له من
 الوسائل ما عنده ، غير أنه كان يعرف كيف ينتفع بها ليدرك خير النتائج . وكان
 يمتلك كل صفات الملك المتوج بفضل من الله . فلا شيء يموزه مطلقاً .

والمسجد هو المسرح الأساسي لأعماله وانجاحه ؛ فكان
 معرفته بالطبع العربي
 يقول للناس ما كانوا يفكرون فيه فيصدقونه ، ويعلمهم تدابيرهم ،
 فلا يرتابون في أنه يفعل ما يقول . وكانت له موهبة في سياسة الناس بلسانه ومعرفة
 بالطبع العربي . فالعرب منذ اقدم الأزمنة ذوو ادراك دقيق واحترام فطري لقوة
 التفكير التي تنفذ الى قلوب الناس وتعرف أحوالهم والتي يؤيد القول فيها العمل .
 وهذا الحارثة بن بدر من اعيان التميميين الأحرار ينشد أشعاراً تشهد بذلك ؛
 وفيها اقصى المدح لذلك الوزير العظيم (٣١) . اما ان يكون الفرزدق الشاعر
 يشمر برهبة من زياد ولدها بحق الشباب ، فذلك لا يسقط من قيمته .

والمهمة الأساسية التي كان يجب ان تتم في البصرة هي
 المصيبة القبلية في العراق
 اقرار السلطان ، شأنها في الكوفة . وكان من اللازم فيها
 انها طغيان القبائل والمشائر التي كان مبدأها الاول في كل حين ان تأخذ بناصر
 افرادها ، بل بناصر المجرمين منهم ، لا امام القبائل الاخرى وحدها بل امام الحكومة ،
 ففي البصرة اكثر من ابي مكان آخر ، نعمت المصيبة القبلية على صلة الرحم .
 والمصيبة القبلية في بلدة كثرت نفوسها ، من شأنها ان تولد نتائج لا يتحمل اكثر
 منها في البادية . واستهدف للاخطار تنظيم المدالة وامن الجماعة المذان بها حر والرسول

(٣١) الطبري ٧٨/٢ ، ١٠ ، ١٤٦ ، ١٥ . وهذا اللقب هو على حد معرفتي اول

مرة ذكر فيها هنا .

[عليه السلام] العرب من الفوضى . ففي الكوفة ، كانت الممارسة لحكم الدين أكثر وضوحاً . ولم تكن موجهة ضد سيادة الحكومة بالذات ، بل ضد حق الحكومة القائمة أي الامويين . على ان الفرق بين الامرين عند زياد ما كان مهماً . فبعد ان تصالح مع البيت الحاكم ، لم يعد يعترف باعلى ممن تربع في السلطان .

وعلى هذا الاساس كان ينصر النظام العام والرخاء وواجب مواصرتة للنظام
المواطنين في الطاعة . واثمن افترضنا انه حسب القاعدة السائدة لم يكن يفتى نفسه ، بل جمع لشخصه مبالغ واسعة من المال ، فهو لم يستخدم سلطانه وسيلة لنهب الامصار الموكولة اليه لما ربه الشخصية وحدها .

فقد كان فوق الاحزاب والقبائل . وكان ذا ضمير يشعر به انه عامل عند الحكومة . وكان غيوراً على اداء الواجبات التي تقع على عاتقه ، دون اعتبار صلاح نفسه والقرآن الذي يتلو فيه المرء الآيات التي توافق سياسته . وبعد ، فتد اعترف له باخلاصه وكوفيء لذلك الاخلاص اولاده ، واهمهم عبيد الله .

ومن الولاة الآخرون على العراق في عهد معاوية ، كما يقول ابو معشر والواقدي ، الامراء الآيون : علي الكوفة : عبد الله ابن خالد بن أسيد منذ عام ٥٣ ، الضحاح بن قيس الفهري من عام ٥٤ ، عبد الرحمن ابن ام الحكم الثقفي عام ٥٨ ، النعمان بن بشير الانصاري من عام ٥٩ . وعلى البصرة سمرة بن جندب الفزاري عام ٥٣ ، عبد الله بن عمر بن غيلان عام ٥٤ ، عبيد الله بن زياد منذ عام ٥٥ . واتخذ عبيد الله نداير اقبى من والده على الخوارج في البصرة ، بل جلب لنفسه مقاومة اكثر الناس اعتدالاً والى عصره ترجع اقاويل بعض الشهداء من الخوارج (٣٢) .

ونسلم الشيء القليل عن اهل الشام الذين حكمهم معاوية
بنفسه . فهم وحدثهم به المصالح المشتركة في الحكم ، والشام
كانت مركز الحكم . وهو امر بدأ بينا ، اذ هي تملك بيت
المال المركزي . وفيها توزع اعظم الارزاق (٣٣) . وتفرق عن

الفرق بين الشام
والعراق
في تقاليد البادية

العراق أيضاً من الناحية الداخلية ، فالكوفة والبصرة ابست لها تقاليد الا تقاليد
البادية والاسلام . والجيش العربية التي جمعت على غير نظام من قبائل مختلفة ، انا
التي بها اترحال من الحرب هناك ، فاستقرت على شكل مستعمرات عسكرية ، واذا
بها نجد نفسها فجأة ، وقد انتقلت من الطور البدائي الى طور الزراعة في مركز
دولة كبيرة . فليس من العجيب الانكون قد تبدات دفعة واحدة من حالة البداوة
الى طور مواطنين في دولة يحكون عقلم فيها .

وبأثر الفتوح الاسلامية أيضاً هاجر الى بلاد الشام عدد كبير

من العرب ، لاسيما منهم القيسيين : هاجروا الى شمال ذلك
المصر . غير ان الاكثية في المركز كانت لبني كلب وغيرهم

العرب في
الشام

من بني قضاة ، الى جانب بعض القبائل التي فُدر بأنها تنتمي الى ازد سرات والتي
استوطنت هنا منذ عصور ، فلم تأت مع الاسلام وحده (٣٤) .

والحضارة اليونانية الآرامية والكنيسة المسيحية والدولة

اثر الحضارة فيهم

الرومانية التي خضعوا لها لم تعتم ان تركت فيهم آثارها .
ولم تكن الحكومة المنسقة والنظام العسكري والسياسي افكاراً جديدة عندهم .
وكانت لهم سلسلة قديمة من الامراء اطاعوهم زمناً طويلاً ، فانتقلت طاعتهم التي
اعتادوا عليها الى معاوية بوصفه خلفاً شرعياً لسلاطنتهم السابقة .

(٣٣) « ونقل معاوية بيت المال من الكوفة ، الى دمشق وزاد في جريات اهل الشام

وحط من جريات اهل العراق » Theoph. A. M. 6151, 6152.

(٣٤) وكانت تفاخر بأنها ليست حديثة العهد في الشام كبنية امية (المجاسة ٦٥٩ البيت الخامس)

ولا يحتاج حق السلطان الى ان يطبع في نفوسهم ، وكذلك اعترافهم بشرعية الحاكم اعترفوا بشرعية الحاكم القائم بوصفه انساناً ، ولم يمتحنوه بقياس من القرآن او بقواعد من حكم الدين . وتبّعوا اميرهم انى قادم ، فهم لا يهتمون في أعماق قلوبهم بالاسلام اكثر مما يهتم هو به .

وبدوا في الشئون العسكرية متفوقين كل التفوق على سواهم من العرب ، لاسباب أنهم لم ينقطعوا عن ممارستها ، وما انفكوا يتمرنون عليها بنظام منسق خلال حروبهم الدائمة مع الروم .

وكان لماوية من الحكمة ما جعله يحفظ لهم حقهم ، وإن كان هو من حيث الدم اقرب الى القيسيين منه إليهم . والفوارق بين الزمر القبلية في ذلك الزمن لم تصل الى درجة التصادم الضاري مما يقع بين الاحزاب السياسية . وكان معاوية يعيش في دمشق في حلقة الكلبين غير بعيد عن مقر ملوكهم السالفين .

وتزوج منهم بامرأة ذات مكانة . وكان عازماً على أن يرثه في حلفه مع الكلبين بالمصاهرة الملك يزيد ابنه منها . وبعد ذلك حسب التعاليم العربية حلفاً سياسياً ، ثم ثبت أنه كذلك . وشعر الكلبيون كلهم ، والحالة هذه ، كأنهم اصهرة للخليفة وأخوال لولي عهده (٣٥) . ولم يكن هنالك من مسألة تثار بصدد العرب في الشام ، فقد كانت أوضاعهم بالنسبة للفتاح الذي اقتحم البلاد منحطة ، فضلاً عن أنهم ما لبثوا ان قبلوا الاسلام قبولاً نصف عفوي . وايا كان ، فقبولهم هو انتقال الى الراية العربية المظفرة .

(٣٥) وكانت نائلة ايضاً كلبية . ومن الجائز ان النار لثمان كان من نتائجه ان وقع الكلبون في احضان معاوية .

ومن الممكن أن نستنتج ان التحالف الذي عقده معاوية
التعارض بين الاسباد
والرعية غير حاد
معهم بوصفه والياً ، كان له أيضاً اثر معاكس في موقفه مع
اهل الشام من غير العرب ممن ظلوا على النصرانية . ويلوح
لنا أن التعارض بين الاسباد والرعية لم يكن حاداً في سورية ، كما كان في العراق
أول الأمر .

فالمسلمون في سورية لم يكونوا يعيشون بمنزلاتهم في مستعمرات
العرب لا يعيشون
منزلاتهم
استت لهم خصيصاً ، بل مع اهل البلاد في المدن القديمة
كدمشق وحمص وقنسرين وغيرها . بل انهم حيناً تقاسموا
مع اهل البلاد اماكن العبادة ، بحيث اصبحت بعض الكنائس كنيسة بنصفها
ومسجداً بنصفها الآخر . واحترم المسلمون التقاليد النصرانية في فلسطين
وسورية (٣٦) باجلال .

والشام عندهم أرض مقدسة أيضاً . فقد بويع معاوية بالخلافة
سورية مقدسة أيضاً
في القدس ثم صلى في الجبلجة وفي قبر مريم المذراء .
وطبيعي ان علينا الانذهب بعيداً في الاستنتاج من هذه الامور ؛ فلقد اظهر معاوية
كبراً وعلواً في صلواته بالمقائد عندما عرض عليه اليمامة والمارونيون
خلافاتهم الدينية .

واخذ من اليمامة الذين وقع عليهم الحكم غرامة قدرها
معاوية مئال
في الاسلام
عشرون الف دينار، ونصحهم بأن يلزموا السكون بيدان
صلته بالاسلام لم تكن وثيقة . وكان متسامحاً في سياسته مع
النصارى من رعيته ، حتى إنه كسب بذلك عطفهم المشيع بالامتنان .

وكانوا يشمرون في عصره أنهم في رخاء لا يقل عما كانوا
عليه في حكم الروم . ونلمس ذلك من الاخبار التي صدرت
عندهم . فهذا تيوفان (٣٧) يحدثنا عن عطف معاوية على النصارى
بتجديده عمارة كنيسة الرها التي اخرجها الزلزال . هذا ومن اكبر مستشاري
معاوية اثرأ سرجون بن منصور الذي عمل من بعده عند خلفه وهو نصراني (٣٨) .
بيد انه ليس صحيحاً أن معاوية عين على حمص عاملاً نصرانياً (٣٩) .

رخاء النصارى
واستعمالهم

ومن المؤسف انه آثر ان يصبح خليفة ، فلم يقتصر على الشام
مؤسساً فيها دولة قومية قبيضة بأن تصبح ارسخ قاعدة من
حكمه العام في الشرق ، ذلك الحكم الذي ليس له اساس قومي
والذي قضى فيه على العرب . واعلمه وردت هذه الفكرة على باله ، لكنه وجد تحميةها
مستحيلاً ، اد كان عليه ان يتخلى عن اسلامه وان يتنصر لو اراد ذلك . فالاسلام
ما كان يميز لاية دولة مسلمة بأن تنفصل مستقلة .

مستحيل تأسيس
حكم عربي مستقل

وبنى معاوية حقه في وراثة الملك على الثار لثمان . ويتضح
السبيل الذي اتخذته لذلك الثار من انه تحالف من اجله مع
عمرو بن العاص ؛ وعمرو بن العاص هو الذي اثار على عثمان اشد الحملات . وايسر
التقوى شأن معاوية ، بل لم يخذ سنة سلفه المقتول . ولا ريب انه رضي بما نتج عن
عهد هذا السلف ، اعني حكم بني امية ، لكنه لم يمنح بني امية جميع الولايات الغنية .
ولا ريب انه جربهم في العمل ، لكنه بالاجمال ما علم ان اعفاهم منه .

حق معاوية في الثار لثمان

. A.M, 6170, (٢٧)

(٢٨) الطبري ٢/٢٠٥ : ٢٢٨ : ٢٣٩ ؛ التنبيه (المكتبة الجغرافية الجزء الثامن)

٣٠٦ وما بعدها : ٣١٢ . وفي تيوفان A.M., 6183 يُذكر سرجون بن منصور النصراني التي
في عهد عبد الملك اول . ايذكر . وانظر الطبري ٢/٨٣٧ .

(١٣٩) اليعقوبي ٢/٢٦٥ .

هذا ولم يتخذوا دمشق مقراً لهم رئيسياً ، انما ظلت المدينة
بنو امية مقرهم المدينة
مركزهم ، تلك البلدة التي كانت حتى ذلك التاريخ مركز
الدولة ، فاذا بها تجد نفسها مرغمه على ان تبعد عن الميدان متحفظة ، هي والارستقراطية
التي تبارت على الاقامة فيها .

وترك معاوية اجمالاً شئون ولاية المدينة نفسها للامويين ،
لاشأن الآن مروان
والكن اي شأن مروان الآن ، وهو امير على المدينة ، بعد
إد كان مستشار عثمان في شئون الملك وصاحب الحول والطول ؟ فلا عجب ان ينظر
نظر الحسد الى ابن عمه بدمشق ، وقد سبقه بمراحل . وليس عجباً ان أقارب معاوية
في المدينة يتجهمون له . ومن ثم انطلق شعورهم بهجر عن نفسه في حسد ثم لزياد .
فقد كانوا يخشون من ان يكون معاوية قد قصد ان يشد به أزر اهله وبيته على
عائلته بمجموعها ، وان يجعله خلفاً له محتملاً .

اما هو فكان يسمى الى ان يدخل القطيعة ، بين مختلف
ادخال معاوية القطيعة
بين اهله
فروع الاسرة في المدينة ليقضي بذلك على شوكتهم (٤٠) .
هذا ولم تكن صلاته بالقرشيين أيضاً صلوات تفاهم تام . وجعل
عذره في تجاوزه لهم انهم تخلوا عنه .

اضف الى ذلك انه كان سيء الصلة ببني مخزوم ، فقد كانوا
صلاته سيئة ببني مخزوم
وباعيان الاسلام
منذ امد طويل يحسدون بني امية ، لانهم تخوّم عن مرتبتهم
الاولى التي كانوا عليها في مكة قبل وقعة بدر . ولقد اخلى
لهم معاوية سبيل الحقد . وهذا عبد الرحمن ابن البطل الكبير خالد بن الوليد المخزومي ،
وهو رجل كبير القدر طالي الكعب يتمكن في حمص بقلب الشام من عمل مستقل
خطير ، فيخيل للخليفة انه خطر عليه ، فزعموا ان طبيباً نصرانياً دس له السم باشارة
من معاوية . ولنتخيل اثر ذلك في بني مخزوم . وكانت صلوات معاوية باعيان الاسلام

الروحيين وآل البيت واسر الصحابة الاولين والامصار أنفسهم تم عن الحذر والبغضاء .
ولم يكن عماله البارزون في ام الامصار شأنًا من بني امية .
كيف ينتخب عماله
بل لم يكونوا قرشيين ، اللهم الا باستثناء واحد منهم . وكان
معاوية يترصد الأشخاص الذين قد يحتاج اليهم فيوكل اليهم أعماله . ووهب ملكة
اكتساب من بلائه ان يكون الى جانبه وحجزه لنفسه ، بل جعل من لا يشق
يعملون لأجله ، كعمرو في مصر . وكان عمرو يعد نفسه حليفاً له أكثر منه عاملاً
عنده (٤١) . ويكثر المؤرخون من تعداد خدمه والمقربين منه (٤٢) . ويلوح انهم
كانوا على الغالب من الانتهازيين . واتخذ له الى جانبهم كاتباً بمثابة مستشار أول (٤٣)
وهناك مثال عنهم نجده في الطبري (٤٣ب) . وكان يأذن لهم بتجاوز بعض الحدود معه
فكانوا يفعلون (٤٤) ، بيد أنه لم يكن يدع الزمام يفلت من بين يديه ، بل كان يحسن
ردعهم دون أن يشمروا بنيره .

هذا وهو لا تؤثر فيه المشاهد العنيفة او الماطفية أبداً . وسيرته
مزايا السيد عند معاوية
سيرة السيد العربي . ومع انه كان مواظباً على ارسال أتباعه
من أهل الشام الى ميادين القتال مع الروم ، فآله لم يهجمه شجاعة شخصية . غير انه ، فيما سوى
ذلك ، كان حازماً الى أعلى حد مزايا السيادة كاللطف في حذر ، وكان به يجعل الخصم
يلقي سلاحه خجلاً ، وكالصبر فلا يفتضب ، وامتلاك النفس الى اقصى الحدود .

(٤١) الدينوري ٢٣٦ .

(٤٢) الطبري ٣٢٧٢/١ : ٣٣٦٠ : ١٣٩/٢ : ١٩٧ : ٢٠٥ : الاغانى ١٢/١ .

(٤٣) وفي تيوفان عام ٦١٦٩ « معاوية ومستشاروه » . وفي تيوفان عام ٦١٧١ : « معاوية

اول ملك للعرب » . وهذه التسمية انتقلت بعد ذلك الى غيره من الخلفاء ، حتى بعد ان اضاءت
مفهومها في مصر العباسي مثلاً . وفي تيوفان عام ٦١٦٥ يظهر لقب غريب هو « اخوه الثاني »
وكان القائم على شؤون دار ملك النبطيين يسمى « اخوه » وبعض كبار الموظفين في عهد السلوقيين
يدعون « ابنا عمهم » . ولئن كان يوجد أكثر من اخ واحد ، فقد يكون وجد تسلسل
في ولاية المهدي .

(٥٣) ١٣٦/٢ وما بعدها .

(٤٤) الطبري ١٤٤/٢ : ١٨٥ .

الدولة العربية وسقوطها (٨)

ويظهر معاوية في عدد عديد من الحكايات مثلاً يضرب لهذه المزايا ، ومعه معاصره
الاحنف بن قيس التميمي ، وكان يحمله ويقدره .

ومعاوية سياسي ابق ، بدع الامور تتمخض من نفسها ، بحث

سياسي يترك الامور تقدمها حيناً بعض الشيء . وقد يستعمل قليلاً من السم لذلك .

ولم يكن ينكر أن اصله من الطبقة البورجوازية . ومعاوية

تتمخض
ويستعمل المال

يكره الاجواء الى الضغط ، فلا يفتح العراق فتحاً بمقدار

ما يشتري خضوعه له شراء ، حتى اذا تمكن من أن يبلغ هدفه بالمال بذله بسخاء ،

دون أن ينفقه عبثاً . وما يسره ان يخيب فال من يعلق لآمال على كرمه ظاناً انه

لا يميز فيه ، او من يعتقد انه بوسعه ان يخدعه .

وروي للشمي ، وهو من أقدم المحدثين ، ان معاوية الطنف رقيق ؛

لا يعرف ما يخفي

ولكن ليس بوسع احد ان يعرف ما يخفي مما يعلم . حتى

اذا اصفى الى اخدم ، مال الى الخلف وتربّع واغمض احدي عينيه . وكان

بالرغم من بدائه ، يبدو للعرب امام الملائمة جليلاً ، وقد ألقى بعاملته على رأسه

وكحل عينيه .

ويقول الواقدي انه توفي يوم الثلاثاء في منتصف رجب سنة

وفاته وقبره

٥٦٠ هـ اي ١٨ نيسان سنة ٦٨٠ م . ويقول الياس النسيبي ان خلفه

قام مقامه يوم الجمعة في الخامس عشر من رجب . غير ان ابا مخنف (٤٥) يجعل ذلك

في اول يوم من رجب . ويذكر ابو ميثم أن حكم معاوية امتد تسع عشرة سنة

وثلاثة أشهر . ويضيف الواقدي الى ذلك سبعة وعشرين يوماً آخر . ودفن قريباً

من الباب الصغير بدمشق . ومقبرته التي عقد عليها ظلت مزاراً طيلة قرون تفتح

أيام الاثنين والثلاثاء (٤٦) .

(٤٥) الطبري ٢/٢١٦ .

(٤٦) المسعودي ٥/١٤ . وهرب الشاعر الكمي من غضب هشام بن عبد الملك الى قبر

معاوية (الاعاني ١٥/١١٥ : ١١٧ : ١٢١) .

٢ . - عهد يزيد بن معاوية

وتنتج عن تغيير الحكم صعوبات هددت بالخطر شأنها كل مرة .
علي أن معاوية حاول ، خلافاً لمن سبقه ، أن يذللها قبل وقوعها .
وبما أن المسك الوحيد الذي كان يمسك به أعيان العرب هو البيعة التي له في أعناقهم ،
فقد أراد ، وهو حي ، أن يقيدهم بعثها نحو ابنه يزيد ، فيجعله وائياً المهدي ، لكنهم وجوا
أن يخلعوا هذا النير عند وفاته ، غير مكترئين بأهل الشام ، فادعوا أنه ارتكب
بدعة لاسابقة لها ، وهي رغبته في جعل ولاية العهد من الأب الى الابن كما يفعل
الروم والساسانيون .

وتنص التقاليد العربية على أن الحكم ينتقل في القبيلة نفسها
او في المشيرة ، ولا ينتقل في الاسرة من الأب الى الابن ،
والاسلام يرى ان الحكم ليس ملكاً بشرياً يدعيه الانسان
بحق الوراثة وائياً كان ، فالهياج توسع الى أبعد من حدود
الاسباب التي بني عليها (٤٧) .

وثبت اخيراً حق الأمير في أن ينظم ولاية العهد قبل وفاته .
بل لئن لم يكن الابن حق في تلك الولاية ، فهو في اي حال ،
لم يكن يستبعد منها . وكل الأمر أنه لم يكن ثمة على ما يظهر
مبايعة بولاية العهد سابقة . وكان العرب في أول عهدهم ، لم يكن
لهم من تقليد ما بهذا الشأن ، ولا قاعدة في ولاية العهد تنمونها .

والخبر المعروف عن الأسلوب الذي اتبعه معاوية في ذلك وهو
الذي يظهر في نص فايل Weil ومولر A.Müller . هو في
ابن الاثير كما يلي : « وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة ، قصد بذلك أن
يوقع معاوية في الفخ ، فان معاوية اراد أن يعزله عن الكوفة ، وسرعان ما وردت دمشق
وفود من الكوفة كسبهم المغيرة رشوة صغيرة انوا يحضون على بيعة يزيد .

(٤٧) والايات التي في المسعودي ٧١/٥ تذكر بآيات الخطيئة عن ابي بكر .

غير أن معاوية كان حذراً ، فأرسل الى زياد يستشيرهُ ، فاتفق
زياد لا يعارض
عبيد بن كعب النميري زياداً بالامراض ، وان ينصح يزيد
بان يعدل من ميله الى الصيد « لتستحكم له الحجة على الناس » . وتلك نصيحة
رحب بها يزيد واتبها . ولم يحزم معاوية أمر البيعة جهاراً إلا بعد وفاة زياد ، فقد
عمد الى جس نبض أهل المدينة أولاً ، وهي العاصمة القديمة التي مازالت تعد
المكان الاصل للبيعة ، لأن فيها مقام عظام المسلمين ممن يستحسن أن يؤدوا البيعة .
ووافق أهل المدينة على انتخاب خلف معاوية ، حتى اذا مكثهم
هياج رجال المدينة
من ان يعرفوا عن طريق مروان أن معاوية اختار ابنه ، حدث في
المسجد هرج ومرج . واحتج اولاد الصحابة البارزين بصفة خاصة كالحسين بن علي
وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير ، لكن معاوية
لم يبال بذلك .

وأرسل يستدعي الى دمشق وفوداً من ذوي الشأن في الامصار ،
وفود من الامصار
وخطب فيهم خطاباً عن حق الحكم وواجب الرعية عامة
لتأييد البيعة
ومزايا يزيد خاصة . وثق على وأبه الضحاك بن قيس الفيسري
وغیره من الخطباء الذين اعتمد عليهم في ذلك . وآلوا الى الخاتمة التي امتنع معاوية
عن ذكرها . واذا هم يطلبون البيعة ليزيد . وتكلم الأحنف من البصرة كلاماً فيه
حكمة وضمير ، لكن كلامه شل بما بذل من المال . وباع الوفود يزيد ، ولم يبق إلا
الحجاز ، فسار معاوية إليه بألف فارس . ولما بلغ المدينة أخذ يهين من سبق دكرم
من كبار المناوئين الذين كانت مبايعتهم موضع التمني والرغبة ، فهربوا الى مكة ،
وسار إليهم فيها ، وحاول ان يكتسبهم بتودد فائق للحد . ولم يعلن عن رغبته إلا
في آخر الأمر ، عندما أصبح على أهبة العودة ، آنذاك حاول أن يبين لهم انه لا يطلب
إليهم شيئاً كثيراً ، وان يزيد لن يكون ملكاً إلا بالاسم ، وأنهم باسم يزيد سيتمتعون
بالحكم الحقيقي ، وظلوا مناكتين طويلاً .

ثم تكلم ابن الزبير بأخرة، فرفض باسمهم كلهم عرض الخليفة، فقال معاوية: «إني كنت اخطب فيكم، فيقوم إلي القاسم منكم، فيكذبني على رؤوس الناس، وإني قائم بمقالة، فاقسم بالله لئن ود علي أحدكم كلمة في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، وأتق على مسمع منهم أوامره في الحال إلى خدمه.

ابن الزبير
يرفض باسمهم

ثم دخل مسجد مكة، وأعلن قائلاً: «إن هؤلاء الرهط لا يبتز أمر بدونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وأنهم رضوا وبايعوا يزيد، فبايعوا على اسم الله». فبايع الناس، وسكت الأربعة خوفاً، فبدوا كأنهم موافقون. وعاد معاوية عن طريق المدينة، وتلقى فيها البيعة ليزيد. وتلك قطعة في الإشاء ماهرة. ويروي المدائني كذلك أن

خديبة معاوية

روايات أخرى

المغيرة وضع فكرة البيعة ليزيد، وأن زياد لم يعارضها عملاً بتصيحة عبيد بن كعب. وأرخت المبايعة في الطبري (٤٨) في العام نفسه الذي أرخها به ابن الأثير. هذا وليس في الطبري شيء عن دعوة الوفود من الأمصار إلى معاوية ليبايعوا يزيد. ولا يذكر (٤٩) إلا وفداً أتى من البصرة للبيعة، يرأسه عبيد الله ابن زياد، ورد ذكره في حوادث عام ٦٠ الذي فيه توفي معاوية. وهذا الوفد من البصرة ومسيح فتناول عامة الأمصار وأرخ في زمن أسبق، ونجد في المسعودي (٥٠) مرحلة من مراحل تطور هذا الخبر.

وفي الروايات القديمة (وفي المسعودي أيضاً) ليس من شيء عن الحادث المهم الذي يختم به ابن الأثير روايته، إلا وهو تدخل معاوية العنيف في الحجاز. والذي يقوله المدائني (٥١): «ولمات

ليس فيها تدخل
عنيف لمعاوية

(٤٨) ١٧٣/٢ وما بعدها .

(٤٩) الطبري ١٩٦/٢ .

(٥٠) ٦٩/٥ . لكن التاريخ هنا هو ٥٩ . واقرأ عوضاً عن الانصار الامصار .

(٥١) الطبري ١٧٥/٢

زياد ، دعا معاوية بكتاب ، فقرأه على الناس باستخلاف يزيد : ان حدث به حدث الموت
فيزيد ولي عهد ، فاستوثق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر ، (٥٢) ولم يحدد
المكان ، فهو كما ينبغي أن يحزر دمشق ، بل إن الزمان لم يحدد ، فعبارة المات
زياد ، هي صيغة في متابعة الكلام .

ثم نقرأ في عام ستين في الطبري (٥٣) : « وفيها كان أخذ
معاوية ، على الوفد الذين وفدوا اليه مع عبيد الله بن زياد ، البيعة
لابنه يزيد ، وعهد الى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد اليه
في النفر الذين امتنعوا عن البيعة ليزيد حين دعاهم الى البيعة » . وقال عوانه ان
معاوية عهد الى الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة السري بتنفيذ هذه التدابير ،
اذ كان يزيد غائباً .

وفد مع
عبيد الله بن زياد

وهكذا لنا ان نرى ان معاوية كانت تجول في ذهنه خطة
فكر فيها زمنًا طويلاً ، وأنه حاول في آخر عهده أن يضمها
موضع التنفيذ ، دون أن يوفق مع الرجال الذين كانت
موافقتهم هي أهم شيء ، اذ هم حسب رأي المسلمين أكثر الناس حفاً بالخلافة . وايس
من ذكر شيء أكثر مما أوردناه .

هي فكرة سابقة
لمعاوية

ويلوح لنا أنه ايس من طمع معاوية الشيخ ان يعمد الى الف
فارس في زمن السلم للضغط على القرشيين الاربعة في الحجاز
اولاً ، ثم يأنفهم ثانياً ، ويلجأ الى القوة معهم أخيراً ، ثم
لا يفيد من كل ذلك شيئاً ؛ اذ لا ريب أن هؤلاء الاربعة لم يبايعوا . اما انه ذهب
الى مكة مع قواته المدججة بالسلاح ، فأتم البيعة فيها دون المدينة ، فذلك أمر بعيد

حكاية الضنط
مخالف طبع معاوية

(٥٢) ويضاف ابن عباس خامساً بينهم ، كما لو انه لا يمكن ان يترك خارجاً عنهم .
والمدائني من انصار الدولة المباركة المخلصين .
(٥٣) ١٩٦/٢ .

عن التصديق ، ولا يزيد صحة تلك الاحاديث المسرحية التي طلعت بها الرواية .
والذي يبدو أن كل ذلك خيال عكسته الحوادث التي بدأ بها يزيد عهده والتي
سنشرع فيها .

بعد ان ولي يزيد الحكم في اول رجب سنة ۶۰ وهذا
ما ذكره ابو مخنف (۵۴) — اعلم والي المدينة الوليد بن عتبة
ابن سفيان في كتاب أرسله اليه بوقاة والده ، و اضاف في
صحيفة كآها اذن فأرة : اما بعد فخذ حسيناً و عبد الله بن عمر
و عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ، ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام ،
فلم يذكر الا هؤلاء الثلاثة .

كتاب يزيد الى
المدينة بأخذ
الاربية المتعين

واستشار الوليد مروان ، مع انه لم يكن على صلة حسنة به ،
فأشار عليه بأن بوقف الحسين وابن الزبير حالا قبل ان يعلموا
بوقاة معاوية . لكن الوليد لم يقم بذلك حالا ، فهياً الاثنان
سبيل الهرب الى مكة في آخر رجب سنة ۶۰ (اول مايس ۶۸۰) .

الوليد لا يوقفهم
فيهرب اقوامهم
الى مكة

اما ابن عمر ولم يعتبر خطيراً ، بل قيل عنه إنه لا يجب أن يولّى على الناس الا ان يدفع
اليه هذا الأمر عفواً ، اضع الى ذلك أنه كما يقول الواقدي (۵۵) لم يكن آنذاك في
المدينة ، ولما عاد اليها بايع ، وقد عرف أن كل الناس بايعوا . وبايع ابن عباس أيضاً .
وكان ذلك موقف الجماعة الصحيح .

وما عثم الوليد ان عزل ، وحل مكانه اموي آخر هو عمرو
ابن سعيد بن العاص الذي كان آنثذ في مكة . ويقول الواقدي
ان ذلك حدث في رمضان عام ۶۰ . وفي روايات اخرى أنه

عمرو بن سعيد
والي المدينة

لم يحدث الا في ذي القعدة (۵۶) .

(۵۴) الطبري ۲/۲۱۶ وما بعدها .

(۵۵) ۲/۲۲۲ وما بعدها .

(۵۶) الطبري ۲/۲۲۶

وخذع الحسين فخرج من امكافه في مكة . وضيق الكوفيون
النطاق عليه راجين منه ان يقدم اليهم وان يقبل بيعتهم .
وانتهت اليه كتبهم الاولى في ذلك في الماشر من رمضان ،

مسلم بن عقيل
يقتل في الكوفة

فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ، يتقدمه فيعد له السبيل . ووجد عقيل عدداً
كبيراً من المؤيدين في الكوفة ، حتى اذا اضطر قبل الاوان الى ان يهاجم الامير
الجديد عبيد الله بن زياد ، تركوه في الضيق ، قال امره الى نهاية تميسة . وذلك في
الثامن او التاسع من ذي الحجة .

وفي الوقت نفسه اي في الثامن من ذي الحجة ، برح الحسين

مقتل الحسين

مكة مع اتباعه ، وقد شججه على ذلك تقرير اول ملائم تلاقه

من مسلم . وحقاً انه علم في طريقه بموت ابن عمه موتاً مريباً ، بيد انه لم يكن
بوسعه ان يمود ، او لم يكن يريد العودة . فقتل في معركة نشبت مع جنود من اهل
الكوفة في كربلاء على الفرات في الماشر من محرم سنة ٦١ (١٠ تشرين الاول
٦٨٠) . وتلاشت محاولة الثورة ، واضمحلت اضمحلالاً تميساً . على ان استشهاد
الحسين كان له معنى كبير في مثاليته واثر بالغ في الشيعة (٥٧) .

والضح ان ابن الزبير اخطر من الحسين . وسر ابن الزبير

ابن الزبير

من التخلص من منافس ما كان بوسعه ان يمتدي عليه . وتزد

اخطر من الحسين

زيد في الانقضاء عليه انقضاءً جدياً ، فقد ظل مختلفياً

في مكة المقدسة حيث يحظر القتال وسفك الدماء . وكانت التقارير عن موقفه

مع زيد مختلفة وغير كافية .

ويروي لنا ابو مخنف (٥٨) عن عام ٦١ (الذي يبدأ بأول
تشرين الاول ٦٨٠) وكان فيه عمرو بن سعيد واليا على
المدينة (٦٠) مايلي: استخدم ابن الزبير مقتل الحسين ليخدع
الكوفيين والحكومة، ويخدع في السر يزيد. واصر اتباعه على ان يتلقى البيعة،
لكنه لم يتلقها الا سرا. اما في العلن، فقد كان يظهر انه عائد بالبيت. ولما
سمع يزيد انه فعل ما فعل و اعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة.

يزيد يقسم بان يوثق
ابن الزبير بسلسلة

غير انه بعد ان اعاد الفكر، بعث اليه بسلسلة من فضة ليلبسها
فمر بها البريد على مروان بن الحكم، فاستشهد مروان ببيت
يدل على ان قبول السلسلة ضمة. وسمع ابن الزبير بذلك، فرفض
قبول السلسلة. وتفاقم خطره في مكة، بل كابيه اهل المدينة، اذ اضحى بعد وفاة
الحسين صاحب الدعوة في الخلافة.

مروان يقول

ان السلسلة ضمة

وتقول رواية ينهي سندها الى الزهري (٦١) ان السلسلة كانت
مركبة من قطع فضية من الدراهم متصل بعضها ببعض،
قدمها اربعة رسل بينهم ابن عيضاة الاشعري ومعه. وقدم معهم الى مكة عبد
الملك وعبد العزيز بأمر من والدها مروان، فانشدا الابيات لابن الزبير تحذيرآله
لاطلبأ لامتناله. وفهم وكان نديها، فأجاب بأبيات معارضة.

ابن الزبير يرفض السلسلة

(٥٨) الطبري ٣٩٥/٢ وما بعدها.

(٦٠) وروايات ابي مخنف التي ليس تأريخها بالازمان هو نقطة القوة فيها لا يمكن ان
تقسم على التواريخ التي يحددها الواقي (الطبري ٢٢٣/٢ وما بعدها) و ابو معشر (الطبري ٣٩٥/٢).
وكانرميز Quatremère محق في مخالفة لفابل weil (1,325). ولاضيره فعمرو بن سعيد
لا يكون تبسع الوايد بن عتبة مباشرة (الدينوري ٢٤٣، ٢٠٤، ٣).
(٦١) الطبري ٣٩٧/٢ وما بعدها.

ويظهر الرسولان المذكوران هنا في الاغانى أيضاً (۶۲) برواية
 لوهب بن جرير . فلنا أن نستنتج انها عن الحادث نفسه ،
 وإن رويت باختلاف كبير . ولم يعرض للسلسلة ذكر ما فيها .
 ثم ارسل يزيد النعمان ابن بشير الانصاري الى ابن الزبير مع عشرة رجال آخرين ،
 عدت اسماؤهم (۶۳) . وكان على النعمان ان يفاوض ابن الزبير على انفراد مفاوضة
 سخية سمجة .

كان على النعمان
 ان يفاوض ابن الزبير

وتضايق ابن عضاء من هذا التغام السري بين انصاري
 ومهاجري (۶۴) فقال لابن الزبير ان النعمان هو ولاويب
 زعيمهم ، لكنه لم يفوض بمهمة خاصة ، فليست مهمتهم جميعاً
 إلا واحدة . فاجاب ابن الزبير : مالي ولكم ؟ لست الاحمامة من حمامات البيت ،
 أفقتلون حماماته؟ فأنحنى ابن عضاء واتجه الى حمامة ، وقال لها : ابنتي الحمامة هل يشرب
 يزيد الحمر؟ قولي نعم فارميك . ثم مال الى ابن الزبير وأضاف قائلاً : والله لئن لم
 تباع ايظهن فرسان الاشعر ، فما يبالوا بقداسة البيت . وان يدنسوه هم انما يدنسونه من
 يتخذ حراماً لعصيانه .

ابن عضاء
 يأخذ الحديث ويهدد

ولم تنقض تلك الحادثة بمحاماتها دون ان تحدث أثراً في
 المؤرخين المحدثين . على أنها انما هي قصة ، فقد ورد لها شبيهه
 بشكل آخر وبمناسبة اخرى (۶۵) . بل ان العدد الكبير من الاسماء المذكورة لا يزيد
 هذه القصة موضوعه

(۶۲) الاغانى ۱/ ۱۲

(۶۳) في الاغانى ۵/ ۱۲ اقرأ بدلاً من الحزامي والسلولي الجذامي والسكوني .

(۶۴) وهو وغيره كانوا عرباً من قبائل بدوية . والانصار والمهاجرة ، اي السكان القداماء

والمهاجرون الى المدينة من القرشيين ، هم الطبقتان من اعيان الاسلام .

(۶۵) في الطبري ۲/ ۴۳۰ . وجرت محادثة بين ابن الزبير والحصين بن نمير في حرم مكة

واقترب حمام الحرم من فرس الحصين «فكف الحصين فرسه عنهن» ، فقال له ابن الزبير : «الك؟

قال اخاف ان يقتل فرسي حمام الحرم ، فقال له ابن الزبير : اتخرج من هذا وتريد ان

تقتل المسلمين» .

في الثقة بها واسم الرئيس الذي قاد المهمة يبدو على الاخص غير صحيح ؛ فقبل نحو من سنة اوفد الخليفة النعمان الى مكة بالمهمة نفسها التي كان عليه أن يتمها في المدينة بعد نصف سنة . ولو كان علينا ان نختار ، لآثرنا رواية ابي مخنف (٦٦) التي تقول ان الانصاري ارسل المدينة الى بني قومه من الانصار .

ولعل العقدة تجدها حلا برواية الواقدي . وتأتي تلك

الرواية (٦٧) في سنة ٦٠ ، وذلك قبل وفاة الحسين التي وقعت في مبدء عام ٦١ ، ولم يكن ابن الزبير قد ظهر في الميدان وهي :

الصحيح ان يزيد
ارسل عمرو بن الزبير
الى اخيه

و كانت الرسل تجري بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في

البيعة ، فحلف يزيد الا يقبل منه حتى يؤتى في جامعة . وكان الحارث بن خالد الخزومي على الصلاة ، فمنه ابن الزبير . فلما منعه كتب يزيد الى عمرو بن سعيد ان ابث جيشاً الى ابن الزبير ، وايكن تحت امره عمرو اخي عبد الله . وكان بين الاخوين بغضاء .

ولما شق عمرو طريقه الى مكة مع جيشه المختلط دون مقاومة

فدخلها و ارسل الى اخيه : برّ عين الخليفة واجعل في عنقك

عبد الله يقتل اخاه

جامعة من فضة لا ترى ، ولم يقبل ابن الزبير ، بل باغت شرطة عمرو ، ثم القي القبض على عمرو نفسه ، وجعله يقتل تحت السياط في سجن عارم . وتؤيد حملة عمرو المشثومة رواية اخرى (٦٨) وآيات من الشعر ، فهي واقعة تاريخية لا ريب فيها .

على أن قصة الجامعة الفضية ليست فصلاً يحسن ادخاله هنا

انما وضعت وضماً مصطنعاً . ومكانها على الاصح خلال المحاولات

قصة الجامعة
في المفاوضات فقط

في الوصول الى اتفاق سلهي قبل الاصطدام . والرواة الآخرون

في هذا اصح من الواقدي .

(٦٦) الطبري ٤٠٤/٢ .

(٦٧) الطبري ٢٢٣/٢ وما بعدها .

(٦٨) الاغانى ٣٩/١٣ وما بعدها .

وحوالي آخر عام ٦١ ، اقبل عمرو بن سعيد من المدينة نتيجة
لمؤامرة تمت في قلب آل امية . فقدم الى دمشق ، وورر موقفه
امام الخليفة . وعاد سلفه الوايد بن عتبة الى مكانه الاول
بدلا منه . وتقول رواية بجمع عليها انه كان اميراً على الحج

الوليد بن عتبة
على المدينة
م عثمان بن محمد

عام ٦١ ، وظل في عمله خلال عام ٦٢ ، او على اقل تقدير في اكبر قسم من ذلك
العام . ويقول ابو مخنف (٦٩) ان ابن الزبير افلح بكتاب أرسله في ان يجعل الخليفة
يقم مكانه عثمان بن محمد بن ابي سفيان ، وهو حدث متعجرف لا تجربه له . ويقول
الطبري (٧٠) وابو مخنف أيضاً على ما يلوح لنا (٧١) انه لم يتسلم عمله الا بعد انتهاء الحج
في عام ٦٢ . ولكن هذا يبدو (٧٢) غير متفق عليه . وعلى كل فقد وقع تبديل العامل
في نهاية عام ٦٢ أو بداية عام ٦٣ .

وعام ٦٣ (الذي يتدىء في العاشر من تشرين الاول ٦٨٢)

لا يشبه الامين السابقين ، فهو مليء بأخطار الحوادث . وروي
لنا ابو مخنف (٧٣) ان العامل الجديد ارسل من المدينة الى
زيد وفداً من الانصار والمهاجرين معاً ومن الزعماء ذوي

وفد اعيان المدينة
الى يزيد
يروون تهتكه

النفوذ عند جمهور الناس والامر في المدينة . ولم تكن المدينة مؤيدة تأييداً قطعياً
للزبير ، بيد أنها على اي حال مخالفة الامويين . وورغب العامل الى يزيد في ان
يستعمل الاصفر الرنان ليكتسبهم اليه . فمنحهم زيد هدايا ثمينة (٧٤) . لكنه لم يصرفهم

(٦٩) الطبري ٤٠٢/٢

(٧٠) ٤٠٥/٢ .

(٧١) الطبري ٤٠١/٢ وما بعدها .

(٧٢) الطبري ٣٣٩/٢ ، ١٨ .

(٧٣) في الطبري ٤٠٢/٢ وما بعدها . ولوهب بن جرير (٤٢٢/٢ وما بعدها) مقابل

لذلك تاريخه مبهم جد الا بهام اذ يقول : بعد وفاة معاوية .

(٧٤) ويختلف الطبري ٤١٩/٢ وما بعدها .

عند عودتهم عن ان يرووا في المدينة افظع الاشياء عنه ، من تلميه بكلاب الصيد (٧٥) وانتقائه اصحاب السوء ، وشربه الخمر على الموسيقى والغناء ، وزبدة الكلام انه لا دين له .

ومن الخطأ القول ان الوفد كان من الانصار والصحابة فقط ،
فمن يتألف الوفد
فوالله (٧٦) يتحدث عن قدماء الصحابة من غربي الاطوار ، ويرعم
انهم كانوا غرباء تماماً على يزيد . وما لمر أفكاره الخاصة عن الصحابة والخليفة .
والا فالخليفة كان بالطبع مطلقاً على كل شيء في المدينة تلك البلدة الاولى في الاسلام .
وكان كسك عربي ذي مكانة عالية يعرف عدداً كبيراً من الناس .

ويقص علينا ابو مخنف محاولة اخرى واخيرة قام بها يزيد
ليسترضي بها الافكار في المدينة . فلم يكن يريد من أعماق
قلبه ان يستعمل القوة مع المدينة ، لأنها كانت مقر قبيلته .
ولذلك ارسل اليها أحسن رسول للسلام ألا وهو النعمان بن
بشير . ولكن النعمان كان يتحدث الى آذان صماء .

وكان مبدء الثورة في المدينة على مايقول المدائني (٧٧) مشهداً
مسرحياً في الجامع . فقد استولى على الشعب غضب مفاجيء ،
فنقضوا الطاعة ليزيد بأن القى كل منهم أمامه بردائه وعمامته
او حذائه . وتلك امارة معروفة عن انقطاع العلاقات . وما لبث ان اجتمع منها على
الارض كتلة عظيمة . أما الطبري فلا يورد من هذا الخبر شيئاً ، قابو مخنف (٧٨)
يذكر في بداية الثورة ان اهل المدينة بايعوا عبد الله بن حنظلة القسبل رئيساً لهم

(٧٥) الاغاني ١٠٦/٢٠ يقول « القروذ »

(٧٦) 1,367 .

(٧٧) الاغاني ١٣/١ .

(٧٨) ٤٠٥/٢ وما بعدها

في النضال مع يزيد ومع الحكم الاموي . وكان ابن حنظلة في الوفد الى دمشق .
وهو انصاري اشهر بأنه ولد بمد شهادة ابيه في احد . وابوه هو الذي
غسلته الملائكة .

والعمل الثاني الذي قام به العصاة انهم وثبوا على الامويين
في المدينة . وكانوا نحواً من الف رجل ، فخرجوا بمجاعتهم
حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، وهو اقدم رؤساء الامويين
واجلهم . فارسل مروان كتاباً عن وضعهم الى الخليفة قال فيه : « بسم الله الرحمن
الرحيم ، اما بمد فاننا قد حصرنا . ومنعنا المذب ورمينا بالحجوب ، فياغوثاه ياغوثاه .
ومع ان يزيد استخف بهذا النداء ، فقد قرر ارسال جيش
في الحال . وكان على عمرو بن سعيد ان يقوده ، غير ان
هذا ما كان يود ان يهرق في المدينة دماء القرشيين في الصعيد ،
فاقترح ان تكون القيادة لغير قريشي ؛ فمال يزيد الى خادم مخلص قديم لوالده ،
وهو مسلم بن عقبة المري .

الوثوب على بني امية
واستغاثهم

عمرو بن سعيد لا يرغب
بتولي حرب المدينة

وكان مسلم يرى انه اذا لم يستطع الف رجل ان يدافعوا عن
انفسهم ساعة من النهار ، فليسوا أهلاً لان ينصروا . لكنه اعان
عن استعداده المعني ، وقد قال يزيد انه « لا خير في العيش
بمدم » . ونودي بالناس ان سيروا الى الحجاز على اخذ
اعطياتكم كلاً ومعمونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته ، فاجتمع لذلك
اثنا عشر الف رجل ، (٧٩) .

مسلم بن عقبة
يسير مع جيش
اجذت اعطياته

(٧٩) وكان اكثرهم بالواقع والعادة كليين . وقاتل رئيس قيس زفر بن الحارث في جانب
ابن الزبير ضدهم ، انظر علاوة على ذلك Chawarig, 54.

وفي تلك الاثناء كان المحاصرون في المدينة قد تمكنوا من
المحاصرون يخرجون
الانسحاب بحرية ، فخرجوا الى الشام الا امرأة مروان التي
فيلتقون بمسلم
ذهبت الى الطائف بحماية ابن للحسين كان قد نجا في كربلاء ،
وكان من القرشيين القلائل الذين لم يشتر كوا في الثورة . والتقى مسلم في وادي
القرى ، وهو سائر الى المدينة ، بالامويين الهاربين . وكان حانقاً عليهم ، والامر على
ما هو عليه . ولم يربأ بنفسه من ان يتجههم لزعمائهم ، فهم لم يجيبوه عن اسئلته ، اذ
كانوا موثوقين بيمين اقسامه بذلك .

وتمكن عبد الملك بن مروان من صرف غضبه ، واعجب هو
عبد الملك
يدله على الخطة
بعشورة هذا وخبرته وتبهما . وفي ذي الحجة من عام ٦٣ ،
بلغ المدينة وعسكر بالحرّة في شمال شرقي المدينة .

وامهل المصاة ثلاثة ايام يفكرون فيها ، وقال لهم انه راغب
الرفق اولاً بالمصاة
في ان يفسح مس بالدم وان يسير الى هذا الملحد الذي بمكة ،
فهو بكره هراقة دمائهم ، لانهم الاصل في الاسلام والدولة . ولما مضت الايام الثلاثة ،
قام بمحاولة اخرى متكلماً بكلام لطيف اجيب عنه بكلام مهين . وكان اهل المدينة
قد حمو الجانب الشمالي المكشوف من مدينتهم ، واقاموا سداً وخندقاً عليه . وكان
جيشهم مؤلفاً من اربع زمر يقودها قرشيان ، احدهما اشجيمي والآخر ابن حنظلة
الانصاري ، وكان في الوقت نفسه امير الجماعة . ومن هنا نستكمل رواية ابي مخنف
في الطبري باخبار عوانة وغيره ، واخبارهم لا تتفق دوماً مع روايته .

اقبل اهل المدينة على اهل الشام في الحرّة وانقضوا على مركز
الموقمة
مسلم نفسه . وكان مسلم ممتطياً حصاناً في رواية ، وفي رواية
اخرى محمولا على سرير . وغلبوا بأخرة ، وقتل عدد كبير من اعيان الانصار
والقرشيين ، منهم ابن حنظلة مع اولاده الثمانية . ويقول وهب بن جرير (٨٠)

والسهمودي (٨١) ان الذي ادى الى انهزامهم هو خيانة بني الحارثة الذين نفذت
ورقة من ربههم الى المدينة، فهاجمت المدافعين من خلفهم . ويؤرخ الواقدي (٨٢) هذه
الوقعة يوم الاربعاء في ٢٦ او ٢٧ ذي الحجة سنة ٦٣ اي ٢٦ آب ٦٨٣ . وايضت
مدينة الرسول [عليه السلام] ثلاثة ايام للمحاربين، فمبثوا فيها ماشاء لهم سرورهم .
هذا ما يقوله ابو مخنف (٨٣) والسهمودي ، لكن ابا عوانة
بمخالفتها . فهو يقول ان مسلماً ارغم اعيان المدينة بمد الوقعة
بيوم واحد على ان يؤدوا البيعة في قُبَا . ونفذ الحكيم بهذه
المناسبة في بعض زعمائهم، ومن بينهم عدد من القرشيين لم يأبه بشأنهم لاحتجاج
مروان . ومنهم أيضاً مقل بن سنان الاشجعي (٨٤) . وهذا السلوك المنظم في اليوم
الذي تلى المعركة لا يتفق مع ما ذكر عن الايام الثلاثة التي ابيحت بها المدينة . ولا
يؤيده الف من الاولاد غير الشرعيين ولدوا على ما يقول السهمودي بنتيجة تلك
الايام . ولا يذكره وهب بن جرير أيضاً (٨٥) .

طلب مسلم تأدية
البيعة من الدينين

وبعد ان اخضع مسلم المدينة ، عمدا الى مكة . ولكنه لم يصل
الى المشكل حتى حل به الموت ، وضميره مرتاح ، يعتقد انه قام
بمعمل رضي الله . واوصى باملاكه الى قبيلته وزوجه لا الى اولاده . وترك القيادة
الى حصين بن نمير السكوني ، مخالفاً بذلك رغبته الشخصية ومختللاً لارادة الخليفة .

موت مسلم

(٨١) Shizzen, 4, 26 .

(٨٢) الطبري ٤٢٢/٢ .

(٨٣) الطبري ٤١٨/٢ .

(٨٤) وكان مقل من غطفان مثله وبينهما صداقة كبيرة . فنضب منه . وقال له مسلم :
« انت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد . هفت سرنا شهراً ورجعنا من عند يزيد
صغراً . رحع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ونباع ارجل من ابنا المهاجرين فيم اشجع وغطفان
من الخلع والخلافه ؟ اني آليت يمين لا القاك في حرب اقدر فيه على ضرب عنقك الا فعلت » .
هذا ولا تتطلب « فيم . . من » (الواردة في الطبري ٤٢٠/٢ . ٣) تعليقا عليها فهي مفهومة .

(٨٥) الطبري ٤٢٣/٢ . ١٥ .

وطبع في ذهن حصين الا « برعي سممه قرشياً ابدأ » . وتتفق رواية عوانه (٨٦) مع
ابي مخنف في كل مايقول . ويؤرخ ابو مخنف موت مسلم في آخر محرم سنة ٦٤ .
لكن عوانه والواقدي يقولان ان الحصين كان قد عسكر امام مكة في المحرم .

وما يثبتته المؤلفون المتأخرون بخالف الصورة التي رسمت هنا عن

مسلم بمثل الجاهلية

مسلم بن عقبة مخالفة غريبة فقد قيل: « ولعله لا يوجد احد يمثل

احسن منه الجاهلية والمبادئ الوثنية ، فليس لديه اي اثر من آثار العقيدة المحمدية ،
وهو لا يحمل شيئاً مما يقده المسلمون ، بل يأخذ بالخرافات الوثنية ، ويؤمن بالاحلام
التي تنبئ عن الغيب ، وبالكلمات الخفية التي صدرت عن بقيع الغرقد ، كما ظهر منه
عندما عرض خدماته على يزيد . فقد ذكر له انه هو وحده الذي يستطيع
اخضاع المدينة . فقد سمع في المنام هاتفاً من بقيع الغرقد يقول « يا مسلم » . هذا
ما يقوله دوزي (٨٧) .

ويرى مثل ذلك مولر (٨٨) حيث يقول: « وتمخضت نفس مسلم

هو يشفي غله

على الاسلام واهل السنة خاصة بمقدّمات ذلك الحقد الذي

جعل شمر يقتل الحسين وكان مسناً ومريضاً ، بيد ان فكرة ازال العقاب المنتظر عبثاً
منذ امد طويل باعداء الجاهلية الالقاء بعثت نشاطه ودحاً من الزمن . وأرسل معه
الحصين بن نمير ليكون خلفاً له اذ مات قبل نهاية الحملة . وكان الحصين بن نمير قبل ذلك
بقليل الساعد الايمن لعبيد الله في الكوفة (٨٩) . وعاطفته نحو مسجد الرسول
[عليه السلام] ونحو الكعبة تشبه شعوره نحو نمشين فارعين . وهكذا عد مسلم جاهلياً

(٨٦) الطبري ٤٢٤/٢ وما بعدها .

(٨٧) Histoire des musulmans d'Espagne 1,97f .

1,367 (٨٨)

(٨٩) وهنا يُخاطب بين الحصين بن نمير السكوني والحصين بن تميم التميمي الكوفي . وهكذا

تنضم قصة السكوني . وانظر عن شمر 70 , Shia .

تماماً بأثر بقیع الفرقد الذي امله على مايقول في الاغاني (۹۰) لم يستثره حقا، بل وآه
في المنام (۹۱). وقيل إن حقه البائع على اهل المدينة آثاره، فسمى متحمساً رغم سنه ومرضه
الى ان يفتز الفرصة للفتك بهم .

ولا تعرف الروايات القديمة شيئاً عن هذا . ففي الطبري (۹۲)

الروايات القديمة
لا تعرف وثبته
انه شهد في سرير موته انه ليس احب اليه من شهادة ان
لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله . ثم انه لم يكن متحمساً
للعمل الذي عهد به اليه يزيد ، بل لم يكن يبغيه . ولم يكن يرغب في ان يصب
نقمته على مدينة الرسول [عليه السلام] ، فقد حاول ان يصرف ذلك عنها حتى
آخر لحظة .

بل انه من الشك بمكان ان يكون قد قرر اباحة المدينة ثلاثة
ايام بعد ظفروه . ولقد اضطرها الى ان تباع ولكن دون ان يعمد
الى اسلوب غير عادي في النقمه (۹۳) . وكان خادماً مخلصاً لسيدته ، أخضع
العصاة لامره . « فيم غطفان واشجع من الخلع والخلافة ؟ ، لقد كان سعيداً بان
تملك المسألة لا وجود لها عنده ، وهو غطفاني . فقد ترك الاطماع السياسية
للدساسين والخصوم الذين كانوا يعملون في الخفاء بالبلدين المقدسين . بل رأى انهم
قد اساءوا الى المكان المقدس ، وقضوا على حرمة . وهو ، انه عمل حسب ما اوحاه
اليه ايمانه . ومضى الزمن ، واذا بانها كه حرمة المكان المقدس لعله رأها تصبح
اكثر الاشياء اثاره ، واذا به يضحى الجاهلي النموذجي ، حسبما وصفه
دوزي ومولر .

(۹۰) الاغاني ۱/۱۴

(۹۱) يشابه الحجاج ؛ طبري ۲/۸۲۹ ، ۱۵

(۹۲) ۲/۴۲۵ .

(۹۳) كما يراه دوزي (۱/۱۰۷) . وانظر من جهة اخرى الطبري ۲/۴۱۸ ، ۱۸

دوزي : مسلم يتأر
من الانصار
ويوغل دوزي (٩٤) في تعليقاته على بقيع الفرقد فيقول :
« انتهى عرب الشام حسابهم مع اوائك المتحزبين المتمصين ،
الذين اجرؤا دماء آبائهم انهاراً في بلاد العرب . وقضى
الاشراف القداما على المحدثين . وثار يزيد الذي يمثل ارسنة راطية مكة القديعة لمقتل
الخليفة عثمان . وانتقم لهزيمة جده ابي سفيان امام اهل المدينة الذين تقوؤم راية
الرسول [عليه السلام] وكان رد فعل الوثنية على الاسلام رداً قاسياً تاماً ، بحيث
لن يرفع الانصار رأسهم بعده أبداً . وسُحقت قوتهم فلا تعود . وسببت مدينتهم
للكلاب مدة ، وكادت مخلو من السكان . وأطلقت المنطقة الى الوحوش الكاسرة ، فقد
محت السكان عن وطن جديد بعيد كل البعد ، وذهبوا الى جند افرقيا . اما الباقون
فهم احق بالشفقة ، لان الامويين لم يألوا جهداً في ان يشمروهم بمقدم واحتقارهم
وان يهينوهم ، ويحملوا من حياتهم عبثاً ثقيلاً عليهم . وبأخذ موالم (٩٤ب) بهذه الاوبكار
المتوبة التي اكثرها منلوط .

ان اقصى ضربة وجهت الى المدينة انما وجهت حينما انقضت
ظلت المدينة كما كانت
الخلافة القديعة الشرعية بمقتل عثمان ، وانتقلت الخلافة الجديدة
الى الامصار . اما هذه الضربة الجديدة ، فلم تؤد الى تغيير اساسي . ولم تصح المدينة
بها خاوية على عروشها ، بل سرعان ما عاد الامويون المطرودون ليطردوا مرة اخرى ،
وظلت المدينة كما كانت بلدة مرحة ، هي مقر الجماعات العربية البارزة ذات الذوق
الرفيع . فليست مجرد موطن المحدثين الاتقياء ، بل كان يؤثرها اوائك الذين
يودون ان يدعوا اعمالهم ، وان يحييوا بيسر . وكانت منتدى المغنين والموسيقيين
والطفيليين . وشاهدنا على ما نقول تراجم هؤلاء الافراد في كتاب الاغاني .
وامل ترجمة ابي قطيفة واشعب ينفني ان نخصها بالذكر في هذا الصدد ، بل نتقدمها
في ذلك ترجمة سكيئة ابنة حفيد الرسول [عليه السلام] بطلاقها وظرفها .

هذا وتمثيل حالة المدينة على ما وصفت عليه مضال ، فكان
الانصار هم وخدم الذين تأثروا بوقعة الحرة . فليس الانصار
هم وخدم اهل المدينة . ولم تعد المدينة بلدتهم ، فهم يسكنونها
مع المهاجرين . ويمثلهم هؤلاء ، ويتفوقون عليهم بالقوة .

الانصار ليسوا
وخدم اهل المدينة

وبين المهاجرة نحتل قريش المحل الاول ، فهم قد هاجروا
اليها منذ العام الثامن للهجرة بمهاجر كبيرة . واصبحت عاصمة
الدولة موطنهم الحقيقي . وشاركوا في الثورة على يزيد ، كما

قريش تدير ليزيد
ظهر المحن

شارك فيها الانصار . والتميز بين اعيان الاسلام والجاهلية الذي كان ولا ريب
ماتلاً بينهم ، لم يكن يحظى بمحل كبير لديهم . ولم يكن ليزيد بينهم حزب ابدأ .
وهو لا يمثل ارسنقراطيتهم القديمة ، وان كان ينتمي اليها . هذا وقريش قد ادارت
له في الحجاز ظهر المحن ، كما فعلت من قبل مع ابيه . ولنضرب مثلاً على ذلك بني
مخزوم البارزين ؛ فهم قد كانوا مع ابن الزبير قلباً وقالباً .

بل ان الامويين في المدينة لم يكونوا على خير الصلات بيزيد .

الامويون ليسوا على
احسن الصلات بيزيد

ولم يودوا ان يفضوا آثارين بل تقربوا من ابن الزبير .
ولمسلم بن عقبة الحق في ان يفض عليهم . ويزيد ليس معه الا

اهل الشام . ومنهم اقام جنداً يتألف من بضعة آلاف رجل باجور مرتفعة تفوق
حد المعتاد . وبما انه لم يكن مشبهاً برغبة الثأر ضد العصاة ، بل كان يسعى الى
كسبهم باللطف ، ويظهر لهم عطفاً ورفقاً ، فلم تكن جذوة اهل الشام للقتال كثيرة
الاتقاد . ولشد ما كانوا يدهشون لوقيل لهم : وان حقدم البالغ على اولئك المتحزبين
المتعصبين الذين اجروا دماء آباءهم انهاراً ، انما هو الذي دفعهم الى الحرب . ولو كان
السبب هو هذا ، لكان للعراقيين حق اقوى لا حقد على اهل المدينة ، والعراقيون
انما خرجوا من اهل الردة . انرى السبب هو ان اهل الشام او الكلبين منهم هم
الذين قاسوا شظف العيش ؟ ألا إن دوزي يرخي العنان لخيساله وبلاغته . وبذلك
يلبل افكار من أتى بعده .

والحق الصريح هو ان العرب من اهل الشام كانت عليهم
كثيرم ان يتلاءموا مع الاسلام تلاؤماً فيه تبدل في السياسة
اكثر مما فيه تبدل في الدين . وربما كان الانتقال من طور
الى طور غير محبب الى قلوبهم اول الامر ، غير أنه سرعان ما انطلوت صفحة ذلك ،
فقد حازوا به خير البركات . وخولهم الاسلام ان يشتركو في حكمته ، وبسط
العالم تحت اقدامهم . ولولا الاسلام ما ادركوا الدرجة التي بلغوها . وهكذا فما
كان يسعهم ان يثابروا على شهور الكراهية نحو اوائك الذين فتحو لهم ابواب
الرخاء والخير . واول ما نستطيع التحدث عنه هو حقد المبالغ على اهل السنة ، كما يسمي
موالر اهل المدينة .

ففي التعاليم المتصلة بالمقيدة والفقهاء والعبادات كانوا على اتفاق
نام مع اهل المدينة . وكان اهل المدينة دون ادنى ريب
متمسكين بالواجبات الدينية تمسكاً اشد منهم . ونحدثون
عنها اكثر . غير أنهم ابعد من ان يكونوا متحيزين متمصبين
مترمتين . واسم اهل السنة ، الذي نستعمله اليوم يعطينا فكرة غير صالحة عن
علاقات الاحزاب المتنازعة بعضها ببعض .

واذا رجعنا الى نظرتنا التي لا تأخذ بالحكم الديني ، وجدنا ان
التباين بين الاحزاب هو مجرد تباين سياسي يتصل بموضوع
الخلافة وعن له حق الخلافة . فذوو المكاة في الاسلام ، وهم
اولاد الصحابة الستة البارزين كالحسين وابن الزبير ، كانوا يدعون هذا الحق
لانفسهم . والرأي العام الى جانبهم واغلبية قريش تؤيدهم ، بل لا بد ان الانصار
انفسهم كانوا يعملون لأجلهم ، كما حدث في العصيان على عثمان ، وذلك لاعادة
المدينة الى مكانها في الزعم التي كانت لها سابقاً فأضاعها . وهناك ما يشير الى ان
ابن الزبير هو الذي بعث الثورة في المدينة . وكان مسلم بن عقبة يرى ان ذلك
كذلك . وعُمد بنو سفيان مفتصبين ، فوقف اهل الشام وخدم الى جانب الحكومة

اهل الشام
تلاءموا مع الاسلام

الخلاف بين المدنيين
واهل الشام
سياسي لاديني

موضوع الخلافة
هو وجه الخلاف

ذات السلطان دفاعاً عن مكانة مصرم ، دون ان يتعبوا انفسهم في البحث عن وجه الحق في هذا الشأن .

على ان هذا الأمر الذي نعتبره سياسياً محضاً كان في حكم السياسة تتخذ وجه الدين في الخلافة الاسلام جزاءً من الدين ، فكانت دعوى المطالبين بالخلافة تلاقى تأييداً في الميدان الديني . ومن ذلك الميدان أُعلن ان يزيد غير اهل للخلافة . على ان البواعث الدينية عند قواد الحركة ليست الا حجة يحتجون بها ، والباعث الحقيقي لهم انما هو الطمع والطموح الى السلطان . فهم يريدون ان يخلعوا يزيد لا لانه يشرب الخمر ويلهو ، بل لانهم يبنون ان يخلعوا محله . وكان اهل الشام على حق حين لم يبد لهم موضوع الاحقية بالخلافة الا طلاء نفاق طلي به موضوع السلطان . وانها مهم خصومهم بالنفاق انما يقصد به هذا النفاق وحده . وهو انهم قابلوه اولئك بان رموهم بانتهاك الحرمات .

وعوانه (٩٥) هو المرجع الاول في حوادث حصار مكة عام ٦٤ . واليك ما يقوله في ذلك : بعد موقعة الحرة ذهبت المدينة باجمعها الى مكة على انه لم يرد ذكر بين من ذهب الا امدد قليل (٩٦) من القرشيين . وكان خوارج البهامة قد هبوا قبل ذلك بقيادة نجدة بن عامر الى الدفاع عن البيت الحرام امام حملة اهل الشام عليه (٩٧) . ثم وصل الحصين بن نمير قسراً تلك البلدة في المحرم سنة ٦٤ ، ومعه اهل الشام . واثمت اول معركة خلاف مصلحة المدافعين ويقول عوانه ان اهل الشام احرقوا الكعبة في يوم الاحد الثالث من ربيع الاول سنة ٦٤ اي ٣١ تشرين الاول ٦٨٣

رواية عوانه
عن حصار مكة

(٩٥) الطبري ٤٢٤/٢ وما بعدها .

(٩٦) الطبري ٤٠٤/٢ ، ٢٠ ، ٤٢٦ ، ١٠٠ ، ٥٢٨ ، ١٢ .

(٩٧) وتاريخ ابي مخنف للعادنة في الطبري ٤٠١/٢ وما بعدها سابق لها في الزمن . انظر

الحماسة ٣١٩ ، ٢٢ و Chawarig, 29; Shia, 75

ورواية عوانه هذه مغلوطة . فالكعبة دون ادنى ريب حُرقت
لم يحرق اهل الشام
الكعبة
في ذلك التاريخ ، واحترق الحجر المقدس فاصبح اسود .
لكن ذلك لم يكن فعل السوريين فابو مخنف يستعمل (٩٨)

صيغة الفعل المبني للمجهول جاعلا الامر مبهماً . ويقول الواقدي (٩٩) : « ان رجلا من
اصحاب عبد الله بن الزبير اخذ قيساً في رأس ومخ ، فطيرت الريح به ، فضرب
امتار الكعبة . » ويقول المدائني (١٠٠) ان ابن الزبير نفسه هو الذي وقع منه هذا
الفعل . والشعر الذي يستند اليه عوانه في روايته ، وهو في كتاب الحماسة (١٠١)
لا يتعرض للنار ، بل يتعلق بصدد آخر ، هو حصار مكة في عهد الحجاج (١٠٢)
ذلك الحصار الذي تصدى فيه اهل الشام للكعبة ، غير انهم انما قذفوها آنذاك
بالحجارة . وهكذا يبدو ان عوانه احدث تمديلا فيه للنزعة بعض الاثر .

ودام الحصار حتى بلغ مكة نعي يزيد . وكان قد توفي في
نمي يزيد
الرابع عشر من ربيع الاول . ويقول الواقدي ان ذلك النعي
ورد له لربيع الآخر ليلة الثلاثاء بعد سبعة وعشرين يوماً (١٠٣) من احتراق الكعبة
ويقول ابو مخنف (١٠٤) انه لم يرد الا في ١٥ ربيع الثاني . وعن عوانه (١٠٥) ان

(٩٨) الطبري ٢/٥٢٨ ، ١٧ ، ٥٢٩ : ٤ ، ٥٢٩

(٩٩) الطبري ٢/٤٢٧

(١٠٠) الاغانى ٣/٨٤

(١٠١) ٣١٩

(١٠٢) الطبري ٢/٨٤٤ وما بعدها : ١٥٤٢ ، ٣

(١٠٣) الطبري ٢/٤٢٧ ، ٨ . ولا يتفق تحديد يوم الاسبوع مع تاريخ اليوم من

الشهر . وينبغي ان يقرأ ٢٧ بدلاً من ٢٩ ، اذ ان احتراق الكعبة حدث ، كما تقول رواية
مجهولة المؤلف ، في اليوم الثالث من ربيع الاول .

(١٠٤) في الطبري ٢/٥٢٩ ، ٧

(١٠٥) الطبري ٢/٤٢٩ ، ١٨

الحصار دام اربعين يوماً بعد وفاة يزيد . واقصر رواية في تحديد الاجل احسنها .
ويقول عوانه ان ابن الزبير بلغه النعي اولا ، فلم يصدقه اهل الشام بادىء ذي بدء
حتى اتاهم تأييده من مصدر آخر .

وعندئذ فاض الحصين ابن الزبير عازماً على ان يعترف به
مفاوضة الحصين
لابن الزبير
خليفة ، اذ لا يوجد خير منه ، على ان يحقن الدماء في مكة
والمدينة وان يذهب معه الى الشام ، فيبقى مقر الحكم فيها .
واخيراً وافق ابن الزبير على الشرط الاول ، لكنه لم يقبل بالشرط الثاني . ولوقبل
به لفضى على نفسه . وهكذا انقطعت المفاوضات وانسحب الحصين . وبدا جنوده
فاقدي البأس . ذلك انهم لم يعد لهم بعد يزيد من امام ، ولم يعودوا يعرفون في سبيل
من يقاتلون . وهكذا فالبيعة تجعل الوضع السياسي امراً شخصياً جداً .

ويقال ان اموي المدينة ساروا مع السوريين الى الشام ، فهم لم
يعودوا يشمرون بالاطحشان في الحجاز . لكن عوانه نفسه
ابن الزبير
بنفي الامويين
مخالف ذلك الرأي (۱۰۶) شأنه شأن الواقدي (۱۰۷) وابي
مخنف (۱۰۸) فمنذم جميعاً ان الامويين لم يسيروا بحض ارادتهم ، بل نقام ابن
الزبير من المدينة . ويقول صاحب كتاب الصلة (۱۰۹) أيضاً ، ان عبد الله نفسه طرد
مروان غدرًا من ارض المدينة مع اولاده واقربائه .

(۱۰۶) الطبري ۲ / ۴۶۹ ، ۳

(۱۰۷) الطبري ۲ / ۴۶۷ ، ۱۰

(۱۰۸) الطبري ۲ / ۴۸۱ ، ۱۰

(۱۰۹) Continuatio Byz. Ar, par.29

٣ . — انتقال الحكم الى مروان بن الحكم

ويقول ابو معشر والواقدي والياس النصيبي إن يزيد توفي في حوارين قرب دمشق يوم الثلاثاء لاربع عشر ايلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٤ او ١١ تشرين الثاني سنة ٦٨٣ (١١٠) .

وذكرى يزيد مريرة عند المسلمين، اذ كان وريث الخلافة غير الشرعي ، وصاحب الاثم في مقتل الحسين ، ومنتهك حرمة البلدين المقدسين .

على أنه، والحق يقال، لم يكن طاغياً. فقد اغمد الحسن ماوسعه، وانهي الحرب التي امتدت طويلاً مع الروم . والذي يلام عليه انما هو افتقاره الى العزم وعدم اهتمامه بالشؤون العامة . فقد كان لا يبالي بها ، مذ كان في عهد ابيه ، حتى جعل نضال والده في سبيل تأكيد ولاية المهدي امرأ شاقاً ، ولم يشترك في الحملة الكبرى على القسطنطينية (١١١) في عام ٤٩٠ الا مرغماً ؛ حتى اذا أصبح خليفة بعد ذلك لاح كأنه رجع الى نفسه. على انه لم يقلع عن هواه القديم، كالتحرر والموسيقى والصيد وسوى ذلك من وسائل اللهو . ويقول صاحب كتاب الصلة (١١٢) عنه : « انه رجل رقيق الحاشية ، قدرته الشعوب التي خضعت لسلطانه حق قدره . وهو ، على خلاف ما اعتاده الناس ، لم يرم الى اكتساب المجد الذاتي ارضاء لانايته في الملك ؛ بل عامل جميع من عاش معهم معاملة تشعربالمساواة

(١١٠) الطبري ٢/٨٠٤٢٨ : ١٤٠٤٨٨ . والروايات الاخرى ٤٣٧ ، ٣ : ٧٠٠٦ هـ مغلوطه . وعام ٦٣ (٤٦٨ ، ١٥) وانظر ٤١٢ ، ٩) خطأ . ويجمل الزهري والواقدي عمر يزيد ٣٨ او ٣٩ عاماً . ويجمله ابن الكلبي ٣٥ ، وانظر Nöldke, DMZ., 1901. 683f. (١١١) Göttinger Nachrichten, 1901, 423 وكان مرة في الميدان فابان عن شجاعة ومقدرة (الاغاني ١٦ / ٣٣) (١١٢) Continuatío, par. 27

والبساطة. ولم يتلق احد مثل هذا الثناء ، فهو قد صدر عن القلب وقال ابن
عَرَّادَة (۱۱۳) في خراسان :

ابني امية ان آخر ملككم جسد بمحوّار بن ثمّ مقبم
طرقت منيته وعند وساده كوب وزيق راعف مرثوم

وبوفاة يزيد لاح ان نجم بيته قد اقل في كل مكان . حتى ان
عاملان بويما مؤقتاً المال انفسهم لم يؤيدوا ذوبه . فسلم بن زياد بخراسان وعبيد
الله بن زياد بالبصرة بويما بالخلافة . ولا فرق في ان تكون بيئتهما مؤقتة .

اما في الشام او على الاقل في دمشق ، فقد اعترف الناس بالخلف

الذي عينه يزيد ، وهو ابنه الفتي معاوية الثاني . حتى اذا
ولي معاوية هذا ، انزل عن امصار ملكه كاهنات الخراج (۱۱۴).

معاوية الثاني
ينزل تلك الخراج

لكنه توي بعد حكم قصير .

ويقول عوانه (۱۱۵) والبلاذري (۱۱۶) انه تنازل عن الخلافة

قبل وفاته ، لكن الواقدي (۱۱۷) لا يذكر شيئاً عن ذلك .

وامل هذه القصة ذات صلة بما حاوله بنو مروان من اسدال

الستار على اخذهم دون حق محل بني سفيان . وهذه المحاولة

تفسر أيضاً لماذا لم يدخل اسم معاوية الثاني في عدد كبير من القوائم التي وضعت

باسماء الخلفاء ، والتي يتبع فيها مروان يزيد مباشرة . ويشبه ذلك من حوادث التوراة

لعل قصة تنازله
محاولة في تبرير
حكم المروانيين

(۱۱۳) الطبري ۴/ ۴۸۸

(۱۱۴) Cont. Byz., par. 27 وكان مألوفاً عند افضاء الخلافة الى خليفة جديد ان

يخفف الخراج .

(۱۱۵) الطبري ۴/ ۴۶۸

(۱۱۶) فتوح البلدان ۳۰ ۲۲۹

(۱۱۷) الطبري ۴/ ۵۷۷

حكم اشبوشث الذي حذف بحيث وضع داود بعد شاول مباشرة (١١٨) .
وظهرت في عصر معاوية الثاني على ما يبدو قـلـاقـل في بلاد
الشام علينا ان نـشـرـع في بحثها . وجدورها في قيس التي كانت
تسكن في شمال الشام خاصة وفي الجزيرة على ضفتي الفرات (١١٩)
وفي قنسرين وقرقيسيا وحران . ويقال ان بني قيس وخدم
امتنعوا عن بيعة معاوية الثاني . وقد اثار حميتهم تفضيل يزيد وابنه من بعده لبني
كلب ، وكلاهما امه كلبية (١٢٠) .

اصل القلاقل
في عهد معاوية الثاني
من قيس

وكان حسان بن مالك بن محمد الكلي خال يزيد ذا مكانة في
الدولة؛ وحل اعتماد معاوية الثاني عليه ، بينما كان اخوه سعيد
عاملا على قنسرين . وكان حكم احد بني كلب على قيس في
مدينتهم نفسها اكبر من ان يحتمل ؛ فعمدوا الى طرده .
حدث ذلك ورؤسهم زفر بن الحارث الكلابي (١٢١) . وزفر هذا كان حارب مع
ابن الزبير جيش يزيد (١٢٢) ؛ وكان ادن زبيرياً . حتى اذا اعترف العراق بابن الزبير
تبعت قيس رؤسها زفرأ في هواه لابن الزبير . وخطا حزب ابن الزبير خطواته في
الشام أيضاً .

طرد بني قيس
لما ملهم الكلي
واعترفهم بابن الزبير

اما ابن محمد - وهو الاسم الذي اشتهر به حسان بن مالك
ابن محمد - فقد تمحزب لابناء اخته بعد وفاة معاوية الثاني .
وشخص الى الاردن من فلسطين حيث كان عاملا ليكون
قريباً من دمشق .

ابن محمد
يؤيد اولاد معاوية

(١١٨) انظر ذيل نولدكي Nöldke على طبعة Mommsen اصلة ايزيدور وفي
DMZ., 1901, 683ff.

(١١٩) الطبري ٢/٧٠٨ ، ٤

(١٢٠) الحماسة ٣١٩ ، ٤ : ٢

(١٢١) الاغاني ١٧/١١١

(١٢٢) الحماسة ٣١٩ ، ٢٢

هذا واعترف بابن الزبير عامل حمص النعمان بن بشير الانصاري
المشهور . وكذلك فعل نائل بن قيس الجذامي الذي استولى
على فلسطين بعد ان تركها ابن بحدل . اما في العاصمة فكان
الضحاك بن قيس يقبض على ناصية الحال . وكان موقفه متأرجحاً غير واضح ،
وبما انه كان مهتداً بالايكون في العير ولا في النفير ، فقد اضطر الى ان يعلن نهائياً
انه من حزب ابن الزبير .

حمص وفلسطين ودمشق
لابن الزبير

وتختلف الروايات عن تداول الحوادث قبل ان يستقر الامر
على حال بعد الصراع الدموي بمرج راهط . وبقول
عوانه (١٢٣) ان الامويين الذين طردوا من المدينة والامير
عبيد الله بن زياد الذي هرب من البصرة شخصوا الى دمشق ،
وذلك بعد موت معاوية الثاني على ما يظهر . واخفى الضحاك الذي كان يلي الامر
هناك آراءه ، فقد كان هواه في الواقع مع ابن الزبير .

رواية عوانه :

١ - هوى الضحاك
مع ابن الزبير

غير ان ابن بحدل ، زعيم ذري الرزعة الاموية اي بني كلب
واليامين ، اخرج الثعلب من حجره ، فقد ارسل الى الضحاك
كتاباً يقرأه على الناس في الجامع ؛ وفيه ذكر لفضائل بني
امية وتحذير من المنافق ابن الزبير . ولم يذع الضحاك الكتاب ، اكن الرسول الذي
حمل الكتاب واسمه ناغضة كان قد احضر معه نسخة ثانية منه استعداداً لهذا
الطارىء فتلاه على الناس عند صلاة الجمعة .

٢ - كتاب ابن بحدل
الى الضحاك

ثم تبع ذلك حادثة دعيت بيوم جيرون (١٢٤) . فقد تواتر
القيسيون والكبيون في الجامع . وكان الامويون منقسمين

٣ - يوم جيرون

(١٢٣) الطبري ٤٦٨/٢ وما بعدها .

(١٢٤) وليس «يوم جيرون الاول» تسمية صحيحة لان ما يدعى باليوم الثاني (الطبري ٤٧١/٢
١٣ - ١٩) انما هو اليوم الاول باختلاف . وكان جيرون بناء قديماً واسماً وامله كان يجتمع
فيه الناس بعد الصلاة . واحد ابواب المسجد يدعى باب جيرون انظر الحماصة ٦٥٤ ، البيت الرابع

أحزاباً مختلفة ؛ فالوليد بن عتبة بن ابي سفيان يؤيد مافي الكتاب ؛ وعمرو بن يزيد ابن الحكم يستنكره . ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه بعد الفروغ من الصلاة . حتى اذا سجن الضحاك المشاغبين الذين وقفوا ضد ابن الزبير ، أطلقهم الكلبيون حالاً . واضطر الوليد بن عتبة وحده الى الانتظار في السجن ، اذلا عشرة له . ثم إن الفتيين خالداً وعبد الله اخوي معاوية حملاً بني كلب على اطلاق سراحه . وندم الضحاك في اليوم التالي على فعلته ، واعتذر الامويين ، واتفق على ان يذهب معهم الى الجابية ليفوض ابن محمد في شأن اختيار احدهم خليفة . وفي اللحظة الاخيرة انقلب مرة اخرى بعد ان احتج عليه ثور بن معن السلمي القيسي ؛ فنزل مع اتباعه بمرج راهط قرب دمشق . وهاهو ذا الآن يعلن هواه جهاراً مع ابن الزبير ؛ ويتبعه اغاب اهل دمشق ، وبينهم اغلبية اليمانيين . وامده امرأه حمص وقنسرين وفلسطين ، وقد طلب ذلك منهم ، وكانوا من انصار ابن الزبير .

وشخص الامويون الى ابن محمد في الجابية ، وكانوا منقسمين (١٢٥) فصد آل سفيان الذين كانت منهم الاسرة في مرج راهط
٥ - الامويون يتفوقون
المالكة ، وقفت بقية المشيرة بعددهم الضخم الى جانب رئيس الامويين الشيخ مروان بن الحكم . وبأخرة انتقل الى حزب مروان ابن محمد الوصي على اولاد يزيد القاصر بن . واعلن انه سيجازف مع مروان . وتبعه خالد ابن يزيد ثم عمرو بن سعيد الذي قدمت اسرته مطالبيها ووجب تصفيه حسابها . وهذا مروان يسير الى مرج راهط مع بني كلب من الاردن وسكاسك وسكون

(١٢٥) وللأمويين بطن هم العَبَلَات . وهذا البطن يتفرق الى العنابس والاعياص . وينتمي بنو سفيان الى العنابس ؛ وممظم الاسر الاخرى الاعياص . ومروان بن الحكم وابن عمه عثمان ابن عفان من نسل ابي العاص . وعمرو بن سعيد من نسل العاص . والاسماء نفسها باختلاف لاقية له تعود ؛ امية وعبدامية والعاص وابي العاص انظر الاغاني ٨/١ وما بعدها (٨٤ ، ١٠)
١٠٣/١٠ وما بعدها ؛ ٦٢/٧ ؛ الطبري ٢٥٣٥/١

وغسان . وفيما كان الجيشان واقفين احدهما امام الآخر، استولى ابن ابي نغمس على مدينة دمشق، فأمد مروان بالمال واللاح .

ودامت معركة مرج راهط عشرين يوماً . واخيراً هرب

القيسيون بعد ان منوا بخسارة فادحة « وقتل الضحاك ،

وقتل بومثد من اشرف الناس من اهل الشام ممن كانوا مع الضحاك ثمانون رجلاً، كلهم كان يأخذ القطيفة . والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ الفين في العطاء . »

والى جانب رواية عوانه نجد رواية للمدائني (١٢٦) . ولا يقول

المدائني شيئاً عن يوم جيرون . ويروي نصاً عن مروان

مخالفاً، لكنه من حيث النتيجة متفق تمام الاتفاق مع عوانه .

وهذه روايته : لما اتى مروان مع الامويين من المدينة الى

دمشق ، كان الى جانب ابن الزبير مع الضحاك . وارتضى ان يحمل اليه بشخصه

بيعة اهل الشام .

لكن عمرو بن سميد وعبيد الله بن زياد، ومالك بن هبيرة

والحصين بن نمير (١٢٧) أسكونييين دفعوه الى ان يقرر

قبول البيعة لنفسه . ولما بلغ الضحاك هذا ، عدل عن رأيه

واعتذر من الامويين ، واقترح ان يشخص الى الجابية مع ابن بحدل ليتم انتخاب

الخليفة . وشخص ابن بحدل مع اهل الاردن الى الجابية . وخرج الضحاك

والامويون في طريقهم اليها أيضاً .

٢ - مروان يقبل

البيعة لنفسه

(١٢٦) الاغانى ١١١/١٧

(١٣٧) وتختلف رواية عوانة في الطبري ٤٧٤/٢ بعض الاختلاف . وانظر ايضاً

٤٨٧/٢ .

وفي اللحظة الاخيرة بادره القيسيون قائلين : « دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك ، وانت تسير الى هذا الاعرابي من كلب تستخلف ابن اخته (١٢٨) ، وهذا القول جعله ينقلب ، فيعلن الطاعة لابن الزبير ، وينزل بمرج راهط . وتقدم ابن بجذل ومروان الى دمشق ، وقدم البجليون اليهما فيها .

٣ - القيسيون ينخون الضحاك ضد كلب

ومن هناك استأنفوا سيرهم الى مرج راهط . وكان معهم سبعة آلاف رجل ، ومع الضحاك ثلاثون ألفاً . ونشب القتال فقتل الضحاك واشراف من قيس . وهرب زفر بن الحارث الى قرقيسيا . وبعد موقعة خارو لحق به عمير بن حبيب السلمي ، وكان مخلصاً لمروان حتى ذلك الحين .

٤ - القتال في مرج راهط

وتخلف أيضاً رواية ابي مخنف عن ذلك اختلافاً كبيراً (١٢٩) فيقول ان مروان والامويين الذين طردهم ابن الزبير من المدينة لم يذهبوا الى دمشق : ذلك ان الضحاك ولي فيها لابن الزبير ، بل ذهبوا الى تدمر عاصمة كلب ومقر قيادتهم . وتردد مروان في ان يذهب بشخصه الى ابن الزبير ، فيطلب منه شروطاً ملائمة . لكن هذا عبيد الله بن زياد يأتي من البصرة الى تدمر ، فيطلب من مروان ان يقبل البيعة لنفسه . ويحمله على قبولها أيضاً عمرو بن سعيد ، وينصحه بان يتزوج ارملة يزيد في الوقت نفسه . ويؤخذ من هذا ان مروان بويج في تدمر ، ومن ثم سار بستة آلاف رجل الى الضحاك ، وتقدم الضحاك للاقائه في مرج راهط .

رواية ابي مخنف :
١ - مبايعة مروان بتدمر

وتقدم الى مرج راهط ايضاً زفر بن الحارث وبعض انصار ابن الزبير . وقتل في المعركة الضحاك وشدت جيشه ،

٢ - معركة مرج راهط

(١٢٨) وهذا لا ينفق تماماً مع مكان الحادثة . وابن اخت ابن بجذل يقصد به خالد بن يزيد (١٢٩) الطبري ٤٧٩/٢ وما بعدها .

وانقذ زفيراً شابان ضحياً بنفسيهما لاجله (١٣٠) ونزل بعد ذلك بقرقيسياء
وهرب نائل بن قيس الى مكة . ولما علم النعمان بن بشر بخبر مرج راهط
هرب ليلاً مع امرأته وابنه من حمص لكنه سُحق به ، وقتله الحمصيون انفسهم .
وعقب هذا التوفيق ، اعترفت الشام بأسرها بمروان .

ويقف الواقدي على حد وسط بين ابي مخنف وبين عوانة

والمداثني . ويمكن ان تجمع في ذلك اقواله المشتقة في الطبري

على الصورة الآتية : بما ان معاوية الثاني لم يشأ عند وفاته ان

يسمي خلفه (١٣١) ، بويح الضحاك في دمشق موقناً ، على ان

يصلي بهم ، ويقم لهم امرهم حتى يجتمع امر امة محمد ، (١٣٢) . وكان الضحاك يرمي

الى ان يتولى الأمر بنفسه ، ولكن قريشاً اضطرته الى ان يبايع ابن الزبير (١٣٣) .

وهذا مروان يصبح تبعاً له ، وكان بناء على نصيحة الحسين بن نير سيشخص الى

ابن الزبير قبل دخوله الى الشام (١٣٤) .

وبيناهم كذلك قدم عبید الله بن زياد الى دمشق ، فقوي

شأن الامويين (١٣٥) . واذا بمروان يسير الى الحجابة ليتحالف

مع ابن بحدل واليهانيين . وهناك يتلقى البيعة بوصفه اكبر

رجل في امية ، فاهل الشام ما كانوا يودون ان يبايعوا طفلاً . ثم سار مروان مع

اليهانيين الى دمشق . وفي مرج راهط منبت قيس بخسارة لم يمن جيش عثلها قط ،

وكسرت في آخر عام ٦٤ (١٣٦) .

رواية الواقدي :

١- مبايعة الضحاك ثم انتماؤه

الى ابن الزبير

٢ - مبايعة مروان

في الحجابة

(١٣٠) تشهد بالخبر ابياته نفسها . وليس من شك في صحته انظر انساب الاشراف

٢٥٣ وما بعدها .

(١٣١) الطبري ٢/٥٧٧ ، ١

(١٣٢) الطبري ٢/٤٦٨ .

(١٣٣) الطبري ٢/٤٧٣ وما بعدها .

(١٣٤) الطبري ٢/٤٦٧ وما بعدها

(١٣٥) الطبري ٢/٤٦٨

(١٣٦) الطبري ٢/٤٧٣ ، ١

والنقاط الاولية التي تختلف بها هذه الروايات هي الآتية :
فعوانة وحده لاغيره هو الذي يتحدث عن يوم جيرون ،
ذلك اليوم الذي وقع فيه الهيجان بدمشق . وكتاب الحماسة (١٣٧)
يثبت ذلك اليوم ، فلا يدع مجالاً للشك فيه . على ان
ظروفه ذكرت خطأ من قبل الشارحين ، فوضعت في قصر معاوية الاول (١٣٨) ؛
وابو مخنف هو الوحيد الذي يقول إن الامويين الذين خرجوا من المدينة
ساروا الى تدمر ، فلقبهم هناك عبيد الله ، وهو في ذلك يخالف كل المؤرخين
الآخرين الذين يذكرون دمشق بدلاً من تدمر (١٣٩) . ولا مشاحة أن حادث
جيرون وقع في دمشق على كل حال ، وكان فيها بعض الامويين ؛ بيد انه
لا يظهر من عرض الوقائع ان كامل اسرتهم من المدينة كانت في دمشق .
ولا يذكر ذلك العرض مروان وعمرو بن سعيد ، ولا
يظهر ان فيه حيث نتوقع ان نجدهما . وعلى الرغم من ذلك
فقد اخذ الناس على الاجمال برواية ابي مخنف ، واطأوا في
ذلك ، فان تدمر فيها تحمل محل دمشق بل محل الجابية أيضاً . وابو مخنف يجعل
البيعة لمروان في تدمر ، مع انه مما لا شك فيه ان هذه البيعة تمت في الجابية .
ولعل ما جعل ابا مخنف على ذلك ان تدمر عاصمة الكليبيين لا الجابية .
٣ - مروان غير موقفه وتغير موقف مروان المفاجىء لم يذكر في عوانة . وابو مخنف
من ابن الزبير والواقدي هم وحدهما اللذان يقولان انه تأثر بوصول عبيد الله ،
وهما في ذلك موضع الثقة ، فالمدائني يتفق معهما (١٤٠) .

تسمية نقاط الخلاف
بين الروايات :
١ - يوم جيرون ثابت

٢ - مروان يابغ
في الجابية لا تدمر

٣ - مروان غير موقفه
من ابن الزبير

(١٣٧) . البيت الرابع .

(١٣٨) وانظر من جهة اخرى الحماسة ٦٥٧ ، البيت الثالث .

(١٣٩) ومثله ايضاً (Cont. Byz. Ar. , par.29) .

(١٤٠) الطبري ٤٥٩/٢

ويقول عوانة والمدائني ان الضحاك كان يميل الى ابن الزبير منذ البداية ، ولو أنه لم يظهر ذلك جهاراً . ويقول ابو مخنف انه كان اميراً على دمشق لابن الزبير . على ان

۴ - الضحاك يريد الامر لنفسه

أحفاده أعلموا الواقدي^(۱۴۱) بخطأ ذلك ، وقالوا له انه آثر ان يبقى محايداً لتكون له الرئاسة نفسها ؛ ولم يبايع ابن الزبير إلا مكرهاً . وإن لنا ان نصدق ذلك . ولعل الضحاك كمسلم بن عقبة استمر في عهد يزيد على موقفه في عهد معاوية ، وكان الساعد الايمن له . حتى إذا أصبح العرش خالياً ، اضحى هو الوصي الموقت على دمشق ، لكنه لم يكن قادراً على ان يحافظ على وضعه فوق الاحزاب .

فانتهى به الامر بعد تردد طويل الى ان التحق بحزب قيس

و ابن الزبير ، وكان الذي حمله على ترك وضعه الحيادي خاصة هو منافسه القديم الذي اصبح الآن خصمه و اكثر خطره ،

۵ - يضطر الى الاتحاق بابن الزبير

الا وهو حسان بن مالك بن مجدل الذي يتبعه بنو كلب .

وحمل ابن مجدل مدة راية بني امية عالياً ، لاسيما وهو

يدافع عن حقوق اسرة يزيد التي تربطه بها المصاهرة . ولم ينضم اليه في ذلك امويو المدينة . ولم يقيموا كذلك الدعوة

۶ - ابن مجدل

يحمل راية بني امية

لانفسهم اول الامر ، فقد كانوا يعتقدون ان عليهم ان يصالحوا ابن الزبير ؛ سواء اكانت شروط الصلح حسنة أم سيئة .

ولم يغيروا رأيهم إلا بعبيد الله ؛ حتى اذا اشار هذا على

مروان بانه ليس له ان يختار بين اولاد يزيد القاصرين وبين ابن

۷ - عبيد الله

غير رأي الامويين

الزبير ، بل يجب ان يسعى الى الحكم بنفسه ، وجد ان الطريق

الوحيد الى هذا هو ان يتفاهم مع ابن مجدل ، وكان الرجل الوحيد الذي يقود

قوة كبيرة^(۱۴۲) .

(۱۴۱) الطبري ۲/ ۷۳ وما بعدها .

(۱۴۲) الطبري ۲/ ۷۰۸ .

وهذه محادثات الجابية تقام لهذه الغاية . ولعل الضحاك وعد
٨ - محادثات الجابية
للتفاهم مع ابن بجدل
بان يحضرها . وادت هذه المحادثات بهم الى غايتهم بعد
مفاوضات طويلة . هذا هو الصحيح من وجهة النظر
التاريخية ، ولو أن ابا مخنف لم يذكره . فما كان لشيء ان يتم بدون ابن بجدل .
وكان إمام الصلاة في الجابية مدة أربعين يوماً ، وهو المنتصر الحقيقي في مرج
راهط أيضاً (١٤٣) . ويقول تيوفان (١٤٤) : « توجه عرب فينيقية وفلسطين معاً
نحو دمشق ؛ ثم ساروا مع حسان بن بجدل امير فلسطين الى الجابية ، فبايعوا
مروان خليفة عليهم » .

ويتحدث المؤلفون المتأخرون ، ولا سيما منهم دوزي ،
عداء قيس وكنب
ليس من الجاهلية
عن عداء مستحکم بين كلب وقيس ، زعموا أنه وجد منذ
القدم ، فلا يمكن أن يعرف مبدأه . على أننا لانجد عنه
شيئاً في اخبار الجاهلية . والحق يقال إنه ليس له من وجود قبل أن يفتح
المسلمون الشام وقبل ان تهاجر قيس إليها (١٤٥) . وإن اختلاف النسب بين قضاة
وقيس يرجع الى عهد قديم . على انه لا يشرع في ان يبعث الضغينة الا الآن .
وبما زاد في الخلاف بينها بادىء ذي بدء أن قيساً نزلت في الشام
قيس في الشام قبل كلب
قديماً ، وأن قضاة هاجرت اليها من جديد . وإن الكلبيين
اكثر من كل ذلك اصبحوا بالمصاهرة ذوي صلوات وثيقة بالبيت المالك ، فحسدتم

(١٤٣) انظر الحماسة ٣١٩ ، ٧

والأزبيري عصى فتربرا

وما الناس الا بجدلي على الهوى

بل انظر خاصة الحماسة ٦٥٨ . البيت الثاني :

هلكت ولم ينطق لقومك قايل

بجاية الجولان لولا ابن بجدل

A.M. 6175 (١٤٤١)

(١٤٥) يقول غولدزبير (Goldziher (Muh. Studien 1,78) بحق ان النزاع بين

عرب الشمال والجنوب ظهر اول ما ظهر في الاسلام .

القيسيون معتقدين أنهم هم الذين جعلوهم على الهامش ، فكانوا اذن مصدر الشر .
ولما برز ابن الزبير عقب موت يزيد التحقوا به ، فظل
القيسيون يحسدون كلباً الكلبيون مخلصين لبني امية . وهكذا كان النزاع بين
فيتمون لابن الزبير القبائل قد عجن بماء السياسة . فالنزعات السياسية طبعت
الفوارق العرقية طبعاً كاسلاً أولاً فأولياً ، بعد أن كانت بعيدة الصلة عنها . وهذا
الشعر القديم الذي يتطرق الى هذا الموضوع يدل على أن سليماً و عامراً (هوازن)
وظييان (غطفان) ، وكلها تنتمي الى قيس ، كانت في مرج راهط تقاتل
مع الضحاك في صف ابن الزبير .

وكانت كلب و غسان و سكون و سكسك و تنوخ و طي
اليمن الى جانب الامويين والقين تحارب مع ابن بجدل في صف مروان . وهذه
الزمرة من القبائل التي نواتها الاولى من كلب (١٤٦) ، وهي زعيمة قبائل قضاة ،
كانت خليطاً من القبائل ، وقد دعيت على سبيل الصدفة باسم عام هو اسم اليمن ،
غير أن صلة قضاة باليمن ليست عريقة في القدم . وليست قبائل اليمن جميعها
ذات صلة بـ كلب .

وانتهت وقعة مرج راهط بانتصار كلب على قيس ، التي كانت
اقوى منها ضعفين أو ثلاثة . لكن ذلك لم يضع حداً للخصام ،
اذ كان على قيس ان تنتقم لقتلاها العديدين ، فرارة الحقد
سبب الحفدين الدوحين
البالغة الدائمة لم تتسرب الى القلوب الا اعتباراً من ذلك الحين ، تلك
المرارة التي يعدها دوزي دون دليل من التاريخ حادثاً أصيلاً ، يعزوه الى
الازمنة القديمة . هذا ولم يكن الحقد يهدأ حتى تؤججه ذكرى الدم ، واذا
بالعداء يظل نشيطاً الى ما بعد الوقت الذي تلاشت فيه أسبابه ودواعيه ونسبت .

(١٤٦) وكانت سكون (من كندة) تمد منهم (الطبري ٢ / ٤٧٥ ، ٢٠) وتنوخ وطي
منسوتان اليهم ايضاً (الطبري ٢ / ٤٨٤ ، ١٢) و غسان (من الازد) هي القبيلة المالكة القديمة من
بين عرب الشام . وفي الحماسة ٧١ . البيت الثالث ، تدعى كلب تغلباً ، ان صح ما قبل في الشرح .

واللوم إنما يقع في ذلك على معركة مرج راهط ، ففيها يجب أن نبحت عن اصل ذلك العداء الدموي الفتاك . وهي التي جلبت النصر للامويين ، غير أنها في الوقت نفسه زعزعت أركان حكمهم .

وبويع مروان بالجافية يوم الاربعاء لثلاث خلون من ذي
مباينة مروان مرتين القعدة سنة ٦٤ ، او في الثاني والعشرين من شهر تموز ٦٨٤ .

ثم بويع بعد معركة مرج راهط في اواخر عام ٦٤ مبايعة ثانية اعم صفة واكبر احتفالاً ، وذلك بدمشق في المحرم من عام ٦٥ أي تموز أو آب سنة ٦٨٤ . وطرده مروان من المدينة هو الذي أبلغه الخلافة ، فلا فضل له في ذلك ولا يد له فيه . وبدا ذلك عجباً لصاحب كتاب الصلة فقال : « وكان مروان قد طرد غدرًا من المدينة ، واذا هو بعد قليل يتسلم الحكم بمساعدة قسم من الجيش ومشية الله »

وظل الامويون قابضين على زمام الخلافة ، إلا ان بني مروان حلوا محل بني سفيان^(١٤٧) وزواج مروان بفاخته ارملة مروان ينقض عهده خالد في استخلافه

يزيد^(١٤٨) يرمز الى الاستيلاء على الميراث اكثر مما يدل على

التحالف . وبه أضر مروان بمصالح خالد بن يزيد^(١٤٩) ابن زوجته ، واتخذ سبيلا الى أمام الملأ ، بل تملص من وعده له باستخلافه على الحكم ، وكان وعده به في الجافية . وأخذ البيعة لولديه عبد الملك وعبد العزيز ، بحيث يخلف عبد العزيز أخاه^(١٥٠) .

ولم يعارض ابن مجدل هذا النقض للعهد ، ولعل سبب عدم ابن مجدل لا يحررنا
معارضته ان عمرو بن سعيد استبعد به أيضاً . ويقول

أصحاب الرأي من العرب ان خالداً كان على كل حال في سن صغيرة لا يمكنه من

(١٤٧) انظر اعلاه ص ١٣٨ و ص ١٤٦

(١٤٨) ولم تكن فاخنة بدوية متفاخرة (A.Müller, 1, 375) بل كانت سيدة قرشية .

(١٤٩) انظر ، بيت الشعر في ابن الاثير ٢٧٥/٤ م ٢٩٦/٤ ، ٨ .

(١٥٠) للزمان والمكان انظر انساب الاشراف ١٥١ : ١٦٤ وما بعدها .

الحكم اذا توفي مروان في السن المقدرة له ، وكان آنذاك قد بلغ من العمر عتياً ؛ فكان الحكم سينتقل الى عمرو ، وهذا ما جعل عمراً آمناً مطمئناً . على أن فاخنة ذارت من زوجها السوء معاملته لابنها ، فخنقته وهو على فراشه . وهو قول الواقدي (١٥٠ ب) .

٤ . - الصراع بين مروانين وعبد الله بن الزبير

ويقول الطبري ان مروان توفي في رمضان (١٥١) ، او على وفاة مروان التحقيق في اول ذلك الشهر (١٥٢) . وعن الياس النسيبي انه توفي يوم الاحد في ٢٧ رمضان سنة ٦٥ (اي ٧ آذار سنة ٦٨٥) . وعمره في الطبري (١٥٣) يتراوح بين ٦١ و ٨١ سنة . ويقول تيوفان انه حكم تسعة أشهر ؛ ويقول الطبري تسعة او عشرة اشهر . ويقول في كتاب الصلة (١٥٤) انه مات بعد سنة مليئة بالحروب . واني ساضيف هذه الحروب الى سجل ابنه وخلفه عبد الملك باعتبارها بداية له ؛ فليس من السهل دوماً ان نرسم بين حروب ابنه وحروبه خطأ فاصلاً (١٥٥) .

والحرب الكبرى انما هي مع ابن الزبير ، او على الاقل مع الشام واقفة وحدها امام الامصار التي اعترفت بابن الزبير وولي فيها عماله (١٥٦) . ويشابه ذلك ما كان عليه الحال بعد مقتل عثمان . فالشام

(١٥٠ ب) الطبري ٢ / ٥٧٦ وما بعدها .

(١٥١) ٢ / ٥٧٧ . ١٧٠

(١٥٢) الطبري ٢ / ٥٧٦ ، ١٦٠

(١٥٣) ٢ / ٥٧٧ وما بعدها

(١٥٤) par. 29

(١٥٥) وفي الطبري ٢ / ٥٥٨ ، ١٤٠ ، ٥٧٨ ، ٩٠ ، ٥٧٠ ، ٨٠ ، ٧٠٠ ، ٤٠٠ رسم الخط بصورة

حاشية اكنها مغلوبة .

(١٥٦) وعن خراسان انظر الطبري ٢ / ٨٠٦ ، ٨٣١ و١٠٠٠ بعدها والفصل الثامن من

كتابنا هذا .

واقفة وحدها امام سائر العالم الاسلامي . على ان حكامها لم يكونوا يتقون بها ، كما كان معاوية منها واثقاً . نعم انتقلت فلسطين وحمص بعد مرج راهط الى الطرف المظفر دون اخذ او رد ، واستسلمت قنسرين ايضاً ؛ لكن قيساً على الفرات مازالت في موقف المتحدي ، ورئيسها زفر بن الحارث في قرقيسيا . وايا كان فان مروان وعبد الملك كانا ، على ما يلوح لنا ، في موقف الهجوم امام ابن الزبير منذ اول امرهما . وكان ابن الزبير منهكاً بالقلقل الداخلية لاسيا في العراق (١٥٧) .

وفي عهد مروان نفسه وقعت مصر في قبضته ، وصدت حملة عبيد الله في الجزيرة
قام بها في فلسطين مصعب اخو ابن الزبير الاصغر (١٥٨) . وجرت
محاولة للمظفر بالمدينة لكنها اخفقت (١٥٩) . وبعث مروان
عبيد الله بن زياد الى الجزيرة ليكون اول المتقدمين من هذا المنفذ نحو العراق
الذي كانت تمزقه الخلافات الدينية والسياسية . ويقال انه وعده بولاية البلاد
التي يستولي عليها ، وانه وافق على نهب الكوفة ثلاثة ايام (١٦٠) .

وبينما كان عبيد الله معسكراً في جسر منبج على الفرات في
الفتك بشيعة الكوفة
مبدء الحملة ، فتك الحصين بن نمير الذي كان يليه في القيادة
بالشيعة من اهل الكوفة ، وكانوا بقيادة سليمان بن صرد في عين الورد ، وذلك
يوم الجمعة لاربع وعشرين خلت من جمادى الاولى عام ٦٥ او ٦٦ كانون الاول
سنة ٦٨٥ (١٦١) .

(١٥٧) انظر عن الحوادث المتتابعة . Chawarig, 32ff., Shia, 72ff.

(١٥٨) الواقدي في الطبري ٤٦٧/٢ ، ١٠٠ ؛ ابو مخنف في ٤٨١ ؛ عوانه في ٥٧٦ .

قام بذلك عمرو بن سميد قبل ان يأخذ مروان البيعة لابنه . كذا يقول في انساب الاشراف ١٦٤ ، ١٧٠ .

(١٥٩) عوانه في الطبري ٥٧٨/٢ وما بعدها ؛ ٦٤٨ ؛ انساب الاشراف ٢٠١٨٠ ، ٢٠١٨٠ .

وعن ابن قتيبة ٢٠١ ان لها صلة باخي الحجاج .

(١٦٠) الطبري ٥٧٨/٢ ؛ ٦٤٢ .

(١٦١) الطبري ٥٥٩/٢ ؛ ٢٠٠ .

واستمر عبيد الله بعد ذلك منهمكاً بالحرب مع زفر وبنو قيس زهاء عام (١٦٢)، ثم تقدم الى الموصل على الطريق المألوف للجند الى العراق. وكان المختار يومئذ قد استولى على الحكم في العراق، فانحاز عامل المختار من الموصل الى تكريت (١٦٣). ثم إنه بعد قتال عنيف، فتك عبد الله فتكاً ذريعاً باول جيش بعثه اليه المختار، وذلك في العاشر او الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٦٦، او التاسع او العاشر من تموز سنة ٦٨٦ (١٦٤).

ولكن سرعان ما هزمه جيش ثان للشيعة يقوده ابراهيم بن الاشتر، وذلك في موقعة الحازر (١٦٥) في بداية عام ٦٧، فقتل هو والحسين بن عمير (١٦٦). وطبيعي ان يرفع قيس رؤوسهم الآن في قرقيساء. وهؤلاء اصحاب لهم من القبائل ياتون اليهم مدداً بامرة عمير بن عجاب الذي ارتد عن جيش الشام في معركة الحازر او بعدها، وكان يعمل فيه قبل ذلك. وذهب عمل عبيد الله الذي قضى فيه نحواً من سنتين ادراج الرياح. وكان لا بد من ان يعاد مرة ثانية. وشاء حسن حظ عبد الملك ان مصعب بن الزبير الذي كان آنذاك عاملاً لأخيه على العراق كان منهمكاً في بيته نفسه بالشيعة والخوارج بحيث لا يستطيع ان يفكر في القيام باي هجوم خارجي.

(١٦٢) الطبري ٦٤٣/٢. ويصرح فان غلدر (Van Gelder (Muchtar, 96, 152) ان هذا غلط دون ان يبين اسباباً كافية.
(١٦٣) الطبري ٦٤٣/٢.
(١٦٤) الطبري ٦٤٦/٢ وما بعدها.
(١٦٥) آب ٦٨٦. ولت دي غويه de Goeje نظري الى التأريخ المضبوط في التنبيه ١٧٠٣١٢
(١٦٦) الطبري ٦٨٤/٢

ومضى زمن طويل قبل ان يعود عبد الملك مرة ثانية الى
انشغال مصعب بناتل العمل الذي انتهى نهاية سيئة مع عيد الله ، الا وهو اخضاع
العراق ، ذلك القطر الذي كان يقوده مصعب مستقلاً عن اخيه قيادة لا غبار
عليها . وكان عند مصعب من المشاغل الشيء الكثير في بلده ، فقد كان ناتل بن
قيس يقود جبل العُصيان (١٦٧) على ما يظهر . وانكى من كل ذلك ان الروم
نقضوا الصلح واثاروا المردئين ، في جبال الامانوس على العرب (١٦٨) . ولم
يقتل مصعب الا في عام ٧٢ ، وانتهت الحرب الاهلية في عام ٧٣ . والاعخبار
هزيلة بين عام ٦٧ الذي قتل فيه عيد الله وعام ٧٢ .

ومن الامور المهمة ان نحدد الترتيب الزمني الذي مازال
موضع الخلاف . واذا فعلنا ، فينبغي لنا ان نثبت في الذهن
ان السنة الهجرية كانت آنذاك تنتهي في الصيف ، وأن
الاعمال الحربية التي تقف عادة في الشتاء (١٦٩) كانت حينئذ
متداخلة بين سنتين من سني الهجرة ، مع ان المؤرخين لا يوردون على وجه
التقريب الا سنة واحدة .

وانا لندرك لماذا لم يتدخل عبد الملك في عام ٦٧ عندما شن
مصعب هجومه على المختار ، ولماذا لم يضايق العراقيين فيما
شغلوا فيه من تمزيق بعضهم لبعض اربا اربا . ذلك ان الطبري (١٧٠) والياس
يقولان انه كان في الشام مجاعة كبرى تحول دون ارسال اية حملة . ويتحدث

(١٦٧) اليعقوبي ٣٢١/٢ : السمودي ٢٢٥/٥ . لكن امله انما يدل على غلظة في

تحديد الزمن .

Göttinger Nachrichten, 1901, 428ff. (١٦٨)

(١٦٩) الطبري ٧٩٧/٢

(١٧٠) ٧٦٥/٢

تيوفان عن تلك المجاعة ايضاً في عام ٦١٧٩ (٩٩٨ لبناء المدائن ، و ٦٨٠ للهجرة)
غير ان المدائني يخالفهم مرة أخرى ، (١٧١) ويؤرخ الحادثة بعد ذلك بكثير .

والزمن الذي خاض فيه عبد الملك اول مرة المعركة ضد
عبد الملك بتجه الى مصعب اول مرة
مصعب هو على ما يقوله مؤرخو العرب والياس (١٧٢) صيف
عام ٦٨٩ م او ٧٠/٦٩ هجرية . وفي بطنان حبيب بمقاطعة
قنسرين كان معسكر عبد الملك وجمع قواته ونقطة انطلاق اعماله الحربية في
هذا العام والاعوام اللاحقة (١٧٣) . اما معسكر مصعب ، فكان في باجسيرا
قريباً من تكريت (١٧٤) . وهاتان النقطتان محطتان على الحدود في الطريق الكبير
بين الشام والعراق . اما الجزيرة فمنطقة متوسطة ، غير انها في يد مصعب اكثر
منها في يد عبد الملك ، لان بني قيس المقيمين على الفرات كانوا مع مصعب .
ووافق عبد الملك الروم على ان يتنازل لهم عن الكثير (١٧٥) لبتركوه في سلام .

٤

(١٧١) الاغاني ١٧/١٦٠ ، ٢٦٠

(١٧٢) وترتيب الحوادث العربية في هذه السنوات عند تيوفان مضطرباً اضطراباً هائلاً
بحيث لا يستطيع ان يفيد من رواياته عن زياد (ابن زياد) والمختار وسعيد (ابن سعيد)
ومصعب الا بعد ان نجردها من الترتيب الزمني .

(١٧٣) والخبر الذي يقول ان عبد الملك كان في بطنان مع جيشه عام ٦٧ يناقض الرواية
السابقة التي تقول انه لم يذهب هذه السنة الى ميدان القتال اوجود المجاعة ولم تذكر بطنان الا
واسطة تقام عليها القصة التي تقول بان اسم مدتي بطنان ظم في الجيش في هذا الزمن بسبب المطر الذي سقط
بعد الجفاف . وسبب التسمية يجب ان يأتي من التناج لا من الشدة ، كما حصل في حالة
Dreck Harburg في ادارة Lüneburg .

(١٧٤) ويقول باقوت ١/٦٦٤ ان عبد الملك كان معتاداً ان يقضي الشتاء في بطنان . اما
مصعب فكان يقضيه في مسكن . وكان لمسكن من الاهمية الجغرافية والمسكنية ما يقارب ما
لباجيرا من ذلك انظر فتوح البلدان ١٤٩ ، ٨٠ .

Göttinger Nachrichten, 1901, 428 (١٧٥)

بيد أنه مهدد الآن من الحلف بعمر بن سعيد الذي ثار
في دمشق ليثبت حقه في الخلافة، ذلك الحق الذي اعترف
له به في صلح الجابية، ثم نقض عهده وانغل. واضطر عبد
الملك الى أن يعود وأن يجابه هذا الخطر. واطلق للسيف
عنايه وقتل من خالفه (١٧٦). وقتل عمراً بيده قتلاً فظيماً غادراً. وتؤرخ
الروايات (١٧٧) قسماً من هذه الحوادث في عام ٦٩ وقسماً آخر في عام ٧٠؛
لكننا يجب الا نغفل فنظن انها وقعت في فصل واحد من الصيف. والروايات
غير ثابتة أيضاً في تحديد المسافة التي سار فيها عبد الملك في طريق الشمال الشرقي.
ويقول الواقدي (١٧٨) والياس انه عاد من عين الوردية. غير ان الواقدي (١٧٩)
يقول انه لم يتجاوز بطنان حبيب. ويلوح ان عوانه يذهب هذا المذهب (١٨٠)
حيث يقول ان عبد الملك كان سائراً الى زفر بن الحارث في قرقيسياء (١٨١)،
فاضطر الى ان يتخلى عن ذلك، لان عمرو بن سعيد الذي صاحبه حتى بطنان
افلت بالسر ليلاً مع عدد من الناس الى دمشق، واستولى على المدينة. ويروي
اليقوي (١٨٢) خبراً مشابهاً لهذا.

وفي العام التالي ٧١/٧٠ اي في صيف ٦٩٠ عادت الحملة.
الحملة الثانية
لكن الطرفين المتخاصمين لم يلتقيا هذه المرة أيضاً. وأثار
عبد الملك بالبصرة بكرة او ربيعة، ويدعون بالجزيرية، بينما كانت مصعب في

(١٧٦) الطبري ٨٠٥/٢ .

(١٧٧) الطبري ٧٨٣/٢ وما بعدها؛ ٧٩٦؛ انساب الاشراف ٢٥٠ .

(١٧٨) الطبري ٧٨٣/٢ .

(١٧٩) الطبري ٧٩٦/٢ .

(١٨٠) الطبري ٧٨٣/٢ وما بعدها .

(١٨١) في الحماسة ٦٥٨ البيت السادس يُذكر على انه هجوم لقيس على بطنان. ولعل فضل رده.

(١٨٢) (١٨٢) ٣٢١/٢ وما بعدها .

الميدان (١٨٣) واشترك الشريف عبيد الله بن حنبل الجعفي الكوفي (١٨٤) وعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري البصري (١٨٥) في الحصاص مع مصعب وزفر ، كل منها لحسابه الحصاص حقدأ على زفر لا حباً في عبد الملك. ولم يسفر ذلك عن شيء ، فقد سار سار عبد الملك بن مروان الى العراق لحرب مصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك ، فيما قيل ، لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ، ويخرج مصعب الى باجيرا ، ثم تهجم الشتاء ، فيرجع كل واحد منها الى موضعه (١٨٦) .

ولنا أن نرتاب فنعتقد ان هذا تكرار مغلوط لما حدث في ثورة الجفرية سنة ٧١
عام ٧٠/٦٩ . فتوراة الجفرية التي يذكرها الطبري عام ٧١ (١٨٧) يقال انها حدثت عام ٧٠ (١٨٧) ب) ويلوح ان الواقدي (١٨٨) يؤرخها في الوقت الذي حدثت فيه ثورة عمرو بن سعيد بدمشق . وعلى كل حال فهو يجعل الحملة في عام ٧١/٧٠ (١٨٩) ، ويقصد بها الحملة الاخيرة النهائية لا المتوسطة .

وهكذا يقتضي الا نقبل الا بوجود حملتين فقط . على ان الحملة اكثر من اثنتين هذا غير كاف . وسنرى سبب ذلك عندما نرجع الى الرواء في التاريخ . وسنرى أيضاً انه نتيجة لاشياء بديهية . فمصعب أنشد شعراً قيل فيه : (١٩٠)

-
- (١٨٣) الطبري ٧٩٨/٢ - ٨٠٣ .
(١٨٤) الطبري ٣٠٥/٢ : ٣٨٨ وما بعدها ٧٦٥ وما بعدها .
(١٨٥) الطبري ٨٠٠/٢ : ٨٠٧ - ٨١٠ : ابن الاثير ٢٥٥/٤ : ٢٦٨ : الاغانى ٦٢/١١ .
(١٨٦) الطبري ٧٩٧/٢
(١٨٧) انظر ٨١٣/٢ ، ١١ وما بعده .
(١٨٧) ب) الطبري ٥٠٧٩٨/٢
(١٨٨) الطبري ٨٠٥/٢
(١٨٩) الطبري ٨١٣/٢
(١٩٠) الاغانى ١٦٢/١٧ : السمودي ٢٤١/٥

« أكل عام لك باجميرا تغزو بنا ولا تفيد خيرا »
وتذكر في بيت آخر (١٩١) « باجميرات » بالجمع ، وهو جمع يدل على
الزمان لا على المكان . ويتحدث المدائني (١٩٢) عن ثلاث حملات في سنين ثلاث
متتابعة . فيقول ان عبد الملك نصح بان يروح عاماً بعد ان قضى سنتين في الميدان .
وان يقنع بالشام ، ويترك العراق اللعين الى مصعب ، ولكنه لم يفعل ذلك ،
فاته السنة الثالثة بما ينبغي .

وهذا صيف عام ٦٩١ او ٧٢/٧١ للهجرة يقضي عبد
الملك معظمه في اخضاع الجزيرة . ويستسلم زفر بن الحارث
في قرقيسيا بعد حصار طويل . ويشترط ان يؤدي ابنه
المذيل خدمات حربية (١٩٣) . ونجد بياناً مستقصى عن ذلك في ابن الاثير (١٩٤) ،
حيث تروى لنا ايضاً موقعة سابقة غير حاسمة ، قام بها على قرقيسيا أبان بن عقبة
ابن مويت عامل حمص . ونرى فيها ان زفر لم يطأ طيء الرأس امام جيش
كلب وقضاة ، بل التحق بالخليفة بمحض رضاه . وهذا في الواقع انهزام للقيسيين ،
وقد تباهاوا به . وابتغوا من تباهيهم هذا ان يخففوا من عارهم . والى جانب قرقيسيا ،
كان لابد من اخضاع عين الوردية التي كان فيها عمير بن حباب (١٩٥) مناهضاً ،
ثم نصيبين التي لا يزال يقاوم فيها « حاملو العصا » وهم بقايا من اتباع المختار .

(١٩١) الطبري ٢/١٠٣٨ : ٤

(١٩٢) الاغانى ١٧/١٦١ وما بعدها

(١٩٣) انساب الاشراف ٣٤ ، ١٧٠ وما بعده ؛ ابن الاثير ٤/٢٦٥ وفي تيوفان عام

٦١٧٨ وضع الاستيلاء على قرقيسيا بمناسبة مفلوطة .

(١٩٤) ٤/٢٧٥ وما بعدها .

(٩٥) وفي Barhebr. ed. Bedjan , 111 « ان حباباً هو بالتأكيد ابن حباب »

وانظر ابن الاثير ٤/٢٥٤

واستسلم هؤلاء ، وجندوا في الجيش (١٩٦) .

وبعد ان مضي قسم كبير من الصيف ، حدث الصدام
الصدام النهائي في دير الصدام النهائي في دير
الجنائفة سنة ٧٢ النهائي بين عبد الملك ومصعب . وكان مكان المعركة في
في دير الجنائفة بين مسكن حيث عسكر عبد الملك كما
فعل معاوية قبله وبين باجميرا مركز قيادة مصعب (١٩٧) . وكانت ذلك في
جمادى الاولى او الثانية . اما السنة فشكوك فيها : اهي عام ٧١ او ٧٢ (١٩٨) .
ويقول الواقدي والياس انها ٧١ . ويقول الآخرون (١٩٩) انها ٧٢ . وهناك
دليل على ان هذه السنة الاخيرة هي الصحيحة من وجهة النظر التي ذكرناها
سابقاً . وذلك ان انتصار عبد الملك في العراق تبعه ارسال الحجاج الى الحجاز .
وارساله حدث ولا ريب عام ٧٣/٧٢ (٢٠٠) .

٤

(١٩٦) المسعودي ٢٤١ / ٥ وانظر الاغاني ١٥٥ / ٥ : ٢٣ / ٨ : ٤٧ / ١١ و
Shia, 80, n. 1 ;84 n. 3 .
(١٩٧) الطبري ٨٠٤ / ٢ .
(١٩٨) انساب الاشراف ٨ : الطبري ٨١٣ / ٢ .
(١٩٩) هكذا يقول المدائني في الطبري ٨١٣ / ٢ (٩٠١٤٦٦) والاغاني ١٧ /
١٦١ وابن الكلبي عن حده وعن ابي مخنف في انساب الاشراف ٢٦ والمسعودي ٥ / ٢٤٢ .
(٢٠٠) ولتأيد عام ٧١ يمكننا الرجوع الى رواية المدائني في الطبري ٨١٣ / ٢ التي
تقول ان المعركة كانت يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الاولى او الثانية . ويسمى المدائني ايضاً
عام ٧٢ لكن ايوم الثالث عشر من جمادى الاولى او الثانية لا يقع يوم الثلاثاء . مع ان اليوم
الثالث عشر من جمادى الثانية عام ٧١ يقع يوم الثلاثاء . وبالرغم من هذا يبدو لي انه من المستحيل
ومن المناقض للحوادث الصحيحة كل الصحة ان نجعل الحملات المراقبة الثلاث جميعاً وان نميز
هكذا دخول سنتين كاملتين بين اخذ الكوفة الذي كان نتيجة لمعركة في الدير وبين اخذ مكة .
وسأعود الى هذه النقطة .

وهناك روايات عديدة عن سير الواقعة . او على الاصح
هناك مجموعات من الروايات صلات بعضها ببعض اثارت
عدداً من المناقشات تجاوز الحد المألوف . وقد قارن اهلواردت
رواية الكتاب التاريخي الذي نشره - وهو قطعة من كتاب
الاشراف للبلاذري - برواية ابن الاثير (٢٠١) . فوجد ان رواية ابن الاثير قد
اخذت من تلك اقساماً كبيرة . وخالفه نولدكي . ولعله فعل ذلك ظناً منه باننا
هنا نقضي الى خير النتائج ان اعتبرنا الطبري مصدراً لابن الاثير ، كما هو شأننا في
الروايات الاخرى لابن الاثير . وبرهن بروكلمان على ان هذا ليس جائزاً ، بعد
ان ظهرت اقسام الطبري التي لم يكن نولدكي على معرفة بها (٢٠٢) . وبهذه
الاقسام رجح الحكم بعض الشيء في جانب اهلواردت . ومن الضروري حقاً
ان نأخذ بعين الاعتبار رواية لاحقة غفل عنها اهلواردت ونولدكي وبروكلمان ،
الا وهي رواية الاغانى (٢٠٣) التي يقارب مضمونها رواية البلاذري ،
ولو انها مستقلة عنها . وقد جمعها الزبير بن بكار . وعلى ذلك فمن الواضح ان ابن
الاثير لم يقتصر على الطبري ، بل كان على علم بالبلاذري وبترجمة كتاب الاغانى
على حد سواء . وفي النقاط التي اتفق عليها مع هذين المصدرين يوافق حيناً احدهما
اكثر من الثاني ، وحيناً آخر ثانيهما اكثر من الاول ، ولكنه يختلف عنها بالصيغة
بحيث يجب ان نستبعد نقله عنها مباشرة . وحيناً يقدم تفاصيل في المضمون
زيادة على الاثني وعلاوة على القسم المأخوذ من الطبري طبعا ، مثلاً فيما يتصل
بعداوة ابن ظبيان لمصعب . واذن يظهر انه استقى من كتاب دأبه الرجوع الى

الاختلاف حول
مصادر ابن الاثير
عن المرركة

(٢٠١) ٢٦٣، ٤ وما بعدها .

(٢٠٢) انساب الاشراف . . . Verrede, XIIIff ; Göttinger Gel. Anz. . . 1883, 1102; Brockelmann. Dissertation über das Verhältnis von Ibn al Athir zu Tabari (Strassb., 1890) 44f.

(٢٠٣) ١٦١/١٧ وما بعدها .

هذه المصادر (۲۰۴). والمؤلفون المذكورون في البلاذري والاغاني هم في بعض رواياتهم المذكورون في الطبري . والطبري يستشهد علاوة على ذلك بالواقدي ، وهو مدين له بمعظم روايته (۲۰۵) .

ولا تظهر كثيرا خلافاً مهمة من الناحية التاريخية. وهذا
مفاوضات تسبق المعركة
الزمن الذي يسبق المعركة ، والجيشان مصطفىان أحدهما
امام الآخر على بعد صغير من مسكن وجامعها ، ينقضي بمفاوضات يقوم بها عبد
الملك مع خصمه . كما فعل قبله معاوية في المكان نفسه وفي حالة مشابهة .

ولم يكن أهل العراق يرغبون في القتال ، كما تدل على ذلك
موقف أهل العراق
الآيات الواردة سابقاً (۲۰۶). فهم لم يألوا قط النظام والطاعة .
من مصعب

ولم يعد الصراع الحزبي بينهم عليهم بخير خلال السنوات
الآخيرة . وهم يجهلون كل الجهل الولاء السياسي والحزبي . وكانوا يتمنون
ان يتغير اميرهم كل يوم ، كما تغير العادة عشيقها (۲۰۷) . وكانوا يتصورون انهم
لا يقاتلون من اجل ابن الزبير واخيه وحدهما ، بل لاستقلال العراق ، وانهم
ينبغي لهم الا يدعوا أهل الشام الجائعين يحصلون على ارضهم الغنية الترفه . وبعد
فكل ذلك لا جدوى له (۲۰۸) .

وهذه خير فرق مصعب تحت قيادة المهلب تضطر الى ان
خير الفرق تذهب لحماية
تتخلى عنه كي تحمي البصرة من الحوارج (۲۰۹) . اما رجال
البصرة من الحوارج
البصرة الذين كانوا الى جانب مصعب فتوى بينهم ربيعة .

(۲۰۴) ولا يمكن ان نعطي هنا برهاناً كاملاً . اذ المسألة لها اهمية ادبية فقط لا تاريخية .
وتحديد صلة الاخيار المجموعة بعضها ببعض امر فيه بعض الخطر .

(۲۰۵) التي تمتد من ص ۸۰۴ . ۱۵۰ الى ۸۰۸ ، ۲ ، باقطاعات بسيطة .

(۲۰۶) ص ۱۵۷

(۲۰۷) الاغاني ۱۶۲/۱۷ ، ۱۷ ؛ ابن الاثير ۴/ ۲۶۵ ، ۲۳

(۲۰۸) الطبري ۲/ ۸۰۶ ؛ ابن الاثير ۴/ ۲۶۵ وما بعدها ، انساب الاشراف ۱۴

(۲۰۹) الطبري ۲/ ۸۰۶ ؛ ابن الاثير ۴/ ۲۶۵ وما بعدها ؛ انساب الاشراف ۱۴

Chawarig, 36ff.

ووضعها اكثر من مريب ، فقد كان مصعب قبل سنة يقمع ثورتها^(٢١٠) . واكبر قسم في جيشه جلبه معه من الكوفة التي بدأ خروجه منها^(٢١١) .

ولم يكن ميل اهل الكوفة الى جانبه . اما من جهته هو ،
اهل الكوفة ليسوا
مخلصين له
فان الحاجة وحدها هي التي دعتهم الى ان يظهر مروته في
نجدتهم ضد المختار . وكان عدد منهم كثير يحقدون عليه ،
لانه سفك دماء اصحاب المختار انهاراً . وهكذا كان حظ عبد الملك اكبر واسهل .
واستعمل نبوغه مع الكوفيين . وتبين لنا اشعار^(٢١٢) ، قيلت في ذلك العهد وانتهت
الينا مقدار الخوف من مكر الكوفيين ، ورؤساء الجيش الذين كانوا مع عبد
الملك ليسوا إلا كوفيين ، كما تدل على ذلك اسماؤهم المذكورة^(٢١٣) . ومقاطعة
اصفهان التي وعد بها اكثر من واحد مكافاة لخداعهم^(٢١٤) تابعة للكوفة ،
ويديرها كوفيون .

ولم يستطع مصعب ان يجزم امره ، فيعامل الخائنين بعنف ،
ابن الاشرع ينصح مصعباً
بالشدة معهم
اولئك الخائنين الذين كانوا على صلة بعبد الملك بل تركهم
وشانهم ، بالرغم مما حذر به . والرجل الذي حذره منهم
ونصحه بان يقتلهم هو ابراهيم بن الاشرع بطل معركة الحازر . فقد سلم مصعباً
الكتاب الذي تلقاه من عبد الملك دون ان يفتحه ، ونبهه الى ان كل الزعماء قد تلقوا
على الارجح كتبهم كما تلقى هو كتابه ، فاحتفظوا بها لانفسهم . فكان الرجل
الوحيد المخلص في الكوفة . وكان في الوقت نفسه ابرز واحديهم بمقدار كبير ،
وانه لقلته من فلتات ذلك المحيط تستحسن وتحب . وهو سرايه بطل صفين .

(٢١٠) الطبري ٨٠٧/٢ الاغاني ٧٧ ١٦٢ .

(٢١١) الطبري ٨٠٤ ، ٨٠٧ ؛ ابن الاثير ٤/٢٦٤ وما بعدها .

(٢١٢) انساب الاشراف ١١ وما بعدها .

(٢١٣) انساب الاشراف ١٣ ؛ ٢١ ؛ ٢٣ ؛ ٢٧ ؛ ١٤ .

(٢١٤) انساب الاشراف ١٣ ؛ ٣٢ .

وقتل في اول التحام بالعدو في دير الجثالقة ، فادى قتله الى
ابن الاشتر يقتل ويتفرق الكوفيون عن مصعب
انهزام مصعب . واستسلم عتاب بن ورقة مع الفرسان .
ورفض من بقي من الزعماء او رؤساء القبائل دون حياء
ان يطيعوا قائد المعركة ، ولم ينزلوا بجيوشهم الى المعركة ابدا . وترك
مصعب في الميدان ، وهو يكاد يكون وحيداً . وتلك الوضعية الغريبة جعلت
المعركة مشهورة .

وان المرء لا يحتاج الى معرفة الحطط والاساليب الحربية
مصعب يقتل وابنه
ليفهم سيرها . وهذا ابنه يقتل امام عينه ، وكان ولداً
صغيراً ، فعمره هو كان ستاً وثلاثين سنة . وهذا دمه يسيل الآن من جروح
كثيرة اصيب بها من السهام . وهذا زائدة بن قدامه التقي من الكوفة يلقيه
على الارض قتيلاً ، وهو يصيح : « بالثارات المختار » ويأتي عبيد الله بن زياد بن
ظبيان فيفصل رأسه عن جسده .

وبعد هذا النصر الذي ليس فيه شرف عظيم ، سار عبد
ايقاد الحجاج لقتال الملك الى الكوفة ، فبايعته القبائل ، وعين عماله على الامصار
ابن الزبير
التي خضعت لامره (۲۱۵) . واقام اربعين يوماً في النخيلة ،
في المكان نفسه الذي اقام فيه معاوية مع جيش اهل الشام . وبعث يومئذ الحجاج
ابن يوسف الى الحجاز لمحاربة ابن الزبير . هكذا يقول الهيثم بن عدي (۲۱۶) ويوافقه
في ذلك الواقدي ، فهو يقول (۲۱۷) ان الحجاج بعد مقتل مصعب أرسل الى مكة في النبي
رجل من اهل الشام في جمادى اي في الشهر نفسه الذي حدث فيه القتال بالدير
او بعد ذلك بشهر ، اذ ان جمادى تشمل شهرين . والسنة التي يذكرها هي عام

(۲۱۵) عن خراسان انظر الفصل الثامن عن هذا وعن الحالات الاخرى .

(۲۱۶) انساب الاشراف ۱ ، ۱۸

(۲۱۷) الطبري ۲ ، ۸۳۰ وانساب الاشراف ۳۸

٧٢ ، وهو لا يستطيع ان يذكر غير هذه السنة ، لان حصار مكة لم يبتدىء على مايقول هو الا بعد مضي امد من عام ٧٢ ، ثم استمر بعض الامد خلال عام ٧٣ . ولكن كيف يستطيع ان يؤرخ المعركة قبل ذلك في عام ٧١ ؟ انا لانستطيع ان نحل هذا اللغز من القطع التي انتهت اليها منه . وبعد ، فلا مجال للاختلاف على ان الحوادث بين العراق والحجاز متصلة الحلقات ، وعلى أن عام ٧٢ هو تاريخ مقتل مصعب .

ولم يتقدم الحجاج الى مكة من الطريق السوي على مايقول ^{مناوشات واحتلال المدينة} الواقدي ، بل ذهب أولاً الى الطائف حيث وصل في شعبان ، واقام فيها عدة أشهر (٢١٨) . ومن هناك جرت بينه وبين أتباع ابن الزبير مناوشات عديدة في سهل عرفه ، وكان له النصر فيها كلها تقريباً . ثم إنه طلب من الخليفة الاذن بان يهاجم المدينة المقدسة نفسها ، وطلب المدد في الوقت نفسه . وبامر من عبد الملك جاء طارق بن عمرو مساعداً ، فاحتل المدينة وطردها عامل ابن الزبير عليها (٢١٩) .

ويقول الواقدي (٢٢٠) ان الحصار ابتدا في اول ذي القعدة عام ٧٢ اي في ٢٥ آذار ٦٩٢ . وقذف البلد والبيت الحرام بالحجارة (٢٢١) . وعصفت عاصفة هائلة ، فاثارت وازع المتدينين ، ولكن الحجاج عرف كيف يكتسبهم اليه . وتخلي عن ابن الزبير رجاله يوماً بعد يوم ، والقوا جميعهم بسلاحهم في أخرة ، فعفا عنهم اهل الشام ، ومن بينهم اولاد ابن الزبير نفسه .

(٢١٨) المسعودي ٢٥٩/٥ انساب الاشراف ١٣٩

(٢١٩) الطبري ٨١٨/٢ انساب الاشراف ٣٤ وما بعدها .

(٢٢٠) الطبري ٨٤٤/٢ وما بعدها .

(٢٢١) انظر اعلاه ص ١٣٤ - ١٣٥

غير أنه هو ، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وسبعين سنة ، ذاب خجلاً
مقتل ابن الزبير من ذلك ؛ فاستأذن والدته وتقدم وحيداً الى الصراع الأخير ،
فقتل فيه (٢٢٢) . ويقول الواقدي ان ذلك حدث بعد بداية الحصار بستة أشهر
وسبعة عشر يوماً (٢٢٣) أي يوم الثلاثاء لسبعة عشر يوماً خلون من جمادى الاولى
عام ٧٣ و ١٨ تشرين الاول ٦٩٢ . واليوم المذكور من الاسبوع لا يتفق مع
هذه التواريخ . ويقول الطبري (٢٢٤) والبلاذري (٢٢٥) ان الشهر ليس جمادى
الاولى ، ولكنه جمادى الآخرة . ويجدد الياس يوم الاثنين ١٧ جمادى ولكن
اليوم من الاسبوع لا يتفق مع هذا التاريخ أيضاً .

ولم يكن سقوط مكة إلا خاتمة (٢٢٦) ختم بها . فان الحجاز
حكم ابن الزبير اسمي كان منذ مقتل عثمان مصراً لآ حياة له ، فليس بوسع أن
يعود ، فيصبح مركزاً للحياة السياسية . ولا ريب أن ابن الزبير كان ينوي أن
يعيده الى سابق شأنه ، وحمله على نيته هذه الحركة نفسها التي قادته الى الميدان (٢٢٧)
فلم يترك البيت الحرام الذي لجأ اليه حتى ولا في اليوم الذي كان العالم فيه
فاتحاً صدره له ، فدل بذلك على الصفة المقدسة لخلافته . ونتج عن ذلك انه في الفتنة
التي حملت اسمه كان على الهامش . ودار القتال حوله اسماً ، ولم يشترك فيه
وحسم دونه . بل انقضت سنوات في بلاد العرب نفسها كان فيها أقل سلطاناً
من نجده الخارجي (٢٢٨) . وأخيراً حصر في البناء الذي ظل فيه مخبئاً حتى خرج
منه زاحفاً . وهكذا انتهت الفتنة وعادت الجماعة .

(٢٢٢) انساب الاشراف ٣٨ وما بعدها والحامسة ٣١٩

(٢٢٣) الطبري ٢/٨٤٤ ، حاشية ١

(٢٢٤) ٢/٨٥١ ، ١٠

(٢٢٥) انساب الاشراف ٥٧

(٢٢٦) وفي ديوان الهذيلين ١٧،٢٥٩ وما بعده اشعار تهاجر عن ذلك وقرأه وتدي

(٢٢٧) انظر اعلاه ص ١٣٣

(٢٢٨) الطبري ٢/٧٣٧ ، ١٠ ، Chawarig. 29 ff.

الفصل الرابع

المروانيون الاولون

١ - الصراع القبلي

لم تهدأ العاصفة في العراق بانتهاء الحرب الطويلة مع ابن الزبير. بل بقيت كما سنرى طيلة عهد عبد الملك بكامله تقريباً. وأدى الصراع بين القيسيين والكليبيين في الشام الى قلاقل اخرى . وحق ان زفر بن الحارث القى سلاحه بقرقيسياء في السنة التي قتل فيها مصعب ، غير أن هذا لم يضع حداً للعداء بين القبائل ، فقد استمر ذلك العداء الى ما بعد الحرب الكبيرة .

استمراد الصراع
بين قيس وكاب

وينبغي لنا ان نرجع الى مرج راهط لنتحدث عن هذا الصراع فيما يتصل به خاصة^(١) . ففي هذه الموقعة اصاب القيسيين اذى عظيم ، فكان عليهم تبعاً للتقاليد العربية ان يعوضوا خسارتهم من الغالين ، وان يأخذوا بثأرهم منهم . وكانوا هم المعتدين ، فالكليبيون انما كانوا يقابلون الضربة بالضربة فقط . والذي قام باكبر قسط من جانب القيسيين هم عامر وسليم مع غني وباهله^(٢) ؛ فهم الذين نزلوا في شمال الشام وجنوبي

على قيس أن تثار
من مرج راهط

(١) اغاني ١١ / ٣١٠٦١

(٢) ابن الاثير ٤/٢٥٦ ، ١٠٠ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ، ٢٥٨ ؛ ١٧٠ ، ٢٥٩ ؛ ٢٤٠ ، ٢٦٠ ؛

وفي ١٠٠ ، ٢٥٦ يقرأ أعمر كما في ١٥٠ ، ٢٥٦ .

الجزيرة على طرفي نهر الفرات . اما من جانب كلب فبقية قضاة^(٣) . غير أنه يلوح أن كلباً قامت بعملها أيضاً .

وتلك الأيام التي سار العداة الحاد سيرته فيها ، والتي كانت تأتي

منفردة أكثر الحين متباعدة في بعضه ، نجد مصادرهما في الأغاني مصادر البحث
عن تلك الايام

المعاصرة والقصص التي تتصل بتلك الأغاني ، مما انتهى اليها

في ابن الأثير وكتاب الأغاني والحماسة وفي المدائني . ويمكن الوثوق بأكثر

رواياتها ثقة تامة ، ولو أن بعضها لاصلة تجمع بينها ولا تحديد للزمان فيها . بيد

أن هنالك خيوطاً يمكن ضمها بعضها الى بعض ، بحيث نستطيع أن ننسق تلك

الروايات نسقاً مقبولاً .

وبدأ بالعداء على ما يقول الاغاني^(٤) زفر بن الحارث الكلابي

الكلبي : زفر البادي .

في قرقيسياء ، وهو سيد بني عامر ؛ فاغار فجأة على مساكن

للكلبيين في المسيخ ، وقتل عشرين من رجالهم . واجاب الكليون بقيادة حميد

ابن حريث بن مجدل^(٥) بقتل ستين غميراً كانوا يقطنون بينهم في تدمر . ويقال إن

زفر قتل بعد ذلك خمسمائة كلبي ، والفاً منهم يوم الاكليل . وافلت الى قرقيسياء

آمناً ، بعد ان احرز هذا الظفر دون ان يناله اذى ، ولم يستطع حميد ان يدركه .

وتعزى غارة الاكليل في مكان آخر^(٦) الى عمير بن حباب

غيره : بل عمير

سيد بني سليم لا الى زفر . فعير يبدو منذ ذلك الحين

هو الآخذ بالنار

دون منازع المتولي الحقيقي لأرقيس من كلب . وكان

زفر قد انسحب من حروب الدار الى البادية على أثر المعركة الكبرى بين الشام

(٣) في شعر لزفر في ابن الاثير ٢٥٦ ، ١٨٠ سميت قضاة منذ ذلك الوقت بمانية .

(٤) ٢٠-١٢٠ وما يتبعها .

(٥) الذي يخلط تعليق الحماسة ٦٥٨ ، ٢ بينه وبين زفر .

(٦) اغاني ١٢٢ ، ١٧ وما يتبعها .

والعراق في سبيل الخلافة . فقد كان معرضاً لهجمات عبد الملك بعد ان ناهضه
سنين عديدة كما رأينا يحرس تقدم مصعب ؛ وكان تبعاً له .

ويحدد لنا دخول عمير في القتال نقطة البداية في الزمن . فقد
كان في وقعة خازر مع الجيش السوري ؛ ولم يكن قد
التحق بعد بزفر ، اي انه لم يلتحق به قبل عام ٦٧ . ويعدد
لنا عدد من الايام ليس بالقليل ، شفى بها غلته من النار . وتدعى تلك الايام
باسماء مختلفة من السماوة . وفي يوم الكآبة ، اوشك حميد على الا يفلت منه على
حصانه السريع . وهجر بنو كلب هذه الناحية ، وكانوا يقيمون في أرض
تدخل في ميدان جولاته ، فهاجروا بأخرة الى الفور في فلسطين ، وظلوا فيها
مدة من الزمن .

كلب تهاجر
اثر الغارات

ثم ان عميراً تراجع على الفرات ، واستقر مع السليبيين في
الخابور . وهذا ما جعل بني تغلب المسيحيين يصبحون بتناس
مع قيس ، وكانت منازلهم تمتد على طول الدجلة وابتعد
منه . واتجهوا الى زفر يطلبون منه ان يامر سليماً باخلاء الخابور . وقد خولوا
انفسهم تجاوزه مما سبب التصادم . ولم يجد زفر الى ما طلبوه سبيلاً ،
فاشتعلت نار الحرب بين تغلب وسليم . وعمل زفر ما في وسعه ليخفف من
ذلك . فقد كان لا يود ان يلقى بني تغلب في احضان اهل الشام . ولكن عميراً
الذي كان يقود الشؤم معه عمل نقيض ذلك تماماً .

الصدام بين تغلب
وسليم

فقد حام حول مصعب ، وبين له ان بني تغلب - وهم
نصارى - حريون بالتفاهم مع اهل الشام . وعمل على الفوز
باذن لمجاہتہم باسم حكومة ابن الزبير ، واطلق العنان لخصومته . وقتك فيهم
فتكاً ذريعاً في ما كس او ما كسين . وبهذا تنتهي رواية الاغاني^(٧) . لكن بقية

غارات على تغلب

البحث نجدها في ابن الاثير ومحل آخر من الاغاني (٨) . فنعرف ان زفر قيد الى النضال على غير رغبة منه . وتبع ذلك هجوم كثير مفاجيء واصطدامات مكانها في الحابور والبليخ والثرار ومنطقة الدجلة . ويرد ذكر ذلك في شعر الاخطل ايضاً (٩) .

وقاست تغلب سوء ذلك اكثر من عدوها . غير انها كانت

عمير يقتل فيثار الزفر المظفرة قرب احشاك على نهر الثرار الذي يصب في الدجلة

آتياً من الجنوب غير بعيد عن تكريت ؛ فقتلت عميراً عام ٧٠ ، وأرسلت رأسه

الى عبد الملك في دمشق ، ثم ان زفر وجد نفسه مضطراً الى ان ياخذ بثار عمير ؛

فقاتل تغلباً قتالاً مريراً قرب بلدة كحيل على الدجلة ، وضرب رأس مائتي أسير

وقعوا في قبضة يده . ثم أتت حوادث عام ٧١ و ٧٢ الكبرى التي جرت في

الجزيرة ، فوضعت حداً للحرب الدموية الصغرى ، وانقذت بني تغلب .

وعادت العداوة بين كلب وقيس مرة اخرى وبمكاف

فزارة تفحم في النزاع آخر (١٠) . وهذا حميد بن حريث بن مجدل سيد كلب في

الحرب مع عمير (١١) ينتهز الفرصة ليجعل فزارة تكفر في بلاد العرب نفسها - وكان

مركزها في شرق المدينة - عن الاهانات التي ألحقها بـكلب على الفرات بنو سليم

وعامر ممن كان غير قادر على اذاهم . وهؤلاء الفزاريون ما كانوا قد اشتركوا

بعد في الحصام ، غير انهم ينتمون الى قبيلة بني قيس الكبرى . وايا كان فبعضهم

ممن كانوا من بيت امارتها مقيمين في الكوفة ساعدوا عميراً فظفر . (١٢)

(٨) ابن الاثير : ٢٥٥ / ١١ وما يتبعها واغاني ١١ / ٥١ وما بعدها ؛ ٦١ وما بعدها

(٩) ولم اكن انذاك قادراً على ان آخذ بعين الاعتبار الفطامي طبعة Barth .

(١٠) انظر الحماسة ٢٦٠ وما يتبعها . المدائني ١٤ ، ٨٥ . (وترجمة فريتاغ Freytag

لاتسفي غديلاً) ، الاغاني ، ١٧ / ١١٣ وما يتبعها ، ياقوت ٧٣٩ / ١ .

(١١) وبغلط ابن حبيب في المدائني فبسمي ابا حريثاً بدلاً منه . هذا وانظر الحماسة ٢٦٠

البيت الثاني ، الاغاني ١٧ / ١١٣ في الاسفل و ١١٤ ، ٢٨ .

(١٢) ابن الاثير ٤ / ٢٥٨ ، ١٩ وما يتبعها .

وجعل حميد خالد بن يزيد الذي كانت جدته كلبية يعد له
عهداً باسم عبد الملك يخوله جمع الزكاة من بعض القبائل .
ومشى في البادية موفداً من الحكومة ، ومعه عدد هائل من الاتباع من قبيلتي
عبد الود وعليم من الكلبين ؛ فجعل بني فزاره ، وهم غايته ومقصده الحقيقي ،
يشعرون بقوته . وتذرع بحجج واهية ، فقام باعمال رهيبة من العنف ضدهم .
فحبس انفس عدد كبير منهم وقتلهم ، لاسيما في مكان يسمى عاه .

حميد يقتل في فزاره

ورفع بنو فزاره شكاوهم الى عبد الملك ، فرأى انه فعل
ما ينبغي ، وقد اعطاهم تعويضاً مالياً على الدم المسفوك ؛
فاخذوا المال ، ولكنهم اشتروا به اسلحة وخيولاً ، وجهزوا
انفسهم لحملة النار . ثم إنهم فاجئوا معسكراً للكلبيين قريباً من بئر بنات قين في
الساوة ، فقتلوا تسعة عشر رجلاً من بني عبد الود وخمسين من بني عليم . وغضب
عبد الملك من ذلك غضباً شديداً ، وأمر عامله الحجاج ان يفرض الدية على فزاره .
غير ان المذنبين الاساسيين في الامر صرفا عن قبيلتهم النكبة التي كانت تهددهم ، فقد
سما نفسها بمحض ارادتها . واضطر الكلبيون الى ان يقنعوا باعدامها . وهجوم
بنات قين هو اشهر يوم من ايام القتال بين قيس و كلب .

فزاره تنتقم

في بنات قين

وكان الحجاج عاملاً على المدينة حين حدث عام ٧٣ و ٧٤ .
وسبب هذا اليوم اي مذبة عاه لا يمكن ان يؤرخ قبل
ذلك (١٣) . فالقول الذي تجمع عليه كل الروايات من ان الاخوين المتعادين ،
بشراً وعبد العزيز ابني مروان ، كانا في دمشق يوم بنات قين او بعد ذلك لا
صحة له اذن . لان احدهما كان عاملاً على الكوفة منذ زمن طويل ، والآخر
عاملاً على مصر . ولعلها كانا على اكبر تقدير في زيارة للبلاط .

متى وقع الانتقام

(١٣) نعم انه من المستحيل كل الاستحالة ان يكون حدث قبل عودة الجماعة كما يقول
ابن حبيب في المدائني . لكن دوزي ١/١٢٠ مخطئ . كل الخطأ في جعل يوم بنات قين في عهد معاوية .

والعداء بين سليم وتغلب كانت له نتائج اخرى ، بعد أن
الجحاف يعتدي
انتهى الحصاص على الخلافة ، واستقر السلم^(١٤) زمناً في
على تغلب
المملكة فقد اجج الاخطل ناره مرة أخرى ممتدحاً في دار
عبد الملك أمام الجحاف بن حكيم السليمي شجاعة بني تغلب . وكان الجحاف فداشترك
مع عمير في قتالهم . واذا بالجحاف يعمل ما عمله حميد الكلبي قبل ذلك ، اذ يفلح
في ان يفوز بعهد يخوله ان يجمع الزكاة من منطقة تغلب وبكر في الجزيرة . ثم
شرع في إداء مهمته الرسمية سائراً الى الجزيرة في جفل من الفرسان القيسيين . واثناء
الطريق كشف لهم عن نيته الحقيقية ؛ فاذا هو يبغى أن يسفك من دم تغلب اكثر
ما يقدر عليه . ونجتم كلامه بقوله : « لكم الخيار بين النار إن تبعتموني وبين العار
ان لم تتبعوني » . وآثروا النار على العار فتبعوه ، واغاروا على تغلب عام ٧٣
في بشر او رحوب ، وفضعوا فيهم . وقتلوا اثناء الغارة ولداً للاخطل ، واسروه
هو بنفسه ، لكنهم اخلوا سيده ، وقد حسبوه من الخدم .

وبعد ذلك فر الجحاف الى ارض الروم . وشفع به بنو
الدية يدفعها احجاج
الجحاف بكثير
قيس ، ومضى زمن طويل ، فاذن له عبد الملك بان يعود
على ان يدفع الى تغلب دية الدم المسفوك في بشر . ولما
كانت وسائله لا تبلغ ذلك ، سأل اقوى بني قيس يومئذ ، اي الحجاج ، ان
يتقدم لمساعدته وان يدفع عنه . فامتنع الحجاج زمناً عن ذلك ، ثم فعل .
واصبح الجحاف في آخره تقياً . واراد التكفير عن ذنوبه وذنوب اصحابه ، فحج
الى مكة وحجوا ، والحوا تم مدلاة من على انوفهم ، ودعوا الله هناك بالفقران
دعاء اليائسين .

وهكذا نرى ان العرب في بلاد الشام وواحات الجزيرة ،
لم يقض عن النار
ظلوا في اوضاعهم الجديدة مثابرين على ما كانوا عليه قبل

(١٤) انظر الاغاني ٥٩/١١ وما يتبعها . ابن الاثير ٢٦١/٤ وما يتبعها .

ذلك . فلا الاسلام ولا النصرانية حالت بينهم وبين الاعتداد بالقبيلة والثأر . ولقد آثروا النار على العار ، ولم يشعروا بالندامة الا بعد فوات الاوان . بل اصبح سلوكهم اقسى مما كان عليه قبل في وثنيتهن وموطنهم القديم ، فقد قاموا بالقتل وسفك الدماء بمقدار اكبر وباساليب خلت من الرحمة . وقتلوا الاسرى من النساء . وتلك عادة لم تكن مألوفة في بلاد العرب نفسها ، انما كانت في سورية وشهد بها النبي اموصيا . بل انهم وقد فرغوا من الصراع من أجل الدولة ، واستتب السلم ، استمروا على سلوكهم المهيج امام ابواب العاصمة وعلى مرأى من الخليفة ، بل محتجين بسلطانه بعض الحين .

وانفتح ثلم ثان للضغينة القبلية في المشرق البعيد . ففي البصرة الخلف القبلي في العراق اشتد التوتر بين تميم وربيعة اثر مهاجرة ازدي عمان التي تمت في السنوات الاخيرة من حكم معاوية وفي عهد يزيد . فتعالت ربيعة مع الازد والتحقت تميم بقبس بحيث نشأت هنا أيضاً زمرتان كبيرتان . واشتعلت نار الحُصام في تلك البلدة بعد وفاة يزيد وقبل حكم مروان . فاضطر العامل عبيد الله بن زياد الى الهرب .

ونوى مسعود بن عمرو زعيم الازد ان يجل محله ، فاستولى ^{مقتل زعيم الازد} على القلعة والجامع محتالاً يعاونه الازد وربيعة . وبينما كان قائماً على منبر الجامع ، هب بنو تميم والقوا به على الارض وقتلوه . واصبح الثأر لدمه ، وهو رئيس القبيلة المقتول ، امراً محتماً . بيد ان الشيخ الحكيم الاحنف ابن قيس زعيم بني تميم عمل على اعادة السلم بتأدية مبلغ كبير من المال تعويضاً .

ومع ذلك فقد استمرت الضغينة بين الطرفين ، وانفجرت في خراسان تلك المستعمرة البصرية التي انتقلت اليها خلافت القبائل من البصرة . وكانت نار العداة تحترق من جديدين ^{انتقال الخلف الى خراسان} تميم وربيعة اولاً ، ثم بعد ان ظهرت الازد على الميدان بخراسان في عهد المهلب احتدمت بين مضر (تميم وقيس) وبين اليمن (ازدي وربيعة) . وتوحد الصراع الثنائي

بين القبائل في الشرق وفي الغرب . والخطأ في ذلك يعود على قيس خاصة ، فقد كانت نسبة عددهم متائلة في الشرق وفي الغرب . وكانوا كالحبر والورق يلتصق بعضهم ببعض في كل مكان . وادى هذا الخلاف الى اشغال الطرفين المتخاصمين ، واستقطب في العالم العربي اجمع .

وايقظ هذا الاتجاه الاوساط الحاكمة من نومها ، غير انه دمشق تستيقظ . اصبح من العسير تقاديه . فماذا يستطيع الوالي ان يعمل حينما يدعي القيسيون انه منهم ، حتى اذا ابعدهم حرم نفسه من تاييدهم ، فوقع بين حدي السيف . بل ان الامراء في بلاط عبد الملك كانوا يميلون الى احد الطرفين ، حسبما توحى اليهم صلة النسب من قبل امهم .

وهاهنا الآن فكرة الاسلام السياسية ووحدة الامة المحمدية موقف بني امية وتضامنها ترتد على نفسها . والقرشيون هم ممثلوها الاصليون الذين حق لهم ان يسوا عن الخلاف ويتجنبوه . وحق ان القرشين على الحكم أي الامويين اضطرروا الى ان يرتموا في احضان بني كلب في الشام ليحتفظوا بسلطانهم امام القيسيين الذين كانوا الى جانب ابن الزبير ، لكن صلة الدم كانت تربطهم بالقيسيين^(۱۵) ، فكان من السهل عليهم ان يقفوا موقفاً وسطاً .

وأدرك عبد الملك مصلحته ، فحاول ان يجعل نفسه فوق عبد الملك فوق الاحزاب الأحراب . وهاهوذا يعامل القيسيين بلطف ، ويحاول أن يرضيهم بعد أن ناهضوه . وأصبح زفر بن الحارث ثم ولداه الهذيل و كوثر من أبرز الناس ومن أعيانهم في بلاط دمشق^(۱۶) . وكره الكلبيون هذا بطبيعة

(۱۵) فلولا امير المؤمنين لاصبحت قضاة اربابا وقيس عبيدا

الطبري ۴۸۷ ، ۱۹۰ وما يتبعها . والخاتمة معتبر من قيس (۱۸۰ ، ۴۷۵) اذ هو ينتمي مثلهم الى مضر لا الى قضاة او العن

(۱۶) انظر الطبري ۲ / ۱۳۰۰ : ۱۳۶۰ وما يتبعها ؛ ۱۴۵۵ : الاشراف لبلاذري طبعة اهلاوازدت ۱۷۳ ، ۲۵۳ ، الاغانى ۱۶ / ۴۲ : ۱۵۳ وما يتبعها . وانا نرى من هذا كيف استمرت وضمة هؤلاء الامراء من قيس قوية حتى في عهد الامويين . غير أنهم لم يسيثوا استمالتها

الحال . لكن تدمرهم من عبد الملك وانه لم يعترف بجميلهم كما ينبغي^(١٧) ، انما هو مديح له . ومن الغلط الذي لا يضع الامور موضعها الادعاء بانه انتقل من كلب الى قيس . فاننا نجد حوله رجالاً من كلب ، لهم اثرهم حتى في الايام التي تلت ذلك : مثل ابن بجدل نفسه وروح بن زنباع . ولقد قام عبد الملك ، وهو خليفة ورجل سياسة ، بما يجب ان يقوم .

وكان الامويون قد اعتمدوا على اهل الشام . وبعون منهم
تضرر بني امية
من الخلاف القبلي
استطاعوا أن يخضعوا الدولة الاسلامية باسرها . وبعونهم
استطاعوا أن يحكموها . حتى اذا اندك أساس ذلك العون
اعني اذا حصل انشقاق في الشام ، قضي على حكمهم . وكانت خراسان على الهاشمي
يومئذ والاختلاف فيها ، وهي بعيدة ، لا يؤثر آذاك في المركز الا قليلاً .
ولم يمتحن عرب الشام ، بشعورهم بأن عليهم ، في سبيل الاحتفاظ
بمكانتهم ، ان يقفوا الى جانب الاسرة الحاكمة . ولقد عمل
عرب الشام يشعرون
بسوء النتيجة
هذا الشعور عمله امام خلاف القبائل . وكانت الأسوار
الاخري خاضعة للحكم ، وأراضيهم كانت للحكومة . بل إن مصلحة عرب الشام
المادية في احتفاظهم بالخلافة وباللحكومة اثارت فيهم شعوراً بالتضامن السياسي ،
ظهر التعبير عنه بصورة قوية حينما وجب عليهم ، وهم جيش الخليفة ، أن يقاتلوا
الأعداء الداخليين والخارجيين للملكة . وبدت لهم ظروف ملائمة عديدة خلال
ذلك القتال .

٢ . - حكم عبد الملك والوليد

ولكي تزداد مكانة الشام السياسية علواً اكثر فاكثروا ،
السمي لتحويل الحج
الى الشام
اتخذت محاولة ترمي الى نقل مركز العبادة الى الشام .
واحتج بان البيت المقدس في مكة قد احتله ابن الزبير

(١٧) الحماسة ٦٥٦ وما يتبعها .

نحواً من عشر سنوات . فاصبح من العسير على أهل الشام ان يختلفوا اليه ، اذا
ظلوا مخلصين لدولتهم . وتذرع عبد الملك بذلك ليمنع أتباعه منعاً باتاً من الحج
الى مكة ، وليصر على أن يحجوا الى بيت المقدس بدلاً من مكة . ذلك على
الأقل مايقوله ايتيشيوس^(١٨) .

وليس من أدنى ريب أن عبد الملك سعى سعياً حثيثاً
ليسدي على بيت المقدس أعظم أهبة تسدي على مكان اسلامي ^{بناء قبة الصخرة}
للعبادة . والقول بانه هو الذي بنى قبة الصخرة تؤكده لنا النقوش التي انتهت البناء في
اقدم قسم من البناء . وحق أن الخليفة العباسي المأمون ذكر فيها أنه هو
الباقي ، غير أن دي فوجي de Vogüe لاحظ ان اسمه قد زيف تزيفاً^(١٩) . ونجا
تاريخ البناء القديم من التزوير . ولنا أن نقبل دون ادنى شك صورة العبارة الاصلية
بالشكل الآتي . « بنى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين هذه القبة عام ٧٢٠ » .
هذا والشام تمتلك في القدس البيت الوحيد في العالم الذي ^{مكانة القدس عند المسلمين}
يزاحم مكة^(٢٠) . وليس هو اقدس الاقدسين عند اليهود
والنصارى وخدم ، بل هو كذلك في الاصل عند المسلمين أيضاً . ولم يقم محمد [عليه
السلام] مكة في مكانه الا مؤخرأ ، لياتلف بذلك قلوب العرب الوثنيين آنذاك . وقد
أعز عمر من شأن بيت المقدس بزيارته له ، فثار بذلك غيرة العراقيين . وبويع
معاوية اول بيعة فيه ، فصلى بتلك المناسبة في الجلجلة والجسمانية وقبر
مريم العذراء .

(١٨) ed. Pococke, Annales (١٨) ٣٦٥/٢ . ويقول ايتيشيوس الشيء نفسه عن

مروان (٣٦٢/٢) وشيئاً شبيهاً عن توليد بن عبد الملك (٣٧٣/٢) .

(١٩) Temple de Jerusalem . ١٨٦٤ . ص ٣٥ وما يتبعها وانظر ايضاً

Gildemeister في Zeitschr. des Deutschen Palästinavereins ١٨٩٠ .

ص ١٤ والاغلاط في الارقام يجب الا تعزي المؤلف الذي كان قد توفي حينما طبع بحته .

(٢٠) الطبري ١٦٦٦ ، ٣ .

ثم إن عبد الملك تخلى عن فكرته في جعل بيت المقدس بدلاً
من مكة - ان كانت تلك فكرته - حالما تمكن من توسيع
سلطانه خارج حدود الشام . ذلك انه لم يكن عنده من
امل على ما يظهر في ان تدعن امة الرسول [عليه السلام] بكاملها لهذا الأمر (۲۱) غير انه
حاول بعد ذلك محاولة ثانية ترمي الى اعلاء مكانة الشام في ميدان العبادة على
حساب المدينة . وكان معاوية قد أعد العدة قبله في عام ۵۰ للهجرة لينقل منبر
الرسول [عليه السلام] من المدينة الى الشام . غير انه قوبل بشغب عام ، واسودت الشمس ،
فترك الأمر قائلاً : انما أردت ان ارى هل اكله الدود . وفكر عبد الملك فيما
فكر فيه معاوية [وقصد ذلك] لكن كاتباً له أقنعه بالعدول عنه . ثم ان ابنه
الوليد حاول الأمر نفسه على ما قيل ، ولكن دون جدوى (۲۲) .

محاولات لنقل
منبر الرسول

ولم يكن الامويون مضطرين الى أن ينظروا الى المدينة
بمعاملة عبد الملك للمدينة
بنفس العين التي ينظرون بها الى مكة . فالمدينة قد جهرت
اكثر من مرة بعدائها لهم ، وطردتهم باخرة عن كاملهم خارج اسوارها ،
فاضمروا لها الضغينة من ذلك . ويلوح أن عبد الملك كان يعين بعض ولائها في
ساعة الغضب ، وبينهم هشام بن اسماعيل الخزومي (الذي عين عام ۸۲) وكان
مشتهراً بسفاهته .

وكانت صلوات عبد الملك بالاسلام مختلفة منذ البداية عن
صلوات سلفه . فقد ولد بل نشأ فيه . ولقد ربي في المدينة
نفسها حين كان حديث الرسول [عليه السلام] معززاً مكرماً ، تقوم عليه طبقة خاصة
جعلته ديدنها ، فاهتم في شبابه اهتماماً بالغاً بهذه البحوث الدينية ، حتى إن له أن

صلاته بالدين

(۲۱) يقال ان خالداً القسري ابان ان الخليفة او اراد لنقل الكعبة وبنائها في بيت المقدس
(الاغانى ۱۹ / ۹۰) .
(۲۲) الطبري ۲ / ۹۲۳ عن الواقدي .

يعد من حفاظ القرآن . ولما أفضت اليه الخلافة ، حدث تغيير في نفسه ، على ما يقال^(٢٣) . وحق أنه اخضع كل شيء للسياسة منذ ولايته ، بل عرض الكعبة لخطر الهدم ، غير أنه بعمل السياسة أيضاً تخرج من أن يمس الشعور الديني لرعيته بذلك الاستهتار الذي صدر عن يزيد . فقد عرفهم عن كذب أكثر من يزيد ، وعرف كيف يتصرف معهم أحسن منه . فكان التقي رجاء بن حيوة الكندي الذي سنسمع من أخباره بعد ذلك أكثر ، ذا أثر عنده^(٢٤) منذ ذلك التاريخ .

ثم هاهو ذا عبد الملك يقتل رجلاً يدعي النبوة دون محمد [عليه
مقدار تحمسه للإسلام] السلام^(٢٥) وها هو ذا يريد أن يدخل كنيسة حنا بدمشق في
الجامع على ما يقول ايتيشيوس^(٢٦) ، وكانت قريبة منه ، فلا يمنعه من ذلك الاعتبار
خاطر المسيحيين . وليس بين أيدينا مادة كافية تخولنا الحكم على صلاته بعد ذلك برعيته
من المسيحيين . وأياً كان ، فتغلب وشاعرها الأخطل لم تنقص منزلتهم عنده
لمسيحياتهم . أما ذبح الخنزير في سورية الذي يذكره تيوفان في عام ٦١٨٦ لبدء
الخليفة ، فقد كان سببه على التأكيد بغض المسيحيين . ولكنه لم يصدر عن الخليفة .
حتى إذا توافق الإسلام والعروبة لاءم ذلك الحكام ،
العودة الى حرب الروم واصبح من اليسر الاستفادة منه لخدمة الدولة . وهذا عبد
الملك بعد أن ينتصر على خصومه ، يعود الى الجهاد ضد الروم بعد أن توقف
الجهاد زهاء خمسة عشر عاماً^(٢٧) . ويهزم جوستينيان الثاني قريباً من سياست

(٢٣) الاشراف للبلادري ١٦٤ : ١٦٧ : ١٩٠ .

(٢٤) الاشراف للبلادري ١٩٣ . بل يقال انه كان اميناً على بناء قبة الصخرة في بيت

المقدس Zeitschr. des deutschen Pal. vereins ، ١٨٩٠ ، ص ٢١

(٢٥) الاشراف ٢٥٣ .

(٢٦) ٣٦٥ - ٢

(٢٧) Göttinger Nachrichten ، ١٩٠١ ، ص ٤٣١ وما بعدها . وابتدأت

الحرب من جديد في افريقية ايضاً (المصدر السابق ص ٤٣٤ وما بعدها) .

الكليكية او سبستبوليس في عام ٧٣ للهجرة الذي يبدأ في أواخر آذار ٦٩٢ . وكان محمد بن مروان قائد عبد الملك . وهو اخوه وعامله على الجزيرة وأرمينية والمتصرف بثئون الحرب في آسيا الصغرى وارمينية . ووجهت حملات ضد الروم صغيرة أو كبيرة عاماً بعد عام على مثال ما كان يعمل في عهد معاوية . ولئن لم تسفر تلك الحملات عن نتائج حربية ، فقد كانت على أقل تقدير مدرسة نافعة لعرب الشام والجزيرة ، اذ كانت تجعلهم يثابرون على التمرين العسكري .

ومن التدابير المتصلة بالعودة الى جهاد الروم والموافقة

لصالح الدين والوطن معاً ضرب عبد الملك للدنانير . وهذه

سبب ضرب عبد الملك
الدنانير

رواية البلاذري عن ذلك حيث قال (٢٨) : « كانت القراطيس

تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير » « وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه الى الربوبية » . فبدل عبد الملك ذلك بالآية : « قل هو الله أحد » . فهدد الروم أن يأتوهم في الدنانير من ذكر النبي [عليه السلام] بما يكرهونه . فكان أن ضرب العرب الدنانير . فعل ذلك عبد الملك بدمشق عام ٧٤ . وشرع الحجاج في ضرب الدراهم بالكوفة في أواخر عام ٧٥ . وكان الذهب اليوناني والفضة الفارسية حتى ذلك التاريخ تستعمل مع بعض نقود فضية حميرية عليها بومة أثينية .

ويقول الواقدي (٢٩) إن عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير

عام ٧٦ . على أنه ان كان صحيحاً قول تيوفان بان رفض

متى ضربت الدنانير
وماذا كان نقشها

جوستنيان الثاني للدراهم المضروبة في دمشق هو الذي سبب

الحرب بين المسلمين والروم ، فيجب أن يجعل التاريخ الذي يحدده البلاذري أحدث لا أقدم . وضربت النقود الجديدة باسم الله ، وكانت تحمل نقشاً نصه

(٢٨) ٢٤٠ ، ٤٦٥ وما بعدها

(٢٩) الطبري ٢/٢٩٣٩ .

من القرآن يشيد بسلطان الله المطلق وبغزة رسوله^(٣٠). وبما لا يرب فيه أن العرب ضربوا الدراهم والدنانير قبل عبد الملك ، ولكنهم ضربوها بالنقش الرومي والفارسي .

ويلوح أن معاوية حاول أن يعمل ما أفصح فيه عبد الملك ؛ محاولة سابقة لمعاوية فقد ذكر المؤلف السوري الذي نشر نولدكي كتابه أن معاوية ضرب الدنانير والدراهم ؛ ولكنها لم تقبل لأنها لم تحو نقش الصليب . بل إن الناس نظروا في أول الأمر نظر الريبة إلى نقود عبد الملك ، ولا سيما في المدينة^(٣١) فالدنانير الجديدة كانت تزن كاللدنانير المستعملة^(٣٢) .

ثم هذه محاولة أخرى مقابلة لتلك تتخذ ، وترمي أيضاً إلى نقل الديوان إلى العربية التحرر من الأثر الأجنبي ، ألا وهي ادخال اللغة العربية في ديوان بيت المال . فقد كان استقرار الحكم الإداري يعتمد على أمر المال . وكانت الحسابات الرسمية تعمل باليونانية في دمشق ، وبالفارسية في الكوفة . ويقول البلاذري^(٣٣) إن نقل هذه الحسابات إلى العربية بدأ على ما يظهر في الكوفة ، فكان آخر كاتب في الديوان زادن فروخ بن بيروي^(٣٤) أو ابنه ماردان شاه . ويعرض مساعده صالح بن عبد الرحمن على الحجاج أن ينقل الحسابات إلى العربية ويفعل ؛ ولو أنه أجهد نفسه في إيجاد لفظ للكسور . والظاهر أن الأرقام لم تكن مستعملة في الكوفة .

(٣٠) وقد اخذ الاتقياء على الحجاج انه وضع اسمه في النقش بعد اسم الله .

(٣١) فتوح البلدان للبلاذري ٤٦٦ وما يتبها .

(٣٢) انظر أيضاً ابن الأثير ٤/٣٣٧ وما بعدها . وترينا جملة منسوبة للرسول [عليه السلام] في كتاب الخراج لإبي بن آدم ص ٥٢ انه وكان من المستحيل إيجاد توحيد حقيقي بين النقود والمقاييس في الدولة الإسلامية . هذا نصها : «منعت العراق درهما وقبضها . ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر اربها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتهم وعدتم من حيث بدأتهم» .

(٣٣) ص ٣٠٠ وما بعدها والفهرس ٢٤٢ .

(٣٤) الطبري ٢ / ١٠٣٤ ، انساب الاشراف ٣٤٣ ، ٣٥٢ .

ويبين البلاذري السبب الذي من أجله نقل الديوان الى
العربية في دمشق فيقول^(٣٥) ان كاتباً رومياً اجترأ على
عبد الملك ؛ فقرر هذا أن يكون كل شيء ذي صلة بالديوان عربياً . وعهد بالمهمة
الى سليمان بن سعد ، فتمها في سنة من الزمان ، و كوفيء عليها بخراج الاردن
مدة عام ، أي ما قيمته (١٨٠٠٠٠٠) دينار . وطبيعي أنه احتفظ بالطريقة
اليونانية والفارسية ، فلم يبدل إلا اللغة .

سبب النقل

ولا ريب أنه احتفظ أيضاً بالكتاب الروم والفرس الذين
يعرفون العربية . فصالح بن عبد الرحمن الذي تولى النقل
في الكوفة كان ايرانياً من سجستان^(٣٦) . بل كان من
الضروري معرفة اليونانية والفارسية ليتمكن النقل منها الى العربية . فهذا
سرجون الرومي يحتفظ بدمشق في عهد عبد الملك بمكانته التي كان عليها في عهد معاوية
ويزيد^(٣٧) . ويقول تيوفان الذي يعزو نقل الديوان من اليونانية للعربية الى
الوليد بن عبد الملك^(٣٨) عام ٦١٩٩ لبدء الخليفة إن العرب اضطروا الى
الاحتفاظ بالارقام اليونانية ، وظلوا يتخذون كتابهم من المسيحيين . بل ان
المستشارين الشخصيين من المسيحيين في عهد العباسيين الذي وضع فيه هذا المؤلف
تاريخه كانوا اكبر أثراً وأشد قوة وأدعى للبغيض والكراهية من اي وقت مضى .
اضف الى ذلك أن العرب كانوا يعدون غير صالحين لتولي الخراج^(٣٩) لاسباب
اخرى غير جهلهم المحض بفنون الحسابات .

(٣٥) ص ١٩٣ .

(٣٦) بلاذري ٣٩٣ ، ١٠٠ .

(٣٧) الطبري ٨٣٧ ، ١١ .

(٣٨) وفي عام ٨٧ للهجرة ادخل الوايد اللغة العربية في الديوان بمصر بدلاً من القبطية

لا بدلاً من اليونانية : انقرزي الخطط ١ / ٩٨ .

(٣٩) الطبري ٤٥٨ / ٢ ، ١٤٧٠ .

وعدل عبد الملك على ما يلوح لنا شكل الحكومة في مسائل
الادارة عند عبد الملك اخرى أيضاً ؛ فقد أصبحت الادارة فنية و متسلسلة أكثر
من ذي قبل ، ولو أن ذلك لم يصل الى الدرجة التي أصبح عليها في عهد العباسيين .
وتذكر في عهد عبد الملك بعض الوظائف الكبيرة أول مرة ، وليس يعني ذلك
حتماً أنها لم تكن موجودة من قبل . على أنه من المؤكد أن اللقب الذي يقابل
« المستشار الاول » باليونانية وهو اللقب الذي يميز الخلفاء لم يعد يلائم
عبد الملك .

وكان يعامل ولاته بأسلوب صارم يكاد يكون خشناً ،
صرامته حتى إنه كان يعامل الحجاج الكبير في فضله معاملة تختلف
كثيراً عما كان معاوية يعامل به زياداً . ولم يجعل عبد الملك بينه وبين الرجال
البارزين الذين جمعهم في حاشيته وفي مجالسه صلات فيها من الحرية ما كانت
يتخذها معاوية باثر من تفوقه المعنوي الذي كان يصول ويجول به في ميدان تلك
الحرية . ولطف حكام بني سفيان الذي كان موضع الاطراء الكبير والذي كان
عندهم وعند الاسياد من قدماء العرب فضيلة أكثر منه طبعاً فطرياً جميلاً لم يكن
مزية من مزايا عبد الملك او من مزايا من خلفه ، فعبد الملك قد دل على أنه إنما
هو سيد صارم (٤٠) .

حتى اذا تعرضت خلافته للخطر القى عرض الحائط بكل
معاملته لني امية اعتبار ، فقتل بيده ابن عمه عمرو بن سعيد الذي حاول أن
يدعو لنفسه بالخلافة . ثم ان وفاة اخيه عبد العزيز الذي قاوم مبايعة ابنه لولاية
العهد وفرت عليه مشقة تنحيته من طريقه . وبعد ، فقد سوغ اقرباءه من بني
امية ان يتمتعوا من السلطان بقسط او فر بما خولهم اياه سلفه .

وأول الامر ان كل الولايات كانت فعلاً في ايديهم . ففي مصر
توزيعه الولايات عليهم و افريقية ، كان يحكم عبدالعزیز او لعنه يحكم بموجب تدبير اوصى به
مروان ؛ وكانت مروان قد اخذ له البيعة بعد عبد الملك (۴۱) . ثم كان لمحمد
ابن مروان الجزيرة و ارمينية ، وهما عمل مهم لما تقتضيانه من حرب مع الروم .
هذا وعهد بالكوفة والبصرة بعد ذلك الى بشر بن مروان الذي كان لا يزال
في ريعان الصبي . وكان يدير البصرة قبله اموي ، هو خالد من احفاد أسيد .
وكان عدد الامويين في حاشية الخليفة اكثر من ذي قبل ، وقد هاجروا مع
مروان من المدينة الى دمشق .

بل ان خالد بن يزيد لعب دوره ايضاً . فقد سعى عبد
الملك لان يجعله يسلو عن ابعاده دون حق من ولاية العهد ،
فقربه من نفسه ، وزوجه ابنته . وتزوج هو ايضاً عاتكة احدي بنات يزيد ،
فأصبحت زوجته المحظية ، و اباح لها ان تأمره باشياء كثيرة .

ويقدم لنا البلاذري في كتاب انساب الاشراف عدداً
عديداً من الاقاصيص في هذا الأمر ، مما يزيد في معرفتنا
بذلك الخليفة الذي هو اشهر خفاء بني امية . ويزودنا
البلاذري بصرور من المعلومات المهمة عن الامكنة التي كان يقيم فيها تبعاً
لفصول السنة ، وعن زوجاته وعائلته وعن عمله اليومي الرتيب ، وعن عنايته
بتعليم اولاده ، وعن ميوله ونواحي ضعفه ، وعن مساوئه اي نزوات غضبه
والقابه . وبعد فها هو ذا يشيخ قبل اوانه ، فيقضى نجبه في دمشق ، وعمره

(۴۱) وترك مروان لابنه عبد العزيز قبل وفاته مصر ومناطق الحيشة العميدة وطرابلس الغرب
والجهاز التي تمتد منها حتى مضيق جبل طارق . هذا ما يقوله في Cont. B. A., par. 29
وطلب عبد الملك من عبد العزيز حمل خراج مصر اليه اهانة لعبد العزيز (انساب الاشراف ۲۳۹)
وعبد العزيز كان من ام اخرى (المصدر السابق ۲۶۱) .

ستون سنة ، وذلك يوم الاربعاء لاربعة عشر يوماً خلت من شوال سنة ٨٦ (٩ تشرين الاول ٧٠٥) (٤٢) .

ويسمى عبد الملك « ابا الملوك » لأن اربعة من اولاده
تتابعوا على الحكم بعده . وليس من خلفاء بني امية بعده الا
اثنان ليسا من ذريته . وكان اخوه عبد العزيز عامل مصروني
المباينة للولايد
بولاية العهد
عده ببيع له بذلك ، فعمل عبد الملك قصاراه ليدفعه الى العدول عن حقه ،
ولينقل الخلافة الى اولاده ، ولكنه اخفق في ذلك . فلا الوعد ولا الوعيد
اجديا مع عبد العزيز ، لكن حسن الحظ قضى بان يموت قبل عبد الملك (٤٣) .
وهكذا تمت البيعة بولاية العهد لأكبر ابناء الخليفة وهو الوليد .

وفي حكم الوليد انتعش الجيش العربي ، فقد فتحت طوانة بعد
حصار طويل ، وشرع في حملة كبيرة ضد القسطنطينية .
وابتدأ عهد جديد ثان من الفتوح الكبيرة . وسقطت بلاد ما وراء النهر واسبانيا ،
وساد السلم اخيراً في الداخل . وتمتع الوليد بعشرات حكم والده ، فاقتفى اثره ،
وتمسك بعامله على الشرق اي الحجاج وهو المكروه المقوت . وقاد الحجاج في
بعض الشئون سياسية من خدم من الخلفاء . هذا وقد اهتم الوليد اهتماماً كبيراً
بان يبدو سيداً . ويقال إنه « اول من تجبر من الخلفاء » (٤٤) . وقد وضعت

(٤٢) ويتبع الواقدي ابا معشر في الطبري ١٧٢/٢ (وانظر انساب الاشراف ٢٦٤)
فيعين يوم الاربعاء منتصف شوال يوماً لوفاته . ويقول ويستفاد Wüstenfeld ان يوم الاربعاء
يقع في اليوم الرابع عشر من ذلك الشهر . ويحدد الياس النصيبي ذلك التاريخ . وعمر عبد الملك
بحدده المدائني في الطبري ١١٧٣ وفي انساب الاشراف على انه ٦٢ او ٦٣ عاماً . اما ابو معشر في
الطبري فهو ستون وبجمله الواقدي ثمانية وخمسين مستنداً الى مصادر اخرى (الصبري ١١٥٣ ،
انساب الاشراف ١٦٥ وكذلك ١٥٢ كما توجيه قراءة النص) . وبأخذ الطبري ٤٦٧/٢
بالستين عمراً لعبد الملك .

(٤٣) الطبري ١١٦٥ وانظر ١١٧١

(٤٤) انساب الاشراف ٢٤٣

على لسانه الفاظ تدل على انه يجب ان يخشاه الناس ، حتى ولو كنوا له البغض (٤٤) .
ولقد دفع بالاسلام ليكون ديناً للملك ، ولعله كان على صلته بالدين
صلة به اعمق مما كان غيره ، فقد وضع حداً لمتابعة العامل
هشام بن اسماعيل للاتقياء في المدينة ، فعين مكانه ابن عمه عمر بن عبد العزيز .
وكان عمر محبباً من العلماء (٤٥) وتطلب الوليد بشدة من كل انسان ان يكون
قارئاً للقرآن (٤٦) ، ولو انه هو لم يكن يحسن الكلام باللغة القديمة لغة القرآن ،
مما كان يكدر والده (٤٧) .

واتم مشروعاً كان والده يفكر فيه لكنه تخلى عنه على ما عمارته المساجد
يقال ؛ فاخذ هو من النصارى في دمشق كنيسة القديس
يوحنا ؛ ووسع بها الجامع الذي كان يجاورها ، وجدده تجديداً بهياً في سنة
٨٤ (٤٨) . ونقل القبة المطعمة بالنحاس من كنيسة نصرانية في بعلبك ، فوضعها
في جامع بيت المقدس على قبة الصخرة (٤٩) . وجدد بناء مسجد المدينة تجديداً
تاماً (٥٠) . ومما لا ريب فيه انه ضايق الاتقياء بذلك ، وضايقهم لانه لم يقف
على المنبر حينما خطب عام ٩١ ، بل ظل قاعداً ، كما كانت عادته ان يفعل في
دمشق (٥١) .

« وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع . وكان
كان الوليد منشئاً
الناس يلتقون في زمانه ، فانما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء

(٤٤) الطبري ١١٧٨/٢

(٤٥) الطبري ١١٨٢ وما بعدها

(٤٦) الطبري ١٢٧١

(٤٧) انساب الاشراف ٢٣٦ وما بعدها و ٢٦٠

(٤٨) فتوح البلدان ١٢٥ وما بعدها ، الطبري ١٢٧٥

(٤٩) اتيشيوس ٣٧٣/٢

(٥٠) فتوح البلدان ٦٧

(٥١) الطبري ١٢٣٣

والمصانع « (٥٢) وجلب له الحجاج البقر الوحشي لمنطقة المستنقعات في خليج الاسكندرون . وُعني ايضاً بالمحتاجين . « واعطى المجذمين ، وقال لا تسألوا الناس ، واعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرير قائداً » (٥٣) . فافاد اهل الشام منه ؛ وكان عندهم افضل خلفائهم (٥٤) .

هذا ومن الصعب ان نظن انه وقف الى جانب قيس ضد
صلاته باقيسين
كلب في الشام . ذلك انه لم يكن بحاجة الى هذا ، ولم يذكر
ذلك قدماء المؤرخين . ولا يمكننا ان نستنتج من اقوالهم ان والدته ولادة
كانت قيسيه (٥٥) وان الحجاج ، وهو قيسي ، كان يده اليمنى . على ان المتأخرين
يميلون الى ان يجمعوا كل الابطال في مشهد واحد . ويقتفى اثرهم في ذلك
دوزي . ثم ان الوليد توفي في منتصف جمادى الثانية سنة ٩٦ يوم السبت ، وعمره
نحو من اربعين عاماً . وكان الثالث عشر من جمادى الثانية (٢٣ شباط ٧١٥)
يوم سبت (٥٦) .

٣ . — الحجاج في العراق

كان العراق في عهد عبد الملك والوليد بيد الحجاج بن يوسف
حالة العراق
ابن الحكم الثقفي امدأ طويلاً من السنين . وقد تكرر ذكر
الحجاج كثيراً فيما سبق . وظهر فضله اول ما ظهر في مكة والمدينة . كان الحجاج

(٥٢) الطبري ١٢٧٢

(٥٣) الطبري ١٢٧١

(٥٤) الطبري ٣٠ ١٢٧١

(٥٥) انساب الاشراف ١٧٢ ١٩١٠ : Ham. 672

(٥٦) لفظ « منتصف الشهر » قد لا يعني تماماً اليوم الخامس عشر من الشهر بالضغط كما
يخيل البنا عادة . ويحدد الياس النصبي يوم الاحد الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ٩٦ تاريخاً
لوفاة الوليد .

على العراق، والعراق ميدان التاريخ الاسلامي الحقيقي في هذه الحقبة من الزمن. وكان ينتظره عمل شاق في العراق عندما دعي اليه. فقد كان ذلك المصر في حالة اضطراب وشغب بلغا منه الصميم. وليس سبب ذلك النضال الطويل عن الخلافة وحده.

وما لا ريب فيه أن ثورة الشيعة الكبرى في الكوفة التي تحالفت مع الموالي في عهد المختار قد تمعت؛ غير انها تركت في اذهان الخوارج يمتنون فيه الناس جرحاً دائماً^(٥٧). ولم تنج البصرة من الخوارج بعد^(٥٨)، فقد هددوها عدداً من السنين في عقر دارها. ولم يتمكن مصعب من التغلب عليهم. وقد شلوا حركته في نضاله مع اهل الشام، فقد كان عليه ان يخلف وراءه احسن مقاتليه ليحموا البصرة منهم. وحين قهره عبد الملك، فسقط قتيلاً في مكان بعيد على الدجلة، كان المهلب في ميدان القتال مع الازارقة.

واستقراً المهلب الحوادث، فقدم نفسه لخدمة المنتصر، فقدره هذا حق قدره. على ان رجال بني امية الذين ارسلهم عبد الملك ولاة على العراق لم يكونوا يصلحون الا لقبض جرايتهم. وهذا خالد بن أسيد الذي حل في البصرة ببعيد المهلب بن ابي صفرة معتمداً اولاً على نفسه في قيادة حرب الخوارج، اولئك المتعصبين الخطرين، ثم ملقياً بذلك على عاتق اخيه. واسفر الامر عن اندحار شديد اصاب جيوش الخلافة. واضطر الخليفة الى ان يتدخل بنفسه، فيعيد المهلب الى المركز الذي كان له.

على انه لم يجده ان يخلع خالداً، وأن يسلم البصرة ايضاً الى اخيه بشر الذي كان على الكوفة. ذلك ان بشراً كان فتي غراً، فلم يحسن العمل اكثر من سلفه. وكان غيوراً

خالد بن أسيد
بعيد المهلب

بشر بن أسيد
يختلف مع المهلب

(٥٧) كتابي عن الشيعة ٧٤ وما بعدها .

(٥٨) كتابي عن الخوارج ٣٢ وما بعدها .

من المهلب الذي تلقى قيادته من الخليفة رأساً لآمنه. ولا ريب أنه أمدّه بفرق من الكوفة تنفيذاً للأوامر العليا ؛ غير انه اصر على رؤساء تلك الفرق بصفة خاصة ليرفضوا الانصياع للمهلب . وليس خطأ من المهلب الا يقبل بذلك، وان يقول للفتى : كلا . ومن حسن حظ المهلب ان بشراً توفي عام ۷۴ (۵۹) ، فارسل عبد الملك الحجاج الى العراق ، فطرب لذلك المهلب . ووصل الحجاج الى العراق في بداية عام ۷۵ (۶۰) . وذلك زبده ما يقوله ابو مخنف (۶۱) .

وشرع الحجاج في اعماله بالكوفة بخطبة افتتاحية ليست

خطبة الحجاج
في الكوفة
اقل شهرة من خطبة زياد ابن ابيه احد اسلافه في العمل
بالبصرة، واحد ابناء بلدته . وخبر ذلك عند عمر بن شبه (۶۲)

يرويه عنه ابو غسان والمدائني ، ويقارن بما ورد عن البلاذري (۶۳) وعن المبرد (۶۴) . وهذا رجل ملثم غامض يصعد المنبر ، فيبدو وكأنه ، خلال مدة طويلة ، لا يجد ما يقول . ويملا رجل من الحاضرين يده بحصى (۶۵) ليلقيها عليه ، لكن « الحصى جعل ينتثر من يده ولا يعقل به » عندما فتح الخطيب فمه بعد ان كان يبدو ضائعاً . واول واجب للوالي الجديد هو ان يعيد النظام في معسكرات الكوفة والبصرة . وكان الجند فيها قد تلقوا خبر وفاة بشر على انها اشارة بمبارحة معسكر المهلب في رامهرمز دون اذن . فلم يكن يوافقهم

(۵۹) ويقول الواقدي في الطبري ۸۰، ۸۵۲ : ۸۵۴ . انه توفي عام ۷۳ ولكن

هذا مستحيل

(۶۰) لكن لافي رمضان كما ذكره الطبري ۸۷۲ وانظر ۹۰، ۹۴۴ : ۸۷۶ ، ۳ :

انساب الاشراف ۱۰، ۲۷۰

(۶۱) الطبري ۸۲۱ وما بعدها : ۸۵۵ وما بعدها

(۶۲) الطبري ۸۶۳ وما بعدها

(۶۳) انساب الاشراف ۲۶۶ وما بعدها

(۶۴) الكامل ۶۶۵ وما بعدها

(۶۵) وهكذا يبدو أن زياداً لم يرفع كل الاحجار

ان يبقوا طويلاً في الميدان بعيدين عن زوجاتهم واولادهم ، وقد الفوا حياة الترف في بيوتهم^(٦٦) .

واذا بالحجاج يعلن اهل الكوفة من المنبر قائلاً اولاً :

« واني اقسم بالله لا اجد احداً بعد ثلاثة الا ضربت عنقه »

الجند يودون
الى معسكراتهم

وصادرت املاكه . وبما انه استطاع ان يجسم التهديد ،

فقد كان التهديد حقاً . ودخل البصرة كما دخل الكوفة . وافلح فيها كما افلح

هناك . وهروا من وجب عليهم ذلك ، فاجتازوا الجسر على الدجلة عائدين

الى وامهرمز ، وصحبهم الحجاج بنفسه حتى المعسكر في رستباد .

وهناك اضطر في شعبان سنة ٧٥ ان يقيم عصياناً قام

عصيان يقيم

بسبب نقص في الجراية . وهو عصيان ، كما يؤخذ من قول

البلاذري^(٦٧) ، اخطر بكثير مما يبدو عليه في الفقرة المختصرة التي اوردها

الطبري عنه^(٦٨) . وهذه الحرب الآن مع الازارقة تستأنف بوسائل واسعة ،

ولو انه مضى في واقع الامر سنتان كاملتان قبل ان يقضى على الازارقة^(٦٩) .

ولم يكن الازارقة في المشرق قد اضعوا بعد ، عند ما ثار في مبداء

خروج شيب

عام ٧٦ خوارج آخرون في غربي العراق ، يتميزون بانهم

ينتمون بغالبيتهم الى قبيلة واحدة هي قبيلة بني شيبان من بكر ، وشيبان

هاجرت منذ عهد ليس بعيد الى شمالي الجزيرة من مساكنها على الشط الايمن

للفرات ببادية الكوفة والبصرة^(٧٠) . وكان اشهر زعمائهم واشدهم خطراً شيب

(٦٦) الطبري ٨٦٥ ، ١٢٠ وما بعده

(٦٧) انساب الاشراف ٢٨٠ وما بعدها

(٦٨) ٨٧٩

(٦٩) Chawarig ٣٩ وما بعدها

(٧٠) ولم تكن عائلة شيب تعيش بعيداً عن الموصل بل هاجرت اليها (عن طريق الكوفة

الطبري ٩٧٧) من مياه المصنف في بادية الكوفة (الحماسة ١٥) . وقيت جماعة منها فيها بزورها =

ابن يزيد الذي كان ، بنحيله السريعة العدو ، في كل مكان وبلا مكان .
وفي عام ٧٦ ، اجتاز من الجزيرة الى العراق ، فدحر عدة حملاته على الكوفة
فرق ارسلها اليه الحجاج ؛ وبلغ فعلاً ابواب العاصمة .
وكانت ساحة ميدانه المعتمدة في ارض قدماء الحوارج ، مكان الجوخة في
النهر وان ، وذلك الصف من الجبال الواقعة شمالها . وبعد ان مكث مدة طويلة
في مناطق اذربيجان العالية ، والتحق به فيها عدد من الجماعات ، تقدم في النصف
الثاني من عام ٧٧ نحو الجنوب بقوة جسيمة ، يحاول ضرب الكوفة ضربة
قاضية ، فاقم استنفار عام عليه ، غير انه هزم جيش الكوفة باجمعه هزيمة منكرة .
وأستنفدت قوى الحجاج ، فوجد نفسه مضطراً الى ان
يطلب الى الخليفة مدداً من الجيوش الشامية . ووصل شيب لايفاب الا
ذلك الممدد في وقته وشيكاً ، وطرده شيباً ، فلبأ الى مدد من الشام
جوخة . ولكنه سرعان ما انسحب منها بعيداً الى كرمان حصن الازارقة .
وخرج من هناك مرة اخرى ، واصطدم في دجيل بالاهواز بجيش الشام الذي
ارسل اليه ، ففرق حين انسحابه من المعركة بالنهر في آخر عام ٧٧ (ربيع عام
٦٩٧ ميلادي) . وانقذ اهل الشام الكوفة . ولكننا سنرى الثمن الغالي الذي
كلفوه . واخبار شيب المفصلة في الطبري (٧١) مأخوذة من ابي مخنف (٧٢) .
وفي سنة ٧٨ بعد ان قضي على خطر الحوارج في شرق خراسان بيد المهلب
العراق وغربه ، تم للحجاج الغلبة على خراسان
وسجستان (٧٣) ، فسلم مصر خراسان الى المهلب الازدي غالب الازارقة بعد

== كثيراً شيوخ بني شيب (طبري ٩١٥ . ٩٧٨) وجائز أن تشتت بني شيبان لم يكن عن طوع
ارادتهم بل بأمر من معاوية .

(٧١) ٨٨١ - ١٠٠٢

(٧٢) Chawarig ٤١ وما بعدها

(٧٣) الطبري ١٠٣٢ وما بعدها وانساب الاشراف ٣١٠ وما بعدها

ان ادلى بيرهانه فيه^(٧٤) . وظل المهلب عليه حتى وفاته (في آخر عام ٨٢) فورث عنه سلطانه عائلته وقبيلته .

وارسل الحجاج عبيد الله بن ابي بكره الى سجستان^(٧٥) ،

وهو بصري من وجوه قبيلة بني ثقيف المشهورة التي خرج زنبيل يدحر
ابن ابي بكره

منها زياد ابن ابيه ايضاً . وفي عام ٧٩ قام عبيد الله بن ابي

بكره بجملة على زنبيل في كابل وزابل ، وكان يؤدي الجزية^(٧٦) . واستدرجه

زنبيل الى داخل الاقليم بعيداً ، ثم قطعه عن مؤخرته ، فلم يستطع عبيد الله

أن يتخذ طريقه عائداً الا في حالة يرثى لها وبعد خسران مبین ، لاسيما في جند

الكوفة . وتوفي بعد ذلك بقليل في عام ٧٩^(٧٧) او ٨٠^(٧٨) .

وكانت سجستان بحاجة الى محارب مجرب ، يكون عليها

والياً . واختار الحجاج لذلك العمل كوفياً ذا اعتزاز من

احفاد قدماء ملوك كندة . وهو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

ابن الاشعث
وجيش الطواويس

الذي كان في كرمان المجاورة^(٧٩) . وامده الحجاج بجيش من البصريين

(٧٤) فتوح البلدان ٤٣٢

(٧٥) وانظر فتوح البلدان ٣٩٢ وما بعدها لتاريخ سجستان قبل ذلك التاريخ

(٧٦) زنبيل (اسم ولقب مماً) لا زنبيل هي اللفظ الصحيح (Cunningham in

Verhandl. des 10. internant. Oriental-Congresses, 1,244. Justi, Namenbuch, 385; Marquart, Eranshahr, 37); وانظر الطبري ١٦٥٢

١٨ : ٣٤ ، ١٩٤ : ٣ ، ويظهر عاني سم زنبيل في الطبري ١/١٦٠١٨٥٥ . وسيد الاثراك يدعى

زنبيل : الطبري ٢/١١٣٢ وما بعدها : ١٠٣٧ ، ٢ : ١٢٠١٠٤٢ . أما الرعية فهي ايرانية

ولازيم لكن السلالة الحاكمة والجند اترك . وانظر الفرزدق نشرة Boucher ١٠٠٢٠٦

(٧٧) انساب الاشراف ٣٢٠

(٧٨) الطبري ١٠٤٦

(٧٩) وعن ابي عبيدة (انساب الاشراف ٣٢٠ وما بعدها ، الطبري ١٠٤٦) انه كان

هناك ليقضي على عصيان قام به هبان بن عدي السدوسي البكري (وانظر انساب الاشراف ٣٤٢)

ولكن روايات اخرى (انساب الاشراف ٢٠٣١٨ : ١٠٠٣٢٠) تقول انه كان عليه ان =

والكوفيين عديد كثير الاعطيات مجهزة تجهيزاً رائعاً. وهو الجيش الذي يدعى بجيش الطواويس .

تلك كانت الحالة عندما ثار جند العراق ثورته على الحجاج؛ وهو عصيان هز الحكم الاموي . ويفضل الطبري رواية ابن الاشعث بحمل جلاته المنظمة ابي مخنف الحية المفصلة . وكان ابو مخنف قريباً من الحوادث عندما جرت . وتبع رواية انساب الاشراف (٨٠) سنداً آخر؛ وهي ايضاً رواية مستقصاة جداً . وهذا عبد الرحمن الذي يسمى عادة ابن الاشعث باسم جده يبتدىء [فتحه] بنهج يخالف نهج سلفه ، فلم يخرج خروجا بل قام بجملة منظمة . واحتل الاماكن التي استولى عليها ، ووضع البرد ليؤمن خطوط موصلات . وبعد أن اخضع قسماً من المنطقة ، توقف قليلاً لكي يآلف جنوده طبيعة الجبال . وارسل بهذا كتاباً الى الحجاج . لكن الحجاج ، ودأبه السرعة وعدم الصبر ، اجابه بصورة قاطعة بكتب متتابعة ، مصراً على ان يتقدم دون تأخر ، او يسلم القيادة الى اخيه اسحق .

وجمع ابن الاشعث رؤساء الناس ، واخبرهم بمضمون توجيهه جيشاً على الحجاج الكتب ، وقال في آخر كلامه : إذا أردتم أن نتقدم تقدمنا ولكن اذا لم تريدوا فاني لا أريد . وكان اهل العراق يكرهون الحجاج ، وكانوا يمجون فكرة الحرب الشاقة الحقيقية في أرض بعيدة ، ويرحبون بكل فرصة تخولهم العودة الى بلدهم . فكان ابن الاشعث واثقاً من جوابهم حيث

بحارب الخوارج . ويقول البلاذري في انساب الاشراف ٣٠٩ انه ذهب في الاصل الى سجستان لعمل بتصل بميرات له ولكنه علق مع مهانوش الفانية . على أن هذه كانت تبيش في كرمان كما يقول في انساب الاشراف ٣٣٤ وما بعدها وانها لم تحصل عليه بل على عربي آخر مشهور وقع في جبانها بحيث رهن سرجه لاجلها واضطر ابن الاشعث الى ان يفك عنه الرهن ليرحل معه . وانظر الفيرزدق ٢٠٩ ، ١٢ .

(٨) ٣٠٨ وما بعدها

قالوا : اتنا لن نطيع عدو الله الذي يرغمننا كفرعون على حملة بعيدة ، ويبقينا بعيداً لانستطيع ان نرى زوجاتنا واولادنا. وهو الكاسب دوماً ، فان ظفرنا وغنمنا أكل البلاد وحاز المال ، وان هلكنا تخلص منا . وبايعوا كلهم ابن الاشعث على أن ينهي الحجاج . وكان اكثرهم حماسة اليمينيون من اهل الكوفة ممن ينتمي اليهم ابن الاشعث^(۸۱) ، على ان اخوته لم يكونوا من حزبه^(۸۲) .

وبعد أن صالح ابن الاشعث زنبيل ؛ واقام ولاته على الثورة على الخليفة أيضاً
بست ووزرنج ، وهما البلدتان الرئيسيتان في سجستان
تحرك جيشه عام ۸۱ ، وانضم اليه في طريقه جنود من الكوفة والبصرة مقيمون في المعسكرات والامصار . ولما بلغوا فارس وجدوا انه من المستحيل التفريق بين الحجاج وعبد الملك ، فنقضوا بيعة عبد الملك ، وبايعوا ابن الاشعث على قتال الخليفة واهل الشام . ولم يكن ابن الاشعث بحاجة الى ان يسوق الامور ، بل كان هو مساقاً اليها بالرغم عنه ، حتى انه لو اراد لما استطاع ان يقضي على الحماسة التي بعثها فيهم ، مثلهم « مثل السيل المنحدور من عل ليس شيء يرده » . ولم يلتحق المهلب بتلك الحركة ، ويقال انه هو الذي نصح اندحار الحجاج في دجيل
الحجاج بالا يعترض تيار العراقيين ، والا يهاجمهم الا بعد ان يبايعوا منازلهم ، قائلاً انهم لا يرجعون الى بيوتهم وزوجاتهم واولادهم الا فقدوا شوكتهم^(۸۳) ، بيد ان الحجاج لم يتبع نصحه ، بل سار الى العصاة في جند

(۸۱) ويفهم من الفرزدق ان ربيعة ومضر دخلت في ذلك ولكنه يلوم اكبر لوم يمانبي الكوفة الصابئين الذين اثاروا المختار اليهودي (۱۰ ، ۲۱۱) وهامم الآن يعملون الامر نفسه مع ابن الاشعث النساج (۹ ، ۲۰۸ : ۱۶ ، ۲۰۹ : ۱۱ ، ۲۱۱) وغير اليمانيين بأنهم نساج كما كان يعبر الازديون بأنهم سماكون وبحارون

(۸۲) انساب الاشراف ۳۲۶ وما بعدها

(۸۳) هكذا في الطبري ۱۰۵۹ . وفي انساب الاشراف ۳۴۳ ان تلك النصيحة لم تقدم

للحجاج الا بمناسبة اخرى بعدها من قبل زادان فروخ او من قبل العباد بن الحسين .

الشام الذي قواه عبد الملك بعدد سريع . ووقع اول اصطدام في دجيل ميدان الحرب القديم قريباً من تستر ورُستقباد . واجتاز ابن الاشعث النهر ، وانتصر في صباح اليوم العاشر من ذي الحجة سنة ٨١ اي في ٢٥ كانون الثاني سنة ٧٠١ . وهرب المغلوبون الى البصرة ، يتبعهم اليها المنتصرون دون ان يلقوا ادنى مقاومة ، وفتحت الاذرع لهم عند وصولهم .

غير أن الحجاج عسكر باطراف الزاوية ، والتحق به عدد هزيمة العراقيين بالزاوية قليل من الثقفين والقريشيين . وكان مزماً على ان يموت دون ان يستسلم . وصد أهل الشام بقيادة سفيان بن أبرد الكلبي^(٨٤) حملات العراقيين خلال شهر ، وكان العراقيون معسكرين في خريباء^(٨٥) ثم هزموهم في آخرة هزيمة ساحقة في المحرم سنة ٨٢ (اول آذار سنة ٧٠١)

ونج عن ذلك ان ابن الاشعث سار مع الكوفيين^(٨٦) الى الحجاج يستولي على البصرة الكوفة مركز العصيان الحقيقي حيث احتشد الجند العراقي الآتي من جميع الجهات . وترك ابن الاشعث في البصرة عبد الرحمن بن العباس الهاشمي ممثلاً له ، فتابع القتال مدة ايام قليلة فقط ، قبل البصريون بعدها عفو الحجاج^(٨٧) ، وفتحوا له الطريق الى بلدهم . وفي بداية صفر سنة ٨٢ (منتصف آذار ٧٠١) تمكن الحجاج من ان يسير الى الكوفة ، والى جانبه ابن العباس الهاشمي مصلوب مع البصريين الذين لم يلقوا بأسلحتهم .

وسبق أحد الموظفين في المدائن مطر بن ناجية التميمي ابن الاشعث الى الكوفة ، فاخرج منها حاميتها الشامية ، واستولى على القلعة . ثم استسلم رغم ارادته لابن الاشعث ، فبايعه مرغماً

ابن الاشعث
يدخل الكوفة

(٨٤) وهو الذي غلب شيبياً انظر انساب الاشراف ٣٣٨ : ٣٤٢ .

(٨٥) انساب الاشراف ٣٥٥ .

(٨٦) وفي انساب الاشراف ٣٤٩ ، ١ انه لم يكن معه الا الف رجل ، فاكثر اهل

الكوفة في جيشه لا بد انهم عادوا الى بلدتهم . وذلك على جانب كبير من الرجحان .

(٨٧) انساب الاشراف ٣٤٨ : ٣٥٥ .

بعد ان اقتحم القلعة بنو همدان ، وأخذوه أسيراً . وقد يكون هذا من الاسباب التي جعلت ابن الاشعث يجد نفسه مضطراً الى الاسراع بالخروج من البصرة^(٨٧) ، على أنه تمكن من خصمه قبل أن يلحق به الحجاج .
واتخذ هذا طريقه في البادية على الضفة اليمنى للفرات ،
والاصطدام في دير الجماجم وعسكر بدير قرة قريباً من الكوفة ، حيث كان على اتصال سهل بالشام ؛ وكان تموين الشام لا يتم الا من عين التمر والفلايج . وخرج العراقيون العصاة من المدينة حسب العادة العربية ، واحتلوا معسكراً حصيناً قريباً من دير الجماجم^(٨٨) ، ازاء اهل الشام ، وذلك في مبدء ربيع الاول سنة ٨٢ (منتصف نيسان ٧٠١) . ويقال انهم كانوا مائة الف مقاتل ، ومعهم مثلهم من الموالي . وتكررت الاصطدامات اليومية مدة اشهر دون ان تحدث موقعة فاصلة .

وازداد قلق عبد الملك ، فارسل جيشاً جديداً من اهل الشام بقيادة أخيه محمد وولده عبد الله^(٨٩) ؛ ولكنه في الوقت نفسه وضع شروطاً تعرض على العراقيين ان أرادوا الخضوع ، ومنها ان جريباتهم تزد بحيث تصبح معادلة لجريبات اهل الشام ، وان الحجاج يستدعى ، وان ابن الاشعث يقطع مدى الحياة المصر الذي يجبه . غير ان اهل العراق لم يريدوا ان يسمعوا شيئاً من ذلك ، بالرغم من نصح رؤسائهم لهم ، بل ردوا شروط عبد الملك مرة اخرى معتقدين ان اهل الشام ستفرغ مؤنتهم عما قريب .

(٨٧) انساب الاشراف ٣٤٨، ٣٥٥

(٨٨) هل هذا هو دير الجلجلة Golgotha ؟

(٨٩) وهكذا خفف من السير على الروم فاستفادوا من ذلك انظر :

Göttinger Nachrichten, 1901, 433.

وذلك خطأ ، فاهل الشام قاوموا مقاومة عنيدة ، واذا
العراقيون يتجاوزون عن باهل العراق يتخلون عن النضال بعد ان دام مائة يوم .
القتال دون سبب
وهام اولاء يخلون الميدان في منتصف جمادى الثانية سنة
٨٢ (او اخر تموز ٧٠١) دون أدنى سبب خاص ؛ فقد كان يعوز حماسهم
ميزة الاستمرار التي كان يتسم بها نظام خصومهم . حتى اذا اخذ احد رؤسائهم
ينهزم من امام سفيان بن الابرود الكلبي « ولم يكن قد قاتله كبير قتال » ، ظن
الناس أنها خيانة ، فحدث ذلك فيهم ذعراً ، ولم يستطع ابن الاشعث ان
يوقف الهزيمة .

وعجل فيها الحجاج بالوسيلة نفسها التي افلحت في البصرة
سابقاً ، فاعلن وعده بالعفو عن كل من يعود الى بيته ومقر
استسلام بعضهم
حاميته ، ويمنع اهل الشام من متابعته . وهكذا بلغ سؤله دون هدر للدم ،
واستطاع ان يدخل الكوفة مظفراً ، فيبايعه فيها من اسلموا سلاحهم ملزمين
بان يعلنوا أنهم كفروا بعصيانهم . وكان بينهم عدد قليل جداً ابوا ان يشترى
حياتهم بذلك الثمن من الذل .

وعاد قسم كبير من اهل العراق ممن اجتمعوا بالكوفة الى
الاعتصام بامكنة اخرى مرة ثانية . ثم عاد ابن الاشعث
ضباع العراق
من يد ابن الاشعث
الى البصرة ، وقد استردها له عبيد الله بن عبد الرحمن العبد
شمسي القرشي . ولكنه لم يبق فيها امدأ طويلاً ، بل عاد الى مسكن على
دجيل (٩٠) . فقاوم الحجاج مرة اخرى بفرقه العديدة التي لحقت به من كل الارجاء .
وكان الحجاج قد تبعه ، وذلك في شعبان سنة ٨٢ (تشرين الاول او تشرين الثاني

(٩٠) وليست مسكن هذه هي مسكن التي تقع في منتصف الطريق بين الموصل وتكرت
كما ظن فايل weil ومولر Müller بل مسكن اخرى في ازقباد (الطبري ١٠٩٩ ، ١١٢٣)
ياقوت ٤ / ٥٢٩ . ٥٣١) .

سنة ۷۰۱) . وكان النضال طويلاً عنيداً ، انتهى على ما يقول الطبري (٩٠ب) بان أحاطت فرقة من الشام بالعراقيين ، وقد دلها شيخ يعرف معارج الطرق ، فسارت معه في ضحاضح من الماء ، وهاجمتهم ليلاً ؛ فهربوا عابرين دجياً ، وخسارتهم من الفرق أكثر من خسارتهم بالسيف .

وهذا ابن الأشعث الآن يستأنف انسحابه نحو الشرق ،
ابن الأشعث في سجستان
وأهل الشام يتبعونه بقيادة عمارة بن تميم اللخمي فيكشفونه
مرتين في سوس وسابور ، ولكنه كان لحسن حظه يفلت من أيديهم . وظل
زمناً طويلاً في كرمان ، ثم ذهب منها الى سجستان (في أواخر عام ۸۲ أو ابتداء
عام ۸۳) . واقتل عامه على زرنج الابواب في وجهه . ثم أسره عامه على بست
ليسلمه الى الحجاج ، غير أن زنبيل أطلق سراحه ، وكان قد تعهد بان يحتفظ له بمكان يلجأ
اليه حين الحاجة ، فاخذه معه وأتباعه الكثيرين الى كابل ، وأظهر له حفاوة وتشريفاً .

وفي تلك الاثناء تبع جمهور آخر من العراقيين زعيمهم الهارب
ذعر اتاعه من
ابن الأشعث ، واجتمعوا في سجستان بقيادة عبيد الله
جيش الشام
ابن عبد الرحمن العبد شمس القرشي المذكور آنفاً وعبد
الرحمن بن العباس الهاشمي . ودعوه ليعود اليهم ، فعاد واستولى على العاصمة
زرنج وعاقب عامه الحائن . وعرضت له فرصة فانتزها ؛ ذلك ان فرقة من جيشه
ذعرت من أهل الشام الذين كانوا على طريق الوصول بقيادة عمارة ، فدخلت
اراضي خراسان ظانة انها لن تهاجم فيها وذلك خلاف رغبة ابن الأشعث ، فتركهم
في حيرتهم يعمهون وعاد الى زنبيل .

فأقاموا ابن عباس الهاشمي عليهم ، واستولوا على مدينة
يزيد بن المهلب
هراة ، وقتلوا عامل يزيد بن المهلب عليها . وكان يزيد قد
يتغلب عليهم
خلف والده عام ۸۲ . وهكذا اضطر يزيد بالرغم منه الى
ان يقاتلهم ، فشتتهم بعد حرب قصيرة ، سقط في يده على أثرها عدد من وجوههم .

اما من كانوا منتسبين الى قبيلته من اليمن ، فانه اخلى سبيلهم . وارسل الآخرين الى الحجاج ، وكان هذا قد استقر في مدينة واسط التي بناها آنذاك (سنة ٨٣) . واقام الحجاج محكمة دموية تقضي بشأنهم . ذلك ما يقوله ابو مخنف (٩١) ، لكن المدائني (٩٢) يخالفه بعض المخالفة .

وفي تلك الأثناء كان القائد الشامي عمارة قد اصبح سيد

سجستان ، بعد ان اعطى فرصة الاستسلام بشروط يسيرة

لبقية العراقيين العصاة الذين ظلوا هناك . وظل ابن الاشعث

وحده خطيراً . وهذا الحجاج يحاول بالوعد والوعيد ان

يقنع زنبيل بأن يسلم ذلك الشخص الذي يحميه . وافلح معه بآخرة ، وقد وعده بان يسقط

عنه الحراج سبع سنين او عشرأ . ومع كل ذلك لم يفز بعدوه بين يديه حياً ، بل برأسه

مفصلاً عن جسده . ويقال ان ابن الاشعث مات قبل ذلك ، او انه انتحر .

وكان هذا في عام ٨٤ او ٨٥ (٩٣) .

والتتابع الزمني لهذه الحوادث ليس ثابتاً كل الثبات . فبعض

الايام والاشهر بقيت ثابتة في الازهان ؛ فمثلاً وقعة تُسْتَر

اتفق على انها حدثت في يوم عرفة آخر العام الذي بدأ فيه

العصيان . وفي العام التالي حدد شهر محرم لمعارك البصرة ، وأشهر ربيع وجمادى

لمعارك الكوفة ، وشعبان لوقعة مسكن (٩٤) . ولكن الروايات تختلف بشأن

السنوات . اما انا ، فاتبعت التاريخ الزمني الذي يجعل العصيان يبدأ في عام ٨١ ؛

تحديد ازمة تلك

الحوادث صب

(٩١) الطبري ١١٠١ - ١١٠٦ .

(٩٢) الطبري ١١٠٦ - ١١١٠ .

(٩٣) الطبري ١١٣٨ .

(٩٤) ومن الصعب ان نذهب هذا المذهب ، والوافدي يؤرخ موقمه دير الجماجم في شعبان

سنة ٨٢ وبداية العيصون في السنة نفسها (الطبري ١٠٧٠ : ١٠٥٢) ويوم عرفة محدود

خاصة تُسْتَر .

ويجعل معارك البصرة والكوفة ومسكن في عام ٨٢ ، ومعارك سجستان وخراسان في ٨٣ . وهناك ترتيب زمني آخر يجعل الحوادث تقع بعد سنة واحدة اي ٨٢ و٨٣ و٨٤^(٩٥) . وفي هذه الحالة تكون وفاة ابن الاشعث عام ٨٤ او ٨٥ تابعة مباشرة اخضاع الشاميين لسجستان . لكن هذه الفائدة فائدة ظاهرة ، فمن الجائز جداً ان يكون بين الحادثين فاصل طويل . هذا ، وبما له دلالة أن الروايات تتفق على ان تجعل ابن الاشعث يقدم الى سجستان في عام ٨٠ مباشرة بعد العام الذي قام به بالحملة على زنبيل ؛ وكان في هذه الحملة نفسها عندما اطلع على اهانة الحجاج التي حملته على العصيان . وعلى ذلك فالعصيان لا يمكن ان يكون حدث الا في السنة الثانية بعد العام الثامن . وعلينا ايضاً ان نأخذ بعين الاعتبار ان اسرى هراة احضروا الى واسط بعد ان بنيت هذه المدينة ، كما اثبت ذلك المؤرخون^(٩٦) . وهي كانت في عام ٨٣ مقاماً للحجاج ، وكانت على كل حال يعيش فيها في عام ٨٤ . وهكذا فمعارك سجستان وخراسان يمكن ان تكون حدثت في عام ٨٣ لاني عام ٨٤ . ومن سوء الحظ اننا لانستطيع ان نفوز بشيء قطعي مما تكرر ذكره من ايام الاسبوع ، لانها لا تتفق مع التواريخ المحددة في كلا العامين ٨١ و٨٢ او في العامين ٨٢ و٨٣^(٩٧) .

(٩٥) ويبدو ان ابو مخنف يخطئ بين مختلف الحسابات عندما يؤرخ بداية الثورة وموقعة تستر في عام ٨١ . وعندما يؤرخ وقائم الزاوية (البصرة) والكوفة تبعاً لها (الطبري ١٠١٠) في عام ٨٣ .

(٩٦) الطبري ١١١٩ وما بعدها .

(٩٧) وفي كتاب انساب الاشراف (١٠ ، ٣٤٠) أرخت موقعة تستر يوم الجمعة في الماشر من ذي الحجة عام ٨١ . وفي يوم الخميس ثلاث وعشرين خلون من ذي الحجة عام ٨١ ، احتل الحجاج المسكر في الزاوية (انساب ١٠ ، ٣٤٢) . وايام الاسبوع لا تتفق مع الاشهر عن العامين ٨١ و٨٢ . انما توافق عام ٨٠ الذي لم يذكر في اية رواية والذي ليس من السهل المجازفة بالاخذ به . ويقول ابو مخنف (الطبري ١٠٩٤) ان وقائع الايام المائة في الكوفة بدأت يوم الثلاثاء في الثاني من ربيع الاول عام ٨٣ وانتهت يوم الاربعاء في الرابع عشر من جمادى =

وقد أظهر فون كريمير von Kremer عصيان ابن الاشعث
للتوردة صلة بالموالي والجزية في ضوء جديد بهر به الآخريين كمولر A. Müller وفان
فلوتن G. van Vloten^(۹۸). وربط بينه وبين سعي الموالي ، وهم الرعية التي
اعتنقت الاسلام في الكوفة والبصرة ، للفوز بحقوق سياسية معادلة لحقوق الاعيان
الحاكمين اي العرب ، وللتحرر من الخراج ولكتابة اسمهم في سجل العطاء الذي
كان حتى ذلك التاريخ سجل العرب الاعيان . وقال كريمير إن الحجاج كان قد
فرض الخراج على الموالي ذوي العدد الكبير الذين اعتنقوا الاسلام ليحول
دون انخفاض قيمة الدخل الحكومي الذي كان سينتج او سبق ان نتج عن اعفاء
غير العرب من المسلمين من الجزية وعن دفع الجرايات لهم . والخراج ضريبة من
حق الموالي ان يكفوا عن دفعها . وهكذا اشعل الحجاج النار .

وقال كريمير : « وأمر الحجاج بان يدفع الخراج كل من
اعتنق الاسلام اي تلك الطبقة الكبرى من المسلمين الجدد
تة ير الحافظ لذلك
بكاملها ، كما كانوا يفعلون قبل اسلامهم . وهو تدير نتج عنه عصيان هائل من
معتنقي الاسلام الجدد ومن اتباعهم^(۹۹) . واشترك في ذلك عدد كبير من أهل
البصرة خاصة ، وهم من قدماء المقاتلين والاتباع وقراء القرآن . وتقول رواية
ان من هؤلاء العصاة مائة الف مسجلين في سجل العطاء السنوي ، حتى اذا أردنا أن
نعبر عن ذلك تعبيراً حديثاً ، قلنا أنهم ينتمون الى جيش المتطوعة ، والتحق بهم

— الثانية سنة ۸۳ . وهنا ايضاً لا تنفق ايام الاسبوع مع ايام الشهر عن عام ۸۳ او ۸۴ . واقرب
حساب هو حساب عام ۸۱ الذي يكون الخلاف فيه يوماً واحداً . وهذا الاختلاف على ما يبدو
لا اهمية له ، ويمكن تفسيره باختلاف بداية الشهر وبداية اليوم (في المساء او في الصباح)
والوجه الصحيح في التاريخ لا يمكن ان يكون عام ۸۲ - ۸۳ ولا عام ۸۱ - ۸۲ بل عام ۸۰
- ۸۱ وتعيد توفان اي عام ۶۱۹۲ لا يخاف ذلك .

Recherches sur la domination arabe, Amesterdam, (۹۸)

. 1894

(۹۹) ماذا يعني بكلمة اتباعهم ، اني لم ادرك ذلك .

مثلهم ؛ فشئت الحجاج العصاة (۱۰۰) ، وقرر ان يشئت طبقة الموالي باسرها ، فلا تستطيع بعد ذلك ان تجتمع وتؤلف مقاومة قوية . وارسل اليهم يقول : انكم غرباء بائسون متوحشون ، فخير لكم ان تبقوا في قراكم . ثم امر امره بان يوزعوا بين القرى ، فشئت حزبهم اقوى تشئت . وكيلا يستطيع انسان منهم ان يخرج من قريته التي سكنها طبع اسم قريته على كلتا يديه (۱۰۱) وكرير يتبع في ذلك كلاماً للجاحظ في كتابه عن الموالي والعرب ، ذكره ابن عبد ربه في عقده (۱۰۲) .

وليس من شك في ان مقتل المختار لم ينه عصيان المسلمين الجدد ، وان على الحجاج ان يتصدى للصعوبات التي تنشأ عن قبول الاسلام ديناً ، وتتصل بالوضع السياسي وبالضرائب . ومن الثابت أيضاً ان ثورة ابن الاشعث كان اصلها الحقيقي في الكوفة ، شأنها

ثورة الاشعث ليست امتداداً لثورة المختار

(۱۰۰) ويختصر كيريم الامور اكثر من الحجاج .

(۱۰۱) Culturgeschichtliche Streifzüge (1873) 24 و

. Culturgeschichte des Orients (1875) 1,172

(۱۰۲) (طبعة بولاق . ۱۳۰۲ ، ۹۳/۲) . وابن الاشعث وعبد الله بن الجارود العبدي اعلنا العصيان على الحجاج ، ولم تكن تجربته مع المراقبين موفقة ، ووجد ان اخطارهم البصريون بمهاثم الدينين ومحاربيهم ومواليهم . وبما انهم اكثرهم عدداً واشدهم قوة ، ودان يضع حداً لمطالبهم في الجراية وان يوزعهم حتى لا تكون بينهم صلة ولا يكونوا جماعة واحدة . ولذلك قال الموالي : « انكم متوحشون وغرباء . ولكم ان تظاوا في مدنكم وقراكم » وهكذا وزعهم وقضى على محاربتهم كما شاء ، وارسلهم حيث اراد . وطبع اسم البلدة التي ارسلهم اليها على ايديهم » ونظراً لذلك كان ارسال الموالي الى قراهم احد التدابير التي اتخذها الحجاج لكسر من شوكة مدينة البصرة التي دلته التجارب السابقة على انها خطيرة . واحدى تلك التجارب عصيان ابن الاشعث والاخرى ثورة ابن الجارود (انساب الاشراف ۲۸۰ ابن الاثير ۳۰۹/۴ وما بعدها) التي سبقتها والتي امتدت عدداً من السنين . وهذا كل ما قبل . وفي الطبري (۱۱۲۲ : ۱۴۳۵) نرى ان الموالي الذين اخرجهم الحجاج مع القراء ، وكانوا متفاهمين معهم انضموا دون ريب الى ابن الاشعث . على انه لو كان الامر كذلك ، فليس ما يدل على ان العصيان كان بسببهم .

شأن ثورة المختار (١٠٣) . لكن مصادر الطبري الاولى واقوال البلاذري لاتوحي شيئاً يدل على انها في اتجاهها كانت مجرد استمرار لثورة المختار . ولم تأخذ نسجها من الموالي ، ولو ان عدداً كبيراً منهم كانوا ولايب فيها .

ويقول ابو مخنف (١٠٤) انه كان في دير الجماجم « مائة الف

مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، لكنهم يظهر ون تابعين لسيادهم العرب . وكان من المألوف أن

اشترك انوالي لايني
انهم اصحاب الثورة

يأخذ العرب مواليهم معهم الى الميدان ، ان كان لهم ثمة موال ، وان يدعوهم يقاتلون راجلين الى جانبهم ، وهم على خيولهم . ويشابه هذا ما كان يعمله الفرسان مع الخدم في القرون الوسطى . وهكذا فاشترك الموالي في القتال لاجعله يتسم بهم ، وقد يكون لهم نفع في محاربة الحكام من اهل الشام ، فقد كان اهل الشام العمود الفقري للعروبة ، غير أن الموالي ما فتئوا يركزون ثانياً .

ولم تصدر الثورة عنهم ، بل عن جيش الطواويس ، وهو

الجيش العراقي في سجستان الذي التحق به حماة أمصار

اصل الثورة من جيش
الطواويس وامراء القبائل

اخرى . وفتحت الكوفة والبصرة ابوابها لهذا الجيش ،

واشترك فيه خير وجوه العرب من افراد القبائل كابن الاشعث من كندة ، وجري

بن سعيد بن قيس من همدان (١٠٥) ، وعبد المؤمن بن شيب بن ربيعي من تميم (١٠٦)

وبسطام بن مصقلة بن هبيوة من بكر (١٠٧) ومحمد بن سعد بن ابي وقاص (١٠٨)

(١٠٣) وهذا ما خول الفرزدق ان يقول متمكماً ان ازدالكوفيين هم انصار ابن الاشعث

العاصي الجديد كما كانوا الانصار السابقين للمختار (سبائين) .

(١٠٤) الطبري ١٠٧٢

(١٠٥) انساب الاشراف ٣٤٠

(١٠٦) الطبري ١٠٥٦

(١٠٧) الطبري ١٠٨٨ : ١٠٩٩

(١٠٨) الطبري ١٠٩٩

وعبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس وعبد الرحمن بن العباس الهاشمي من قريش ، وكالقاضي الشعبي والمؤرخ محمد بن السائب الكلبي صديق ابي مخنف من العلماء^(١٠٩). ولا يذكر في هذا الجيش الا اسم مولى واحد هو الغني فيروز حصين من سجستان ولعله هو ولد سيبيخت^(١١٠)

فقد ثارت الارستقراطية العربية على ذلك الذي لا ينتمي التورة على من لا يحتد^١ الى المحتد والشرف ، على ذلك الذي يمثل سلطة الحكومة ، الا وهو الحجاج بسلوكة السفية المتعالي . وهذا اعشى همدان يعبر عن شعور قادة الجيش فيقول^(١١١) :

وجدود ملك قبل آل ثود	ياأبي الاله وعزة ابن محمد
في الناس ان نسبو اعروق عبيد ^(١١٢)	ان تانسوا بدمين عروقهم
بجيين ابلج مقول صنيديد	كم من أب لك كان يعقد تاجه
فالجد بين محمد وسعيد	واذا سألت المجد أين محله
بخبخ لوالده وللمولود	بين الاشج وبين قيس ^(١١٣) بازخ
بكهول صدق سيد ومسود	واذا دعوت بآل كندة اجفلوا
في المكرمات ولا ترى كسعيد	ما ان ترى قيساً يقارب قيسكم

(١٠٩) الطبري ١٠٩٦

(١١٠) الفرزدق ٢٠٦

(١١١) الاغانى ١٥٣/٥ .

(١١٢) وهو تقي كالحجاج .

(١١٣) يظهر ان الاشج يقصد به هنا ابن الاشعث ؛ انظر انساب الاشراف ٣٣٥ .
وقيس هو والد سعيد الهمداني المشهور الذي كان لحفيده جرير صلة اشترك في قضية واحدة مع حفيد ابن الاشعث .

وتبعت القبائل العربية وسرايا الجيوش امرأها بكل رضا
واقبال ، اذ كانت قد نفرت من الخدمة الطويلة ومن الثغور
النائية ، وما زالت تتشوق الى اوطانها . وكانت يمانيو
الكوفة كثيري العدد بصفة خاصة بينهم ، ومعهم كندة وهمدان ومذحج .
وكانوا الاغلبية في الكوفة ، وهم ينظرون الى ابن الاشعث على انه منهم وفيهم .
اما قبائل البصرة فليست غريبة عنهم أيضاً .

كرهت القبائل
البعد عن الاوطان

واشترك القراء بجماسة وبأس كبير ، شأنهم شأن علماء
القرآن الاتقياء واهل الصلاة . وكانوا في مقدمة الجيش
يتكلمون ويعملون في كل مناسبة^(١١٤) فحق الثورة على ظلم الحكام في حكم الله
يجب دوماً ان يلقي تأييداً من الدين .

اشترك المتدينين

على ان العصيان مع ابن الاشعث ليس بالواقع سببه دينياً ، فقد
كان محاولة جديدة يائسة في شدتها ، رمى العراقيون بها الى ان
يرفعوا عنهم نير اهل الشام . وكان الحجاج قد جعله أشد
ثقلًا عليهم ، فقد ابقى في ارضهم جند الشام الذي طلبه لمحاربة شيب ، ابقاه
لا يدفع به عدواً خارجياً ، بل ليقاوم به اعداءه في الداخل . وكان الحكم
الاجنبي يتجسم في هذا الجند^(١١٥) . هذا وعلى المتطوعين من اهل العراق - بسبب
وجود جند الشام بينهم - ان يقنعوا بجرأة لا تكفي . وهم يوجهون للعمليات
والثغور في اقاليم قاصية نائية ، ويبقى ذلك الجند في مقرهم بين عائلاتهم .

العصيان على نير الشام
وجنوده

(١١٤) وكان لفضلهم في ذلك بروز خاص ، فابو مخنف في الطبري ١٠٨٦ وما بعدها يتكلم
عن مقتل جبلة بن زحر التي كأنه اهم حادثة في دير الجاجم وانظر Chawarig ص ٩
وما بعدها .

(١١٥) وفي افرقية والاندلس احدث تدخل اهل الشام اضطراباً عظيماً .

واذن فطبيعة القتال لا يمكن ان يساء فهمها ؛ فلم يكن ذلك حرباً من الموالي للعرب ، بل حرباً من اهل العراق مع عرب اهل الشام^(١١٦) . كانت حرباً بين ذينك المصريين من الدولة العربية اللذين ما فتئا متنافسين ؛ والعناصر العراقية ، اياً كان مصدرها ، تكاثفت في الحرب . وكذلك وجدت الفرق الشامية الحكومية نفسها متحدة في ارض الغرباء . وطبعي أنها تنتمي على جانب التفضيل الى كلب وقضاة . ويبدو انها كانت تدعى بعك واسعرين لتوصم بالهيجية^(١١٧) وتسمى في الطبري^(١١٨) قبطاً ونبطاً .

انما الحرب
بين الشام والعراق

وزبدة القول ان الحكم العسكري لاهل الشام في العراق اشتد وتزايد . وفي عام ٨٣ بنى الحجاج بلدة واسط وحصنها ، وهي في وسط الطريق بين الكوفة والمدائن والاهواز والبصرة ، وجعل منها مركزاً للحكومة . ونقل اليها جنود الشام متذرعاً بانه انما فعل ذلك لينعمهم من اساءة معاملة السكان في ربوع الكوفة والبصرة . على ان السبب الاصيلي لابد انه عزمه في ان يعزلهم عن العراقيين^(١١٩) وان يجمعهم حوله فيكونوا بين يديه اداة طيعة جاهزة . ونقل مقره من وسط الجماعة الى مكان القيادة العسكرية مدلاً بذلك على انه يزي نفسه وكأنه في ارض العدو . وقلع الحكومة من الارض الام التي نمت فيها ، فغرسها علناً في ميدان عسكري . وليس من اسلوب آخر لصيانة حكم الامويين في العراق .

الحجاج ينقل جنده
الى واسط

(١١٦) الطبري ١٠٨٩

(١١٧) الطبري ١١٠٢

(١١٨) ١٣٩٣

(١١٩) ولهذا السبب اتى اهل الشام بعيدين عن خراسان حتى لا يتدنسوا بالعراقيين ،

وارسلهم الى الهند التي خلت من العراقيين (الطبري ١٢٥٧ : ١٢٧٥)

وبعد مقتل ابن الاشعث ، سقط الشرق بأسره تحت اقدام
طؤطئت الرؤوس للحجاج الحجاج دون اية ممانعة . ولم يعد من رأس يرفع في خراسان
الا المهلبين
الا رؤوس بني المهلب . فقد كانوا يعتمدون على قبائلهم
من ازد عمان التي اتت معهم الى خراسان . وافلحوا هنا بان يصبح الازد مع
ربيعة زمرة واحدة (يمانية) كما في البصرة ، وان تصبح تيم مع قيس زمرة اخرى
(مضرية) . وكان زعيم بني المهلب واليانيين والي خراسان يزيد بن المهلب .
وحقاً انه كان عاملاً للحجاج . بيد أن الحجاج على ما يظهر
الحجاج لا يزل يزيد لم يكن له من القوة ما يعزله به ، مع ان يزيد كان
الا بشق الاقنس
بيسر له الحجة في ذلك . ولم يتصد يزيد لاصحاب
ابن الاشعث في هراة الا على غير رغبة منه . ثم انه عامل بالرافة
الاسرى من العصاة او على الاقل اليانيين من بينهم . وأخر امره بطرد القيسيين
العصاة الذين استقروا في ترمذ قريباً من بلخ بقيادة موسى بن عبد الله مقدراً ان
الحجاج ستركه وحده ، فلا يضع قيسياً مكانه ماداموا ذوي خطر . ولم يطع
انذارات الحجاج المتكررة تأتيه من واسط ، بل كان محتج بوجود عمل سريع .
ولم يستطع الحجاج ان يفوز بالاذن بعزله في عام ۸۵ الا بعد أن اضطر الى ان
يحمل الخليفة ضغطاً شديداً . فالقى القبض عليه ؛ ونحى كذلك اخاه شيئاً
فشيئاً . ولكنه لم يفعل ذلك الا بعد وفاة عبد الملك عام ۸۶ .

واظهر عبد الملك نفسه سيداً على الحجاج . أما الوليد الذي
الحجاج ذو تأثير كان توليه الحكم بسبب له القلق ، فقد اطلق يده ، بل
في الوليد
استسلم له في حكومته نفسها ، واستشاره في رغباته بالذات .
وباصرار منه حرم عمر بن عبد العزيز من عمله الذي اولاه اياه . فقد اصبح الحجاز
في ولايته ملجأ للمجرمين السياسيين ، لاسيما منهم المحرضين المتدينين (۱۲۰) . وفي
عام ۸۹ او ۹۱ قدم خالد بن جرير بن عبد الله القسري الى مكة . وفي عام ۹۳

او ٩٤ قدم عثمان بن حيان المري الى المدينة . وشرع الاثنان في متابعة المتهمين
بجهاة شديدة .

وقطف الحجاج في عهد الوليد ثمرات عمله الشاق خلال عهد
عنايته بالري والفلاحين عبد الملك . فساد العراق السلام . واستفاد منه ليدمل
جراح حرب دامت عشرين عاماً ؛ فاثرت في رفاهية البلاد . ولقد كان سيداً
كبيراً ، لا يقل في سيادته عن الوليد . ووجه عنايته الى طرق الري التي يعتمد
عليها خصب الاراضي المستنقعة في الاماكن المنخفضة من دجلة والفرات (١٢١) .
وفي وسط الاراضي المستنقعة الرئيسية اسس بلدته واسط . وعمل على ايقاف
تناقص السكان في الاراضي الوحلية ، ذلك التناقص الذي نتج عن اقبال الناس
على المدن الكبيرة . ويقال انه حظر على الفلاحين قتل البقر حرصاً منه على ان
يبقىها للفلاحة (١٢٢) .

(١٢١) وعانى ملوك الفرس الامر من تجفيف المستنقعات ومن اقامة املاك التاج عليها ،
حتى اذا طلب احدهم قطعة من الارض من المستنقعات سماها باسمه . وفي عهد قباد اتعجر سد كبير
من السدود قريباً من كسكر ، فاغرق مساحة واسعة من الارض ، تركت حتى اتى انوشيران
فاصلح قسماً من الاضرار . وفي عام ٧ او ٦ للهجرة حدث انفجار عظيم في السدود لم تجد معه
جاسة ابرويز . وفي الاضطراب الذي حصل في عهد الفتح العربي ، توسعت الاراضي المستنقعة
(آجام ربيتي) اكثر من ذي قبل . ولم يستطع الدهاقين (الملاكون ومراقبو الارض) ان يعملوا
شيئاً من عندهم فيمنعوا ذلك . ولم تصالح الاشياء الا في عهد معاوية وبصفة خاصة في ايام الوليد
بن عبد الملك وهشام . وعمل الحجاج قناتي النيل وزابي ؛ وجلب الى الاراضي المستنقعة البقر
الوحتي الهندي ، وارسل منه الى كليكيا ايضاً . ولنقص موارده المحدودة لم يستطع ان يفعل اكثر
من ذلك . وطلب ثلاثة ملايين يصلح السدود ؛ فاستكثرها الوليد ، لكنه اذن لاخيه مسلمة ان
ينفذ المشروع على نفقته الخاصة . فاستفاد مسلمة من ذلك فلانة كبرى . وكان المهندس الذي
وضع مشروع العمل في عهد الحجاج وهشام هو حسان النسطي . وتقول قصة لا يوثق
بها ان الحجاج تمتد الا يصلح الاضرار التي سببها الطوفان الكبير في عصره ليماقب الدهاقين
الذين اهمهم بمالاة ابن الاشعث . انظر الطبري ١/٩٦٠ وما بعدها ؛ فتوح البلدان ٢٩٢ وما بعدها
المسوي ١/٢٢٥ وما بعدها ؛ ابن خرداذبة ٢٤٠ وما بعدها ؛ ياقوت ٣/١٧٤ وما بعدها
(١٢٢) فتوح البلدان ٢٩٠ ؛ ٣٧٥ ؛ ابن خرداذبة ١٥ ؛ ٢٤١ ؛ اغاني ١٥/٩٨ ؛ ياقوت ٣/١٧٨ .

ولم يباشر حرباً الا مع الاعداء الخارجيين ، على ان حربه
سحاؤه على الفتوح معهم كانت موفقة . وفي عهده تم فتح ما وراء النهر على يد
متوض
قتيبة بن مسلم الباهلي الذي خلف بني المهلب على خراسان .
واستولى محمد بن القاسم الثقفي على هندستان . ويعود الفضل للحجاج في وضع
هذين الرجلين في عمل يصلحان له (١٢٢) ب . ولقد قدم اسمه المرهوب في اقصى الشرق
سنداً قوياً لهما . وهو لم يذهب الى الميدان بنفسه ، لكنه كان يعنى بمجارات الجيش
وتجهيزه حتى في التفاصيل الجزئية (١٢٣) . والمال الذي ينفقه على ذلك بسخاء
يعوض بما يدخل عليه من خمس الغنائم . ولقد كلفته الحملة الاساسية على الهند
ستين مليوناً على ما يقول البلاذري (١٢٤) . وعادت عليه بمائة وعشرين مليوناً .
وبقي عشرين سنة في عمله . ثم توفي كما تمنى ، اي قبل
مكاته عند الوليد وذلك في آخر رمضان (١٢٥) او في شوال (١٢٦)
وفي الكوفة
من عام ٩٥ يعني في تموز ٧١٤ ، وعمره ثلاثة وخمسون او اربعة
وخمسون عاماً . وكان الوليد يقره على من يقترحه من نوابه ، ويثبت كل من يعينهم من
موظفيه . هذا وظلت عائلته تتمتع بالتقدير في الكوفة (١٢٧) من بعده .
وزياد ابن ابيه والحجاج هما الواليان العظيمان للامويين في
العراق ، حسدهم عليها العباسيون بحق . وكانا لا يعدان
الحجاج وزياد اعظم ولاية العراق
نفسهما على عمل مريح ، بل ممثلين للسلطان . وبقيامها

(١٢٢) انظر فتوح البلدان . . وما بعدها ، ٤٣٥ وتلقات Reiske, 194 على ان القراء
٤٢٧/١ وعن كرك الهندي الذي لم يستطع رايسكي ان يؤرخه انظر الطبري ٣٥٩/٣ :
٣٧٠ و De Goeje, Bijdrage tot de gesch. der Zigeuners ص .

(١٢٣) فتوح البلدان ٤٣٦ .

(١٢٤) فتوح البلدان ٤٤٠

(١٢٥) الطبري ١٢١٧

(١٢٦) الطبري ١٢٦٨

(١٢٧) الطبري ١٦٩٩ ، ٥ ، ١٧١١ ، ٧٠ ، ١٠ ، ١٧١٢ ، ٧

بواجبات عملها مخلصين كسبا ثقة اسيادها ، فمنحوهما قوة عظيمة تمتعا بها طول حياتها ، دون ان يابها للرأي العام ارضي عنها ام عتب عليها .
ولا بأس بمقارنتها احدهما بالآخر . كان زياد قد بلغ مكانة المقارنة بينها عالية قبل ان يقربه معاوية ، ويتخذه حليفاً ؛ اما الحجاج فله ان يدعى صنيع عبد الملك . وعرف زياد كيف يخضع القبائل (بان يضرب احداها بالآخرى) وكيف يجعلها تعمل من اجله ، وافلح في ذلك . واعجب به عمر بن عبد العزيز^(١٢٨) لانه اخضع العراق دون ان يطلب العون من الشام . اما الحجاج ، فلم يقدر على ان يثبت نفسه الا بوسائل الحكومة الخارجية التي تعتمد على الجند الشامي ، والجند الشامي انما يتبع ذويه ، وكان التوتر قد اشتد بين الشام والعراق في تلك الاثناء . ولم يكن الحجاج دون سلفه ابدأ في اعماله ، بل انه بعد وفاته وجه السياسة ، فقد غدا الامر ، ولا بد من معرفة أهمومه ام عليه .
وتدابيره الحكومية في ضرب النقود وتحديد الاوزان واصلاحات الحجاج وبلاغته .
والمكايل والضرائب واصلاح الزراعة احداث تاريخية^(١٢٩) .
وعانى ما عاناه من الصعوبات في تثبيت دخل الدولة بالعراق^(١٣٠) الذي انهكه استمرار الحرب الدائم وافقده معنوياته . لكن لا بأس عليه ، فقد كان يجد المال دوماً . وكان موهوباً في الخطب الارتجالية متباهياً بعض التباهي برشاقة اسلوبه العربي ، لا يطبق تفوق احد عليه بذلك^(١٣١) ومن ثم زين الرواية خطبته الافتتاحية بالكوفة بعبارات انيقة . ولم تخمر شجاعته ابدأ في ظرف من الظروف ، ولقد قاسى الامر في سبيل عظيمته . وكان مفرطاً بعض الشيء في نزوة غضبه ، لا يمتلك صبره امام من ينفذون اوامره . ولم تكن يده الحديدية

(١٢٨) الكامل ٥٩٥ .

(١٢٩) يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ، في مواضع مختلفة ولا سيما ٩٩ وما يتبعها .

(١٣٠) الطبري ١٠٦٢ ، انساب الاشراف ٢١٧ .

(١٣١) الطبري ١١٣٢

مستورة بقفاز من حرير . وليس له اسلوب في الحديث مشجع ، وكان حاداً ،
وحيناً مضنياً ؛ غير أنه ليس قاسياً ولا ذليلاً ولا مستكيناً . ولقد اظهر الرحمة ،
فاطلق سراح اسير بارز لانه لم يحاول ان يطلب العذر لنفسه ، بل ذكر
الحقيقة (١٣٢) . ومن جراته انه اعلن عن اعجابه بالمختار ذلك النبي الكاذب والمهدي
(المزعوم) ، واعترف بعظمته . اما الصاعقة التي انقضت عندما قذف المدينة المقدسة
والتي كانت تؤذن ظاهراً بغضب الله من هذا الهجوم الاباحي ، فقد فسرها بانها
تحية من السماء تعد بالنصر . ولم يكن كعاصريه يتأثر بالخرافات والتقاليد ، على
انه لم يكن كافراً ، بل لا ريب انه لم يكن منافقاً . وكان واضح الذهن حياً
وعلى ابواب الموت .

وعند اهل الحجاز والعراق من متوسطي الناس ان من
اعدائه يختلفون روايات عنه
دلائل شروره انه نظف مكة بضراوة ، وانه لم يعتبر تقى
العصاة مبرراً لعصيانهم . وعزى اليه اعداؤه الحاقدون اعمالاً مخجلة اخرى ،
اخترعوها ووضعوها . ولم يتضاءل حقدهم حتى بعد وفاته . فمثلاً قيل في رواية لم
يذكر صاحبها (١٣٣) انه قتل في البصرة بعد موقعة الزاوية احد عشر الفاً بل
مائة وعشرين الفاً الى مائة وثلاثين الفاً . ويبدو ان كريم وفلوتش يصدقان هذه
السخافات . وتأيداً لنظريتها يجعلان الموالي ضحايا تعطشه للدم . على ان الروايات
القديمة الاصلية تقول خلاف ذلك .

ففي البصرة والكوفة اعلن بعد النصر عفوه العام عن كل
لم يكن منطناً للدم
من يتخلون عن القتال ، وسعى قصاراه ليمنع مبادل جند
الشام في المدن المفتوحة . فلم يقتل الا المعاندين الذين رفضوا العفو ، فوقعوا
في قبضة يديه ، كاولئك القرشيين والعصاة البارزين الذين اسلمهم اليه يزيد بن المهلب

(١٣٢) الطبري ١١٠٢

(١٣٣) الطبري ١١٢٣

فقتلهم في واسط . على انه في ذلك نفسه احترام الحقوق الشخصية ، فلم يحاول مثلاً ان يصادر املاك مولى من الموالي الاغنياء فيروز حصين ، وكان هذا قد فاز بها في آخر لحظة بوصية اوصي بها اليه (١٣٣) .

٤ . عهد سليمان بن عبد الملك

خاف الوليد الاول اخوه سليمان الذي عقد له عبد الملك البيعة بولاية العهد بعد الوليد ، وذلك في جمادى الثانية عام ٩٦ أي اواخر شباط سنة ٧١٥ . واقتفى سليمان أثر سلفه محققاً خطته بالقاء ضربة كبيرة على عاصمة الروم بقوة جسيمة ؛ لكنه لم يفلح في ذلك فلاحاً كبيراً (١٣٤) .

سيرة سليمان كالوليد
في الفتوح

غير انه كان من جهة اخرى على طرفي نقيض مع سلفه . فقد كان غير راض عن المكانة التي خولها للحجاج ، بل كان مخالفاً لآخيه في هذا الشأن منذ كان ولياً للعهد ، فقد هرب يزيد بن المهلب في عام ٩٠ من سجن الحجاج الى الرملة في فلسطين حيث كان يقيم سليمان ، فمنحه هذا حمايته ، وادى عنه مبلغاً عظيماً من المال كان مطلوباً منه ، وشفع له عند الخليفة اقوى شفاعة حتى امر الخليفة الحجاج ان يدعه وشأنه . واستبقى سليمان يزيد الى جانبه مدة تسعة اشهر ، ففدا تحت اثره ، واطلق له العنان ، فاوغر صدره على الحجاج اكثر فاكثر .

سليمان يحمي يزيد
ابن المهلب من الحجاج

(١٣٣) ومدائح جرير والفرزدق للحجاج لاتزال بين ايدينا .

(١٣٤) Göttinger Nachrichten 1901 ص ٤٣٩ وما بعدها .

لكن الحجاج عرف مايجول في خاطره ، فاقر الوليد على
 الحجاج يقر الوليد على
 تحويل ولاية العهد الى ابنه
 رغبته في ان ينقل ولاية العهد الى ابنه ، وهكذا زاد في
 ضغينة سليمان عليه (۱۳۵) . وكان الحجاج محققاً في ان يتوقع
 أسوأ السوء منه حين تسلمه سدة الخلافة . واستجاب الله دعاءه المخلص بان

« يجعل منيته قبل منية الوليد » (۱۳۶) فلم يستطع سليمان ان يؤذيه .

وكل ما كان بوسع ان يفعله هو ان يصب نغمته على اصدقائه
 قتيبة يخفق بمصيانه
 ومحمد بن القاسم يعدم
 وعماله ؛ فيعزل عثمان بن حيان المُرِّي عن المدينة وخالد
 بن عبد الله القسري عن مكة (۱۳۷) . وحاول قتيبة بن مسلم

والي خراسان القوي ان يتجنب المصير الذي يتهدده ، فاعتمد على انتصاراته
 السابقة ، وحاول عبثاً ان يحمل جنوده على العصيان معه على الخليفة . وارتدت
 عليه قتيبة ، وكان قد اهانها ، فاستسلم لها ، اذ لم يلق من الآخرين عوناً . اما محمد
 ابن القاسم الثقفي فاتح الهند ، فلم يقم بالعصيان ، مع ان اهل الشام كانوا على اهبة
 لمساعدته (۱۳۸) ، وأخذ الى واسط وسجن هناك مدة ثم اعدم .

وخلف الحجاج يزيد بن المهلب ألد اعدائه ، وذلك هو

دوزي يرى
 اختلاف الخليفةين
 في اتجاههما القبلي
 الفارق الكبير بين عهدي سليمان والوليد . ويرى دوزي
 ان هذا الخلاف نتيجة لاختلاف الخليفين في موقفها المتباين
 من حيث تحزبها القبلي ، اذ كان الوليد مع قيس ، وكان

(۱۳۵) ومما يمرض نادرة ان ذلك كان هو السبب لضغينة سليمان نليه . غير انه يبدو ان
 ذلك كان نتيجة لما . فانه لم يكن للوليد تلك الرغبة الا في آخر عهده (الطبري ۱۲۷۴ .
 ۱۲۸۳ وما بعده) غير ان اتصالات بين سليمان والحجاج كانت متوترة منذ زمن ابدل بها
 قدمت سبباً في عام ۹۰ هـ لهرب يزيد الى الرملة .

(۱۳۶) الطبري ۱۲۷۲

(۱۳۷) الطبري ۱۲۸۲ : ۱۳۰۵ .

(۱۳۸) الطبري ۱۰۷۵ : ۳ .

هو سليمان مع اليمانيين (١٣٩)، وفي عهد الوليد بلغت قوة القيسيين غايتها ، حتى اذا توفي تم سقوطهم حالاً ، وكان سقوطاً مريعاً .

ومن الثابت ان يزيد بن المهلب كان يعادي القيسيين ، ويقف الى جانب اليمانيين ، وكان ينتمي اليهم باعتباره ازدياً . وكان الحجاج قد اتخذ موقفه ضد اليمانيين ، فكان الى جانب القيسيين ، يدفعه الى ذلك يزيد وحده ، وابن الاشعث قبله . وحق انه لم يكن ينكر منذ البداية نسبه الى ثقيف التي تعد فرعاً من فروع قيس ؛ فكان يختار حاشيته بالتفضيل من هذه الحلقة من المعارف ؛ غير ان ذلك واقع لا يمكن ان يعمم فيغدو مبدء تحزب لقيس . ولئن ادعى القيسيون انه لهم ، فليس ذلك يدل على انه كان زعيم حزب القيسيين . ذلك ان القبائل العربية تترك باي رجل ذي سلطان يمكنها ان تدعي وجود صلة به مهما كانت بعيدة . والسبب الذي من اجله منح عبد الملك الحجاج عمله والذي لاجله احتفظ به الوليد ليس ، ولا ريب ، ميوله نحو قيس - فقد كان من اسرة مغفورة - بل لمهارته الشخصية . وشخصيته لا قبيلته هي التي جعلت له قيمته . وهكذا وجه سليمان آنذاك نغمته على شخصه وعلى تأثيره الشخصي . ولعله الى جانب ذلك كان مقتنعاً بان الحجاج لم يكن الشخص الصالح ليأترف به اهل العراق ، بل كان يكره الناس بالحكم الاموي (١٤٠) . ثم انه عزل عمال الحجاج لانهم كانوا صنائعه لاميولهم القيسية . فخالد القسري كان يعده اليمانيون منتبياً اليهم (١٤١) . وقتيبة ينتسب لباهلة ، وهي قبيلة حياضية . واعدائها الاوليون بنجراسان ليسوا من اليمن بل من مضر .

اساء سليمان معاملة اصحاب الحجاج لانهم صنائعه

. Histoire des musulmans d'Espagne, 1,211,125 (١٣٩)

. (١٤٠) الطبري ١٣٣٧ .

. (١٤١) الاغانى ٦١/١٩ .

اما في الشام فقد وجدت عطفاً من قيس الجزيرة التي نزلت بينهم باهلة^(١٤٢). وكان موسى بن نصير في الاندلس يمانياً . وتعلل سوء معاملة الوليد له بذلك^(١٤٣)؛ على ان سليمان عامل ابنه معاملة اسوء من معاملة الوليد لايه . وهو حادث يخالف نظرة دوزي ومدرسته مخالفة شديدة^(١٤٤) .

وأياً كان فسليمان لم يقف موقفاً مناصراً جهاراً للبيانيين بمقدار لم ينصر سليمان البيانيين يزيد بن المهلب . وليس من دليل على انه اخذ جانب اليمن ضد قيس حتى في الشام . وهو قد ندم على انه اذى القيسيين من اهل الشام بمعامته لقتيبة . وأمه هي أم الوليد ، وكانت قيسية من بني عبس؛ ولم يكن يسعه انكار اصله . واستقطاب العالم العربي باثر التنازع بين القبيلتين لم يكن الا في بدايته . وبما ساعد عليه بصورة جوهرية الحزازات الشخصية بين ذوي النفوذ من الرجال . ولا يمكن ان نتخذ مما آلت اليه حوادث التاريخ مبدءاً من المبادئ يكشف عن بدايتها قبل ان تصبح من التاريخ .

وكف زنبيل السجستاني عن دفع الجزية عند موت الحجاج . يزيد يتابع سياسة الحجاج وصرح جهاراً انه يجد من خلف الحجاج دونه بكثير إن قوبل به^(١٤٥) . وتنفس العراقيون الصعداء حين توفي الحجاج ، وحين توفي الوليد بعده بقليل ؛ بيد أنهم ما عثموا ان عرفوا ان تغير الاشخاص لا يعني تغير النظام؛ فقد اساء يزيد بن المهلب معاملة اصحاب الحجاج^(١٤٦) لكنه في الحكم لم يتبع سيرة تختلف عن سيرته . فهو استقر بواسطة أيضاً ، واحتفظ باهل الشام في العراق .

(١٤٢) الطبري ١٣٠٠

(١٤٣) انظر فتوح البلدان ٢٣٠ و Contin. Isid. Hisp. par. 76

(١٤٤) ٢٩٩ وما بعدها ، A.Müller, 1 .

(١٤٥) فتوح البلدان ٤٠٠ وما يتبعها

(١٤٦) الطبري ١٣٥٩

ووجد كذلك انه اذا اراد ان يظل الدخل على ما هو عليه ، فليس بوسع ان يبدل في اسلوب الضرائب الذي بغض العرب بالحجاج نفسه .

ولكي يرمي يزيد بذلك البغض الى غيره ، طلب من الخليفة ان يعفيه من ادارة الضرائب وان يوكلها الى سواه . ونتج عن ذلك نتيجة غير التي قدرها ، ذلك ان سليمان وضع على ادارة الضرائب صاحب بيت مال الحجاج - الذي كان لا يزال في عمله - وجعله مستقلاً^(۱۴۷) . وهو احد الموالى من سجستان ، واسمه صالح بن عبدالرحمن . وهو الذي نقل الديوان الى العربية ، وكان تحت تصرفه بواسطة اربعمائة من جندها من الشام ، فكان مستقلاً كل الاستقلال عن يزيد .

وإذا هو يرفض رفضاً باتاً ان يحمل بيت المال تلك النفقات فيج يزيد المقام بالعراق الباهظة التي كان يزيد يتطلبها . فيمجد يزيد بعد هذا البخل فينقل الى خراسان المقام في العراق . ويفلح في ان يضم اليه خراسان وفي ان يؤذن له بان يجعل مقامه فيه ، وهو مقره القديم ، فلا يوجه احد نظره فيه الى ما يفعل^(۱۴۸) . غير انه لم يحظ بما كان يتوقعه فيه ، فلا سبيل لمقارنته بقتيبة مع حبه للترف وبدانته المشوهة . ويحاول ان يحتل مكان قتيبة باخضاع جرجان وطبرستان ، لكنه لم يفلح في ذلك الا قليلاً . وافرط باقتناره بمبلغ الغنيمة التي فاز بها ، فهياً بذلك سبيل الحكم عليه .

(۱۴۷) هذه رواية ابي مخنف في الطبري ۱۳۰۶ وما بعدها . وقد يؤخذ من اعمال سليمان ذاته ما اجهد دوزي (۲۲۶/۱) به نفسه لاستنتاجه من مقصد سليمان بهذا الأمر . وفي الطبري ۱۲۶۸ (وابن قتيبة ۱۸۳) ان ديوان الخراج فصل عن عمل الوالي في المدة التي فصلت بين ولاية الحجاج ويزيد . على ان هذا الفصل لا بد ابطال مرة اخرى عندما تسلم يزيد الولاية ، ثم اعيد بناء على طلبه . ولا شيء يخالف هذه الفرضية .
(۱۴۸) عام ۹۷ . ولكنه احتفظ بحكم العراق .

استبقى سليمان الرملة بفلسطين مقراً لخلافته. وكان جواره
وإاة سايمان فيها يجعله محبوباً من اهل فلسطين (١٤٩). على انه كان
يقم كثيراً في دابق مركز القيادة في شمال الشام. ومنها كانت توجه الحرب
الى القسطنطينية. وتوفي في دابق بعد حكم دام زهاء ثلاث سنين، وذلك في
صفر عام ٩٩ (ايلول ٧١٧). ويجعل الياس النصيبى وفاته يوم الثلاثاء في الثامن
منه. لكن ابا مخنف (١٥٠) يجعلها يوم الجمعة في العاشر من صفر (١٥١).
وكان موضوع الكلام ايامه في حلقات المجتمع الراقي عن
شهوآيته المآكل والنساء، كما كان في عهده الوليد عن البناء وزراعة
الاراضي في الريف. وبالرغم من ان سليمان كان مستهتراً، فقد امر باتخاذ
التدابير ضد الفساق في المدينة. ومن الجائز جداً ان يكون اخفاء الخنثين في
المدينة وقع من سوء فهم العامل هناك، فقرأ «اخص» بدلاً من «احص» (١٥٢).
غير ان شهوانية سليمان لم تحل دون ان يجد بين المتدينين
تقربه من المتدينين من يميل اليه. وعلينا ان نتبين ذلك من تودده للعراقيين
المنافسين للحجاج الذين كانت معارضتهم دوماً تقوم باسم الله على سلطان الظالمين،
ومن تدليله للعلويين (١٥٣) ومن تعيينه احد الانصار عاملاً في المدينة، وهو
احد احفاد عمرو بن حزم، وكان عمرو قد لعب دوراً كبيراً في الثورة على
الخليفة عثمان.

(١٤٩) الطبري ١٨٣١

(١٥٠) الطبري ١٣٣٦

(١٥١) ويقول وستنفلد Wüstenfeld ان يوم الثلاثاء يقع في التاسع من صفر، والجمعة
في الحادي عشر منه. واختلاف كهذا بالايام يحدث كثيراً فلا يبدو خطراً.

(١٥٢) الاغانى ٥٩/٤ وما بعدها.

(١٥٣) الطبري ١٣٣٨ . ٧

غير ان موقف سليمان يبدو اوضح بحضوره مجالس رجاء تقريبه رجاء بن حبوه
بن حيوة الراوي . وكان موقف الخلفاء الامويين من هذا
الفقيه مقياساً لموقفهم من الاسلام ؛ ابتدأت مكانته في عهد عبد الملك ، وازدادت
في عهد الوليد ، وبلغت اوجها في عهد سليمان . وهو الذي دفع سليمان الى
ان يسلم الخلافة الى عمر بن عبد العزيز . ويطلعنا الواقدي (١٥٤) على خبر
ذلك ، (١٥٥) كما يلي :

كان عبد الملك قد عين ابنه يزيد ولياً للعهد بعد الوليد رجاء يفتنه بالوصية
وسليمان . واخذ عهداً منها على ذلك . غير ان سليمان لم يأبه امر بن عبد العزيز
لذلك ، فعين ابنه ايوب ولياً للعهد . لكن ايوب توفي
قبله ، وقبل ان يتمكن من ان ينقل ولاية العهد الى ابنه الثاني داود (١٥٦) .
وكان داود يحاصر قسطنطينية بينما كان سليمان على فراش الموت (١٥٧) . ورجع
رجاء كفة الميزان ، فاقنع سليمان بان يوصي بوصية ترضي الله ؛ فجاوز سليمان
ولي العهد الاصلي ، واوصى بولاية العهد الى ابن عمه التقي عمر بن عبد العزيز ،
ويزيد بن عبد الملك بعده .

وظل رجاء الى جانب الخليفة وهو على فراش الموت ، رجاء يدبر نقل الخلافة
فوجهه الى القبلة واغلق عينيه . وجمع الامويين في جامع
دابق دون ان يقول إن الخليفة توفي ، وطلب اليهم مبايعة ولي العهد الذي عينه

(١٥٤) وكان عمه المهتم بن واقف في دابق طفلاً فاص به ثلاثة دنانير حين استخاف عمر بن
عبد العزيز (الطبري ١٣٦١) .

(١٥٥) الطبري ١٣٤٠ وما بعدها .

(١٥٦) وما لعنه يدل دلالة اخرى على تقي هذه الخليفة انه دعى ولديه باسماء من التوراة .
وما فريدان بين الامويين في هذا العهد باسميها هذين . اما اسمه نفسه اي سليمان فهو طبعاً ليس
من اختياره .

(١٥٧) الضبري ١٣٣٥ . ١٣٤٠ .

سليمان في وصيته ، ولم يذكر اسمه (١٥٨) ، حتى اذا اعلنوا مبايعتهم اطلعهم على وفاة سليمان وعلى اسم خلفه .

وكان ذلك مفاجئة ، لان عمر ينتمي الى شعبة اخرى جانبية
المفاجئة تمر دون ممانعة

حل محلها عبد الملك ؛ واذا هو الآن يتقدم على ابن عبد الملك وعلى العديد من الامراء المتصلين بالشعبة المباشرة . ولم يكن احد يتخيل ذلك . وكان عمر بن عبد العزيز اقل الناس حلماً به . هذا ولم تثر عليه أية مقاومة جدية ، فقد قام رجاء ، على ما يظهر ، خير قيام بالتدابير التي يتطلبها الموقف . وحق ان هشام بن عبد الملك اعترض بعض الاعتراض على المبايعة ، لكنه آب الى الصواب حين هدد بالسيف . ولم يكن عبد العزيز بن الوليد في دابق ، فلما سمع بوفاة سليمان ظن ان وقته قد حان . ولكنه استكان عندما علم ان عمر اصبح خليفة .

٤



(١٥٨) ويقول الواقدي ان سليمان وهو على فراش الموت كان قد قام بالشيء نفسه الذي اعاد فعله رجاء في الجامع بعد وفاته - وقوله هذا انما هو نسخة ثانية مأخوذة عن الرواية الاخرى .

الفصل الخامس

عمر بن عبد العزيز والموالي

١ - عمر بن عبد العزيز والخراج

كان عمر الثاني ابناً لعبد العزيز بن مروان الذي استمر والياً على مصر امداً طويلاً. وينتمي عمر من جهة والدته الى عمر بن الخطاب. وهو أمر كان له أثر كبير فيه. ولد في المدينة أيام يزيد^(١)

عمر بن عبد العزيز
ينشأ على السنة

وقضى فيها اكبر قسم من شبابه ، وربي على سنة مدينة الرسول [عليه السلام]. وبعد وفاة والده (عام ٨٤ او ٨٥) ، جذبه عبد الملك الى دمشق وزوجه ابنته. ثم بعثه الوليد الى المدينة عاملاً على الحجاز ، وهو ينوي ان يمحو سوء ذكرى من سلفه ، وان يرضي اهل المدينة .

واتصل عمر بعلماء الاثر فيها اتصالاً وثيقاً . وكان العلم قد

ازدهر في المدينة . ولم يابه لانتقاداتهم الكثيرة على سلوك

الحجاج مدع الى تنجته
عن المدينة

حكومة بني امية ، ولا سيما سلوك الحجاج ؛ ونتج عن ذلك

ان ثوار العراق وجدوا في الحجاز ملجأ لهم . ولم يرق ذلك للحجاج طبعاً ، فالح

الحاجاً شديداً حتى استدعي عمر من المدينة . على ان عمر لم تنله لذلك جفوة الخليفة ،

فقد كان اخا امرأة الوليد ، وظل حاضياً بروضاه . ثم إن سليمان أحله أيضاً

المحل السامي .

وقد مر معنا ان الاسلام عند العائلة المالكة كان سائراً
 حتى عمر وخوفه من التقصير يتقدم ؛ فعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان، والحالة هذه،
 يشكون سلماً متدرجاً ينتهي عند عمر بن عبد العزيز . غير ان تقى عمر يختلف عن
 تقى من سبقه . فقد تخلل التقى حياته بصورة تختلف كل الاختلاف عنهم ، وطبع
 اعماله امام الملائ بطابعه . كان سليمان مستهتراً مترفاً ، اما عمر فكان يوشك ان
 يكون زاهداً . كان سلطان الحكم يمنح سليمان وسائل اللذة ، اما عمر فالحكم
 يفرض عليه مسئولية ثقيلة . كان عمر يجعل حكم الآخرة نصب عينيه في كل شيء ،
 وكان يخشى التقصير دوماً فيما يتطلبه الله منه .

ولم يكن ذا ميل الى حروب الفتح والاستيلاء ، فقد كان
 يعرف جيداً انها لم تكن آنذاك تتخذ الله بل للغنيمة . على
 سياسة في الجهاد
 انه لم يثبت استدعاؤه جيش المسلمين من القسطنطينية اول الامر . فلم يكن
 بوسع من حيث المبدأ ان ينهي الجهاد ضد الامبراطور؛ بيد انه تخلى عن المراكز
 المتقدمة الخارجية ، وارجع الثغور الى الورا . وكان يود من كل قلبه لو تخلى
 عن ما وراء النهر ، غير ان الاسلام كان قد ثبت اقدمه في بعض المدن هناك .
 فحظر التوسع في الحدود اكثر (اب) . وكان همه الاول موجهاً الى السياسة
 الداخلية ، فأحدث تغييراً فيها ، تغييراً من ضرب آخر ، له معنى اكبر بكثير
 من التغيير الذي امتاز به سليمان عن الوليد .

فقد عين رجالاً جدداً في اهم المراكز الرسمية ، وجعل همه
 توخي في عماله الاستقامة
 يزيد بن المهلب الذي عجز عن تأدية خمس الغنيمة الجزرية ،
 وكان اعطى عن قيمتها ، وهو يتبجح ، صورة مبالغه . وأرسل عمر الجراح بن عبد
 الله الحكمي الى خراسان ، وعدي بن ارطاة الفزاري الى البصرة ، وعبد الحميد
 بن عبد الرحمن القرشي العمري الى الكوفة ، وعمر بن هبيرة الفزاري الى الجزيرة

(اب) ومن اسبابها طعماً فحت في عهد نازيون وحصنت

وعمر بن مسلم أخا قتيبة إلى الهند . وكان الجراح^(۲) وعمر بن عمرو من مدرسة الحجاج ، وكان عدي وابن هبيرة قيسيين ؛ على أن عمر لم يعين هؤلاء الرجال ليقف في طرف مناقض لسلفه ، أو لأنه من الذين يفضلون قيسياً والحجاج ، بل لأنه يعتقد أنهم موثوقون ومستقيمون^(۳) . وعهد بالاندلس إلى سمح بن مالك الخمرلاني الباني ، وبافريقية إلى اسماعيل بن عبد الله ، فقد كان يعلم أنها لا ينتسبان إلى حزب وإنما رحماء بالمظلومين .

غير أنه لم يكن يكتبي بأن يختار رجاله ممن يعهد فيهم
مراقبته إمامه الكفاية فيدعهم يحكمون كما يروق لهم شريطة أن يقدموا المال اللازم . لا ، فقد شعر أنه مسئول بنفسه عن كل شيء . والذي كان يأخذ بجامع قلبه هو سيادة العدل قبل تزايد السلطان .

وبلغ الفقهاء بواسطة حد السيطرة ، وكانوا قبل ذلك
القضاة في عصره يشكلون حزباً مستقلاً عن الحكومة مناوئاً لها . ومن ثم بلغ القضاة على ما يظهر شأناً أهم وأكثر استقلالاً . وفي كتاب وجهه عمر إلى عقبه بن زُرعة الخراساني عدد أسماء أركان السلطان كما يلي : (۱) الوالي (۲) القاضي (۳) صاحب الخراج (۴) الخليفة . وكان الحسن البصري المشهور قاضياً على البصرة في عهده ، وعامر الشعبي قاضياً على الكوفة ، وجعل عمر الفقيه أبا زناد صاحب ديوان الوالي عبد الحميد .

وإدارة الأمصار تعني في الدولة الإسلامية الإدارة المالية .
فكرة كريم عن
ادارته المالية منقوطة وكان على رأس قائمة أهداف عمر بن عبد العزيز إصلاح هذه الإدارة ؛ على أنه ليس سهلاً علينا أن نفور بعرض واضح للتدابير التي اتخذها في شأن الضرائب . والصورة التي قدمها الفريد فون كريم عنها ، فقبلها أوغست مولر تعتبرها الأخطاء .

(۲) الطبري ۲ / ۱۳۵۴

(۳) الطبري ۲ / ۱۳۸۳ ، ۳ [؟]

ويقول كريم ومولر^(٤) انه انما دفع عمر بن عبد العزيز الى اصلاح الضرائب رايه في ان يعود بها الى فكرتها الاولى ، ويقولان ان عمر بن الخطاب كان قدوته ، وكان يود ان يعيد الى نهج عمر بن الخطاب ماناءت به الضرائب في عهد الحكام الامويين السالفين من مخالفات .

ومن ثم تبدو القضية الاولى : ماهي طبيعة المنوال الذي اراد ان ينسج عليه . هنالك خاصة تديران ينسبان الى عمر بن الخطاب ويستحقان النظر ، فقد قيل ان عمر بن الخطاب اذن للعرب بان يقتنوا العقارات في الامصار المفتوحة ، وانه امر بانه عند اسلام اهل البلاد المفتوحة من غير العرب يعفى من دخلوا في الاسلام من الجزية ؛ اما الخراج على الارض المحروثة فيبقى . على ان الواقع ان عمر بن الخطاب لم يفعل لاهذا ولاذاك .

وكان ينبغي ، باسم الله والعدل ، توزيع الاراضي المكتسبة بالفتح بكاملها بين المقاتلة العرب الذين لهم ان يمتلكوها بحق الفتح والغنيمة . لكنها لاسباب عملية طبعاً ظلت غير موزعة ، واصبحت اما املاكاً للدولة واما ارضاً للمسلمين . وانتهت الاملاك التي جلا عنها اصحابها القدمات وسلمت دون حرب او قتال ، اما الى بيت المال واما الى يد الحاكم ؛ وهي املاك الملوك والامراء ، والاحباس اي مراكز البريد وبيوت النار . هذه الممتلكات - اي الصوافي - كانت تشمل مساحة واسعة لاسيا في الامصار التي كانت ذات اهمية مالية كبرى^(٤ب) ، وخاصة في العراق (السواد) .

عمر بن الخطاب
لم يفعل ما قاله عنه

الاراضي المفتوحة
تمود الى بيت المال

(٤) A. Müller, Geschichte des Islams, 1,439,ff. ويتابعه بحرية

Kremer, Culturgeschichte des Orients, 1,174 ff.

(٤ب) ويقول قدامه في الاحكام الساطانية مما ورد في نشرة Enger ص ٣٠١ :

« يكون ذلك اي [السواد] مكسراً عشرة الاف فرسخ . وطول الفرسخ اثنا عشر الف

ذراع بالذراع المرسل . ويكون بذراع المساحة ، وهي الذراع الهاشمية ، تسعة الاف ذراع .

هذا وما كسبه العرب المقاتلة في الحرب اعتبر ملكاً مشاعاً لم يوزع الخراج على المقاتلة للمسلمين ، يترك لأصحابه المغلوبين مقابل دفعهم للخراج . وبعد فالخراج ينبغي في الواقع ان يوزع كل عام دخلاً بين الاصحاب الشرعيين للأرض . غير ان الدولة وضعت يدها عليه ، ولم تدفع للمقاتلة الا جراًية محدودة تابعة لرغبتها الخاصة . وهكذا تلاشى التمييز بين ارض الدولة وارض الخراج ، فقد تدفق الدخل من الاثنيين معاً الى بيت المال .

هذا التطور تم في عهد الفتوح الكبرى ، وعمر بن الخطاب الرسول والخلفاء يقطعون القطائع العرف^(٥) . لكنه لم يذهب الى حد أنه لم يسمح ان يمتلك ارض الخراج مالك حقيقي . لا ، فلم يجز اي تحظير عام على العرب بامتلاك الاراضي في الامصار^(٦) . فخلفاء الرسول [عليه السلام] ، لانستثني منهم ابا

فيكون ذلك اذا ضرب في مثله ، وهو تكسير فرسخ من فرسخين ، اثنين وعشرين الف جريب وخمسة جريب ؛ فاذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ ، وهي عشرة الاف فرسخ ، بلغ مائتي الف الف وخمسة وعشرين الف الف جريب . يسقط منها بالتحسين مواضع التلال والآكام والسياب والآجام ومداس الطرق والحجاج ومجاري الأنهار وعراض المدن والقرى ومواضع الارحاء والبريدات والقناطر والشادروانات والبنادر ومطارح القصب وأتاني الاجر وغير ذلك الثلث ، وهو خمسة وسبعون الف الف جريب . بصير الباقي من مساحة العراق مائة الف الف وخمسين الف الف جريب ، يراى منها النصف ويكون النصف مزروعاً مع ما في الجميع من النخل والكرم والاشجار . فاذا اضيف الى ما ذكره قدامه في مساحة العراق ما زاد عليها من بقية السواد وهو خمسة وثلاثون فرسخاً ، كانت الزيادة على تلك المساحة قدر ربعها . فيصير ذلك مساحة جميع ما يصاح للزرع والفرس من ارض السواد . وفي المعتد ان يستوعب زرع جميعه . وقد يتعطل منه بالموراض والحوادث مالا ينحصر .

اما ان تقرير المساحة الكاملة ينبغي ان يكون غاطاً ومبالفاً فيه فذلك ما اظهره هرمان واغتر Hermann Wagner, Gött. Nachrichten, 1902. 224 ff.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢٧ في الصفحة ٤١ (المعرب)

Juynboll in the Indian Gids, February. 1899 (٦)

بكر وعمر ، كانت لهم مثله الرقابة التامة على ارض الدولة ، وكانوا يعطون اقساماً منها (قطائع) الى الرجال البارزين المستحقين ، ولعلمهم كانوا لا يعطونها بصفة fiefs اقطاعيات لقاء خدمات معينة ، بل بصفة allois قطائع ليست عليها واجبات تؤديها . وهكذا اصبح علي وطلحة والزبير ذوي ممتلكات كبيرة^(٧) ، ثم اصبح مقاتلة العرب جميعاً في الامصار ذوي ممتلكات حقاً ، فلم يكونوا يمتلكون بيوتهم ومزرعتهم وحدهما ، بل اراضين في القرى المجاورة .

وفي عهد عمر بن الخطاب جعلوا الجهاد والغنيمة نصب اعينهم اولاً ولا ريب . لكن الامر تبدل في الازمنة التي تبعت ^{العرب يملكون} ^{بالشراء وبعده} والتي كان السلم فيها اكثر استتباباً . وكانت حب ضم الاراضي والممتلكات قد تيقظ في نفوسهم في العهد الجاهلي ، ولم يقض عليه محمد [عليه السلام] والاسلام ، بل شجعاه وانضم اليه اثر عهد الفتوح . هذا ولم يسد القانون القديم الذي ينص على ان الارض التي ليست ملكاً لاحد تصبح ملكاً لمن يحرثها ، لم يسد في بلاد العرب وحدها بل في الامصار أيضاً ، وقوي شأنه فيها . على ان الشره في الاراضي لم يقتصر على الاراضي ذات الخراج ، تلك التي تخص الفلاحين المنحضين ، فكثيراً ما انتقلت الاراضي الى الاسباد العرب بالشراء او بوسائل اخرى دونها في النبل . ولا يظهر في اي حال ان القانون كان يحظر عليهم ذلك الشراء . ولم يكن لعمر من سبب يحمله على ان يعارض اسلوباً لم يظهر في عصره الا وشيكاً ، ولم يؤد بعد لنتائج مضره .

ولم يضع عمر قانوناً يقضي بان الخراج على ارض من الاراضي الخراج على غير المسلمين يجب ان يبقى ، سواء اكان المالك مسلماً ام غير مسلم ، وبان اعتناق الاسلام يحرر الرجال من الجزية فقط . ذلك ان الجزية باعتبارها على العنق انما كانت توضع باعتبار حال الشخص ؛ وكانت علامة شخصية فارقة

(٧) يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ٢ : ٥٦ : وما بعدها ٦١ : ٦٧ .

بين المسلمين والمغلوبين . والخراج والجزية كانا يعتبران في الاصل ضريبة على التابعين يدفعونها الى مواطني حكم الله اي ازلاذ الدولة^(٨) . وليس على هؤلاء ان يؤدوا الضريبة عن رقابهم ولا عن اراضيهم ، انما عليهم ان يسلموا عشر محصولهم لله لا للناس .

ولم يرد على خاطرهم قط ان واجب دفع الضريبة عن الرأس
انما هو وحده الذي يحيط من شرف المسلم لا دفع الضريبة
عن الارض . وليس من اختلاف بين الخراج والجزية في
الاستعمال القديم ، فاللفظان يفيدان معنى واحداً ، الا وهو الضريبة على غير
المسلمين . وهناك ذكر يتكرر للجزية على الارض كما يتكرر ذكر الخراج
على الفرد^(٩) ، ولم يكن العرب يهتمون بكيفية تحديد حصة الشخص من الجزية ،
لا سيما في الحالة التي كانت الجزية فيها تكون مبلغاً عاماً محدداً يفرض على الجماعة
بمجملمهم . وتلك الحالة على ما يظهر كانت القاعدة اكثر مما كانت الاستثناء .

والعرف الذي جرى في الاصل آنذاك كان ان اعتناق
الاسلام يجرى من كل الزام في دفع الضريبة ، وان ارض
الخراج تصبح مفاة من الخراج عندما يمتلكها المسلم العربي^(١٠) ،
او عندما يصبح مالكا غير العربي مسلماً . غير ان هذا العرف يشجع اولاً

اسلوب الفاروق
يشجع اعتناق الاسلام

(٨) انجيل متى ١٧ . ٢٥ .

(٩) انظر مهرس دي غويه على تاريخ الطبري ؛ فتوح البلدان ٦٥ . ٧ مع ٦٦ . ١٥ ؛

٣٥١ . ١ مع ٣٥١ . ٥ و ١٣ . وفي خراسان يستعمل لفظ الجزية دون الا الخراج . والخراج
يستعمل اكثر في غير خراسان (الطبري ١٣٥٤ . ١٣٦٤ وما بعدها ؛ ١٥٠٧ وما بعدها)
وفي كتاب الخراج ليحيى بن آدم نجد عدم التمييز بين الكلمتين . وكثيراً ما نجد فيه : الجزية
على الارض .

(١٠) وهكذا عندما نحن (الالمان) كانت المزرعة سابقاً تصبح مفاة من الضريبة
عندما يمتلكها احد الاشراف . ذلك ان الشريف كان معنى من الضرائب .

استثمار الفلاحين من قبل الاسباد العرب ، ويشجع ثانياً دافعي الضرائب على اعتناق الاسلام . وفي كلتا الحالتين يبطل الفرق بين اوضاعهم وطبيعة ممتلكاتهم . وذلك الفرق كان اساس نهج عمر في الضريبة .

وإذا بالصعوبات والمضايقات تظهر ، فإذا خفضت الضريبة
 بمقدار القيمة التي تسقط نتيجة لاعتناق الاسلام تحمل بيت
 المال الصدمة ، أما إذا وضعت الضريبة بمبلغ اجمالي لا ينقص
 عن حدها القديم ، ازداد الحمل على الجماعة ، اذ تصبح اقل قدوة . على تادية الضرائب
 بعد ان تحرر معتنقو الاسلام منها .

وهو يضر بيت المال
 ودافعي الضرائب

وليس من الخير ايضاً ان يتخلى معتنقو الاسلام الجدد عن
 ارضهم وجماعتهم الى مصيرهم ، فيهاجروا الى البلاد العربية
 كما كانوا يفعلون كثيراً ، او كما لعلمهم كانوا يفعلون في
 اغلب الحالات ، ليس ذلك من الخير ، فهو يجعل اليد العاملة بعيدة عن الارض
 بحيث يتهددها خطر الجذب في قسم منها . وعلى ذلك فالهجرة الى المدن لم تكن
 امراً مرضياً عنه . وفي الكوفة والبصرة - فمن العراق يتبها لنا احسن ضروب
 الاخبار واوسعها - كان يوجد عدد وفير من المسلمين الجدد او الموالي ، واصلهم
 اسرى حرب اطلق سراحتهم ، ومعظمهم من اصل ايراني . وكانوا يحتلون مراكزاً
 وسطاً بين الاسباد العرب والرعية من غير العرب .

معتنقو الاسلام
 يهاجرون الى المدن

وهم لا يؤدون جزية او خراجاً ، على ان اسماءهم لا تندرج
 في ديوان المقاتلة ، فلا يتلقون عطاء ، مع انهم في زمن الحرب
 يقاتلون تابعين لمواليهم الاول ، اذ هم ملزمون معنويّاً بان يؤدوا اليهم ضروباً
 مختلفة من الخدمة . وبما انهم ليسوا في العير ولا في النفي ، فلم يكونوا طبعاً راضين .
 هذا والاسلام جعلهم يشعرون بحقهم ، فسعوا الى ان يظفروا بحقوق
 متساوية كاملة .

المدن تفقد صفتها العربية
ودلت ثورتهم مع المختار على الخطر الذي كانوا يهددون به
الدولة العربية . وطبيعي ان قضاء الامويين على ثورتهم
كلفهم ارواحاً كثيرة . لكن الثغرات التي فتحها السيف في صفوفهم سدت
بالمسلمين الجدد الذين هاجروا من القرى ومن ضواحي المدن ، فمصلحة هؤلاء في
الموقف مصلحتهم هم ، وان كان الجدد للسلم اقرب . وهكذا حدثت في اسلوب
عمر بن الخطاب ثغرة ذات دلالة ، سببها ان مدن الجيش والحكومة ما عمت
ان فقدت صبغتها العربية الخاصة .

لم يكن لاسلوب الفاروق
خطر في الجيل الاول
هذا النهج العمري في الادارة ، البدائي بعض الشيء ، المقتصر
على الخطوط الواسعة اوجد تطوراً لم يلحظه عمر . وهدد
هذا التطور بهدم النهج . ولم تكن مساويء النظام ملموسة
في عهد عمر ، فان غرائز العرب في الجمع والكسب بذلك العهد اخذت في مجموعها
سبيلاً آخر غير سبيل السعي وراء الممتلكات والاراضي . ثم ان دافعي الضرائب
من غير العرب لم يكونوا قد دخلوا بعد في الاسلام بعدد كبير يتأثر به بيت
المال ، تلك الخزانة التي كانت مفعمة حتى تكاد تفيض من غنائم مازالت تدخلها ،
خزانة يتطلب منها اقل مما طلب منها فيما بعد .

الحجاج يفرض الخراج
على المسلمين
واذا بالامر يختلف في الجيل الثاني اثنى في عهد الامويين .
على أن الحجاج ، على ما نقوله الاخبار ، لم يعزم على التدخل
في مجرى الامور إلا ليمنع الضرر الذي كان يتحملة بيت
المال . فلم يعد يعني من الخراج العرب الذين حصلوا على املاك من ارض الخراج ،
بل إنه عاد يفرض الخراج على اولئك الذين اعفوا منه .

منه اسلمين المزارعين
من الهجرة
ويقال انه عامل الداخلين في الاسلام بالاسلوب ذاته ،
فاوجب عليهم دفع الضريبة ، وقد ظلوا في قراهم واحتفظوا
بمزارعهم . ومنعهم من الهجرة الى مراكز الاسلام
والحكومة العربية ، واعادهم حيناً بالقوة الى ارضهم . ونهجه هذا جديد لا يتفق مع

ما كان يعتبر حقاً في تلك الايام ، فاثار صرخة [امتعاض] اشترك فيها العرب والموالي الذين اضر بهم ، اذ اعتبروه ضربة موجهة الى الاسلام ؛ لكن الحجاج لم يابه لذلك .

واتخذ عمر بن عبد العزيز طريقاً آخر حملته عليه عواطفه . ولم تكن غايته مختلفة كل الاختلاف عن غاية الحجاج ، لكنه حاول ان يبلغها باسلوب لا يمس بفكرة العدالة الاسلامية . وهكذا اتبع الاسلوب القديم في هذا الشأن ، وهو ان المسلم الذي هو من الطبقة الاولى او الثانية ، سواء كان عربياً ام مولى ، لا يتوجب عليه ان يدفع ضريبة او جزية او خراجاً .

عمر بن عبد العزيز
يرفع الخراج عن المسلمين

ولكي يمنع تناقص دخل الدولة ، عمد الى استنتاج من التاريخ يوافق تماماً رأي علماء المدينة ، وهو ان أرض الخراج كانت قبل كل شيء ملكاً مشاعاً للمسلمين ، وانها ينبغي ان تعتبر ممتلكات مشاعة للجماعات المعنية التي اطلق لها المسلمون الانتفاع بها مقابل دفع الخراج . وعلى ذلك فلا ينبغي ان تؤخذ قطع من مجموعها تنتقل الى اصحاب مسلمين ، فتصبح اراضي خاصة مفضية من الضريبة . ومن ثم اعلن ان بيع اراضي الخراج للعرب والمسلمين محظور اعتباراً من عام ۱۰۰ ، دون ان يجعل للحظر مفعولاً رجعياً .

ارض الخراج مشاعة
لانواع

وقرر عمر بن عبد العزيز ، على ما يلوح ، انه اذا اعتنق احد مالكي الارض الخاضعة للضريبة الدين الاسلامي ، انتقل ملكه الى الجماعة من اهل القرية . ويستطيع هذا المسلم الجديد ان يبقى على ارضه ، يعني مستأجراً . وقيمة الايجار ليست خراجاً ؛ ويستطيع أيضاً ان يذهب الى المدن (وذلك امر لم يسمح به الحجاج) ؛ على ان السماح بارتداد المدن انما هو بالاصل القاعدة . اما ان يصبح لمعتنق الاسلام الحق في العطاء باعتبار هجرته ، فذلك شأن يصعب الجواب عليه .

معتنق الاسلام
مستأجر للارض

ولئن كان الاعتراف بعدم سريان الضريبة على المسلمين ، انما هو رجوع الى العرف القديم الذي لم يكن قد زال بعد ، فان حظر بيع أراضي الخراج تديير تشريعي جديد بليغ الاثر . ومن الثابت المؤكد ان اصله الذي يرجع اليه يستند الى تاريخ الخراج ، فهو قد نتج من ان الارض في عهد الفتوح لم يكن يتصرف بها كما يتصرف بالغنائم ، بل ظلت [محفوظة] غير مجزئة . على انه لم يظهر في ذلك الوقت بالذات انه نتج من ذلك .

ولم يفلح عمر بن عبد العزيز . ففي الاسلوب الذي حاوله كان الخراب المالي أمراً لا مفر منه . ولم يكن بالامكان تنفيذ مبدأ عدم شراء ارض الخراج . ولم يوضع حداً لانتقال الاملاك ، كما لم يوضع حد لاعتناق الاسلام . وآل العمل على الاسلوب الجديد الى طريقة الحجاج مع اختلاف إن كان صغيراً في مادته ، فقد كانت جد دقيق في معناه .

الاسلوب يؤول الى طريقة الحجاج

وقد تم في الواقع تمييز بين الخراج والجزية لم يكن من ذي قبل . وبوجهه توضع الجزية على الرقبة ، ولا تقع إلا على غير المسلمين ، فهي حمل يرفع عن اعناقهم متى اعتنقوا الاسلام . وعلى العكس من ذلك يعتنق الخراج على الارض ،

اختلاف الاسلوبين في التمييز بين الخراج والجزية

فلا يحيط من قيمة الشخص ، وينبغي ان يدفعه حتى المسلمين الذين يمتلكون ارض الخراج ، وكانوا يدفعونه . وبما ان الارض على أي حال خاضعة للضريبة ، فقد كانت الجزية تضحية صغيرة في الواقع (١١) . وهكذا حل بيت المال مطالب الاسلام حلاً رخيصاً ، وكان ذلك عملاً تشريعياً ماهراً وحلاً لم يرجع إليه إلا بدافع الحاجة ؛ ففي صريح العبارة لاشك ان الارض ليست هي التي تدفع الضريبة بل مالكها .

(١١) ولم يكن المسلمون الجدد والموالي في الكوفة والبصرة ينفون من الزكاة . ولم يشعروا بانهم مهضومو الحقوق الا لانهم لم يقبوا في ديوان العطاء ، ولم يشركوا في الجزية . ولهذا الامر كانوا يسعون الى التساوي في الحقوق .

وانا لنسمع عن اصلاح للضريبة قام به آخر وال على خراسان
اصلاح نصر بن سيار الا وهو نصر بن سيار . فقد اكتشف نصر تدبيراً يزيد
للضرائب
في الضريبة ، وذلك بتحديد مبلغ معين يؤخذ من ارض
الحراج وحدها ، ويفرض فرضاً اجمالياً على الجهات الشخصية التي تقع عليها
الضريبة . وكل المالكين للأراضي سواء كانوا مسلمين ام غير مسلمين ، عرباً ام
ايرانيين ، يجب عليهم ان يساهموا فيه بنسبة ممتلكاتهم ، ولا علاقة للجزية بذلك ،
فهي لا تؤخذ إلا من الزرادشتية واليهود والمسيحيين ، لامن المسلمين ، حتى ولا
من الداخلين جديداً في الاسلام .

اما ان الدخل كان يهبط بنتيجة تزايد المعتنقين للاسلام ،
نجاح ذلك الاصلاح فذلك ما كان متوقفاً ، ولم يكن يثير الاهتمام بعد ان
تبين ان ارض الحراج كانت تستطيع وحدها ان تعطي الدخل الضروري
المضمون لبيت المال^(۱۲) . وهذا التنظيم كان جديداً لم يوجد قبل ذلك ، ونجح
في خراسان ، كما نجح في الاقسام الاخرى من المملكة الاسلامية نجاحاً مختلف
في سرعته . نجح لانه يوفق بين الصالح المالي ومبدأ تحرر المواطنين في الحكم
الديني من الجزية ، ولا ريب ان المشرعين بذلوا لذلك جهداً قيمياً . وما كان
في الواقع نتيجة لاسلوب معقد متوسط بين مطالب متناقضة نظر إليه بآخرة
على انه قانون مافتيء قائماً ابداً ، ولو كان هذا القانون قائماً حقاً منذ البداية لما
ظهرت الصعوبات .

(۱۲) طرقتنا هذا الموضوع بصورة اتم في القسم المتوسط من الفصل الثامن عن خراسان

فلتنبه اليه النظر .

۲ - عمر بن عبد العزيز والخراج ابناً

وللفقهاء المسلمين في ذلك الشأن اسلوب يرجعون به الاشياء
التي حدثت تدريجياً ، والتي نتجت عن ميول او
من حاجات ظهرت تدريجياً ، يرجعون بها الى اصولها ،
ويؤيدونها بسنة الرسول [عليه السلام] وخلفائه الاول . وهكذا رجعوا بالشكل
الذي آلت اليه قوانين الضرائب او الادارة اثر تقلبات طويلة الى عهد عمر بن
الخطاب الذي وضع الخطوط الاولى . وعلينا ان نحترس من هذه العقيدة التاريخية
لنكون حكماً صحيحاً عن سلوك الحجاج وسلوك عمر بن عبد العزيز
وعلياً قبل كل شيء ان نؤثر متابعة المؤرخين الحقيقيين ،
اعني قدماء المؤرخين الذين يحترمون الحقائق اكثر من غيرهم ،
ويعتمدون بعض الاعتماد على بداهة الوثائق ، فلا ينقلون كثيراً مبادئ الحاكمين
التي هي اختلافات شخصية ، لا يصح ان تتخذ منها تعميمات بدون تأمل واعتبار .
وينبغي لنا ان نحضع لهذا النقد ايضاً ايمان الفقهاء بالاصول التاريخية ايماناً بديها ،
ياخذون فيه براء ليست من اختصاصهم ، بل هي مستقلة عن ميولهم .

ولقد نمت فكري عن هذه القضية الصعبة المختلف عليها نمواً
تدريجياً لانعسف فيه . ولم اتخذ في بدايتها مجموعة من
المعطيات اشرع منها . واني اقدم هنا ما جمعته من المواد
بنفسي ، وهكذا تسنح الفرصة لاضافة ما لم يذكر في
الخلاصة السابقة .

يعلمنا البلاذري^(۱۴) ان الحجاج اعاد فرض الخراج على قطع
من الارض بيسان اعفيت منه لاعتناق اصحابها القدماء
الاسلام او لانتقالها الى العرب . وفي نص بالعقد الفريد

(۱۴) فتوح البلدان ۳۶۸

تقدم سابقاً^(۱۵) ان الحجاج اعاد الموالي من المصور الى بلادهم وقرامهم . وقال :
« انتم علوج وعجم ، وقراكم اولى بكم ، ففرقهم وفض جمعهم كيف احب ،
وسيرهم كما شاء ، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه اليها
وكان الذي تولى ذلك رجل من بني سعد بن عجل بن لجيم يقال له خراش
بن جابر فقال شاعرهم .

وانت من نقش العجلي راحته وفر شيخك حتى عاذ بالحكم^(۱۶)
وبيت آخر يقول

جارية لم تدر ماسوق الأبل^(۱۷) اخرجها الحجاج من ركن وظل
لو كانت شاهداً عمرو وخبيل مانقت كفاك من غير جدل
وعندما أصبح نوح بن دراج قاضياً بعد ذلك ، وكان مولى ، قبل فيه مامعناه
وقعت الواقعة فنوح قد أصبح قاضياً ولو أن الحجاج حي لما افلت نوح من نقشه^(۱۸)
ويثبت الطبري هذا الامر^(۱۹) ويروي ان الحجاج كتب
القراء بأسون الموالي الى البصرة وغيرها من البلدان ليمنع انكسار الخراج قائلًا:
« ان من كان له اصل في قريته فليخرج اليها ، فخرج الناس فعسكروا ، فجعلوا
يبكون وينادون : يا محمداه يا محمداه ! وجعلوا لا يدرون اين يذهبون ، فجعل
قراء اهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين ، فيبكون لما يسمعون منهم ويرون
ولحقوا باخوانهم من القراء الذين تبعوا ابن الاشعث عندما قدم البصرة .

(۱۵) مر في صفحة ۱۹۹ وأصله في العقد طمة بولاق ۱۳۰۲ ، ۹۳/۲

(۱۶) كان الحكم بن أيوب الثقفي يمثل الحجاج في البصرة

(۱۷) اي « التي لم تسامر ابداً »

(۱۸) وكان الحسن البصري قاضي عمر بن عبد العزيز مولى أيضاً

(۱۹) ۱۱۲۲ : ۱۴۲۵ ؟ وانساب الاشراف ۳۳۶

ويقول البلاذري (٢٠) ان عمر بن عبدالعزيز ابطل ما وضعه
لاخراج علي من أسلم من خراج على المسلمين في ميسان وغيرها. وفي كتاب ارسله
الى عامله على الكوفة وضع مبدء ان « لاجراج على من اسلم » (٢١) ويقول
تيوفان (٢٢) انه اعفى من الضريبة النصارى الذين اسلموا .

والتدبير الآخر لعمر بن عبد العزيز الذي حظر به بيع ارض
نص ابن عساكر
الخراج للمسلمين مذكور في نص من تاريخ ابن عساكر نقله
عن ارض الخراج
الفريد فون كريمير (٢٣) . وهذا النص يتصل بالشام ، وهو
مهم بصفة خاصة ، لانه يظهر لنا ان الامور فيه كانت مماثلة لما في العراق ، ذلك القطر
الذي بين ايدينا عنه اخبار خاصة . وهذا نص ابن عساكر :

« ان عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمع رايهم على اقرار
ما كان بايديهم من ارضهم ، يعمرونها ويؤدون منها خراجها الى المسلمين ،
فمن أسلم منهم رفع عن رأسه (٢٤) الخراج ، وصار ما كان في يده من الارض
وداره بين اصحابه من اهل قريته يؤدون عنها ما كان يؤدي من خراجها ،
ويسلمون له ماله ورقيقه وحيوانه ، وفرضوا له في ديوان المسلمين (٢٥) ، وصار
من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم . ولا يرون انه ، وان اسلم ، اولى بما كان

(٢٠) فتوح البلدان ٣٦٨

(٢١) الطبري ١٣٦٦ وما بعدها

(٢٢) A . M . 6210

(٢٣) في « Culturgeschichtliche Streifzüge » ص ٦٠ من النص العربي . وترجم
قسماً منه في 1,76 , Culturgeschichte des Orients انتهى تعليق ولها وزن في
هذه الحاشية . ويقول المغرب ان النص الذي أثبت في الترجمة العربية اخذ من تاريخ مدينة دمشق
لابن عساكر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ١/٥٩٣ - ٥٩٧ مع مخالفته في ثلاثة
ألفاظ خيل الينا ضبطها على ما أوردناه ولغضاب آخرين نصح بهما ولها وزن نفسه
(٢٤) وهذا أيضاً استعمل اللفظ نفسه لخراج الأرض وللجزية .

في يديه من ارضه من اصحابه من اهل بيته وقريته (٢٦) لانهم يجعلونها صافية للمسلمين . وسموا من ثبت منهم على دينه وقريته ذمة للمسلمين ، ويروى انه لا يصح لاحد من المسلمين شري ما في ايديهم من الارضين كرها ، لما احتجوا به على المسلمين من امساكهم كان عن قتالهم وتركهم مظهرة عدوهم من الروم عليهم (٢٧) ، فهاب لذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر غشمهم (٢٨) واخذ ما كان في ايديهم من تلك الارضين . وكرهوا للمسلمين ايضاً شراءها طوعاً ، لما كان من ظهور المسلمين على البلاد وعلى من كان يقاتلهم عنها ، ولتركهم كان البعثة الى المسلمين وولاية الامر في طلب الامان قبل ظهورهم عليهم ، وكرهوا شراءها منهم طوعاً بما كان من ايقاف عمر واصحابه الارضين محبوسة على آخر هذه الامة من المسلمين المجاهدين ، لاتباع ولاتورث قوة على جهاد من لم يظهر وا عليه بعد من المشركين ، ولما الزموا انفسهم من اقامة فريضة الجهاد ولقوله عز وجل «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» حتى تمام الآية ... [وبالرغم من ذلك (٢٩) كانت بيد غير واحد من الناس قطائع في الشام] . وبدء هذه القطائع ... انها كانت من الارضين التي كانت بايدي انباط القرى . فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة ... ومن قتل منها في تلك المعارك ... فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين ... ولم تزل تلك المزارع موقوفة مقبله ، تدخل قبالتها بيت المال ، فتخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج ، حتى كتب

(٢٥) فيعتبر حقيقة مسلماً بها أن مهاجر المسلمون الحدد الى بلدة من بلاد الجيش العربي ، فلا يتمسك بدينهم القديم الا الفلاحون .
(٢٦) اقرأ قريته بدلاً من قرابته — وهذا ما أثبتته العرب .
(٢٧) ترجمة كريمة غير مفهومة .
(٢٨) اقرأ غشمهم بدلاً من قسمهم — وهذا ما أثبتته العرب .
(٢٩) ما يتلو هو اختصار . وفي كريمة غير ترتيب النص ، ولكن المعنى في المجموع ممكن تتبعه . انتهى تعليق ولما وزن في هذه الحاشية . ويقول العرب ان العبارات التي ليست في نص ابن عساكر وضعت بين مترضين : [] والعبارات التي حذفت وضع مكانها نالات فقط .

معاوية في امرته على الشام الى عثمان . . . يساله ان يقطعه اياها ليقوي بها على ما وصف له . . . فكتب اليه عثمان بذلك كتاباً . . . وافضى الى معاوية الامر ، فاقرها على حالها ، ثم جعلها من بعده حبساً على فقراء أهل بيته والمسلمين . ثم ان ناساً من قريش و اشراف العرب سالوا معاوية ان يقطعهم من بقايا تلك المزارع التي لم يكن عثمان اقطعه اياها ففعل ، فمضت لهم اموال الأيبيعون ويمهرون ويورثون . فلما افضى الامر الى عبد الملك بن مروان ، وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية اقطع منها احداً شيئاً ، ساله اشراف الناس القطائع منها ففعل . . . [ثم] نظر عبد الملك الى ارض من ارض الحراج ، وقد باد أهلها ولم يتركوا عقباً فاقطعهم منها ، ورفع ما كان عليها من خراجها عن أهل الحراج ، ولم يجمله احداً من أهل القرى . . . ولم يزل يفعل ذلك حتى لم يجد من تلك الارض شيئاً ، فسأل الناس عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من ارض القرى التي بايدي أهل الذمة فابوا عليهم . ثم سالوهم ان ياذنوا لهم في شري الارضين من أهل الذمة فاذنوا لهم على ادخال اثمانها بيت المال وتقوية أهل الحراج به على خراج سنتهم . . . وصيروها لمن اشتراها يؤدي العشر . . . فلما ولي عمر بن عبد العزيز اعرض عن تلك القطائع . . . فلم يردها على ما كانت عليه صافية (٢٩ ب) . . . وكتب بذلك كتاباً قرىء على الناس في سنة مائة ، واعلمهم انه لا جزية عليها ، وانها ارض عشر . وكتب ان من اشترى شيئاً بعد سنة مائة فان يبعه مردود . وسمى سنة مائة المدة . . . فامضى ذلك في بقية ولايته . ثم امضاه يزيد وهشام ابنا عبد الملك ، فتناهى الناس عن شرائها بعد سنة مائة . ثم اشترى اشربة كثيرة كانت بايدي أهلها يؤديون العشر ولا جزية عليها . فلما افضى الامر الى ابي جعفر عبد الله بن محمد امير المؤمنين ، رفعت اليه تلك الاشربة . . . وان ذلك اضر بالحراج وكسره ، فاراد ردها الى أهلها . . . [ولكن ثارت صعوبات كثيرة دون ذلك] . . . فامر

ان لا يضعوا على شيء من القطائع القديمة ولا الاشرية خراجاً وان يمضوها لاهلها
عشرية ، ويضعوا الخراج على ما بقي منها بايدي الانباط وعلى الاشرية المحدثه
من بعد سنة مائة « وبعث المعدلين الى كور الشام سنة اربعين او احدى
واربعين . . . فعدلوا تلك الاشرية على من هي بيده شري او ميراث او مهر ،
وعدلوا ما بقي بايدي الانباط من بقية الارض على تعديل مسمى »

وابن عساكر مؤلف من مؤلفي القرن السادس للهجرة تآثر
ابن عساكر من الذين يرجعون الى القديم
بالفكرة التي سادت قبل عصره بكثير ، الا وهي ان
عمر والصحابة - الذين هم بعد وفاة محمد [عليه السلام]
اصحاب الامر في تنظيم الاوضاع التي اوجدتها الفتوح - وضعوا منذ البداية
في كل شيء قواعد للمستقبل ، وان التصرف بالارضين وبيع اراضي الخراج
انما هو سوء استعمال يخالف كل المخالفة تلك القواعد ، ولم يحدث الا بعد ماتبع
اضطراب الامر في عهد عثمان والامويين .

على اننا ليس لنا من سبب يجعلنا نرتاب في انه استقى قوله
عمر بن عبد العزيز هذا من قديم المصادر (٢٩١ ج) مادام قوله غير متأثر بهذه الفكرة ؛
بحظر بيع ارض الخراج وهو من الثبات والدقة بحيث لا يمكن أن يكون مخترعاً
واذن فنحن بوسعنا أن نعتقد ان عمر بن عبد العزيز بدأ بتمتعاً من اقتطاع
الاملاك المشاعة والحكومية واقتسامها بما قام به اسلافه ، فحظر بيع ارض
الخراج . اما انه وحد بين العقارات ، ولم يقطع منها شيئاً ، فامر لا يقوله ابن

(٢٩١ ج) نص ابن عساكر مأخوذ في سلسلة سند تنهي بمحمد بن عائد عن الوليد عن أبي
عمرو وغيره . وابو عمرو هو الأوزاعي حدث عنه الوليد بن مسلم (التهذيب ٦/٢٣٨) وحدث
عن الوليد بن مسلم محمد بن عائد (التهذيب ٩/٢٤١) . فالنص اذن يرجع الى ابي عمرو الأوزاعي
صاحب المذهب الفقهي المعروف . وهو من معاصري ابي جعفر المنصور فأقواله اذن عن عصره وعما
سبق عصره . ونيس بعد ذلك مطلب . اما غيره ممن نقل الوابد عنه هذا النص فلتن كنا لانعرفه
فانه يبدو لنا أن النص الاصيل لابي عمرو الأوزاعي وان كلمة غيره تفيد تأييد أقواله (المعرب)

عساكر، لكنه يمكن ان يعد حقيقة مسلماً بها (٣٠)
ولئن عارض هذا الخليفة في ان تنتزع أراضي الخراج من
لايستبدل عمر بن عبدالعزيز الدولة بالبيع ، فحري به أن يأبى انتزاعها منها باعتناق
المشر بالخراج لمن اسلموا الاسلام . ويلوح أنه عزم على اتخاذ تدابير تمنع المبدأ الذي
يقضي بالا تخضع المسلم الجديد للجزية - من ايقاع الخسران ببيت المال . والغاية من
هذه التدابير مثالية اكثر منها مادية (٣١) . ويقال (٣٢) ان عمر بن عبدالعزيز ابى أن
يستبدل العشر بالخراج لمن اسلموا ، واعلن أن من يظنون في اقنيتهم (٣٣) ينبغي
لهم ان يؤدوا بعد اسلامهم ما كانوا يؤدونه قبله ، وعلى من يردون المدن ،
ان يتخلوا عن ارضهم لاهل القرية ، أما انه يجب على معتنق الاسلام الذي يبقى
قريباً من قناته ان يستمر في دفع الخراج ، فذلك دون ادنى شك مخالف لما

(٣٠) يضاف الى ما يقوله ابن عساكر عن اختفاء الممتلكات من الاراضي نص مدهش
نجدته في فتوح البلدان للبلاذري ٢٧٢ وما بعدها ويحیی بن آدم ٤٥ وهذا هو : « اصفى عمر
ابن الخطاب من السواد أرض من قتل في الحرب وأرض من هرب وكل أرض كسرى وكل أرض
لاهل بيته وكل مبيض ماء وكل دير يزيد وكل صافية اصطفاه كسرى . فبانت صوابه سبعة
آلاف الف درهم ، فلما كانت موقعة الجاحم احرق الناس الديوان فأخذ كل قوم ما يليهم » .
وهكذا كانت العفارات في خطر لا لمجرد أن الخلفاء كانوا يقطعون منها ، بل لما يجوس في نفوس
الناس من غضب عام على ممتلكات الحكومة الواسعة والحكام وكبار الناس . وكانوا يسمون الى
القضاء على الوثائق التاريخية او القاء الظلاء عليها ، تلك الوثائق التي يقوم عليها حق الامتلاك ، وهو
حق يرون فيه اهانة لهم .

(٣١) من المسيران نجدد ايلاً على ان الملايين من الناس اسلموا في عهد عمر بن عبدالعزيز نتيجة لاسقاط الجزية .

(٣٢) يحيى بن آدم ٤٤

(٣٣) تبنى ارض الخراج في المراق الارض التي تسقيها الاقنية . اما ارض العشر فلا

توجد الا خارج المراق في اراضي الطمي .

وأيناه، غير أن التناقض يزول، إذا علمنا أن الدفع لم يعد يعتبر ضريبة بل إيجاراً (۳۴).
 وصحيح ما يقرره النص المذكور سابقاً من أن الخليفة
 بأبي المساس بأرض الخراج اعتبر تنظيم أرض الخراج والدخل الحكومي الذي ينتج
 عنه بركة من البركات عظيمة. وبالرغم من أنه لم يستطع أن يعرض النقص الذي
 حدث، فقد أراد الأئمة حق الفياء في المستقبل. وبالرغم من أنه لم يتعرض في
 المبداء لتحرر المسلمين من الضريبة - سواء منهم الجدد أم القدماء - فهو لم يشأ
 أن يعرض الحق التاريخي القديم لتعديلات إضافية، وأن تصبح الأراضي مملكات
 حرة شخصية، مع أنها في الواقع ملك للجماعة لا ينتزع.

وأقر عمر بن عبد العزيز النظام الذي أقيم على أسس تاريخية
 في الأمصار التي فتحت منذ نحو من قرن، فنظم أسلوب
 الضريبة فيها تنظيمًا نهائيًا بفعل الفتح واعتماداً على قانون
 الغنائم الإسلامي الذي عدل بعض التعديل. وحمى عمر

الأمر مختلف
 بالنسبة للفتح
 الجديد

هذا النظام بما يتهدده من مخالفات. أما الأراضي التي لم تلحق إلا في عصره،
 أو تلك التي لم يتم إخضاعها بصورة كاملة، وهي فيما وراء النهر والهند وأفريقية
 والاندلس، فالأمر يختلف بالنسبة إليها.

والاتجاه الذي اتخذته هنا يجب أن لا يلتبس بغيره، فهو

لا يخضع لوجهة النظر نفسها، ذلك أنه يجب أن يندرك الكفار
 بقبول الإسلام وبالحضوع لله قبل بدء الحرب معهم، حتى
 إذا اذعنوا للانداز دخلوا في حكم الله بكل مزاياه وسقطت
 عنهم الجزية. وهذا ما شرعه الإسلام، لكن أحداً لم يحقق هنا هذا الأمر
 تحقيقاً جدياً؛ فقد أصبح الهدف من الجهاد يوماً جلب المال والغنيمة، لا نشر

عمر يسمى لضم الناس
 إلى الإسلام
 دون حرب

(۳۴) ويقول يحيى بن آدم (۴۳) أنه قد قيل أن علياً قال لدهقان أسلم وهو صاحب أرض
 في عين تمر: «أما حزية رأسك فترمها، وأما أرضك فالمسلمين، فإن شئت فرضنا لك، وإن
 شئت جعلناك قهرماناً لنا، فما أخرج الله عز وجل من شيء أبقتنا به».

العقيدة والایمان . وكره عمر بن عبد العزيز هذا الضرب من الجهاد ، ورمى على العكس الى ضم الامم للاسلام ضمّاً سليماً ، فلا يطلب منهم الجزية . اما الفية فلا يرد ذكره ، لانه لافيه في هذه الحالة .

ويقول البلاذري^(۳۶) ان عمر بن عبد العزيز انذر ملوك بلاد السند بقبول الاسلام ووعدهم بوضع فيه تساوتام ؛ فاسلموا واتخذوا لانفسهم اسما عربية . وعن البلاذري^(۳۷) ان عدداً كبيراً من ملوك ما وراء النهر اسلموا في عهده ،

اسقاط الجزية
عمن يسلم
واسلام الكثيرين

ولم يلزموا بتأدية اية ضريبة . بل دخلوا في العطاء . ويقول الطبري^(۳۸) ان شكوى رفعت اليه بان في جيش ما وراء النهر « عشرين الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ورزق ، ومثلهم قد اسلموا من اهل الذمة يؤخذون بالخراج » . فأمر عمر بان يعطوا حقهم ، واصدر امراً عاماً في الوقت نفسه بان تسقط الجزية عن كل من يقر بالاسلام . وعند ذلك اسرع السغد الى الانتماء الى الامة الحاكمة . ويقول البلاذري^(۳۹) والطبري^(۴۰) ان عمر بن عبد العزيز لم يعد الى السغد عاصمتهم سمرقند ، مع انه اعترف بان العرب لم يستولوا على تلك المدينة الا خلافاً لما يأمر به الدين^(۴۱) . فهو لم يعمد الى اصلاح ما حدث قبل عصره .

(۳۶) فتوح البلدان ۴۴۱

(۳۷) فتوح البلدان ۴۲۶

(۳۸) ۱۳۵۴

(۳۹) فتوح البلدان ۴۲۲

(۴۰) ۱۳۶۴ وما بعدها

(۴۱) ايس الكلام الذي ينسبه ولها وزن الى عمر بن عبد العزيز كما ورد في البلاذري والطبري . فقد اختصر الخبر اختصاراً مخافاً لحقيقته . والحقيقة انه لم يعترف بان العرب استولوا على المدينة خلافاً لاوامر الدين . بل ترك للقاضي ان يفصل في أمر اعادة المدينة اليهم فحكم القاضي بان « يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم ويتأيدوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أوظفراً عنوة . فقال اهل سمرقند بل نرضى بما كان ولا نجد حرباً وراضوا بذلك » : الطبري ۱۳۶۵ .

(المعرب)

ويقول البلاذري (٤٢) ان عمر بن عبد العزيز انذر البربر
انفسهم بان يقبلوا بالاسلام ديناً . واطاعت نداءه فرق
منهم ؛ فاسقط عنهم الجزية التي كانوا يؤدونها ، وكانوا يؤدون
الجزية بتسليم اولاد لهم . اما بناتهم اللواتي سلموهن قبل
ذلك ، فقد قرر ان يخير اسيادهن بين ان يتزوجوهن زواجاً شرعياً ، او
يعيدوهن الى اهلن .

عمر يسقط الجزية عن
البربر ويعيد اليهم بناتهم
اللواتي لم يتزوجن

وتدبير آخر يختلف عن ذلك ، وهو وحيد من نوعه ، اتخذ
في الاندلس كما يقول في صلة ايزيدور (٤٣) بموافقة عمر
وامره لا شك ، لا من قبله نفسه : اتخذه الوالي سمح الذي
عنه على تلك البلاد ، قال في صلة ايزيدور : « مسح مسح
بنفسه الاندلس العليا والسفلى بغية تحديد الضريبة . اما الاموال المنقولة وغير
المنقولة وكل ما حفظه العرب غير مجزء في الاندلس ، فقد وزع قسم منه على
اصحابه بالقرعة ، والقسم الآخر خصص لبيت المال » . (٤٤) واذن فيينا ظل قسم
من الاراضي المفتوحة في ايدي السكان القدماء تابعاً للخراج ، كان هنالك قسم
آخر احتفظ به ، حتى ذلك الحين بعد ان حسم خمسة فوزع بين الجند . اما ما هو
نوع هذا القسم المحتفظ به ، فذلك ليس واضحاً . وقد يكون قطعاً من الاراضي
صودرت كتلك « الصواني » التي كانت في العراق والشام (٤٥) .

عمر يوزع بعض
الاراضي على القاطنين
بالاندلس

(٤٢) فتوح البلدان ٢٣١:٢٢٥

(٤٣) Contin. Isid. Hisp ., par. 186

(٤٤) غيرت تنقيط مومسن Momsen واستبدلت Predia بـ Preda مستنداً

الى مايلي :

Res mobilis = manualia ; res immobilis = predia

(٤٥) انظر الحاشية الساعة رقم ٣٠ . ولم تكن الخمس في اي حال .

وكان عمر بن عبد العزيز مطلق اليد بعض الشيء في الاندلس .
ولا ريب ان الذي حمله على هذا التدبير هو قصده في ان
يتعلق المقاتلة العرب بالاندلس عن طريق امتلاكهم
للارض . وقيل انه اتخذ عمر بن الخطاب مثلاً له فيما عمله بالهند ، فلو لم يعط عمر
ابن الخطاب المحاربين اراضي في الهند ، لكان الدفاع عن هذا القطر مستحيلاً (٤٦) .
وبعد ، فلا علاقة لعمر بن الخطاب بالهند . على انه في وضعه اوسع ترتيب مالي
للغنائم من العقارات ، كان عليه [في نظر من قال ذلك] ان يكون سابقاً ولو
في مضار غير مضاره . اذف الى ذلك انه يجدر بنا ان نشير الى ان الاخبار
القديمة قل ماتؤيد الفكرة الحديثة التي تقول بان العرب لم يسمح لهم في الامصار
بان يمتلكوا اراضي ايا كانت .

غايتة تثبت الفاتحين
في الاندلس

واني اضيف بعض تفاصيل عن تدابير اخرى مالية لعمر
ابن عبد العزيز . وابدأ بما يختص منها بالمسلمين . فمرج فذك
قرب المدينة كان يعتبر حتى ذلك الحين ملكاً للامير ،
لكن عمر بن عبد العزيز تخلى عنه للعلويين اسرة الرسول باعتباره ملكاً خاصاً
بمحمد [عليه السلام] . وبهذا الغى ماقرره الخليفةان الاولان . فظاهر انه
ليس متقيداً بيها حرفياً (٤٧) . ورد ايضاً الى آل طلحة دارهم في مكة ، وكانت
قد اخذت منهم (٤٨) .

عمر برد فذك
ودار طلحة

(٤٦) Dozy , Recherches (1881) ,1,76

(٤٧) فتوح البلدان ٣٠ - ٣٢ . انتهى تعاقب ولها وزن . ويقول المغرب ان
حديث فذك في الصحاح ولاسيما في سنن أبي داود . وهو يدل على ان عمر بن عبدالعزيز سار فيه
سيرة الخليفين الراشدين الأولين ولم يخالفهما .
(٤٨) الطبري ١٤٨٣ وما بعدها

ووضع اخو الحجاج - وكان يحكم في اليمن - ضريبة فيها
علاوة على العشر ، فالغاها عمر بن عبد العزيز^(٤٩) . وكان
يرد العشر من عمان الى بيت مال البصرة ، فاعاد عمر العرف
السابق ، وابقى العشر في البلد يوزع بين فقراءها^(٥٠) . على
أن ذلك لم يكن هو العرف العام في كل الجزيرة العربية ، بل كان يختلف بين
منطقة واخرى حسب الظروف التي انتقلت بها القبائل او المناطق الى الاسلام^(٥١)
ويجب الا نعمم أمر عمر بن عبد العزيز بان يبقى خراج خراسان فيها وان يوزع
بينها^(٥٢) ، فقد كانت له أسباب خاصة .

يبقى بعض الضرائب
والخراج ليصرف
في البلاد نفسها

اما الجراية على المقاومة المسلمين في مدن الجيش والثغور ، فقد
كانت الحكومة تدير في ذلك على هواها ، وكانت تمحو من
الديوان اسماء المعضوب عليهم ، وتدخل غيرهم مكانهم ،
وتزيد وتنقص في العطاء كما ترى . وكان هذا موضع
الشكوى الدائمة ، ذلك ان دخل الفيء الذي تنفق منه جراية الجند هو بحق
الغنيمة ملك لورثة الجيش الفاتح بكامله . ولم ينقطع هؤلاء الورثة عن المطالبة
بأن يؤدي اليهم بكامله دون نقص . ومن الحق علينا الا نثق بما قيل من ان عمر
ابن عبد العزيز استجاب الى رغباتهم ، كما يقال لعمر بن علي بن ابي طالب .
فقد كان عمر بن عبد العزيز يهتم بالا يخطط خطوات غير وثيقة^(٥٣) .

لائقة بما يقال من انه
كان يوزع كل الخراج
على ورثة المقاتلين

(٤٩) فتوح البلدان ٧٣

(٥٠) فتوح البلدان ٧٧ وما بعدها

(٥١) Skizzen, 4, 95

(٥٢) الطبري ١٣٦٦

(٥٣) فتوح البلدان ٢٥٨

غير انه سعى كثيراً ليرضي المطالب من بيت المال ، فوسع في حلقه اولئك الذين يسري عليهم العطاء من العرب اكثر مما كان عليه قبل . وحرر من الضرائب جميع الموالي الخراسانيين الذين كانوا في الجيش واشتركوا في المعارك مع الكفار ، بل ادخلهم في العطاء والرزق . واعلن انه مستعد لمساعد على ذلك من بيت مال الخلافة اذا لم يكف خراج خراسان ، على ان خراج خراسان كان كافياً (٥٤) . ثم انا ينبغي لنا ان نرتاب كثيراً بصحة ما يقال من انه اعتبر كل مسلم جديد انتقل من قريته الى الكوفة او البصرة مهاجراً ، وسواه بورثة الفاتحين من العرب . فان ذلك يصعب تبريره من وجهة نظر الشرع . اما من وجهة النظر العملية فانه ينتج عنه اوجم النتائج . وكان معاوية قد حد من عادة اعطاء الرزق لاولاد المقاتلة واسرهم ، وتبعه في ذلك عبد الملك . وهذا عمر بن عبد العزيز يعيدها الى سابق عهدها (٥٥) .

واعان فقراء المسلمين ايضاً ، لاسيما منهم حجاج مكة اعانته للفقراء والحجاج المعوزين وبعض المرضى ، اعانهم بمبالغ محددة دون ان يقصر الاستفادة منها على الشام كما فعل الوليد ، بل شمل بها العراق وخراسان ، فهو لم يكن يميز بين مصر وآخر (٥٦) .

اما سلوكه مع اصحاب الاديان الاخرى ، فان تيوفان (٥٧) نيوخان يقول انه ارغم المصارى على الاسلام يقص علينا مايلي : « لما حدث زلزال كبير (٥٨) منع عمر الحمر في المدن وارغم النصارى على الاسلام ، فمن اسلم منهم

(٥٤) الطبري ١٣٥٤ (؟)

(٥٥) فتوح البلدان ٤٥٨ وما بعدها: الطبري ١٣٦٧

(٥٦) الطبري ١٣٣٧ : ١٣٦٤ ، ١٣٦٧ ، ١٨٥٢

(٥٧) in A.M. 6210

(٥٨) حدث الزلزال في ١٥ جمادى الاولى ٩٩ اي ٢٢ كانون الاول ٧١٧ . وكان

عمر قد ولى الامر في صفر (تشرين الاول ٧١٧)

أعفاه من الجزية . اما من لم يسلم فقد قتله ، فاكثر من الشهداء . وقرر الا تقبل شهادة النصراني على المسلم . وكتب كتاباً الى الامبراطور ليو ادرج فيه عقيدته أملاً في أن يقنعه بالاسلام .

وفي هذه البيانات مزيج من الحقيقة والتزييف . فصحيح
 ان عمر بن عبد العزيز كان مسلماً متحمساً ، وعلى النصارى
 ان يعرفوا ذلك ، لكنه لم يرغهم على الاسلام حذر الموت (٥٩) ؛
 لانه بذلك يخالف الشرع الراهن ، وهو لم يكن يخالفه فقد كان مسلماً حسن الاسلام .
 وكان مع النصارى على حدود العدل اطلاقاً ، حتى ولو بدا لهم انه على خلاف ذلك .
 وهو قد حماهم ، فحفظ لهم كنائسهم القديمة التي اثبتتها نصوص
 حامية الكنائسهم ؛ غير انه لم يسمح لهم بان يحدثوا كنائس
 جديدة (٦٠) . وكان يريد ان يعيد اليهم كنيسة القديس يوحنا بدمشق (التي كان
 الوليد قد انتزعها منهم دون حق) ، لو قبلوا بالتنازل عن الكنيسة امام الباب
 اي كنيسة توما . « وقال لهم عمر نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما ،
 فانها فتحت عنوة ونبنيها مسجداً . فلما قال لهم ذلك ، قالوا بل ندع لكم هذا الذي
 هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما ، ففعل عمر ذلك » (٦١) . والقانون الذي
 طبقه هنا هو ولا ريب قانون الفقهاء الصوري ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يفعل

(٥٩) يؤكد ديبل (Diehl, Hist. d' Afrique, 1896, 591) انه امر الكاثوليكين في افريقيه بأن يسلموا ، اولافيتروا البلاد . ويحيل في ذلك على Monum. Germ. Epist. , 3267 غير أن البابا غريغوريوس Pope Gregor به ونيفا سيوس Bonifacius على « ألا يأخذ بأية حجة الافريقيين الذين يميلون الى الدين ، اذ تبين مرات عديدة ان من الافريقيين من كانوا مانويين وان منهم من اصبحوا نصارى مومنين » . فهل يكفينا هذا دليلاً على امر عمر . ذلك الامر الذي هو مخالف اطلاقاً لشريعة الاسلام .

(٦٠) الطبري ١٣٧١

(٦١) طبري ١٣٧٥ ، توح البلدان ١٣٥

غير ذلك ، وإلا حاد عن قواعد الاسلام . حتى اذا كانت القضية قضية مال مجرد ، كان قلبه اكثر رحمة وعاطفة . هذا وزادت الضريبة على النصارى في ايله وقبرص بدوران فلك الزمان ، فأعادها الى المبلغ الاصلى (٦٢) .

وكان الرسول [عليه السلام] قد فرض على اهل نجران في

اليمن الفي حلة من القماش سنوياً ، ثمن كل حلة اربعون

درهماً ، وضمن لهم حقهم في ان يبقوا نصارى في ارضهم

ومزارعهم . ونقض عمر بن الخطاب الصلح معتدياً بذلك

اعتداء صارخاً على العدل ، اعتداء قدمت عنه شتى الاعذار (٦٣) . وارغم النصارى

من اهل نجران مع اصحابهم من اليهود على ترك الجزيرة العربية والهجرة الى

العراق او الشام ، واشترى ممتلكاتهم منهم ، او اعطاهم بدلاً عنها في موطنهم الجديد .

وكانوا اتخذوا نزلهم الاساسي في النجرانية قرب الكوفة .

واجبروا على ان يدفعوا ضريبتهم بالمبلغ القديم . وكانت

رئيسهم في النجرانية مسئولاً عن الضريبة ، يلزم بها ايضاً

اقاربهم المقيمين في الشام . ثم وضع عنهم عثمان مائتي حلة ، ووضع معاوية عنهم

مائتين آخرين ، فقد كان عددهم قل بالموت او الاسلام . وانهمم الحجاج

بموالاة ابن الاشعث ، فعاد فزادها مائتي حلة .

« ولما ولي عمر بن عبد العزيز ، شكوا اليه فناءهم ونقصانهم

والحاج الاعراب بالغارة عليهم وتحميلهم ايامهم المؤن المجحفة

بهم » وظهر في الواقع ان عددهم هبط من (٤٠) الف نسمة

عمر بن الخطاب

يخرج اهل نجران

من الجزيرة العربية

الامويون يخفضون جزيتهم

الا الحجاج

عمر بن عبد العزيز يحط

جزيتهم الى العشر

(٦٢) فتوح البلدان ٥٩ : ١٥٤ وما بعدها

(٦٣) اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لاهل نجران « ما لم يحدثوا حدثاً أو

ياكلوا الربا » (سنن أبي داود طبعة مصطفى محمد ١٦٨/٣) « فلما استخلف عمر بن الخطاب اصحابوا

الربا » (فتوح البلدان ٦٦) أفليس من حقه ان ينقض صحبه واين وجه الاعتداد على العدل

(المعرب)

في ذلك ؟

إلى أربعة آلاف . « فقال ارى هذا الصلح جزية على رؤسهم ، وليس هو بصلح عن أراضيهم ؛ وجزية الميت والمسلم ساقطة ، فالزمهم مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم » بدلاً من ألفي حلة ثمنها ثمانون ألفاً ؛ أي أسقطها بمقدار العشر ، وكانت عددهم قد هبط إلى العشر . ولعله رمى بذلك أن يعرضهم بعض التعويض عن الأضرار التي لحقتهم من عمر بن الخطاب (۶۴) .

ووجه عمر بن عبد العزيز عبد الحميد في الكوفة بالكتاب الذي أرسله عدله في توزيع الضرائب والفاء ما اضيف عليها إليه وذكرناه سابقاً إلى أن يعامل الذميين بعدل وحياد ، وألا يجمع الضريبة منهم بعنف ، وألا يفرضها بجد سواء على الأراضي المزروعة وغير المزروعة . وحظر الواجبات الأخرى التي فرضت علاوة على الجزية وكثر عددها مع السنين في أراضي الفرس القديمة ، كالهدايا في عيد النيروز والمهرجان واجور صفار الكتبة ودرهم النكاح وثمان الصحف والآيين أي الجمر ك؛ وقد تكون الآيين بمعنى حق المرور في الطريق (۶۵) كالجمر ك الانجليزي . وما كانت هذه الواجبات التي تصعب مراقبتها والتي آسى واستعمالها تبلغ بيت المال اجمالاً . وكان الغاؤها متعذراً لذلك ، والولاية يريدون أن يقدم الشعب لهم الطاعة برؤوس السنوات الجديدة وغيرها من المناسبات على الأياضي بطاعته فارغ اليدين (۶۶) .

والاعتبارات المالية هي التي حملت عمر بن عبد العزيز على منه خروج لارض من يد الفلاحين حظر بيع ارض الخراج . وكان يأمل أن يمنع انتقال ارض الخراج إلى ملك المسلمين المعفيين من الضريبة من يد الفلاحين لئلا تتحرر معهم ، فتهدد قيمة الضريبة من جراء ذلك . واقام في الوقت نفسه

(۶۲) فتوح البلدان ۶۷ وما بعدها . وانظر الحاشية السابقة

(۶۵) لا يعرف التشريع الاسلامي للضرائب فكرة الواجب الا في الخراج والمشر . لكنه

سعى إلى أن يضع الخراج والمشر على التجار المسافرين انفسهم .

(۶۶) الطبري ۱۶۳۵ وما بعدها

عراقيل امام الفلاحين تمنعهم من ان يبيعوا ارضهم . وحمى الملاك الخاضعين للضريبة من شره الاسياد العرب في امتلاك الاراضي ، ذلك ان الارض لها قيمة في نظر اولئك اكثر مما لها عند هؤلاء الذين لبس عليهم ان يؤدوا الضريبة عنها . ويشابه ذلك في المانية الشمالية الغربية في برونشو ايغ لونبيرغ Braunschweig Lüneburg مثلاً وضع الامراء الذين كانوا الاسباب مالية يمانعون في انتقال اراضي الفلاحين الى ملك النبلاء ، لانها تصبح عندئذ معفية من الضريبة . وهم بذلك انقذوا طبقة الفلاحين عفواً . ولم يفلح عمر كما افلحوا . فالظروف في الشرق كانت مختلفة . فقد كان فيه عدد المزارعين على حد تعبيرنا قليلاً ، فغير العرب من الملاكين كانوا غالباً اصحاب مزارع او قرى (دهاقين) . وكان الفلاحون عبيداً لهم .

۳ . - فكرة عامة عن عمر بن عبد العزيز

مهما كان في الامر من شك ، فان هنالك على كل حال شيئاً واضحاً ، وهو اننا نعرض انفسنا للسخرية ان تصدينا لهذا الخليفة محقرين اعماله كما فعل دوزي ، ففتح الباب لغيره . فقد يكون عمر بن عبد العزيز متأثراً بالدين ، اي بالشرع اكثر مما نرغب . وقد يكون ضميره قاده مرات الى الشك الذي يشل الاعمال . وقد قيل عنه انه انهى خطبة له بقوله « اني الومكم دون ان اشعر باني خير منكم » . وقد اعوزه الشعور التام بسلطانه الشخصي ، ذلك الشعور الذي اثر به جده الاكبر عمر بن الخطاب في العالم . [قد يكون ذلك] ، غير انه لم يكن يهيمه صلاح نفسه وحدها ، بل خير الامة جمعاء . وجعله تقاه يحسن التصرف بواجبات الحكم ، او يعمل باستقامة في المهام العسيرة التي وقعت على عاتقه .

وصحيح ان مهارته لم تكن ترقى اجمالاً الى درجة اخلاصه . ويقدم دليل اول على عدم كفايته السياسية في انه اخل

سياسة المالية

بالوضع المالي . على أنارأينا وضع الامور في هذا الشأن . فلئن لم يضع أية ضريبة على الامم والممالك التي اسلمت ، انه لم يتخل عن اي دخل حكومي ، فلا بد من الدخل للدولة ، انما كانت يضع العقبات امام الغزوات التي كانت تتخذ بغية الغنيمة . ثم إنه أثبت حق بيت المال في الامصار المفتوحة حرباً منذ عهد بعيد ، تلك الامصار التي تقع عليها الضريبة تبعاً لقانون الفتح بالسيف ، كالسواد ومصر . ووقف هبوط دخل الحكومة وتقلص املاك الدولة ، وعمل على تفادي ما اسفر عن اسقاط الجزية عن كل من اسلم من نتائج مالية سيئة . ولم يحدث ضرراً بالغائه سوء استعمال الهدايا الا بالعمال الذين كانوا يتمتعون بها .

وجل ما يمكننا ان نلومه عليه هو انه تطلب من بيت المال

مطالب كثيرة بعض الكثرة : اعانات ومساعدات كان

عده يعوض اطلاقه

اليد في بيت المال

يطلقها ، او كان على اهبة لاطلاقها . لكنه لم ينتفع بمال

الدولة ، ولم يجمع اي شيء لنفسه منه ، ولم يبذره تبذيراً في حملات على

القسطنطينية . وهو في ذلك يختلف كثيراً عن سلفه . وعنى ايضاً بان يمنع عماله

من استخدام عملهم في اثناء انفسهم ، فعوض بذلك مرتين عن الانحطاط المالي

الذي قد يكون نتج من اصلاحياته :

ولسنا محتاجين الى ان نقرر خطأ أم لا ما يقال من ان

بيت المال نفذ في عهده سحر ساحر ، وما يقال من ان

الحالة المالية تحسن

في عهده

مبلغ الضرائب هبط هبوطاً مفاجئاً (٦٧) . فلا ريب ان

ذلك خطأ محض . فقد كانت الشئون المالية في حالة سيئة خلال العهد المضطرب

لعبد الملك والحجاج . اما في عهد عمر بن عبد العزيز فقد تحسنت .

وفضلاً عن ذلك وإيا كان الحال ، فالاهتمام بالضرائب ليس
من ذا الذي يستنكر اصلاحاته كل شيء في الدولة . ومن ذا الذي يجرؤ على ان يستنكر
الغاء عمر بن عبد العزيز لاسترقاق اولاد البربر بدلاً عن
الجزية ، ولتخفيفه حمل اهل نجران ، ولحمائته الرعية من العمال ، ولانه نظر
الى ادارة الامصار على انها اكثر من سبيل مجرد للاستثمار المالي .

ويؤي كريمة ومولر انه كان مأخوذاً بئاليته الخيالية التقية ،
وانه تدخل في شئون المال دون اي حاجة عملية تدفع المستشرقون مخطئون
بنقده في خياليته اليه ، فلبيل اتجاهها الطبيعي ، واخرجها عن الطريق الذي
شرعه لها التطور السابق . ويقولان انه ليست لديه فكرة عن الحالة الراهنة .
[هذا مايقولان] . اما الواقع فهو بخلاف ذلك ، فان ناقديه المحدثين هم الذين
يدركون ادراكاً مخطئاً اوضاع ذلك الزمن . ذلك انهم الفوا انفسهم امام
وضع ملتبس يتطلب التنظيم الجديد [فاخطأوا الادراك] . وعمر بن عبد
العزيز ليس اول من احدث الالتباس في اسلوب الضرائب ، فقد كان ذلك الالتباس
قائماً قبله ، ولا يمكن ان يستمر . والمسألة التي تعرض لها عمر ليست مسألة
خيالية بل حقيقة مستعجلة .

وكان الحجاج اول من تصدى لها بمجد ، ولكنه تصدى لها الحجاج تصدى لحل
الازمة المالية
بشكل غير شكاه بوجه اثار عليه الرأي العام ؛ فتصدى لها عمر بوجه آخر ،
اعتبر فيه رقة العاطفة التي احدثها الاسلام ، او التي اعتمد
عليها على اقل تقدير . بيد ان الحجاج وعمر كانا امام المسألة
ذاتها التي ما فتئت تعرض نفسها ؛ فواجب ضرورة حلها . تلك المسألة التي كان
من نتيجتها ان ارض الخراج كانت تنتقل اكثر فأكثر الى ايدي المالكين
المعفين من الضريبة .

وعلى هذه الصورة يرد أيضاً ماليم به عمر بن عبد العزيز من لمهز عمر قواعد الحكم
انه هد اركان الحكم الاموي ، ذلك انها كانت متداعية قبله

ولم تكن سلبية بادية ذي بدء . وتلك الفقرة من الحكمة الرومانية التي تقول بان كل مملكة لا تثبت إلا بالاسلوب الذي نشأت عليه ، تلك الفقرة التي يعتمد عليها مولر ليوجه حكمه على عمر في مخالفته لتقاليد من سبقه يمكن ان توجه على الامويين انفسهم توجيهاً مساوياً في عدالته .

فحكومتهم لم تستمر قط في طريق مستقيم على سراط
مخالفة بني امية سراط
الرسول والخطر عليهم
الرسول [عليه السلام] واصحابه . فبدلاً من ان تستند
الى الاسلام الذي ما فتئت تدعي انها قامت على اساسه ،
ولم تجسر على نكرانه ، فقد خلعت بذوره بعض الشيء . وكان الامويون في
حالة خطر دائم [يتطلب منهم] ايقاف المقاومة التي كانت تنهض ضدهم باسم الله
والدين ، وكان يتهددهم اكثر مما يتهددهم عداء العراق الذي لا يستكين ، وكان يتقدم من
آن الى آخر بثورات جسام ثور على ظلم اهل الشام المبعوض . على ان اكبر
خطر عليهم انما هي الحركة الاجتماعية التي كانت موجهة على الحكم العربي باجمعه
لا عليهم وحدهم .

ولقد اسس عمر بن الخطاب الدولة الاسلامية على قاعدة
عمر بن الخطاب يميز
بين العرب وغيرهم
الاستيلاء ، يحكم العرب بها من غلبوهم . واسسها على التمييز
بين طبقتين مختلفتين بالدين والقومية ، وهما العرب المسلمون
ومن لم يتبع العرب في دينهم ؛ اي نبلاء المقاتلين العرب والشعب غير العربي من
دافعي الضرائب . لكنه لم يؤسس ذلك على اساس مكين ، لان الجدار الذي
يفصل بين الالسياد والعبيد كان ينقضه قبول هذا الشعب للاسلام قبولاً متزايداً
يوماً بعد يوم ، وقضاؤه على مدن الجيش العربي .

وجعل اقبال البلاد المفتوحة على الاسلام ، وهو نتيجة
طبيعية لا يمكن تجنبها ، جعل اسلوب عمر موضع النظر في
عصر الامويين لا في عصره . وللاخذ بمبادئ حكم الله كان
وحوار تحديد الدين
للموضع السياسي

للدین ان یجدد الوضع السیاسی . والاسلام لا القومیة هو الذی ینسج حقوق
المواطن فی سلطان الله .

وكان الموالي یصرخون علی الابواب طالبین حقوقاً مساویة
لعل عمر بن عبد العزیز
متدین اکثر منه سیاسی
لما للعرب . وكان الاسلام معهم ، وهم یجندون من قبل
ثورة تستند الی الاسلام . وحاول عمر بن عبد العزیز ان
یرضی مطالبهم بصورة رخیصة . ولعل ما كان یجمله علی ذلك دواعی الدین اکثر
من دواعی الحكم ؛ علی ان هاتین الناحیتین لاتتعارضان .

ولیس من الممكن ان یهمل الاسلام ، بل یجب ان یعتقد
لم یعمل خلاف مصلحة
الامویین
به ، فمعاداته تهدد بسقوط حکم بنی امیة . ولا یعمل الاموی
ضد أسرته ، اذا احسن الصلات بالاسلام ، وحاول ان یتجنب
رفض حلفه ، فأزال اسباب الشکوی الحق ، ودعم المطالب التي لا یمکن معاکستها .
وذلك علی ما یدو برنامج عمر بن عبد العزیز .

فقد حاول ان یجد فی الاسلام اساساً مشتركاً للحکم وللقوی
المعادية التي تقارعه . ومن وجهة النظر هذه اتبع سياسة
ایجاد اساس الحكم
فی الاسلام
وارضاؤه أعداء الامویین
فی الاتفاقی والتراضی [مع المسلمین جمعاً] لامع الموالي
وخدمهم ، وحاول أيضاً ان یزیل بنوء شعور الامصار ،
وان یزیل بصفة خاصة من ذهن اهل العراق انهم تحت حکم الشام الغریب . وعنی بكل
المسلمین علی التساوی ، بل رأى ان بوسعهم ان یرضی الخوارج ان تفهم حججهم .
وهو علی اقل تقدیر افلح بأن جعلهم یدعون السیف فی قرابته طيلة حیاته . ولم
یعاقب اصحاب الجرائم السیاسیة مع انه كان شدیداً علی غیرهم . وكان عطوفاً
علی العلویین : اعاد الیهم املاکهم التي صودرت منهم ، كما اعاد الی ورثة طلحة
ملكهم ؛ وابطل من الخطب المنبریة لعن اجدادهم (٦٩) . وبعد ، فلیس یمتنع

(٦٩) اغانی ١٥٣/٨ ؛ الیقوبی ٣٦٦/٢ وشکوک فابل Weil فی الامر لیس لما مبرر .

فحتى بعد موت عمر بن عبد العزیز لم یلعن علی رسمياً (الطبری ١٤٨٢ وما بعدها)

من ذلك انه يؤمن في اعماق قلبه بحقهم في الخلافة، ولا يمكن ان نصدق ذلك (٧٠).
لقد كان مسلماً سلفياً على الطريقة القديمة . والاسلام السلفي لم يكن يعطف في
قراوته منذ اول الامر على حق الشيعة، بل كان قادراً على ان يتلاءم مع السلالة
الاموية التي وضعت يدها على الخلافة بصفة غير شرعية ، لو لم يكن معادياً لها منذ
البداية. وهذا المنصور العباسي يشهد بان حكم عمر بن عبدالعزيز يستحق المديح اجمالاً
وأياً كان، فعمر اموي يتمسك بحق اهل بيته (٧٢).

واليك رأي صاحب صلة ايزيدور (٧٣) عن هذا الخليفة حيث
رأي الاجاب عنه
قال : «لم تكن قوة السلاح مع عمر او عليه، غير انه اظهر
طيبة وصبراً جعل كل الناس ، حتى الاجانب منهم ، يعترفون له الى يوم الناس
هذا بمجد وفضل لم يحظ بمثلهما ملك قط خلال حياته . ومقاصد عمر بن عبد
العزيز في كل الاحوال حسنة ، ولعلها ليست بعيدة عن الحكمة . اما ماورد
لوأتمه ، فمن المستحيل ان نعرفه اذ انه لم يكذبكم إلا سنتين ونصف السنة .

وتوفي وعمره تسعة و ثلاثون عاماً، وذلك يوم الجمعة لاربع
وعشرين او خمس وعشرين خلون من رجب سنة ١٠١
وفاته

(التاسع من شباط ٧٢٠) في خناصرة قرب دمشق . ويقول ابو عبيدة إن
الامويين سموه ، لانهم خشوا ان يستسلم الى الخوارج ، وان يبعد يزيد بن
عبد الملك من ولاية العهد معتبراً اياه غير صالح لها ؛ وكان سليمان قد عين يزيد
هذا ولياً للعهد بعد عمر بن عبد العزيز . لكن قدماء المؤرخين الموثوقين لم
يذكروا شيئاً من هذا ، انماهم يوردون خيبتهم من ان مصلح العالم قد انتزع قبل
اوانه ، وان العهد القديم عاد .

(٧٠) وبحاول صاحب الاغاني ان يجعل من عمر شيعياً متخفياً فيما كتبه عنه . ويقال في
المعنى نفسه ان الخوارج اعتبروه مشاركاً في اعتقادهم ، وهم مخالفون للشيعة كل المخالفة .

(٧٢) الطبري ٣ / ٥٣٤

(٧٣) Par . 38

الفصل السادس

أضر بني مروان

١ - عهد يزيد الثاني

كان يزيد الثاني حفيد يزيد الاول وابن ابنته عاتكة، زوجة
عبد الملك . و كثيراً ما يدعى يزيد الثاني يزيد بن عاتكة
نسبة الى امه المتباهية (١) . وكان يرى نفسه اعلى من غيره
من بني مروان ، ويتبجح بدمه في بني سفيان . وكان على شيء من روح جد
امه الذي سمي باسمه ، وان لم يرث منه رفته ولطفه .

يزيد بن عبد الملك
متباه بسفيانته

وما افضت اليه الخلافة حتى حدث حادث اثر في مجرى
حكمه وفي الزمن الذي بعده . فقد كان على صلة بالحجاج ،
تزوج ابنة اخيه ، فحملت في عهد عمها الحجاج بالوليد الذي
اصبح خليفة يوماً . وسمي اول اولادها الحجاج ، لكنه توفي باكراً . ومن ثم كان
يزيد سيء الرأي في يزيد بن المهلب صاحب الخطوة عند سليمان . ويزيد بن المهلب
قد اساء معاملة آل الحجاج ، فلم يتوقع الخير على يديه حين افضت الخلافة اليه ،
ففر من سجنه الذي حبس فيه لدينه .

يزيد بن المهلب
يخافه على نفسه

(١) كان الناس في ذلك الزمن يفاخرون بالامم ذات المحتد . وكان مسله بن عبد الملك ابن جارية ، ولذلك
لم يكن هناك من قول في ولاية عمه ، مع انه كان جد شجاع ، وقدره جليلا عند بني امية .

وكان فراره على مايقول الواقدي عند وفاة عمر بن عبد
العزيز . على ان ابا مخنف ، وهو اهم اخباري يرجع اليه
الطبري ، يقول انه فر لما سمع بمرضه الشديد . وكان هدفه
فرار ابن الهيثم الى البصرة
البصرة منزل آل مهلب ومنزل قبيلته ازدعمان . وتجنب القيسيين الذين كانوا
يطاردونه والكوفيين الذين اوشكوا ان يقبضوا عليه ، وظهر امام البصرة
مع فئة صغيرة . وفي تلك الاثناء كانت اكثر اخوته وابناء عمه قد اخذوا
وسجنوا في القلعة .

واقبل الامير عدي بن اوطاة في قبائل البصرة امام المدينة
ليمنعه من دخولها . لكن يزيد ما وصل حتى افسحوا له
المجال جميعاً ، وابتعد يزيد من طريقه رئيساً من رؤساء
الدخول اليها دون ممانعة من حشد الشام
الحياة ينتمي الى آل الحجاج ، وقد اوشك ان يرفع يده عليه . واستطاع يزيد
ابن المهلب ان يدخل البلدة دون ممانعة ، وان يستولي على ربه . ومن الواضح
ان الخليفة الجديد لم يكن باديء ذي بدء يتمتع بسعة حسنة . ويلوح ان جند
الشام لم يكونوا متقدمين من حيث العدد سواء في البصرة أم في واسط . ولعل
عمر بن عبد العزيز استدعاهم منها .

وعمد ابن المهلب اول شيء الى المفاوضة مع الامير ، عسى
اليابون منه وغيرهم ان يقنعه باخلاء سبيل المسجونين في القلعة . حتى اذا لم يفلح
اتر مع الوالي لجأ الى القوة . وكان معه اليابون ، اي ازدوربيعة ،
وكانوا متحالفين بالبصرة وخراسان . ومن حبل ولائهم بهدايا جميلة اغدقها عليهم .
ولحقت تميم وقيس بالامير ، وهم منذ عهد سحيق خصوم لليمانيين . وبجمل هذا
الامير عليهم بالمال ، لان ضميره لم يسغ له الجرأة على بيت المال لتقوية شأنه ،
ففترت عزيمتهم عنه .

وتفرقوا في اول اصطدام وقع بين الفريقين . وهرب
الوالي يستلم الامير ، وحوصر في القلعة . وتحصن المهالبة في سجنهم فيها ،

كيلا يتمكن من اذاهم . وسقطت القلعة بعد ايام ، فوقع اسيراً . واستسلم الى مصيره مسروراً ، اذ كان واثقاً من ان انساناً لن ينال بالضرر شعرة من رأسه خوفاً من جند الله في الشام ، أي جند الحكومة .

ووصل عفو الخليفة عن يزيد متأخراً بعد أن انتزع منه

انتزاعاً . وكان ابن المهلب قد اشتط ، فدعا جهاراً باسم

كتاب الله وسنة رسوله لجهاد اهل الشام ، وزعم ان هذا

الجهاد « اعظم ثواباً » من جهاد الترك والديلم . وكان يحدث نفسه في ان يجعل الاسلام في طرفه .

ابن المهلب يهين
جهاد اهل الشام

واذا برجل في البصرة يجرؤ ، فيرفع صوته عالياً ضده ، ألا

وهو الشيخ الحسن البصري صديق عمر بن عبد العزيز . فقد

قال ان هذه الحروب الاهلية ليست لله بل للدنيا ومكاسبها .

فاتهموه بانه صديق لاهل الشام خائن ومنافق . وقالوا

« والله لو ان جاره نزع من خص داره قصبة (ب) لظل يرفع انفه . اينكر علينا

وعلى اهل مصرنا ان نطلب خيرنا وان ننكر مظلمتنا » . ولم يدع الحسن البصري

هذا الكلام يؤثر من نفسه اكثر مما اثر في أرميا في موقف شبيه بهذا ، بل استمر

يشبث اولئك الذين كانوا يصفون اليه كيلا يشتركو مع ابن المهلب . وكان اثره

قوياً عند غير العرب من سكان بعض احياء ظاهر البصرة . غير ان موقفه كان

شاذاً ، فهو قد فصل بين الدين والسياسة في مضمار حكم الله . ولم يكن حزبه ذا

شان ، ولولا ذلك ماتركوه دون حساب شديد .

وانطلق المتدينون ، وفي مقدمتهم قراء البصرة اجمالاً ، يفعل فيهم

طعم ابن المهلب . وتبع هذا من الموالي عدد عظيم ، فازداد

بذلك اتباعه زيادة كبرى ، غير ان مهارتهم الحربية لم تكن

بمقدار عددهم . ولم يبادر الاسلام الى التحالف معهم .

عدد المتعدين كبير
ومهارتهم قليلة

(ب) وكانت العادة ان تعمل بيوت البصرة من العصب .

وسقطت المناطق التي تتبع البصرة ، كالأهواز وفارس
وكرمان ، سقطت في يد ابن المهلب الأخراسان مصره
القديم المحبوب . ذلك ان الأزدي كان يردم فيها بنو تميم .
واشير عليه بان ينزل بفارس التي يمكنه بيسر ان يثبت فيها سلطانه . لكنه لم
يكن يريد ان يدع العراق لأهل الشام المقبلين ، بل كان يود ان يذهب الى
الكوفة قبلهم ان صح له ذلك . وحوالي آخر عام ١٠١ (صيف عام ٧٢٠)
تقدم الى الكوفة عن طريق واسط التي استولى عليها وعن طريق فم النيل .
وفي النقطة التي نصب فيها هذه القناة في الفرات ، نزل في
الولي لا يستطيع بقصر مكان يطلق عليه اسم يكثر استعماله ، وهو العقر (اي
منع الكوفيين من القصر) . وهو قريب من بابل القديمة (٢) . وحاول الأمير
الاتحاق به هناك ان يقطع طريقه الى الكوفة ، وقد عسكر في الطرف
الثاني من النهر قرب النخيلة . غير انه لم يستطع ان يمنع عدداً من الكوفيين غفيراً
ان يلتحقوا بيزيد ، وبينهم يمانيون وربيعةيون بل تميميون ، هم ابناؤ رجال خفقت
بالشهرة اسماؤهم .

(٢) وقعت الموقعة بين بابل وعقر حـبـها يقول الشعر الذي في التنبية ٣٣٢ ، ١ . وهكذا
ما عقر مكانه كباابل في شرقي الفرات . وليس هو عقر كربلاء الذي يجب ان يبحث عنه في غرب الهندية .
وليس من صعوبة الا في وصف الطريق الذي اخذه مسله (في الطبري ١٣٩٥) حيث
قال : « ثم سار حتى نزل العقر . وقبل مسله يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الانبار .
ثم عقد عليها الجسر فعب من قبل قرية يقال لها فارط ، ثم اقبل حتى نزل على يزيد بن
المهلب » . وبما ان الانبار على شرقي الفرات فلا بد ان مسله عبر من هنا اولاً قريباً من
فارط في اتجاه الغرب ، ثم عاد في اتجاه الشرق ، كما فعل قحطبة بعد ذلك . وليس من ذكر
لعبور تاجر ولكن ذكر جسر من عليه أهل الشام واحرقوه بعد مرورهم . ويرى نولدكه
ان العقر هو قصر (Castra) . ولعل ذلك حق ، النيل يصب بين القصر وبابل . ومكان الحصن
في مصب النيل بين العقر وبابل . وتحديد المكان في الطبري ١٣٩٧ مبهم . وتحديد ابن العبري
ليس أوضح .

ولم يمض زمن طويل حتى ظهر مسلمه بن عبد الملك الذي
مسلة يظهر بالقر
قاد مدة طويلة الحملات في اسية الصغرى وارمينية ، ظهر
على المسرح مع الفرقة الاساسية لجند الشام . وتركه يزيد يتقدمه على الفرات .
وعسكر هو بمخيمه قريباً منه دون اكرات .

ثم ان زعيمين من زعماء الفرق ، لهما اثر كبير في الجمهور ،
وهما السبيدع وابو رؤبه ، احتجا عليه لانه حمل على اهل
الشام ، وهم انما هم مسلمون ايضاً ، حمل عليهم في الليل عن
سابق عزم وتصميم ، دون ان يمنحهم فرصة التوبة (٣)
بدعوتهم الى القرآن والسنة . واذعن لهما يزيد ، كما فعل علي قبله بزمن بعيد في صفين ، لكنه
فقد كل ثقة في جيشه ، وعبر عن رغبته المستيئة بصوت عال قائلاً : لوددت ان
لي من بخراسان من قومي الازد بهذه الجماعات التي لا تحصى عدداً .

علي ابن المهلب
ان يمنح جند الشام
فرصة التوبة

وفي يوم الجمعة (السبت) ١٤ صفر ١٠٢ (٢٤ آب ٧٢٠)
افتتح مسلمة الهجوم ، بعد أن احرق الجسر من خلفه . ولم
يثبت أهل العراق في الميدان . وكان بنو تميم الكوفيون اول من

جيش ابن المهلب
يتشتت

(٣) ولعل ظروف الحادثة هي الآتية : لا يقول ابو مخنف ان مسلمه كان مرغماً على عبور
الفرات — انظر الحاشية السابقة . وكان السبيدع خارجياً اصلياً وابو رؤبه مرجئاً . والمرجئة بمخنفون
من حدة الاحزاب السابقة ، ومحاولون التقريب بين الجماعة . وهم يأبون ان يترفوا بالحكم الاموي .
ولكنهم يدعون مسألة « علي او عثمان » الى الله . ويعتقدون ان من يتيمون اماماً مزيفاً قد
يكونون مسلمين صحيحين . هم لا يحتجون الاعلى الخوارج الذين يعتبرون انفسهم وخدمهم
مسلمين والذين يحكمون حكماً مستنداً على الوضع الديني لكل انسان ، يسبقون بذلك حكم
الله . واليك جوهر عقيدة المرجئين وقد ترجمها فان فلوتن ترجمة خاطئة - (Van Vloten)
(163 , 1891 , D.M. 20) وهي : « نختلف نحن المسلمين عن الكفار باننا نعتزف كتابه
واحد ، ونشهد بالاسلام . وقد ضل الخوارج برأيهم المخالف ، مهما كانوا عليه من التقى والاخلاص .
ولا يمكن القول ان الوحي نزل بآية تفصل في الاختلاف الواقع بين علي ومعاوية . كلاهما عبد
الله ، والله يحكم بينهما يوم القيامة على قدر اعمالهما »

ارتد على الاعقاب ، حتى لكأنما انقض الذئب على قطيع من الغنم .
ولم يدهش يزيد . واحتقر نصيحة من نصح له بان يتراجع
ابن المهلب يقتل
وتضرب رقاب جماعته
بالرجال الذين يثق بهم الى واسط ، والطريق ما يزال
مفتوحاً امامه . لكنه اثر البحث عن الموت ، فالفاه في ميدان
المعركة . وقتل معه اثنان من اخوته والسيدع ذو التقى . ووقع في الاسر
مائة او مائتان ، ومعظمهم من الهاربين الى مخيماتهم . وضربت رقاب اكثرهم
بعد ذلك ، وبينهم عدد قليل من بني تميم كانوا يتوقعون الاعتراف لهم بجميل
انجازهم وتيسيرهم النصر لأهل الشام بذلك . هذا ، وقتل احد اولاد يزيد بواسط
الامير عدي بن اوطاة مع ثلاثين من اهل البصرة من الطرف المناويء
كانوا في يده .

وتشتت جمهور الهاربين في كل حدب وصوب . وطورد
المهالبة بصطادون
فيهمدمون
المهالبة دون غيرهم ، فكانوا يصطادون صيداً . واجتمعوا
في البصرة اولاً ، ومعهم بعض وجوه البانيين بالكوفة من
ابناء الاشعث ومالك الاشر . ومن البصرة اخذوا سفناً انتقلوا بها الى ساحل
كرمان . وساروا من هناك الى ملجأهم وجدوه في قنديل الهند . غير انهم
اخفقوا في الفوز بالامان هناك ايضاً . وسقط رجالهم القادرون على الحرب تحت
سيف المطاردين جميعاً الا اثنين منهم .

وارسلت رؤوسهم الى الشام بعد ان حزت ، فعرضت في
جراح الحكمي يفتدي
نساءهم من الرق
حلب . واخذ الى الخليفة احد عشر فتى من الاسرى ،
فضربت رقابهم . اما سائر الاسرى من نساء واطفال ، فقد
عرضوا للبيع في البصرة خلافاً للعرف الاسلامي . لكن جراح بن عبد الله الحكمي ،
وهو واحد من كبار شجعان الامراء الامويين المخلصين لدولتهم افتداهم ، وقد

شعر بواجبات اللياقة ، وصودرت طبعاً املاك الاسرة (٤) .
واعطي العراق اولاً للمنتصر في معركة العقراء اي مسلمة
مسلمة يزل عن العراق
ابن عبد الملك ، فعين موظفين جدداً في الكوفة والبصرة
وخراسان . ولكنه ما عزم ان عزل ، فهو لم يرسل الى دمشق فائض بيت مال
المصر (٥) .

وحل محله اميراً على العراق والشرق عمر بن هبيرة الفزاري
من قنسرين . وكان ولي الجزيرة في عهد عمر بن عبد العزيز ؛
ابن هبيرة قيسي
بحكم بنزعة قيسية
وهو قيسي صرف . وكان حكمه متمشياً مع نزعته هذه .
وقاسى ازد واهل اليمن اجمالاً الويل والثبور من حكمه ، لاسيما في خراسان .
فقد احتقروا واذلوا . اما من كان هوام منهم مع المهالبة او اتهموا بان هوام
معهم ، فقد عذبوا واسيئت معاملتهم . وانتصرت قيس ، ولم يعودوا يشعرون
في الشرق كله الا انهم اسياد . وبالرغم من انهم كانوا يكيّد بعضهم لبعض
حيناً ، فقد كانوا يداً واحدة على القبائل الاخرى قلباً وقلماً (٥ ب) .

وفي الطبري (٦) قصة عن ذلك تلقى نوراً في هذا الموضوع ،
قصة ابن هبيرة والحارثي
ولو انها ليست حرة بالثقة التامة . فهذا امير خراسان
سعيد بن عمرو الحارثي القيسي يعاقب قيسياً آخر اسمه معقل بن عروة في هراة ،
رأى انه ليس ملزماً بالطاعة له ، بل لابن هبيرة مباشرة ، لانه عين على هراة من
قبل ابن هبيرة لا من قبله . وايد ابن هبيرة معقلاً على الحارثي ، واسلمه الى انتقامه

(٤) انظر ابيات جرير في ابي الفداء طبعة رابسكي Reiske , 207 . adn وهي
ليست في الطبعة المصرية لعام ١٣١٣
(٥) حتى ان عبد العزيز بن مروان في مصر لم يرسل فائض بيت المال ولم يلزم بارسائه .
وقد يكون مسلمة تمتع حين عين بنفس المزايا مكافأة له على انتصاره .
(٥ ب) وهذا الفرزدق ، وهو لا ينتمي الى اليمن بل الى مضر ، يقول ساخرأ ان آخر
ما بقي هو ان يحكم العراق رجل من أشجع . وكانت فزارة رأس غطفان القيسية واشجع ذنبا .
(٦) ١٤٥٣ وما بعدها

ليعذبه عذاب الموت . ثم ان ابن هبيرة « امسى ففسر فقال : من سيد قيس؟ قالوا
الامير ، قال : دعوا هذا ، سيد قيس الكوثري بن زفر : لو توجه بليل لوافاه
عشرون الفاً لا يقولون لماذا دعوتنا ولا يسألونه (٧) ... واما خير قيس لها ، فعسى ان
اكونه . انه لم يعرض الى امر اري اني اقدر فيه على منفعة وخير الاجر وانه اليهم »
« وهذا الحمار الذي في الحبس قد امرت بقتله فارسها » فقال له اعرابي من بني فزارة:
ما انت كما تقول ، لو كنت كذلك ما امرت بقتل فارسها ، فارسل الى معقل ان كف
عما كنت امرتك به . ودار الزمن دورته ، واذا بابن هبيرة يضطر الى الفرار
من خالد القسري ، فيرسل اليه عدوه الحرشي ليطارده . فلما وضع الحرشي يده
عليه في سفينة سألته : « ما ظنك بي قال : ظني بك انك لا تدفع رجلاً من قومك
الى رجل من قريش ، قال هو ذاك فالنجاة » .

وكان لروح الحجاج سلطان بعد موته ، ما كان له ان
يفخر به فخراً كبيراً . فخصومة قيس واليمن التي اججتها
عداوته لابن الاشعث وابن المهلب ازدادت سوءاً بعد
موته . وسبب هذا السوء تحزب الخلفاء . ولا يهمننا الى اي طرف تحزبوا .

الحجاج سبب تأجيج
خصومة قيس واليمن

وبعد ان التأم في عهد عمر بن عبد العزيز الجرح الذي فتحه
سليمان ، عاد يزيد الثاني ففتحته باتجاه معاكس . وتأثر يزيد
بالحجاج ، فلم يثق بالمهالبة ، وغذى حقه عليهم . ولحذره
من طموحهم في شرق الدولة ما يبرره ، فقد سبوا بعضيائهم انفسهم انفجار حقه .
غير ان القضاء على جميع افراد اسرتهم القوية البارزة ، مما
لم يسمع بمثله قبل ذلك في تاريخ بني امية ، كان كإعلان
الحرب على اليمن عامة . ونتج من ذلك ان الحكومة

يزيد الثاني يتخوف
من طمع المهالبة

فتكهم بهم اعلان
حرب على اليمنيين

(٧) يوصف زمر بن الحارث سيد قيس في الجزيرة في كل مكان بأنه رجل ذليل كبير وانه فوق
كل طموح سياسي . وقد ورت اشياء هذيل وكوثر الاحترام الذي كان يدان له به وكان الحبيبة
يجلبها ، انظر الطبري ١٣٠٠ : ١٣٦٠ وما بعدها ؛ الاغانى ٤٢/١٦ ؛ ديوان القطامي الذي
نشره بارث Barth

تدنت ، فاصبحت كحزب قيسي على الحكم . واللوم انما يقع في ذلك على الخليفة ،
فقد منح ابن هبيرة السلطان ، وتركه يفعل ما يشاء في ميدانه الواسع .

وكان الدافع للخليفة ولا ريب فكرة التآمر وحدها . ولم

يكن رجل دولة ، فلم يقدر الاثر السياسي ذا المدى البعيد

الذي ينتج عن اسلوب عمله . ولم تكن حظوة قيس لديه في

الشام اكثر من حظوة قضاة عنده . فقضاة كانت نواة الجيش المنتصر في العقرة .

واحد بني كلب هو الذي اسقط يزيد بن المهلب ، وهو يهاجم مسلمة . والكليبيون

هم الذين طاردوا المهالبة الفارين ، وصفوا الحساب معهم .

وابتعد يزيد الثاني ابتعاداً شديداً عن سياسة سلفه في

المراضاة . ويقول ابن الاثير^(٨) انه ابطل كل تدبير في

الدولة لعمر بن عبد العزيز لم يرق له . وما افضت اليه

الخلافة حتى عين عمالاً جدداً في المدينة وافريقية ، دون ان يضع خطة عامة

منهجية في التغيير . ووضع الجزية على السفند الذين اسلموا ، وقد وعدوا

بان يعفوا منها . وعامل واليه يزيد بن ابي مسلم البربر معاملة شبيهة بذلك ،

لكنهم قتلوه ، واعادوا سلفه ، وابلغوا الخليفة ذلك^(٩) كما يجب . فاعلن

انه موافق .

وكان يؤثر ان يترك المسائل تجري على ان يأمر باجرائها ،

فقد كان ضعيفاً لا يبالي . ولم يخالف عمر لسياسة او نية

نواها . ويقال انه كان اذا حصل على قدوة حسنة ، اتخذها

كلب احظى لديه
من قضاة

ابطاء سياسة
عمر بن عبد العزيز

تركه السفينه تجري
على اعتها

(٨) ٥٠/٥

(٩) الطبري ١٤٣٥/٢ . ويقول البلاذري في فتوح البلدان ٢٣١ ان الذي قتل الوالي

هو حراسه من البربر لانه نقش على يد كل منهم « حرسى »

انموذجاً له (١٠) . غير ان انموذجه كان من طبيعته تخالف عمر بن عبد العزيز. ولم يكن اساس ميده الجذ والتكشف ، بل خفة الارستقراطيين ، وكان فارساً اكثر منه ادارياً .

وسلم الامصار الى عماله ، وعكف على هواه الجامع دون سلامة وحيابة تمه كمان منه عمله . وعاد ذكر المتشردين في عصره ، وكان عمر قد اخفت اصواتهم . ولم يكن يهتم كثيراً بعز العرش الذي هو عليه ، بل لم يكثر بان يدعى انه مهم به . ولعبت غانبتان هما سلامة وحيابة دوراً عظيماً في بلاطه . فمن اراد شيئاً منه ، وجب عليه ان يلجأ اليها . حتى ليقال ان ابن هبيرة بلغ ما بلغه عن طريقها (١١) . وخرج يزيد عن طوره حين ماتت حيابة ، حتى طلب اليه مسلمة بالآيبدو امام الملأ في تلك الحالة المنكرة . وها هو ذا يموت بعد سبعة ايام ، فيعتقد الناس انه مات حزناً لفقدان غانبته المحبوبة. وكان ذا خيال وشاعرية ، محباً للشعور والموسيقى . وهو في ذلك على طرفي نقيض مع سليمان . ويروي لنا تيوفان ان عمر بن عبد العزيز كان يرجو ان ما قيد عن تمزيقه الصور يتمكن من حمل الامبراطور على الاسلام . ثم يقول ان يزيد الثاني احضر يهودياً من اللاذقية ، فتنبأ له بانه سيقى على العرش اربعين عاماً ، ان نزع الصور من الكنائس المسيحية في مملكته ، فتأثر بذلك . وكتب منشوراً بنزع الصور المقدسة ، لكن هذا المنشور لم ينفذ ، فقد توفي بعده بقليل من الزمن . ولم يبلغ خبر ذلك سمع الحلقات الخارجية قط . وكان للامبراطور ليو نصيب في الزندقة . والذي هداه سبيلها نصراني عربي اسمه بشر كان قد اسلم . وهو اسير حرب من الشام ، لم يتخل عن اسلامه بعد اطلاق سراحه . [هذا مايقوله تيوفان] .

(١٠) الاغاني ١٣/١٥٧

(١١) ابن الاثير ٥/٧٥ وما بعدها ؛ الاغاني ١٣/١٥٧

وتقوم شكوك ذات قيمة امام المنشور الشيطاني للخليفة
النبوة عنه لا تتحقق
الذي لم يعرفه إلا عدد من الناس قليل على ما يقال . ونجد
في الطبري خبراً يقول ان يهودياً تنبأ له بانه سيملك اربعين عاماً ، غير ان النبوة
لم تتحقق . فقد حكم يزيد الثاني اربع سنوات وتوفي يوم الاربعاء لاربعة وعشرين خلت
من شعبان عام ١٠٥ (٢٦ كانون الثاني ٧٢٤) في اربد من ارض البلقاء (بشرقي
الاردن) . وتختلف الروايات عن عمره فتجعله يتراوح بين ٣٣ و ٤٤ عاماً .

٢ - العراق في عهد هشام

وكان يزيد قد عهد بولاية العهد لاخيه هشام ، ومن بعده
ولادة العهد
لولده الوليد . ويشرح صاحب صلة ايزيدو ذلك قائلاً :
«الواقع ان تلك هي القاعدة التي جرى عليها العرب دوماً ؛ فالخليفة يمنح ولاية العهد
لقبهم بولاية العهد ، إذ لا وراثة في الحكم ، حتى اذا مات اخذوا عنان الحكم دون
ان يثيروا من الامر مالا تحمد عقباه » . وتدير ولاية العهد بالوصية امر مد هش
دون ادنى ريب .

وسمي هشام بن عبد الملك باسم جده لأمه ، هشام بن
اسماعيل الخزومي . وكان اخوته من امه مقربين عنده .
وتلقى امارة الحكم - اي الخاتم والقضيب - في الرصافة (١٢)
وهي محلة رومانية في حدود بادية الشام غير بعيد عن الرقة ، وكان قد جددتها
وأثر ان تكون مقره حتى في خلافته نفسها . فقد كان يرى ان دمشق غير
صحية . وبويع في العاصمة . ولم يكن يشبه اخاه المتوفي كثيراً ، فقد كان حذراً
وشريفاً . وكان قبل كل شيء رجل عمل صرفاً . غير انه يختلف ايضاً عن عمر
ابن عبد العزيز ، فقد كان لا يرى فيه مثلاً أعلى .

(١٢) كما يقول الطبري ١٤٦٣ ، ١٦ مع ان ذلك كان في حمص

خالق القسري مكان
ابن هيرة

واول اعماله انه هدم حكم القيسيين المهين في الشرق ،
فغزل عمر بن هيرة ، واقام مكانه خالد بن عبد الله القسري
في شوال عام ۱۰۵ (آذار ۷۲۴) . وهكذا تم للعراق
حاكم يشبه بعض الشيء زياداً والحجاج . وشخصية خالد تسلفت اهتمامنا اكثر
من شخصية الخليفة نفسه ، وان كنا نسمع عن سقوطه وما اسفر ذلك السقوط
من نتائج سيئة اكثر مما نسمع عن نشاطه في الحكم .

كان خالد مهد
مكة للحجاج

وكان خالد القسري قد ابتداء عمله في عهد الحجاج . وبشارة
منه ذهب الى مكة في عام ۹۱ ليمنع المجرمين السياسيين
العراقيين من ان يجدوا ملجأ لهم هناك ، فقام بهذه المهمة ،
وذلك بان جعل اصحاب المنازل مسئولين عن ساكني بيوتهم . ومكة مدينة
له بقناة ماء جلبت له مقداراً قليلاً من الاعتراف بالجليل كالمقدار الذي جلبته
في الازمنة القديمة قناة اقامها بالقدس بيلاط (Pilate) . ثم ان سليمان عزله باعتباره
صنيعة للحجاج .

خالق معمر
لا محارب

ولم يسند اليه عمل الا في عهد هشام الذي فضله ، فعهد اليه
باهم مكان في الدولة . واقام في واسط الحجاج ، وانكب
على الاعمال السلمية . ويلوح انه لطيف الطبع ، ولو انه
لا يعوزه الحزم^(۱۳) . ولم يكن يعتبر رجل حرب ، بل كان الناس يرون فيه الجبن .
وكرهوه لانه طلب كأس ماء رهبة عندما اخبر ، وهو على المنبر ، بخروج نفر من الشيعة في

(۱۳) ويعتمد قابل 1,620 . Weil على الطبري . فيؤكد ان خالد تقاسى مع سلفه
وقته بأخرة . لكن طيبة لندن من الطبري لا تحوي ذكراً لذلك . بل تقول ان ابن
هيرة فر من مطاردة خالد ، ثم سقط في بلدته قنسرين بيد الخليفة . فأمرهنا بأن يجلد مائة جلدة .
ثم نضايق الخليفة بعد ذلك من ان يزيد بن عبد الله بن هيرة لم يقبل ان يتزوج ابنته .
وهكذا عامل خالد بعض الثوار بلطف فلم يقض عليهم الا بعد ان تلقى « امر عزيزة لا يستطيع
دفعه » (الطبري ۱۶۲۸) . وحق انه زعم انه اذن للشاعر الكعبت بأن يهرب فلا يقم في
تنور من النار .

الكوفة ، عددهم لا يتجاوز الثمانية من الايرانيين كما ظهر بعد ذلك . ولم يكن لديه بالواقع من مناسبات عديدة يشهرها سيفه . وفي آخر ايام ولايته حدث عدد قليل من ثورات الشيعة والخوارج ، وامتدت منها واحدة فقط امتداداً كبيراً^(١٤) . لكن العراق في الجملة تمتع في عهده بسلام دام زمنياً طويلاً ، فازدهر من الناحية الاقتصادية^(١٥) . وبالرغم من ذلك لم يكن محبوباً ، بل مكروهاً . وفي كتاب الاغانى^(١٦) مجموعة من الاخبار السيئة جمعت ضده . ونجد منها في الطبري نفسه عدداً عديداً .

واسرة قسر التي ينتمي اليها خالد هي فرع من بجيلة
حطمتها في العصر الجاهلي خلافتها الداخلية الشديدة ، فتردت
في النسيان . ولم تستعد في الاسلام من مكانتها الا بعض
الشيء ، ولم يكن لخالد سند عائلي يستند اليه ، ولا قبيلة
ذات شأن ونفوذ يعتمد عليها . ولئن كان في هذا سوء عليه ، فقد يكون من
جهة اخرى خيراً له في متابعة عمله الا تنتمي بجيلة الى احدى القبيلتين مضر واليمن .
ولم يلزمه نسبة بموقف محدد في اختلافات الزمرتين القبليتين .

لا عصبية
يعتمد عليها
وتوجهه

(١٤) والايرونون الثمانية الذين قيل بأنهم جعلوا خالداً بطال الماءهم من يسمون بالوصفاء وفي الكوفة زمن الميرمه يدعون (السحرة) وبيان . وقد يكونون من دعاة بني العباس . وكذلك يبدو ان الوزير السخنياني (انظر يحيى بن آدم ، ٣٤ ، ١٨) الذي جعل الكوفة مصابته غير امينة مولى ايراني ينتسب للشيمة . وكذلك بهاول والصحاري كانا من الخوارج وهاجم الصحاري وهو ابن شيب المشهور قرية ممالك لخالد مع ثلاثين بكرياً من حبول على الدجلة . وقام بهاول بن بشر بمصيان اخطر في الموصل وغاب مرتين فرقه ارسلت اليه لكنه غاب في موقعة كحيل وحكاية هذه التورات في الطبري عن أبي عبيدة .

(١٥) الطبري ١٧٧٨ ، ١٣ وما بعده

(١٦) ٥٢/١٩ وما بعدها

على ان قيساً كان عليها بالطبع ان تنظر اليه نظر العدو ،
اذ ارسل اليها ليحل محل ابن هبيرة صاحب نعمتها ، وليبعد
سلطانها . والظاهر ايضاً ان سائر مضر لم تتلقاه بالترحيب
ايضاً ، واضطر احد وجوه بني تميم في البصرة ، وكان معارضاً لولايته فيها (وهو
احد بني ابي مرسى الاشعري) ، اضطر الى ان يدفع حياته ثمناً لمعارضته .
ومع ان خالد اورد البصرة وهو ينوي ان يكون على
الحياض ، فقد اجتذبه التيار الحزبي ، وقادته عداوة مضر
الى جانب اليمن ، ان خيراً فخييراً وان شراً فشراً ، ويظهر
في الاخبار منذ البداية يمانياً متجسماً بوجهه الحقد والريبه في مضر ، ومنهم
قريش وذوو المكاة منها . فيروى انه اطلق العنان لهذا الشعور مفاخرأ
بانه بجيلي ، وهذا في الواقع غلو منه .

مضر لا تتلقاه

بالترحاب

الاخبار تثبت

يمانياً متجسماً

ولا ينبغي مقارنته في هذا الامر بيزيد بن المهلب زعيم
الازد دون منازع ، فأهل اليمن لم يؤيدوا خالداً ولم
يهتفوا له الا بعد عزله ، بل بعد وفاته ، ولم يتخذوه
حجة للعصيان انذاك دون موافقته وخلافاً لارادته ، اما هو ، فقد كان يرى واضح
الرأي انه من اتباع بني امية (١٧) ، وهو يشعر انه خادمهم ، لا زعيم قبيلتهم او حزبهم .
وقد قدم الدليل على اخلاصه لدولتهم حين نصح هشاماً بان لا يتجاوز وصية
يزيد الثاني ، فيحرم ابنه من ولاية العهد ، فهو ليس له الا ان يعرف بوضوح
ما ينتظره من ابن يزيد ، بل انه بعد سقوطه احتفظ بولائه الشريف لبني امية ،
فلمع هذا الولاء لمعاناً شديداً .

هو موال لبني

امية اولاً

وجلب خالد لنفسه الى جانب عداوة قيس عداوة الاسلام
فان امه كانت وظلت نصرانية. واقام لها كنيسة في الكوفة،
وسوغ النصارى في الاجمال ان يبنوا كنائس جديدة (١٨).

حظوة غير
المسلمين عنده

وتسامح مع اليهود ايضاً، واتخذ في اعماله عدداً من كتاب الخراج والادارة من المجوس.
واخذ عليه بهلول الخارجي انه هدم المساجد وبنى البيع والكنائس، واذن
للمجوس بان يتولوا رقاب المسلمين، وللنصارى واليهود بان يتخذوا زوجات لهم
من المسلمات. وشاعت اشاعات منكرة ضده، فقيل انه إن لم يكن بالواقع من رقيق
هجر، فهو من اصل يهودي، وانه نشأ بين اصحاب مستهترين في المدينة، فكان
قواداً عند الشاعر المستهتر عمر بن ابي ربيعة، وانه زنديق كافر خليع.

وقيل انه في مكة سمي بثرز مزم الذي جعله يتدفق بمسناة اقامها

له، سماه خضماً مالحاً موبوءاً، وتلفظ باهانات شبيهة عن

ما قيل عن عدم احترامه
للقدسات

الكعبة، والرسول [عليه السلام] وبيته، بل عن كتاب

الله نفسه. اما الملاحظة الموجهة ضد غفلة المتزهدين وانه لا يوجد رجل حساس
يحفظ القرآن، فهو حري جداً بأن يكون قد وجهها. ويظهر انه كان شاعراً
بتفوقه العقلي، فما كان يرد لسانه الذي لا ينفك جاحماً. وهكذا صدرت عنه
اهانات خليقة بأن تستعمل ضده.

وعرض نفسه ايضاً لماخذ ثانية. فقد كان معروفاً بتحمسه

لزراعة الارض. فاثار بذلك منافسة هشام. وها هو ذا

اعمال الري تنبه
فيئد المال

يكمل ما بدأ به الحجاج. ويدير اعمال الري في منطقة

واسط في مستنقعات الدجلة السفلى المهندس نفسه الذي خدم الحجاج، اي حسان
النبطي. لكن خالداً عمل في هذا الشأن اكثر مما يقتضيه صالحه. ففي تجفيفه
للمستنقعات كسب مساحة واسعة جداً وخصبة. ويعد الطبري مزارعه

(١٨) وفي الحيرة وهي بلدة النصارى القريبة من الكوفة وقف النصارى ضده عند سقوطه

موقفاً متحمساً (الطبري ١٦٥٣)

الاساسية باسمائها (١٩) . ودرت غلتها عليه دخلاً هائلاً . ولم يكن في حاجة الى المال ، فبالغ في الكرم ، لاسباب مع خدمه ومخلصيه الذين اوثقهم بوثاق كرمه . وكان يجب ان يظهر بمظهر السيد الكبير ؛ لكن مائدته لم تكن ترضي ضيوفه في شرهمم الذي لم يكن يتحملة (٢٠) .

وبديهي ان الشعب كان يضح من ذلك . وكان على الاجمال
متضايقاً من انشاء الاقنية ، اعني من اشغال اصحاب الحظوة
للك المساحات الكبيرة من الاراضي البكر التي يملكون وسائل
زراعتها ويسمح لهم بذلك . وكان امراء البيت الحاكم عامة وهشام نفسه خاصة يراقبون ذلك العمل ويتبعونه . غير ان الشعب لم يكن يستطيع بيسر ان يشكو من خالد . وكان ملازماً بقبول ولايته التي كانت ممقوتة اياها . وليس بإمكانه ان يوجه الاتهام اليه بكلام صريح فيتهمه بانه يستغل وظيفته لمنفعته الشخصية ، فقد كان ذلك هو العرف السائد ما دامت الملكية الشخصية محترمة ، وما دام الفائض من الضرائب يرسل الى دمشق بمقدار كاف . لكن الشعب اخذ عليه انه اجل بيع محصوله ، فارتفعت اسعاره من ذلك . وكان يرى ايضاً ان المبالغ التي يبددها خالد لا تأتي من مزارعه وحدها ، بل انه كان يبذل مبالغ كبيرة من بيت المال . وكان غناه يثير الحسد ، واسلوبه في كسب الاصدقاء بواسطة الثروة يزيد في عدد اعدائه .

بنو امية متضايقون
من غناه

الشعب يأخذ عليه
تلاعبه بالاسعار

وبالرغم من ذلك فقد ظل قريباً من خمسة عشر عاماً على العراق ، اي اكثر من اي عامل آخر باستثناء الحجاج وحده . وينبغي لنا ان نضع في كفة الخليفة انه احتفظ به

القرشيون يتآمرون
به

تلك المدة الطويلة . على انه اذعن اخيراً لضغط اعدائه . وتكفل القرشيون والامويون البارزون الذين اصابتهم اهانة خالد مع القيسيين ضده (٢١) . واجتذب حسان النبطي الى مؤامرة ضده ، وكان يعرف اخباره اكثر من كل الناس .

ولا ريب ان هشاماً لم يعتبره بالفعل متهماً سياسياً ، لكنه

هشام بنارمه

شعر بضرب من ضروب الغيرة منه . ولعله نظر اليه على

انه منافس له في اعماله . واشماز من وضعه المتبجح ومن الملاحظات الحالية من الاحترام التي نقل اليه انه كان يوردها عنه نفسه .

وهكذا اعتزم ان يعزله وان يجعل خلفه قيسياً من اقارب

كنهان عزله

الحجاج ، هو يوسف بن عمر الثقفي ، الذي ولي اليمن

سنين عديدة . وكانت العادة انه عندما يتخذ تدبير من هذا النوع يفاجيء من

يعزل بعزله على حين غرة ، فلا يرد مسامعه عنه شيئاً الا بعد ان يظهر خلفه

مطالباً اياه بالحساب ، فلا يصح له من الوقت ما يستعد به . على ان الكتمان

الذي احاط به هشام هذا الامر كان فائقاً للحد .

وهناك قصة شيقة عن ذلك يذكرها الطبري (٢٢) . ومؤداها

يوسف الثقفي

ان يوسف بن عمر ظهر فجأة في الكوفة في جمادى الاولى

يستولي على الولاية

عام ١٢٠ (ايار ٧٣٨) مع عدد من الاتباع ، واذا بنصاري

الحيرة ورجال ثقيف وغيرهم من المضربين الكوفيين يضعون انفسهم تحت تصرفه

فلا يقاومه انسان . وكان خالد في واسط ، فاسلم نفسه بهدوء وسجن . وكان

سجنه في الكوفة . واتخذ يوسف الحيرة مقراً له لا واسط . والظاهر ان المدينة

النصرانية الصغيرة كانت اكثر ملائمة للحامية من البلدة المسلمة العامرة بالسكان

المجاورة للكوفة .

(٢١) الطبري ١٦٤٢ : ١٦٥٥ وما بعدها

(٢٢) ١٦٤٠ وما بعدها

وكان هشام قد حذر بدقة على يوسف ان يجعل جنود الشام مع اهل الكوفة . وبقي خالد واولاده في السجن ثمانية عشر شهراً . ولم ينس احد اليمانيين بنت شفة في سبيله ، الا عبساً من قيس عبر عن عطفه عليه شعراً (٢٣) . وطلب من خالد أن يقدم حساباً عن بيت المال ، اي ان يعترف بتبديده مبلغاً ضخماً من المال ، وان يبادر الى تأديته . وكانت الوسيلة لجمه على ذلك العقابين . غير ان هشاماً لم يأذن باستعمالها الا بعد ضغط طويل وبشروط ، فقد هدد المعذب نفسه بالموت اذا هلكت ضحيته حين التعذيب ، واتخذ لذلك خاصة حرساً يحضرون عملية التعذيب .

سجن خالد
وتعذيبه

وفي شوال عام ١٢١ (ايلول ٧٣٩) أمر باخلاء سبيل سبيه لرؤية هشام السجن ، اذ ليس من شيء يؤخذ منه . ثم ان خالد أسمى الى ان يرى هشاماً في الرصافة ، لكن هذا لم يقبل مثوله بين يديه ، واضطر خالد الى ان يقنع باللجوء الى الكتابة الى الأبرش الكلي اقرب مستشاري الخليفة . وفي صفر ١٢٢ (كانون الثاني ٧٤٠) شخص الى دمشق ، فاقام فيها .

ولم ينقطع يوسف بن عمر عن مطاردة الفريسة التي افلتت من بين يديه ، وتمكن بأخرة من ان يحمل الخليفة الممانع على ان يأمر بتسليم يزيد بن خالد اليه ، غير ان يزيد افلت من السجن فاراً .

يوسف انتقمي بلا حقه

وتوافق كلثوم بن عياض القسري صاحب شرطة دمشق بعمله مع يوسف ، ولو انه لم يكن بينها تقام في هذا الشأن . وكان كلثوم ابن عم خالد ، لكن عليه بحكم عمله ان يراقبه . ولعله ، متجرداً مخلصاً متحمساً لوظيفته ، ارتاب في ان خالد صلة بالحريق الكبير الذي اتى على بعض احياء دمشق فحوّلها رماداً (٢٤) . وكان ذلك

لاصلة لخالد
بحريق دمشق

(٢٣) الطبري ١٨١٦

(٢٤) ويذكر توفان هذا الأمر (AM 6232) ولا بد انه أحدث بعض الاضطراب

وهما في حملة باسية الصفري في صيف عام ١٢٢ (٧٤٠). واصفى هشام الى كلثوم مقدراً انه غير قمين باساءة النية نحو قريبه ، فوقف جميع اتباع خالد . بيد انه سرعان ماظهر جلياً ان خالداً لم يكن على صلة بمضرمي الحريقة ، وان كانوا ولا شك عراقيين .

حتى اذا عاد خالد الى بيته خرج عن طوره ، فاطلق انفجار خالد بالغضب العنان للسانه الخوان ، ثم اضاف قائلاً : لتنقل اقواله بصيغتها الى من هي موجهة اليه . وانفجر ايضاً بمناسبة اخرى في عاصفة من العاطفة ، وذلك عندما طلبه هشام بواسطة الابرش ليستجوب عما نسب اليه من انه قال امام حفل من الناس مدحياً متملقاً هو سباب لا ريب فيه . وضرب انذاك عرض الحائط بكل احترام لمليكه . وتلقى هذا المليك الاهانة بكل هدوء ، على انه لاحظ ان خالداً خرج عن حده ، ولم يعد يعرف مايقول .

وما دفع هشام دفعاً مستمراً الى تلك التدايير الكريهة ضد خادمه هشام يتركه آمناً القديم الذي لا يشك في اخلاصه الا كارهاً . ثم كانت تعرض له ظروف متوالية يندم عليها فيها . وبما يشرفه ان يشعر بالحجل ، والايجد غضاضة في غضب خالد ، بل يعترف بان ذلك دليل على نقاوة ضميره . وهذا هو يتركه في السنين الاخيرة من حكمه آمناً في دمشق ، مع انه لم يطرب للمكانة الشعبية التي حظي بها خالد فيها .

ولئن استمر السلام في العراق سنين طويلة في عهد خالد ، فلم يمض زمن طويل على عهد خلفه حتى قامت ثورة في اهل الكوفة يجتدون العاصمة ، فتحت ميداناً ذا خطر . فقد شخص زيد بن علي ابن الحسين بن علي العلوي مكرهاً الى الكوفة من المدينة مقر عائلته . وظل هناك ، بعد ان قد وقع بين ايدي الشيعة الذين تمسكوا به . وهام اولاء يقولون له ان الوقت حان ، وان ملك بني امية على الكوفة انما يعتمد على عدد يسير من الجند الشامي الذي لا يستطيع ان يصمد امام مائة الف كوفي محارب . فتركهم يهزأون به ، على انه من الحكمة بحيث كان يغير باستمرار مكانه .

وبقي ما يقرب من عشرة اشهر هياً فيها عصياناً ، وجند
بها اتباعاً من البصرة والموصل . وفي الكوفة اكتب
خمسة عشر الف رجل في جيشه . وبويع على كتاب الله
وسنة رسوله ، وعلى قتال الفاصيين ، والدفاع عن الضعفاء ، ورد العطاء الى من
سلب منهم ، وتوزيع الفياء بعدل بين مستحقيه ، والتعريض على المتضررين ،
واعادة المجاهدين في الاقطار البعيدة الى وطنهم ، والدفاع عن آل الرسول [عليه
السلام] امام كل من يناهضهم وينكر حقهم .

وظل يوسف بن عمر امدأ في الظلام لا يعرف شيئاً عن هذه
الحركة . لكنه بأخرة أفلح في ان يجمع تفاصيل عن اعمال
زيد من اثنين اوقفها ، وكانا من المشتركين في المؤامرة .
ثم انه اكتشف ان زيدا استعجل العصيان نتيجة لا يقافها ، فحدد له يوم الاربعاء
الاول من صفر عام ١٢٢ (٦ كانون الثاني ٧٤٠) . فأمر يوسف بان يدعى
اهل الكوفة يوم الثلاثاء اي قبل الموعد بيوم الى ساحة المسجد ، وان يحاط بهم
هناك ، وان يجرسهم بعض اهل الشام . ويلوح ان اهل الكوفة ابتهجوا من انهم
حيل بينهم وبين تهورهم .

ولما حاول زيد مع (٢١٨) رجل امكنه ان يجمعهم عند
انتهاء الليل ان يجر اهل الكوفة في يوم الاربعاء يورده
القارص ، كانوا لا يكادون يقدررون ان يرفعوا يداً . واذا
هو يضطر ان ينسحب من الجامع ، وكان يتقدم نحوه الفارجل من الشام اتوا
من الحيرة . ويرد هؤلاء الرجال يوم الاربعاء . وما فتىء صامداً لهم يوم الخميس ؛
لكن اتباعه المخلصين ذوي العدد القليل اضطروا عند سقوط الليل الى الانسحاب
داخل المدينة امام نشاب القيقانية . وجرح زيد بالنشاب جرحاً مميتاً .
ووقعت جثته في ايدي اهل الشام ، وعلبت في الكوفة ، وعرض رأسه في
دمشق والمدينة . وهرب ابنه يحيى الى خراسان ، وكان غلاماً قتيلاً ؛ فظل

اكتابهم على
قتال الفاصيين

يوسف النفدي بحصر
اهل الكوفة بالمسجد

زيد يقتل في حربه
مع جند الشام

مختفياً في بلخ عدداً من السنين ، ثم اكتشف وطورد من مكان الى مكان حتى قتل مع اتباعه في ميدان المعركة ايام الوليد الثاني .

ولئن كان عصيان زيد قد انتهى انتهاءً مفاجئاً فانه مهم .
اهمية توريته

ذلك ان ثورات الشعب التي حدثت بعده والتي ادت الى انهيار دولة دمشق انهاراً نهائياً كانت ذات علاقة بها . وسرعان ما ظهر ابو مسلم بعد وفاة يحيى آخذاً بثأره وقاتلاً قتلته .

٣ — حكم هشام في غير العراق

انا لنخطيء في شعورنا عن الخليفة هشام ان تصورناه قاصراً
هشام يبذل جهده
في الحرب
عنايته على الحكم والامور الداخلية دون غيرها . فان لم يكن هو محارباً ، انه على كل حال لم يكن يججم عن الحرب بل استمر عليها بعزم ، واستخدم لها كل الوسائل ، وجعلها الجيوش القوية ، وبذل في سبيلها الاموال والرجال . وكان وقته لا يزال مشغولاً بمشروعات حربية موزعة في ميادين مختلفة .

واعاد الحرب مجزم ضد الروم اول عهده . وكانت قد
ابناهشام قائداً للجيوش
وبطلها البطلان
تعطلت بعد ان استنفد الهجوم على القسطنطينية عام ٩٨ -
٩٩ (٧١٦ - ٧١٧) كل القوى دون نتيجة . وابطل
نحصين الحدود (٢٥) ، ووجه كل سيف غزوتين او ثلاثاً معاً في اتجاهات مختلفة . وكانت القيادة على سبيل الاجمال لابنيه معاوية وسليمان ، وهما محاربان متحمسان . وتوفي معاوية جد الخلفاء الامويين الاندلسيين عام ١١٨ او ١١٩ (٧٣٦ او ٧٣٧) ، وهو في ارض العدو ، وقد سقط عن جواده اثناء الصيد . وجزع عليه والده قائلاً

« تالله لقد اجمعت ان ارشحه للخلافة ويتبع ثعلباً » . على ان البطل الاول لهذه الحروب ، ذلك الذي يظهر في الروايات والاقاصيص ، انما هو البطل (اي المقاتل) . هذا والجهود تبذل عظيمة ، فتسقط القلاع والمدن ولا يحتفظ بها في الشتاء الا بالمشقة . ويقول صاحب صلة ايزيدور « ان هشاماً احرز في رومانيا وبالبحر بعض النجاح بفضل القواد الذين ارسلهم اليها » .

على ان الروم كانوا يدافعون عن انفسهم دفاعاً مجيداً ،
دورة الحظ في حرب
الروم والترك
يكلل ببعض النجاح . وفي عام ۱۲۲ (۷۴۰) دحروا احد
الجيوش العربية في افيون (Akroinus) ، وقتل البطل

في تلك المعركة . وفي السنوات التالية هاجم العرب عاصمة ملطية ، لكنهم انسحبوا مرة اخرى ، وقد عجل هشام الى هناك من الرصافة استجابة لطلب المدد من المحصورين . وكانت تدور الى جانب القتال مع الروم معارك مع الترك في الشمال الشرقي على شط بحر الخزر . ولم يكن الحظ فيها دوماً مع العرب ، فقد هزموا هزيمة نكراء في عام ۱۱۲ (۷۳۰) ؛ ثم ان الحظ دار دورته الى جانبهم بفضل مسلمة وبفضل مروان بن محمد بوجه خاص .

وكان المسلمون يضغطون في الوقت نفسه على اوروبه (۲۶)
الحر وسمع وعنبسة
يحملون على الفرنجة
بشدة تكاد تكون اقوى منها في الشرق ، فكان العالم
المسيحي بين نارين . وقبل هشام بسنة او سنتين هاجموا

الفرنجة من الاندلس . وعبر الامير الحرجبال البيرينه في عهد سليمان على الظن . وفي عهد عمر بن عبد العزيز استولى سمح على مدينة ناربون ، فظلت زمناً طويلاً نقطة الارتكاز للعرب وملجأهم . ولما تقدم سمح الى طولوز كسر الفرنجة

(۲۶) واحسن الاخبار واوسمها عن هذه الحملات نجدها في - Contin.Isid.
Hispana لكن لغة هذا الكتاب بوحشيتها صعبة الفهم . وقد جمعه ورتبه الدكتور لودواف شوينكوف Ludolf Schwenkow في محاضرات غوتنجن عن عام ۱۸۹۴ واسماء
« نظرية نقدية في المصادر اللاتينية لتاريخ فتوح العرب لاسبانيا » ولا ينقص من قيمة الكتاب
والغاية العائقة فيه ان الناشر يتبع مراراً افكاراً شرقية مضطربة .

بقيادة ايدو Eudo في ذي القعدة ١٠٢ (أيار ٧٢١) . وبأشر عنيسة خلفه عام ١٠٨ (٧٢٦) - أثر حملات عدة لم يقدها جميعها بنفسه - حملة كبرى مات خلالها . وكان ذلك في عهد هشام .

توقف الحرب مع الفرنجة ثم تبع ذلك توقف ، سببه تغير العمال كثيراً وانهاكهم في مقر عملهم بشغل شاغل . وألقى البربر أنفسهم وقد وضعهم العرب على الهامش ، مع انهم يشكلون مدداً واسعاً جداً في الجيش . والفوا حقوقهم وقد تضررت بوصفهم مسلمين ومحاربين . وكان العرب أنفسهم قد مزقهم الشقاق .

فاجرى هشام تغييراً ، فجعل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أميراً بدلاً من الهيثم الذي كان عصبي المزاج مكروهاً .
عبد الرحمن الناقصي
يطارد ايدو

ووجد عبد الرحمن شوكة في سهمه ، عليه أن يرفعها باديء ذي بدء . ذلك ان منزله البربري ارتد على العرب ، ومكن استقلاله في حدود الاندلس الشمالية بان تعاقد مع ايدو وتزوج ابنته ، فتصدى له عبد الرحمن أولاً ، ثم عاد فتحول الى ايدو ، وحاصره بين الغارون والدوردون ، وطارده في اتجاه اللوار . ثم تصادم مع شارل مارتل الذي استنجد به ايدو ؛ وذلك

وقفة بواتيه في رمضان عام ١١٤ (تشرين الاول ٧٣٢) بين تور وبواتيه . وبعد مناوشات امتدت عدة ايام ، قام العرب بهجوم عنيف منظم ، لكن الفرنجة الاوسترازيين^(٢٧) قاوموا طيلة اليوم . وفي اليوم التالي اصابتهم الدهشة حينما رأوا ان اعداءهم قد اخلوا الميدان ، بعد ان قتل زعيمهم .

ويعبر لنا جيبون Gibbon ما كان يحدث لو أن العرب كسبوا المعركة : إذن لكان القرآن يفسر في اكسفورد ، ولكانت قداسة دين محمد [عليه السلام] وحقيقتها يتعلمها
ماذا كان يحدث
لو كسب العرب الموقعة

(٢٧) وهم يسكنون اوسترازيا Austrasia في شرقي بلاد النول الفرنجية وعاصمتهم متز Metz .
(المعرب)

شعب محتون ، يتلقاها من على المنبر . ألا إن الخدمة التي أداها الفرنجة للنصرانية في اوروبة عظيمة ، على ان الروم قاموا في الشرق بعمل اعظم منهم . ولم يرد العرب في تور رداً نهائياً . وداوم الخليفة نفسه على ابن قطن يتراجع الحرب بحماسة مع الفرنجة . وكان عبد الرحمن الغافقي قد اخذ من خلفه عبد الملك بن قطن الفهري (١١٥ هـ ٧٣٣ م) عهداً بالألا يقاتلهم . فاخذ هذا يسير راجعاً ، لكنه لم يذهب بعيداً ، فقد قطع النصارى في البيرينه عليه طريقه ، وجعلوه يرتد الى السهل .

وفياهم كذلك ، ولى هشام مكانه عقبة بن الحجاج (١١٧)
عقبة بن الحجاج بنهمك الذي جعل مؤرخو الاندلس اسمه في اللاتينية Aucupa .
وما عتم عقبة ان انهمك زمناً طويلاً في الاعمال الداخلية ،
على عصيان البربر حتى اذا أخذ طريقه نحو بلاد الغول ، تلقته الكتب الى سرقسطة تدعوه الى افريقية ليساعد على القضاء على عصيان البربر انفجر هناك .
فرجع وعبر القناة من رأس (٢٨) ترانسديكتين Transductine يجيشه العربي الاندلسي . ولما تبين له أنه فرغ من عمله في افريقية عاد الى الاندلس ، وإذا به يموت فيها عام ١٢٢ (٧٤٠)

واثبت البربر غير متعبدين انهم حلفاء نافعون للفرنجة .
والذي أثار حفيظتهم انهم ، وهم مسلمون حقاً يشتركون
أرضاً خصبة عند البربر متحمسين في الجهاد ، ما فتىء العمال العرب يعاملونهم معاملة
التابعين الخاضعين للضرائب ، منذ زال حكم عمر بن عبد العزيز . ووجد بعض
الخوارج الذين اوفدوا من العراق برئاسة ميسرة الصفري أرضاً خصبة عندهم ،
يبذرون فيها آراءهم ويحصدون .

(٢٨) ويقول في صلة ايزيدور انه حصل في هذا الرأس معركة قتل فيها رودريك ملك القوط . والظاهر ان ذلك كان في جوار جبل طارق .

ويقول سيف^(٢٩) ان البربر اتجهوا الى هشام اولاً بولاء ،
الخليفة لا يقابل وفد البربر
فسألوه ان يزيل اسباب شكاوهم ، لكن سفراءهم لم يسمح
لهم بالمثل بين يديه . حتى اذا هبطت مؤنتهم من المال ، ارتدوا خائبين بعد ان
انتظروا مدة . وتركوا اسماءهم مسجلة ، فكأنهم تركوا بطاقتهم . وهام اولاء
مقتنعون الآن بان الخوارج على حق حين يقولون ان ظلم العمال قائم بامر من
الخليفة نفسه ، ذلك الخليفة الذي يرغمهم شرهه في الكسب على ان يستخلصوا
المال من رعيته .

وبنى البربر على ذلك ، فقاموا بعصيان رهيب بقيادة
عصيان البربر
الخوارج ، فكانت ثورة امتدت من مراکش الى القيروان .
يستلزم دعوة الجند الشامي
وتبين ضعف امراء افريقية امام هذه الثورة ، بل إن
مدد عقبة لهم من الاندلس كان قليل الجدوى ، فرأوا لزماً عليهم ان يستنجدوا
بالفرق الشامية الخليفة ، فاضطرت هذه الى أن تأتي الى هنا كما ذهبت الى العراق .
وأرسلها هشام بسرعة ، فظهرت عام ١٢٣ (٧٤١)^(٣٠) على مسرح الحرب في
مراكش في عدد عمر مرم ، يقودها صاحب شرطة دمشق كلثوم بن عياض القسري^(٣١) .

(٢٩) الطبري ٢٨١٥/١ وما بعدها

(٣٠) هذا هو الصحيح عن فتوح البلدان ٢٣٢ . وعن الطبري ١٧١٦

(Theoph. A.M. 6231) في عام ١٢٢ . بيد ان كلثوماً كان في هذه السنة صاحب
الشرطة في دمشق عندما اتفق خالد القسري بالحملة في آسية الصغرى . ويسمى تيوفان كلثوماً
Δαμασκηνος .

(٣١) ويدعى عادة القشيري وهو كذلك في البلاذري دوما وابن الاثير وفي الطبري
١٧١٦ ، ١٨٧١ . على ان نسبة القسري كما سمي في الطبري ١٨١٤ وما بعدها هي الصيغة
الصحيحة ، لأنه كان ابن عم خالد . ويلاحظ مولار ٤٤٩/١ انه « طبعاً قيسي » وكأنه يعرف
ذلك بالبدية . خلافاً لمعرفته بنفسية القبائل العربية ومبادئ حكومة هشام (٤٤٥/١ وما بعدها) .
وكلثوم في الحقيقة لم يكن قيسياً اكثر مما كان مالك الاشرقيسياً (٣٢٥/١) ومبادلة قسري
مع قيسي وقشيري وقريشي تبدو كثيراً انظر الطبري ١٤٥٦ ، ٧

غير أن اهل الشام المدججين بالسلاح المدربين على الحرب
سقطوا امام فرسان البربر نصف العراة . وقتل كلثوم في
معركة كبيرة على نهر نوام الذي حدد المؤرخ الاسباني
موقعه . ولم يقدر ابن أخيه بلج على الافلات الى سبته ومنها الى الاندلس إلا بثلث
الجيش . وتلك المعركة اكبر هزيمة مني بها العرب حتى ذلك الحين . وهي شر من
معركة تور ان قورنت بها . ووجه البربر باسم الاسلام اقسى ضربة على العرب
في الغرب ، ولو ان العرب انتصروا في السنين التالية انتصاراً خو لهم أن يثبتوا
أقدامهم في القيروان .

هزيمة العرب في نوام
ثم تثبتهم اقدامهم

أما فيما وراء النهر في الطرف الثاني من المملكة الذي مازال
يضطرب ، فقد كانت الامور في مهب العاصفة أيام هشام .
وهي عاصفة تجاوزت الحد المألوف . وكان السغد قد اتبعوا
امراءهم ، فاسلموا في عهد عمر بن عبد العزيز . واستوثقوا من أنهم بصفتهم مسلمين
لن يدفعوا الجزية . على أن العمال كالعادة لم يعملوا بهذا الشرط ، بل فعلوا كما طاب
لهم . ولما كانوا يبدلون كثيراً ، كان أحدهم يعمل شيئاً فيعمل الآخر غيره . ومع
ذلك فبهم جميعاً كانت القوة تغلب الحق ، حتى اذا سمح أحدهم باسقاط الجزية
فتلك نعمة تمنح بصفة خاصة ، ثم لا تلبث ان تلتفي .

الجزية سببت العاصفة
فيما وراء النهر

وأثار ذلك السغد ، وبلغ منهم ، فالتقوا بانفسهم بين ايدي
الترك اعدائهم القدماء ، ودعوهم الى بلادهم . وكانوا يتمتعون
بعطف المسلمين الاتقياء ، عطف لا يقتصر على الكلام .
وأمام هذا التحالف اصبح من المتعذر على العرب الحاكمين ان يثبتوا ، فتعرضت
جيوشهم اكثر من مرة الى مواقف خطيرة بعد الخطورة ، اضطرت فيها في
سبيل النجاة ان ترضى بالحسارة الجسيمة . وبما يدل على اعتياد الخليفة على تلقي
الاخبار السيئة من خراسان أنه لم يشأ أن يصدق اخبار ظفر أخته مرة .

نورات السغد تعرض
جيش العرب للاخطار

واسلوبه المفضل في اصلاح الامور هو تبديل القيادة ورجالها .
وهو اسلوب اخفق كثيراً وادى الى نتائج سيئة ثانوية .
على انه انتهى به الامر الى القيام بعمل ، فبعد ان عزل
خالد القسري التمس خلفه في العراق يوسف بن عمر بان تضم خراسان الى حكمه
[فيكون له تعيين وال عليها] . وكان حرياً بان يجعله قيسياً متعصباً ، فيزيد في
حدة التوتر اكثر فاكثر ، مع ان الامر كان من السوء بما فيه الكفاية . لكن
هشاماً تدخل ، وعين بنفسه الشيخ نصر بن سيار الكناني ، وهو وال ذو خبرة
وأمر لا ينتمي الى قبيلة قوية في خراسان . ومكن نصر بن سيار نفسه على احسن
ما وسعه ، لكنه كان في عمل ميثوس منه .

هشام بين أخيراً
نصر بن سيار المحنك

ومات هشام في الرصافة يوم الاربعاء لست خلون من ربيع
الثاني عام ١٢٥ (٦ شباط ٧٤٣) . ولم يكن قد اسن بعد ،
فقد كان في الخمسين من عمره ، على انه لم يعرف الشباب في حياته . اما هيأته فلم
تكن تعطي فكرة حسنة عنه ، وكان احوال . ولئن كانت قادراً على فرض
احترامه ، فقد كان محروماً من الصفات التي تؤثر في النفس حالاً وسريعاً ،
فتجتذبا او تسوقها . وكان ضيق الذهن بعض الضيق ، لكنه كان حذراً . ولم
تصدر منه نفسه اساءة الى المتدينين ، فقد كان مسلماً صالحاً على طريقة السلف ، صديقاً
لقدماء المحدثين كالزهرى وابي زناد ، وعدواً للقدورية ذوي البدعة الذين اثاروا
المشاكل في العقائد ، وقالوا بجرية الارادة (٣٢) .

وصف هشام

واذن فلم يكن غير متسامح مع النصارى من رعيته .
بل اعاد اليهم (المالكين ؟) ملكية بحر انطاكية الذي
اخذ منهم قبل اربعين سنة . واشترط عليهم ان ينتخبوا بطريركاً لهم ، هو صديقه

ماملته للنصارى

استيفان ، واستيفان قسيس عادي ، لارجل بارز عالم ؛ فوافقوا على ذلك^(٣٣) .
وشتم ابنه محمداً ، وكان محمد قد ضرب نصرانياً ظن انه أهانه ، ولم يرفع
امره الى القاضي .

وحاول هشام قصاره كي يكون حكمه فوق الأحزاب .
وباليتنه كان قادراً على ان يحدث تغييراً في نفوس العرب
والولاة! وهو يستحي من الدعوة لنفسه . ويؤثر ان
يقبع في الهامش منعزلاً في الرصافة ، مستخدماً وساطة الابرش الكلي الذي
جعله كنفه . وكان هشام حرياباً يثق بالابرش في صلته بالناس ممن يظنونه
بعيداً عنهم^(٣٤) . وبعد ، فقد كانت مالكا زمام الامر ، عارفاً مهمته ،
متحمساً في عمله .

صلاته بالناس
عن طريق الابرش

وكان ديوانه اي بيت ماله منظماً كامل النظام ، بحيث
حاز اعجاب المنصور العباسي . وابطل سوء الاستعمال في
العطاء ، فمنع توزيع ارزاق الجند على اعيان الرجال جراية
لهم . ولم يمنح ذلك احداً ، حتى ولا اميراً من امراء بني امية إلا إذا حضر الحرب
بنفسه او ارسل عوضاً عنه . اما نصيبه هو ، فكان يعطيه مولاه ياقوت ، وكان
ياقوت في الميدان بدلاً عنه . وهشام يبدو موفراً مقتصداً في الاقاصيص التي
تحكى عنه والتي تعادل في عددها ما يحكى عن عمر بن الخطاب ومعاوية وعبد الملك .
وهي صفة لعلها تجد تفسيرها [بالتضاد] في سلوك اسلافه
المخالفين له فيها كل المخالفة . وقد اخذت عليه خطبة قاضية ،
وكان هدفه منها ان يملأ بيت ماله . ويصفه تيوفان كما يلي :

تنظيم العطاء
دقيق عادل مع التوفير

كره الشعب
بناء القصور والاقنية

(٣٣) Theoph. , A.M. 6234 وانظر فيه 6236 . ولم يكن اعدام اسرى الروم
امراً غير عادي ان لم يؤدوا الفداء او يقبلوا الاسلام (A.M. 6232) بل حقاً من حقوق
الحرب القديمة .

(٣٤) الطبري ٢٨١٦/١ : ١٨١٣/٢

ἔρξατο κτίζειν κατὰ Χῶραν καὶ πόλιν παλάτια καὶ κατασπορὰς
ποιεῖν καὶ παραδῆισονς, καὶ ὑδάτα ἐκβαῖν, λελ.

فعل هشام ذلك لنتفه الخاص ، فآثار من الامتعاض ما حمل بني العباس على ان
يروا ان احسن اسلوب في ارضاء رعيتهم هو ان يعدوهم في برنامج حكومتهم
بالا يشيدوا القصور او يقيموا الاقنية . والقناة هي المزرعة ، والقصر فيها .

وحسد هشام خالداً القسري على اراضيه ، وحظر عليه ان
الحكم مزرعة عنده
يبيع الاغلال قبله ، ان كان ذلك البيع سيؤدي الى انخفاض

الاسعار . وبما هو اسوأ من ذلك انه رأى الحكم نفسه مزرعة ينبغي ان ينتزع
منها اكبر كمية من المال ممكنة . وآل تعقله الى نوع خاص من الجباية . فكان
على ولاته ان يقدموا له اعظم مبلغ من المال ممكن ، لا يبالي اي اسلوب جبروتي
اتخذوه لجمعه . ورفع هشام مقدار الخراج في قبرص ، وضاعفه في الاسكندرية ،
ودفع الرعية فيما وراء النهر وافريقية والاندلس الى اليأس . ويروي عنه صاحب
صلة ايزيدور بالمبالغة المألوفة في تقدير الاموال المجموعة مايلي قال : « وببخله
الشديد جعل قواده في الشرق والغرب يجمعون له من المال ما لم يجتمع لملك
قبله . فنبت طاعته عدد خطير من السكان ، وقد رأوه فريسة دائمة لذلك الشره
الممقوت » ولعل الفريد فون كريمر وتابعيه يرون انه إعاد الامور الى مبادئ
بني امية السليمة السالفة ، بعد ذلك الفساد المزعوم الذي احدثه عمر بن عبد العزيز
في اقتصاد الدولة .

واياً كان فان آخر حكم هشام الشاق الذي طال بعض الطول

كان تعيساً اكثر مما يمكن ان يكون . ولم يكن هشام محبوباً

من الشعب في اي مكان . وهو سيء الحظ في كل مكان .

وترك الدولة المترامية الاطراف في وضع اسوأ بكثير مما وجدها عليه . وليس
من مجرد الصدف ان تصبح دعوة بني العباس نشيطة في ايامه .

ترك الدولة أسوأ
بكثر مما وجدها

٤ . - عهد الوليد بن يزيد

في الوصية التي عهد بها يزيد بن عبد الملك لاختيه هشام
بالخلافة عين ولده الوليد ولياً للعهد بعد هشام . وكان
صفة الوليد الثاني
الوليد الثاني كوالده ، لكنه يتفوق عليه بالهيئة . وهذا صاحب الصلة الاندلسي
يسميه « الجميل » ، فقد كان حسن البنية ، قوي الجسم قوة غير مألوفة ، مليئاً
بالحياة ، ذامواهب عقلية كبيرة أيقظها فيه معلمه اللغوي عبد الصمد ووجهها . ونشأ
في حاشية عمه ، على أنه لم يكن سعيداً في شبابه . وكان يعمل كل ما يخطر بباله
دون ان يزيد [او ينقص] . وكان مطمئناً على مستقبله ، فمئذ صباه الفى نفسه
وريث السلطان ؛ وكان يشجعه على رأيه اصحابه الماجنون .

اما هشام فكان غير مسرور من ان الوليد حرم من الجد
هشام بخطى . اصلاحه
والكرامة ، مستاء انه يقضي اوقاته في الصيد والشرب
مع اصحابه المستهترين ، وانه يفكر في الموسيقى والشعر اكثر مما يفكر في
القرآن . وحاول ان يصلحه ، ولكنه لم يتخذ لذلك السبيل الصحيح ،
فاخطأ هدفه .

ولم يلق الوليد اي قصد حسن في سلوك عمه الشيخ الهاجج .
سمى هشام الى تحويل
ولاية العهد الى ابنه
وفسر ذلك بانه لا يورد ان يمنحه ولاية العهد . ولعله لم يكن
مخطئاً في هذا التفكير كل الخطأ ، فقد كان الامر طبيعياً .
وعلى كل فسلوك الوليد الذي لا يصلحه شيء حمل الخليفة على ان يتخذ التدابير
لحرمانه من ولاية العهد ولتحويلها الى مسلمة احد اولاده . على انه لقي بممانعة
حاسمة بين اخوانه من بني امية وبين البارزين من ولاته ، لاسيما أن مسلمة نفسها فتى عابث .
واول الممانعة ان الوليد لم يقتنع بالتخلي عن حقه . غير ان
ما حمله على الحذر والحقدانما هو بالواقع تلك الضروب
الوليد ينسحب الى البادية
ويتابع سيرته
من الاهانات التي كان يتلقاها من هشام وحاشيته ، فلم يعد

يتحمل البلاط . وترك الرصافة بعد موت الشيخ المحترم مسلمة بن عبد الملك الذي كان يصده بعض الشيء^(٣٥) . وانسحب الى مكان منزلي في البادية شمالي فلسطين^(٣٦) . وهناك تابع سيرته الاولى جاحاً اكثر من ذي قبل . ولم يكن يعوزه الزائرون الذين يستغلون كرمه واحلامه ويعيشون بكنفه . وكان ينتظر موت هشام فلا يكتفم امره ، ولا يكبح جماح عواطفه ابداً ، يعبر عنها بالشعر دون ان يحتفظ به لنفسه .

ووجب عليه ان ينتظر عاماً او عامين . ثم حدث الحدث لاقتم لئس هشام الذي لم يكن الوحيد الذي يصبو اليه ، فقد طال حكم هشام على الشعب ، وتنفس الناس الصعداء حين اغمض عينيه . وما كاد يقضي نحبه حتى اخلي سبيل مراسل الوليد في الرصافة ، وكان مسجوناً ، وتسلم الحكم بالنيابة فختم على كل شيء بدقة ، حتى انه لم يترك قمماً يغسل فيه هشام ، او كفناً يكفن به جسمانه ، بل انزل ذلك الجسمان بامر من فراشه في الغرفة التي مات فيها .

وتلقى الوليد خبر هذا الحادث مع امارات الخلافة^(٣٧) . احتفال الوليد وتبته لرجال هشام دون مسلمة واحتفل بذلك على طريقته الحمريه . وانشد قصيدة تخيل فيها حزن بنات الراحل ، ثم امر بوضع اليد على ثروة هشام في الرصافة ، وان يلقي القبض على اقاربه وعماله باستثناء مسلمة بن هشام ، لان مسلمة - مع انه في الواقع منافسه ومع انه كان يسخر منه كثيراً ويكني عنه باسم آخر - كان يسلك معه سلوكاً شريفاً توحيه طيبة قلبه .

(٣٥) ويظهر ذلك واضعاً من الاغاني ١٠٣/٦ . وواضح ايضاً ان ذلك لم يحدث الا في السنوات الاخيرة من حكم هشام . وتوفي مسلمة بن عبد الملك عام ١٢٢
(٣٦) في الابرق او الازرق بجانب ماء الاغدف بين ارض باقين وفزارة (الاغاني ١٠٤/٦ : الطبري ١٧٤٣) في عمان (الطبري ١٧٩٥ ، ١١) . ولنا ان نستنتج من الطبري ١٧٥٤ ، ١١ ان المكان قريب من زيزاء لكنه بعيد من جهة الجنوب .
(٣٧) ولا يتحدث هو في الاغاني ١٠٩/٦ ، الا عن الخاتم . ويذكر بعد ذلك (١٠٩ ، ١٨) الخاتم والبردة والطومار . ولا مشاحة في ان الطومار هو الشهادة بالموت

وذهب الوليد الى دمشق ليتلقى البيعة في العاصمة (۳۸) ،
الشم واولاده مبتهجون فانت الوفود من كل الامصار ، وعبر الولاية عن ولائهم
بكتب ارسلوها ورووا فيها ماتم من مبايعته في بلدهم ، ووصفوا بحماسة الاثر
الذي احده انتقال الخلافة ، فلا ترى الا الابتهاج .

ثم ان الخليفة نفسه عبر عن امتنانه ، فمكنته الوسائل التي
الوليد يسخر على الناس اختزنها سلفه من ان يرضي الناس فيما كانوا يتوقعونه منه .
وزاد في العطاء عشرة دراهم في كل مكان وعشرين في الشام ، واعاد العطاء الى
اهل المدينة ومكة ، بعد ان كان منعه هشام عنهم عقاباً لهم على عطفهم على زيد
ابن علي العلوي . وضاعف الوليد الهدايا لمن استضافه من الامويين ، وانفق
بسخاء على المرضى والعميان في الشام وعلى العناية بهم وتمريضهم ، واطلق العطر
والثياب للنساء والاطفال من الشعب .

وكان عليه ان ينتقم من أعدائه . ولا ريب انه لم يوجه
انتقامه من ابراهيم انتقامه مباشرة الى اسرة سلفه لان ذلك يثير حفيظة بني
ومحمد المخزوميين امية ، فما عاقب إلا سليمان بن هشام ، ومن ثم سجنه في عمان .
على ان ابراهيم ومحمداً من بني مخزوم دفعا ثمن تحيزهما ضده مع ابن هشام الذي
كان ابن اختها . فعرضاً بادىء ذي بدء امام الناس ، وتلقيا اهانات الجمهور في
المدينة (يوم السبت ۱۷ شعبان ۱۲۵ ۱۴۶ تموز ۷۴۳) حيث كانت القلوب حاقدة
عليها ، ثم ارسلوا الى الكوفة الى يوسف بن عمر ليعذبها عذاباً حتى الموت ، ففعل
ذلك بكل امانة .

وخصص المصير نفسه لبني القعقاع بن خلود العبسي . وكانوا
نشفيه من بني القعقاع قد ايدوا هشاماً فيما نواه من حرمان ابن اخيه من ولاية
العهد والمبايعه بها لابنه (۳۹) . فحرموا من سلطانهم بقنسرين وحمص واسموا

(۳۸) الاغانى ۱۱۱/۶ ، ۱۲۰

(۳۹) ابن الاثير ۱۹۸/۵

لانتقام يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري الذي عذبوا والده قبل عشرين سنة بأمر من هشام ، وكان لهذا اثر دموي في العداوة القديمة القبلية ، بين عبس وفزارة . وعزل في المدينة ودمشق ولاة هشام ، كما فعل في حمص وتغييره ولاة آخرين وقنسرين ، وعين امراء آخرين . وارسل الى المدينة يوسف ابن محمد ابن يوسف الثقفي اخا امه ام الحجاج ووضع في دمشق رجلاً من العائلة نفسها من اولاد الحجاج ، وهو عبد الملك بن الحجاج بن يوسف وهو من انساب القيسيين من جهة امه . اما في الولايتين الرئيسيتين - العراق وخراسان - فقد ترك الوالين الذين الفهما هناك ، اي يوسف بن عمر ونصر بن سيار . بل انه احتفظ حتى آخر لحظة بالابرش الكلبى خليصاً له ، وكان كذلك مع هشام . فمعارضة الوليد الثاني لهشام ، انما هي ذات طابع شخصي . وفي شئون الدين نفسه لم يكن الوليد مختلفاً عن هشام كثيراً في مبادئه ، ولو انه يختلف عنه كثيراً في شخصيته . وكان يكره احد الفقهاء صديقي سلفه الذي كان عبر عن مقتله له . وكان يميل الى الآخر الذي التزم جانب السكوت حذراً . واحتفظ بعداء هشام نفسه للقدرية الزنادقة ، وايد تأييداً لا محل له تسيير رؤسائهم الى جزيرة دهلك (قرب مساوة) وثبته تثبيتاً دقيقاً . فليس للدين ان ينتقل من العرف والعادة الى التفكير .

لا يختلف عن هشام في اتجاهه الديني بل في شخصيته

وقد يعطي يتوفات بما يرويه عنه شعوراً بأنه اضطهد النصارى ، لكنه لا يبدو قميناً بهذا . ولا يظهر في الواقع ونفس الامر ان له اي شأن بالتدابير التي اتخذت ضد بطرس دمشق وكاتب الحجاج بطرس الميوما Maiuma ، فالاثنان جلبا الشهادة على نفسها بتعرضها للاسلام وللرسول [عليه السلام] . ونقل اهل قبرص الى الشام لاشان له بالدين . وبالجملة لم يلعب الوليد بالنار الا نحو سلطانه الشخصي . فقد تصدى لواجبات الحكم كأنها رياضة . ولم يشغل نفسه بها بجد وعناية ابدأ . حتى انه وهو خليفة ابقى مقره في البادية في ارض شرقي ابتعاده عن مركز عمله

لا يضطهد النصارى

ابتعاده عن مركز عمله

الاردن (٤٠) . ولم يفارقه ابداً ميله المر المستوحش الذي كان له في شبابه . فهو حتى بعد وفاة هشام ابتعد عن الحلقة التي ينتمي اليها حقاً ، فاعتزل حلقة اقاربه وامثاله (٤١) . وما كان يهتم بالرأي العام ، ولا يسوغ له ابداً أن يكون ذا أثر في نفسه .

وكان له بالطبع ديوان في بلاطه ، غير أن الحبول وكلاب
لموه الصيد والمغنين من رجال ونساء والشعراء والادباء كانوا
الحلقة المقربة التي يجب ان يعيش بينها . كان في النهار يجول في البادية . وكان
النصر في الاعمال البدنية سهلاً عليه وضرورياً له . كان يوقد له سكة حديد
فيها خيط ، ويشد الخيط في رجليه ثم يشب على الدابة فينتزع السكة ، ويركب
مايس الدابة بيده . وكان يقضي الليل باللهو . ويمتاز باتجاه في السلطان
احمق ذي زبد .

وكان يتسنى أن تكون كل النساء لبوات ، حتى لا يجرا
رأيه في الحب على القرب منهن الا شجعان الرجال واقويائهم . لكنه لم
يفرق في الوحشية المألوفة . وليس من تباين في موقفه بين صلاته بالنساء وبين
هيامه بغانية شريفة احبها امداً طويلاً دون جدوى ، فسلبه الموت ايها سريعاً .
ويجيش في صدره بكل صدد اشعار قليلة يبلور فيها شعور
شميه الساعة برشاقة وخفة وابداع . وقد كان بالامكان ان
تجمع ترجمته من هذه الاشعار ، لو انها حفظت لنا بصورة اكمل ، بيد انه باعتباره
خليفة لم يكن يصح ان تجمع اشعاره وتنتشر على الناس الا استراقاً . وقد كان
حيناً يعظ شعراً .

(٤٠) الطبري ١٧٩٥ ، ١١٠

(٤١) الاغانى ١٣٧/٦ ، ٦٠

فقد كان يحسن كل شيء ، لكن كل شيء عنده ليس الا
 ليس لشيء عنده قيمة
 هوى يتخذه ، وهو اه متقلب مع الساعات . وقد يفرق
 في حديث ديني علمي ، ثم اذا هو يعود الى خمره ، فيهزأ برجال الدين . وما
 كان يسعه ان يرفض طلباً ، ومع ذلك فهو في الوقت نفسه عاطفي بل قاس
 كالطفل . وبعد ، فالسلطان عنده شقاء ولعنة (٤٢) .

واستهلك اموال هشام بسرعة اكثر مما كان يظن . وما كان
 يدخله العادي يكفيه ، فبحث عن دخل غير عادي . واتخذ
 يوسف بن عمر هذه الحاجة وسيلة يشتري بها نصر بن سيار
 الذي جعل مستقلاً عنه ؛ فعرض مبلغاً كبيراً من المال على ان تعاد خراسان
 اليه ، ففاز بالسلعة .

وطلب الخليفة نصر بن سيار مع آله جميعاً ، واوصاه بان
 يجلب معه بوازي وخيولاً وآلات طرب واطباقاً ذهبية
 وفضية . ولم يأل نصر جهده للحصول على المرام مع جوار
 جميلة وعبيد مجهزين خير تجهيز . لكن ذلك استغرق وقتاً طويلاً ، حتى اذا
 سار بآخرة بلغه خبر مقتل الوليد فعاد ادراجه .

هذا ، وافلح يوسف ذلك الشيطان بعد محاولات غير
 ازاد ان يحصل من
 القسري على بعض الاسرار
 مجدية بالحصول على خالد القسري في قبضة يده . وكان
 للوليد من الاسباب ما يحمله على ان يكون متمناً لخالد ، فهو
 في ايام هشام توسط من اجله ، بل انه بعد وفاة هشام لم يدع المغريات تحمله
 على ان يخونه . لكن الوليد لم يكن ياتمن له ، فقد كان خالد يعرف اكثر مما
 يجرؤ على قوله . فوضعه الوليد في السجن ، وحاول ان يستخرج منه ضرباً

(٤٢) انظر ترجمته في الاغانى ١٠١/٦ وما بعدها ومعظمها لا يوثق بها . ولما اراد قوم
 ان يدفعوا خالداً القسري ضد الوليد قال « امر الوليد امر غائب عني ولا أعلم يقيناً انما هي اخبار
 الناس » (الطبري ١٧٧٦) وما بعدها

مختلفة من الاشياء ، لم يكن خالد يريد أن يفشيها خوفاً من ان يوقع بعضهم في المحنة .

حتى اذا لم يستطع الوليد ان يتمكن منه بالقوة ، باعه بآخرة
الى عدوه الفتاك مقابل عدة ملايين . ونقله يوسف بابلغ
قسوة الى الكوفة ، وعذبه هناك عذاب الموت ، لكنه لم يستطع ان يكسر من
عزته ، او ان يجبره على ان يصرخ او يبدل في تعابير وجهه . ومات تحت العذاب
في المحرم من عام ١٢٦ (تشرين الثاني ٧٤٣) ودفن في الحيرة .

وبعد ذلك بقليل (٤٣) قتل يحيى بن زيد بن علي وارسل رأسه
للاخليفة ، فعرضه على جماعة من اعيان الناس دعوا خصيصاً لهذه
الغاية . وزاد في المرارة التي اثارها سلوكه في حلقات الشرق الواسعة امره بمعاملة
العراقيين كما كان يعامل عجل اليهود ، اي بجرقه وذورماده في الماء .

على ان الشعور الذي اثاره قتل خالد البطيء كان اسوأ
آنذاك ، كما لنا ان نقدره فقد يؤخذ على انه اهانة لاهل
اليمن ، فيوسف ضد خالد يعني قيس ضد اليمن . ويلوح
ان الخليفة لا يفرق بين نفسه وبين يوسف وغيره من بني الحجاج . وهناك اشعار
منها الموضوع ومنها الصحيح تدل ان الامور كانت تحمل هذا الحمل .

وللمرة الاولى ثارت حركة اضطراب سياسية عامة في العراق
والشام جمعت بين اليمانيين في القطرين . واقبل يمانيو الشام
على تلك الحركة ، ولا سيما الكلبيين منهم اكثر من الآخرين ، فخالد قضى السنين
الاخيرة من عمره معهم في دمشق واكتسب من بينهم اصدقاء كثيرين . على ان
الشعور كان موجهاً ضد الخليفة بصورة خاصة ، اكثر مما هو موجه ضد قيس بصفة
عامة . وقد اجبه اعداء الخليفة الشخصيون واتخذوه كسبيل لغاياتهم الخاصة .

ولم يعم ابدأ الاشتراك في الثورة الحزبية التي نتجت عنه، بل ان
الثورة وان صدرت عن اليابانيين فهي ليست قضية اليابانيين
وحدهم من جهة والقيسيين وخدمهم من الجهة الاخرى .

اشتركت في الثورة
عوامل عديدة

ووقف بنو عبس القيسيون ضد الخليفة لانه اغضبهم بسلو كه مع بني القعقاع .
هذا ولم يسر لنجدته اهل البحرين (الذين يدعوهم مولر خطأ قيسيين) وخدمهم
من حمص ، بل الكلييون ايضاً من قبيلة عامر ومن آل سليم بن كيسان . ولم
تشتعل النار حالاً بقوة مبدئية ، وما بلغت الجماعات البعيدة الا باثر مقتل الوليد .
وكانت كل مناسبة كافية لتوقظ الخطر الهاجع ، ولتنضج الميل المريض . وكل
خلاف ميال الى ان يصبح خصاماً قلياً عاماً . وطبيعي ان المتدينين يتحملون
قسطهم في ذلك ايضاً ، فقد كانوا غاضبين من الخليفة الفاسق (٤٤) لاسيما منهم
القدرية الذين كانت لهم دوافع اكثر من غيرهم تحملهم عليه .

ودبرت مؤامرة ضد الوليد في وقت كان خالد لا يزال

نو امية

يعيش في دمشق ، وكان المتآمرون الاول ابناء عشيرته ،

بآمر من علي الوليد

اي امراء بني امية ، ولو انهم ظناً ليسوا اصحاب الفكر

في التنظيم (٤٥) . وكانوا مستشاريه بحق النسب ، لكنه ابتعد عن صحبتهم واثروهم
وسلطانهم ، وعرض للتبديد ميراث آباءه ، وكان لهم حق فيه ايضاً .

وطعنهم ايضاً بتعيينه ولدين من اولاده لولاية العهد دون

تعيينه واديه من امّة

وساطة [احد يسبقهم اليها] تلك الوساطة التي امتحن بها

اولا لاية العهد

امتحاناً مرأ في شبابه ، مع ان ذينك الولدين ما فتئا دون

البلوغ . اصف الى ذلك انها ولدا امّة . فهما لهذين السبين في الرأي العربي

(٤٤) الطبري ١٨٣٧

(٤٥) الطبري ١٨٣٣

الاسلامي غير اهل لان ينتخباً للخلافة^(٤٦). ووجد اولاد الوليد بن عبد الملك ذوي العدد الكثير^(٤٧) انفسهم بهذا الاسلوب وقد اسي اليهم. فوالدهم هو البكر بين اولاد عبد الملك، بل انهم عند وفاة سليمان املوا في ان يخلفوه^(٤٨)، لكنهم لم يحظوا حتى الآن بدورهم. وهام اولاء يستبدل بهم اولاد يزيد الثاني.

وتحزب لهم اولاد هشام وغيرهم من بني مروان، ولم توسع حلقة المؤامرة يكونوا على حظوة عند ابن عمهم الملك. وكانوا متاكدين من انه يبيت لهم اكبر قدر من العقاب. وساعدهم وربما دفعهم اعيان الكلبين^(٤٩) في دمشق والكتاب المستأون والمهزومة حقوقهم وعمال قيل انهم تبعوا خالداً القسري كي يثروه؛ واسماؤهم معدودة في الطبري^(٥٠). لكن الذي ورد ذكره اكثر من غيره بعد ذلك هو منصور بن جمهور. وطبيعي ان اولاد خالد القسري كانوا بين الرجال. وقد ظهر يزيد بن خالد من نخبائه ولعب دوراً بارزاً.

وتحزب بنو سفيان للوليد الثاني الذي ينتمي اليهم باعتبارهم بنو سفيان مع الخليفة من احفاد يزيد بن معاوية من جهة جدته. ومن ابرزهم ابو محمد زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية السفياني، وانضم اليه احد بني مروان، وهو العباس بن الوليد بن عبد الملك، وحاز ثقته.

(٤٦) انظر كتابي الوليد الى نصر بن سيار في الطبري ١٧٥٥ - ١٧٦٤ أرخ أحدهما يوم الثلاثاء ٢٢ رجب ١٢٥ (٢١ ايار ٧٤٣) والآخر يوم الخميس ١٥ شعبان ١٢٥ (١٣ حزيران ٧٤٣) كتبها شمال والنصر. ولم يكن خالد القسري ميالاً الى بيعة هذين الولدين سلفاً (الطبري ١٧٧٦)

(٤٧) الطبري ١٧٩٤

(٤٨) الطبري ١٣٤٥

(٤٩) بعض العائلات الاصيله من جنوبي بلاد العرب كانت مخالفة لبني كلب ومقيمة في

جوار دمشق

(٥٠) ١٧٧٨

واكثر الاخوة طموحاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،
وهو ابن اميرة سغدية رقيقة . واتخذ يزيد هذا مظاهر
الحليفة المعارض ، وكسب رجالاً الى حزبه باذلاً كميات
من المال (٥١) ، بل سعى الى سحر المتدينين بخطبه ومظاهرة (٥٢) . وفي الوقت
المحدد خرج متنكراً من دمشق على حمار في بضعة اتباع . ومن هناك انصل
بانصاره الذين كان معظمهم لا يقيمون في المدينة نفسها بل في الرض قريباً منها .
وشق طريقه بعونهم الى المسجد الجامع حيث توجد مؤنة كبيرة من الاسلحة ،
وذلك يوم الجمعة (٥٣) يوم الصلاة الجامعة ، وهو يوم صالح لهذا العمل .
والقى القبض على الحرس في المدينة ، وارسل فأخذ عامل
دمشق (٥٤) الغائب وامير بعلبك . وفتحت ابواب دمشق ،
فالتحق به خمسمائة والف رجل من بني كلب اتوا من المزة . ويقدم من مناطق اخرى
قريبة رجال من بني غسان ولخم وكندة وغيرهم من رجال القبائل العربية
الجنوبية بصفة خاصة . ولم تنهض في جهة ما مقاومة جدية . وبديهي ان حكومة
الشام لم يكن لديها عدد كبير من الجنود متأهين .
وفي ضحى اليوم التالي تلقى يزيد الثالث البيعة من اهل
دمشق . وكان مرحاً يتمثل بالشعر ، وجعل اصحابه الاتقياء
يتعجبون « ويقولون انظروا الى هذا : هو قبيل الصبح
يسبح ، وهو الآن ينشد شعراً » . ويدعو المتطوعين لقتال الحليفة الشرعي ، فلا
يتقدم الا عدد قليل ، فيضطر الى ان يرفع قيمة الجائزة التي وضعها ليكون تحت

يزيد بن الوليد
بمذنب التورة في الجامع

ليس من مقاومة تذكر

يزيد يجزل المطاء
لقتال الحليفة

(٥١) Theoph , 62325

(٥٢) الطبري ١٨٣٧ : ١٨٦٧

(٥٣) لم يحدد تاريخ مضبوط

(٥٤) وكان لحوته الوفاء يقيم في قطننا

الدولة العربية وسقوطها (١٩)

سلطانه الفا رجل ، واعطى القيادة الى ابن عمه عبد العزيز .
وكانت جائزة الرسول الذي جلب الى الوليد اخبار الثورة
الوليد يتصدى للناشرين ^{مائة سوط . ورفض اولاً نصيحة اصدقاء له خالص بأن}
يهرب الى حمص او تدمر او اية مدينة محصنة ، ولم يترك الأغدق الا في اللحظة
الاخيرة ، وقد سار جيش عبد العزيز اليه ، فالتجأ في قصر البخراء المحصن ، وهو
ليس بعيداً عن هناك . وكان معه مائتا رجل وعدة سرازم صغيرة من الفرسان ،
هرعوا اليه من قريب وبعيد ، وهم كليون من تدمر (بقيادة ابن اخي الابرش)
ومن اهل البحرين من حمص وغيرهم . وسار العباس بن الوليد مع اولاده الثلاثين
الى نجدته ، لكن عبد العزيز التقطه في الطريق واضطره الى ان يلتحق بجيشه .
وكانت الرسل تتوارد الواحد بعد الآخر تعلم الوليد
تقدم الناشرين اليه ^{باقتراب العدو . ولم يقلقه ذلك ، حتى رآهم امامه ، وكانت}
فرقه الهزيلة معسكرة امام القلعة تبعاً للاسلوب العربي ، ولم يفوزوا منه الا على رقعة
كتبها لهم عن المستقبل ، اذ ان المال بين يديه قد نفذ ، فاعتبروا الحاضر ميؤساً
منه . وقدم لهم ارتداد العباس عنه الى الحزب المعادي مثلاً خطيراً . اذ الى
ذلك ان بني كلب التدمريين ما كانوا ميالين الى قتال بني كلب الدمشقيين .
فالامر كان اذن يسيراً على عبد العزيز ، وهو يتقدم مهاجماً عند شروق الشمس .
واشترك الوليد بالقتال بنفسه ، فقاتل بشجاعة عظيمة ،
مقتله وعرض رأسه ^{لكنه سرعان ما الفى نفسه ، وقد هجره كل انسان ؛}
فرجع الى القصر ، وجلس في حجرة داخلية ، وشرع يقرأ في المصحف وقال :
يوم كيوم عثمان ، وهكذا لقي حتفه (٥٥) . واعطي وريثة خالد القسري قطعة
من جلده بمقدار الراحة [اعتبرت] دليلاً على اخذهم بالثار . واحتز رأسه رجل

(٥٥) وأسماء من وثبوا عليه ممدودة في الطبري ١٨٣٠ وانظر ١٧٧٨

يلقب بوجه الفيلس^(٥٦) ، واعطي ليزيد ؛ فعرضه يزيد وارسله الى كل مكان ، ولم يعطه لآخي المقتول إلا بعد شهر ، واما هو فلم يدفنه جيناً منه واحتج باسباب دينية . وكان يوم الواقعة الخميس ٢٧ جمادى الثانية عام ١٢٦ اي الخميس ١٧ نيسان ٧٤٤^(٥٧) .

ولئن صدقنا يزيد الثالث ، فانما دعي للخلافة بارادة من
دعوى يزيد
الشعب ، وماقتلوا الوليد إلا دفاعاً عن النفس ، فقد اجاب
الوليد بسبل الحسام عندما دعي دعوة سلمية الى ترك امر الخلاف القائم الى الشورى ،
فكان هو اول من سفك الدماء^(٥٨) .

ولما عرف الامر في حمص ، هدم اهله قصر العباس بن
نورة حمص على يزيد
الوليد الذي عدوه خائناً ، وساروا الى دمشق ظانين ان
تقع
ابا محمد السفياي الذي جعلوه عليهم ليس عليه إلا ان يظهر
نفسه امام المدينة حتى تستسلم اليه . غير ان الامر حدث بخلاف ذلك ، وهزمهم
سليمان بن هشام هزيمة ساحقة قرب دمشق . ولو لم يتوسط يزيد بن خالد
القسري والكلييون لافنام عن بكرة ابيهم . واجبر ابو محمد على ان يدخل
الخصراء ، وهو سجن العاصمة حيث كان اثنان آخران من بني سفياي وولدا
الوليد الثاني . اما الثورات في مدن فلسطين فقد تمت ايضاً دون صعوبة
بالعنف او بالرحمة .

(٥٦) الطبري ١٨٠٩/٢ ، ٥٠

(٥٧) ويوم الخميس في الطبري ١٨١٠ ، ٦٠ ؛ التنبيه ٣٢٤ هو ٢٧ جمادى امس في الطبري ١٨٣٦ ،

١٤ فذاك التاريخ هو يوم الاربعاء . وبجمله تيوفان (A.M. 6235) يوم الخميس ١٦ نيسان .

ويقول الياس النصيبي انه يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية

(٥٨) الطبري ١٨٤٣ وما بعدها

٥ . - زبير الثالث

خطب يزيد الثالث في حفلة المبايعه بدمشق خطبة افتتاحية
برنامج يزيد الثالث
حذا فيها حذو خليفة بني امية المقدس عمر بن عبدالعزيز ؛
فتعهد بالا يقيم بناء ، والا يعمر قناة ، والايجمع المال . وتعهد بان ينفق
المبالغ التي تجمع بمصر من الامصار في ذلك المصر بالذات ، والا يجمع الناس في
الثغور فيفتنهم وزوجاتهم ، والا يحمل على اهل الجزية فيتركوا بيوتهم ووطنهم
بأئسين ، وان يصغي دوماً الى شكوى الضعيف على القوي وقال : « وان لم
اف فلكم ان تخلعوني الا ان اتوب ، وان عرفتم احداً ممن يعرف بالصلاح...
واردتم ان تبايعوه فانا اول من يبايعه . ايها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »
وكانت الخليفة يتكلم باخلاص مع القدرية الذين يقال
امتداح قيس بن هاني
لهدا البرنامج
انهم في مبادئهم السياسية يتفقون مع المرجئة ، وكان هو
يقرب المرجئة اليه (٥٩) . وامتدحه قيس بن هاني العبسي
المتدين ذو المكانة عند الشعب مدحاً مفرقاً ، وتكلم بعده عن واجبات الحاكم
الصحيحة الخالصة ، وحضه في الوقت نفسه على الوفاء بعهده ، ولو ادى ذلك الى
خلعه بمحض ارادته .

ووعد يزيد الثالث قبل كل شيء بان يدفع للجنود بانتظام
سبب تسميته بالناقص
اعطيائهم في بداية كل عام وارزاقهم في كل شهر . ولم يكن
ذلك امراً طبيعياً ؛ فالامر كان على ما هو عليه اليوم في تركيا . ومع ذلك
فقد « نقص الزيادة التي كانت الوليد زادها في عطيات الناس » . فسمي
لذلك بالناقص .

واعتمد على اليانين اعتماداً كبيراً لاسيما منهم الكلبين فلم
يكن في حاشيته قيسي واحد (٦٠) . واختار منصور بن
منصور بن جمهور الكلبى
بين على العراق
جمهور الكلبى والياً على العراق ، وهو رجل متهور لارحمة
له ، فسار حالاً بعد مقتل الوليد الى مصره . وكان في انتظاره خمسمائة من
القيسين ، واذا هو يجردهم من سلاحهم ، مع انه لم يكن معه إلا ثلاثون رجلاً ،
بل قيل سبعة .

ولم يكن يوسف بن عمر يعتمد على فرق الحكومة الشامية
في الحيرة والكوفة . فالحامية المحلية في تلك الايام قليلة
العدد . هذا ومحاولته للتفريق بين القيسين والكلبين لم تفلح
يوسف بن عمر
مضطرب في العراق
بل قالوا له : «إنا رجال من اهل الشام نبايع من بايعوا ، ونفعل ما فعلوا » . ولم
يعد لهم بعد موت الوليد الثاني امام ، فلم يكونوا يعرفون لاجل من يقاتلون .
وتموج امر يوسف ذلك الشيخ الشيطان القصير بين الحذر والياس . فحيناً كان
يقف على رأس اصابع رجليه ، وحيناً ينقلب على عقبه .

ولو لم ينقذه قائد اهل الشام في الحيرة سليمان بن سليم الكلبى ،
هربه ثم حبسه والمزء به
فيشجعه ويسهل له سبيل الهرب ، لوقع بين يدي منصور
الذي كان ينوي له ماينوي . وهاهو ذا يذهب الى محباً يقيم فيه باللقاء في شرقي
الاردن ، لكنه لم يبق مختبئاً هناك امداً طويلاً ، فقد انتزعه احد بني كلب من
مخدع امرأة ، فوضع في الحضراء بدمشق حيث بدا عليه الجزع الاحمق ، فانار
السخرية . وكانت لحينه الطويلة مجال المزء به ، فعلق عصفوراً بخيط اهل السجن .
ودخل منصور بن جمهور الحيرة والكوفة في بداية رجب
عام ١٢٦ (او اخر نيسان ٧٤٤) فوضع يده على بيت المال
عبيد الله بن عمر
يخلف منصوراً
ودفع متأخر العطاء ، واطلق السجناء ، فقبل اهل واسط

والبصرة عماله دون معارضة . لكنه لم يحتفظ بهيئته على العراق زمناً طويلاً .
ففي رمضان او شوال عام ۱۲۶ (تموز ۷۴۴) استبدل به يزيد عبد الله بن عمر
الذي لاجرم ان العراقيين يقبلونه بصفة خاصة فهو ولد ابيه عمر بن عبد العزيز .
واعترفت سجستان والسند بالخليفة الجديد ايضاً ، وعين
اعتراف الامصار اميراً عليها احد بني كلب . وخضعت مصر لطاعته على
يزيد الثالث
دون خراسان ، الجزيرة مايقول تيوفان ؛ لكن صاحب صلة يزيدور اخطأ إذقال
ان كل الناس اعترفوا بخلافته مسرعين . فنصر بن سيار
في خراسان ومروان بن محمد في ارمينية والجزيرة لم يعدا نفسيهما من عماله ،
واتخذوا موقف الانتظار ليريا ما يحدث .

ولم ينتظرا طويلاً . فقد توفي يزيد يوم الجمعة ۱۲ من ذي
الحجة ۱۲۶ (۲۵ ايلول ۷۴۴) بعد ۱۶۲ يوماً (۶۱) من
توليه الخلافة . وكان قد عين خلفاً له اخاه ابراهيم بن الوليد
وذلك بالحاح القدورية ، وهو امر عجيب ، فقد كان لهم في الوليد اثر اكبر من
ان يقتصر على الدين وحده .



(۶۱) هكذا يقول الياس النصيبي بضبط .

الفصل السابع

سروان والحرب الرواقية الثالثة

١ - افضاع سروان للتام

كانت اعمال العنف التي حدثت في عهد الوليد الثاني نذيراً
ارثورة يزيد في الشام بانهايار الحكم الاموي . فقد طعنت العائلة المالكة نفسها
طعنة سياسية . ففي الشام ذاتها لم يعد لها من سلطة شرعية ولا لخلافتها من حرمة ،
واذا بالشام ، وهي حجر الزاوية في النظام القائم ، تفرق في تيار الثورة ؛ ففيها
ايضاً وجد الدين التائر محطاً لاقدامه ، فتقدم فيها . وكان الكليوت حتى
ذلك التاريخ حراساً للحكومة واخلص المخلصين لها ، واذا هم ينقضون ولاءهم
ويندفعون في العصيان على الحاكم الشرعي .

ولنا ان تصور كيف اثرت الهزة التي حدثت بالمركز
الجيشان في اطراف المملكة
اثرها في اطراف الدولة . ففي كل مكان تضععت الروابط
التي كانت تكبح جماح القوات الدافعة . وقامت ضروب
عديدة من المناوئة في كل مكان ، وظهرت من اختلاط الحابل بالنابل اشكال
متنوعة . وتجمعت العناصر حول المراكز ثم انفصلت عنها مشكلة مزائج اخرى ،
وكان الوقت ملائماً للمغامرين ولطلاب الكسب يبلغون بلمحة عين قوة رهيبه ،
ثم اذا هم يختفون فكانهم اثار بعد عين .

وهذا هجين^(۱) (ابن ام ولد) من فرع جانبي للعائلة المالكة ،
مروان الحمار يظهر وهو مروان بن محمد بن مروان : رجل بين الحسين والستين
من العمر^(۲) يظهر فيناهض ذرية عبد الملك بن مروان ، وبصفة خاصة اولاد الوليد
الاول وهشام ، اولئك الذين تسببوا في قتل الوليد الثاني ، وانتفعوا به . وكان
يسمى بالحمار على سبيل السخرية ، فقد كان يحب ورد الحمير^(۳) . وكان اخوه محمد ،
وهو اخو عبد الملك ، اميراً على الجزيرة وارمينية امدأ طويلاً ، يقود منها حرب
الروم ، ثم حل محله مسلمة بن عبد الملك وآخرون .

وظهر مروان اول مرة عام ۱۱۵ والياً على ارمينية
واذربيجان على اقل تقدير . وكان عمله يتطلب رجل حرب ،
فأبان مروان انه ذلك الرجل ، فقد دافع دفاعاً عنيفاً عن
الحدود القفقاسية امام الاتراك . وبأشر حملات ناجحة في اراضيهم . وكان له في
هذا العمل الذي ظل فيه اثني عشر عاماً مدرسة حربية .
وكان نظام الجيش في تغيير متدرج وتطور اكبر يسير في
وجوب تبديل نظام الجيش اتجاه فني . فقد ظهر ان جيش المقاتلة غير صالح للحملات
المنهكة البعيدة ، ولا نفع منهم يرتجى للمهمات التي لاصلة لها وثيقة بقلوبهم ، فابطلوا
واستبدلت بهم فرق الجند الشامي .

(۱) انساب الاشراف ۲۶

(۲) الطبري ۹۴۰

(۳) هكذا عن المؤرخين الشاميين . ويغر مولر A. Müller, 1,453 هذا اللف
ارتجالاً على انه مديح ويحيل على الاياذه Iliad, 11,558 . ويدعى مروان أيضاً الجمدي ولا
استطيع ان اقول لاني سبب . انظر الطبري ۱۹۱۲ انتهت حاشية ولها وزن . ويقول المغرب ان السبب معروف
ذكره عدد من المؤلفين كابن الاثير في حوادث سنة ۱۳۲ وابي الاسود وغيرهما وهو ان مروان
تعلم من الجعد بن درهم منعه في القول بخلق القرآن فنسب اليه .

اعطية الجيوش
ولا كبير جدوى من وضع مشاريع حربية بأسلوب
الارزاق تحدد لكل عربي قادر على حمل السلاح . فانت
اذا اردت رجالاً مطيعين للأوامر يذهبون حيث تقودهم ، فلا بد من ان تكافئهم
على ذلك . دفع يزيد بن معاوية لكل من كان على استعداد للسير الى المدينة
ومكة مائة دينار زيادة على عطائه السنوي . وقدم يزيد الثالث لكل من اكتب
لقتال الوليد الثاني الفي درهم . وقدم الوليد الثاني لكل مدافع عنه خمسمائة درهم .
اما اهل الشام الذين ذهبوا الى ميدان القتال ليحاربوا عام ١٣٠ (٧٤٨) خوارج
جنوبي الجزيرة العربية ، فقد فاز كل رجل منهم بمائة دينار وفرس حرب ودابة
لحمل الأثقال . بل إن الضحاك الخارجي نفسه كسب رجاله بالثمن الغالي الذي
اعطاهم إياه (٤) .

تنظيم مروان للجيش
على اسلوب الكراديس
وحلت الفرق المنظمة التي هي العمود الفقري للجيش مكان
القبائل التي هي هيكله العظمي القديم ، حلت اكثر فاكثر .
وبدلاً من زعماء القبائل ظهر قواد عامون مهنتهم القيادة ،
فسميت الفرق باسمائهم حيناً ، كالوضاحية والذكوانية نسبة الى الوضاح والى
(مسلم) بن ذكوان . والى جانب ذلك حدث تحسن في الخطط . فقد كانت
المحاربون يقاتلون فيما سبق صفوفاً تبعاً للعادة العربية القديمة التي بارك فيها الرسول
[عليه السلام] . وبين الصفيين المتقابلين كانت تقع معارك منفردة يترتب على نهايتها
تقدم الجيش بكامله او انهزامة . وهاهيذي الآن الصفوف الغريرة تزول ويحل
محلها الكراديس ، وهي وحدات صغيرة كانت في الوقت نفسه اكثف واكثر
حركة . وينسب وضع هذه الكراديس لمروان بن محمد ، بل إن كانت ترجع
الى اصل اقدم فانما هو الذي قادها الى كمالها . ويظهر من نسبة وضعها اليه كم
كانت شهرته كبيرة في التنظيم الحربي .

اضف الى ذلك انه كان خبيراً في الدسائس السياسية ،
متلون في سياسته
يحتفظ بالصلوات في كل مكان ، فتأتيه الاخبار الدقيقة عن
كل شيء يحدث في اي مكان . ولما افضى الحكم الى الوليد الثاني قدم نهائيه المخلصة ،
وانتقد هشاماً في الوقت نفسه ، مع أنه انما يدين بالشكر لهشام على عمله . واستنكر
المؤامرة على الوليد في كتاب جدي ، بينما كان في الوقت نفسه يعبر [في مكان
آخر] عن عواطف مباينة كل المباينة^(٥) .

وعلى كل ، فمقتل الوليد كان من حسن حظه بمكان . فقد
كان حربياً بان يشور على من قام به فيطالب بالثار ،
وينتزع الغنيمة منهم متذرعاً بذريعة قوية . ولما وصلت
اخبار الحادث نقض ولاء يزيد الثالث ، سائراً من ارمينية الى الجزيرة . وكان
ابنه عبد الملك قد استولى على هذا المصر له ، اذ ان اختلاف الملك حمل الوالي
على ترك هذا المصر .

واعلن اليمانيون السوربون عصيانهم من خلفه بقيادة ثابت
ابن نعيم الجذامي . وكان قد تركهم خلفه في باب القفاس
يجمعونه من الترك ، فهو لم يكن يثق بهم كل الوثوق .
وما كانوا يبايعون إلا الخليفة الذي يبايعه اخوانهم في الشام ،
فطلبوا ان يعودوا الى موطنهم . وهذا مادعاه الى ان يرجع القهقري مرة ثانية ،
وفتحوا له الطريق واسلموا له ثابتاً . لكنهم فازوا بمطالبهم . وسمح لهم مروان
واللقيسيين من اهل الجزيرة الذين يشكلون نواة جيشه بان يسيروا الى حران .
وفي حران سرحهم . وبقي هو فيها ، ورأى من الحكمة ان يبايع يزيد الثالث ، لاسيما وان
يزيد مستعد لمنحه كل المنطقة التي كانت بادارة ابيه في عهد عبد الملك ، أي الجزيرة
والموصل ورمينية واذريجان .

ومات يزيد الثالث بعد ستة اشهر من ولايته ، وعاد مروان
نوفي يزيد فتار مروان
على ابراهيم
بالحال الى خطته الاصلية ، فاستخدمها ضد الخليفة الذي
عنه يزيد الثالث اي ابراهيم بن الوليد الذي لم يعترف به
الا القسم الجنوبي من الشام . وتقدم مروان في سورية على الفرات ، والتحق
به قيسو قنسرين بامرارة يوسف بن عمر بن هبيرة ، وانتقل اليه عرب حمص (٦) .
ولم يلق بممانعة حتى وصل الى عين الجر على نهر من لبنان الشرقي يصب في الليطاني .
وهناك كان جيش اهل الشام الجنوبيين بقيادة سليمان ابن
انكسار جيش سليمان
ابن هشام وعفو مروان
عن الكلبين
الخليفة هشام (٧) . وسليمان هذا قضى كل شبابه في حرب
الروم ، وكان على احسن حال في الميدان يقود فرقه ،
وكان حرسه الذكوانية . هاهوذا الآن يلتحم بمروان
اول مرة ، ثم مرات كثيرة بعد ذلك ، لكنه ليس من رجاله ، فكسر
وهرب عائداً الى دمشق . وتمزق جيشه ارباباً ارباباً . واتخذ المنتصر موقفاً معتدلاً ،
فلم يفتك الا بكليين وقعا في قبضته ، وكانا قد اشتركا في قتل الوليد . اما بقية
الاسرى فاهدام الهدايا ، وتركهم احراراً .

غير أنه ألزمهم بان يبايعوا ابني الوليد ، وكانا مسجونين
مروان بمبايعته اولدي
الوليد الثاني
بمرضها للقتل
في دمشق . فقد احتاط مروان ولم يتقدم باسمه ، بل
تقدم مندوباً عن وريثة الوليد الثاني بما كلف ابني الوليد
حياتها ، اذ كانا في يد العدو . فقد كان من المتنبئين به انهما

(٦) وفي تيوفان Theophanes, A.M. 6235. جب ان تقرأ بالطبع Emessa بدلاً من Edessa

(٧) ويصف تيوفان المكان ويدعوه Garis ويترجم الليطاني كما لو كان يسمى « اللامين » .
ويسمى المكان بالسرياني En Gara انظر D. M. Z. , 1897, 581 وموقع عين الجر على
الطريق بين بعلبك ودمشق (الطبري ٤٨/٣)

إن وليا الخلافة ، فسيأخذان بأشد أنواع الثأر رهبة من قاتلي أبيهما، ولا يوفران دم أبناء عبد الملك .

وهكذا اعدمها سليمان حالما عاد الى دمشق . ونفذ امره سليمان يسير الى تدمر فيها يزيد بن خالد القسري . وقتل يوسف بن عمر أيضاً في السجن ، لكن أبا محمد السفياي تمكن من الهرب واختبأ . ثم افلح سليمان بان يسير باكبر مقدار من المال قدر على جمعه بعجلة ، وذلك قبل ان يصل مروان الى دمشق بقليل . وسار سليمان مع ابراهيم الى تدمر مركز قيادة الكليبيين .

الآن وقد نحي عن الطريق بنجاح ابنا الوليد، فقد تلقى بيعة مروان

مروان الثاني البيعة لنفسه في دمشق يوم الاثنين ٢٦ صفر ١٢٧ (٧ كانون الاول ٧٤٤)^(٨) . واول من بايعه ابو محمد السفياي مؤكداً ان ابني الوليد عهدا بالخلافة الى مروان عند موتها وآسفاً بمرارة من انه على قرابة من جهة والدته بالكليبيين المكروهين . وهكذا تنازل عن حقه في الخلافة .

ويقول تيوفان ان مروان بعد ان استولى على دمشق اعدم عدداً من وجوه الناس الذين اشتركوا في مقتل الوليد وولديه ، وشوه اعضاء آخرين . وليس هذا القول صحيحاً كل الصحة . ولعل مروان عاقب بالواقع واحداً او اثنين من قتلة الوليد الحقيقيين حين تمكن منهم . ويلوح انه اتخذ تدابير صارمة ايضاً ضد الثورويين الدينين . وقتل قيس بن هانيء العبسي ، ذلك الذي بالغ في القول عندما بايع يزيد الثالث . واضطهد مروان القدرية^(٩) الذين كان سلفه يدلهم .

(٨) هذا ما يحدده الياس النصيبي محققاً ، على ان يوم الثلاثاء الذي سماه ينبغي ان يصحح بيوم الاثنين تبعاً لكتاب النبيه الذي من جهة اخرى يحدد اليوم من الشهر خطأ .
(٩) ويقول تيوفان ٦٢٤١ انه كان جريماً فقد كان عدواً للمذهب حرية الارادة . والحق انه لم يتبع مذهباً عقائدياً بل اعتبارات سياسية .

لكنه على ما تقول الاخبار العربية سار الى دمشق اول
تهدئة للحواطر
مرة دون ان يستل الحسام، ولم يظهر ابداً مظهر المنتقم.
ولم ينبش قبر يزيد وتستخرج جثته وتصلب بأمره . بل منح العرب في الامصار
السورية الاربعة الكبيرة^(١٠) حق اختيار واليهم بانفسهم . ووافق كذلك على
ان يصبح ثابت بن نعيم والي فلسطين . وثابت نفسه هو الذي قاد ثورة جند
الشام في القفقاس ضده . وكان يتوخى بعث الثقة وتهدئة الحواطر . وبعد ان
انهى عمله وعاد الى حران ، ورد عليه خصماه الرئيسيان الحقيقيان فقر بها ، وهما
سليمان بن هشام و ابراهيم المخلوع .

وحرب مروان مع ابناء عبد الملك هي حرب ضد كلب
وقضاة . وانضمت قيس اليه ، وحاربت من اجله . وها
هو ذا الآن يجعل مقامه بين قيس بجران في الجزيرة . ففيها
عاش والده ، وهنا نشأ هو ، وفي هذا المكان شعر انه بين
ذويه^(١١) . ويقول في التنبية ان اسلافه باجمعهم كانوا يقيمون في دمشق ، وبعضهم
القليل آثر ان يقيم في البادية . وعلى كل حال ، فلئن ابتعدوا من دمشق ، فليس
ذلك لاسباب سياسية ، ولا لانهم قصدوا ان ينقصوا من منزلة دمشق من
حيث انها عاصمة .

اما مروان ، فيبدو انه قصد هذا القصد بالواقع . فقد نقل
ار نقل مركز
الحكومة
مركز الحكومة الى حران . ويقول تيوفان انه نقل ايضاً
كل الاعمال مع بيت المال من دمشق الى حران . وآل به
هذا الى نتائج خطيرة . فقد شعرت الشام باجمعها مع دمشق بانها سلبت الحكم ،

(١٠) فلسطين والاردن ودمشق وحمص . اما قنسرين فهي باعتبارها قيسية تابعة للجزيرة
ومنفصلة عن الشام .

(١١) ويفسر تيوفان اخذه بالجبر . انه قريب من اهل حران الاراميين الذين ظلوا وتنيين

يستثنى من ذلك قسمها الشمالي. وتشربت الخلافات الحزبية هذا الشعور أكثر فأكثر. وتمنى الناس العودة إلى الأزمان السابقة. وطبيعي أيضاً أن العطف على العائلة الحاكمة الشرعية التي أطاحت عن العرش، والتي كان لها اتصالات وقرابات في كل مكان، لم تنتزع جذوره بسهولة بحيث ينتقل إلى المعتصب الغريب الذي أمه أم ولد. وكان العام لا يزال سنة ١٢٧، عندما ثارت الشام على نورة سورية مروان (١٢). ويلوح أن الثورة بدأت بفلسطين، لأن ثابت بن نعيم كان فكرها المحرك، لكنها امتدت في كل الجهات، وانتشرت في مدينة حمص التي ماقتت حتى ذلك التاريخ متمسكة بالوليد الثاني وعمران.

وفي اليوم الثاني من شوال ١٢٧ (٧ تموز ٧٤٥) (١٣) ظهر مروان أمام حمص، ففقد سكانها شجاعتهم، وفتحوا له الأبواب، وخانوا الجنود الألف من الكلبين الذين هرعوا لنجدتهم من تدمر (١٤). ثم انقذ مروان جيشاً كبيراً إلى دمشق ليرفع الحصار

(١٢) ويؤرخ الواقدي ذلك عام ١٢٨ (الطبري ١٧٤٢) والباس النصبي عام ١٢٩. وقد اتبعت تيوفان (A. M. 6236) والرواية الأساسية في الطبري (١٨٩٠ وما بعدها) وسأعرض الأسباب خلال البحث التابع. والاتباس ممكن جداً لأن حمص حوصرت مرتين من قبل مروان في عامي ١٢٧ و ١٢٨.

(١٣) يومين بعد الفطر عام ١٢٧ (الطبري ١٨٩٣)

(١٤) ويقول تيوفان ٦٢٣٦ هـ صاب ١٢٠ كليباً ولكن الطبري يقول أنه انما صلب حث القتلى. وكان العباس بن الوليد يقيم في حمص. وضرب أهل حمص قعره عام ١٢٦ لأنه انتقل إلى حزب أعداء الوليد الثاني. ويلوح أنه بعد ذلك تمتع بيمض الأثر فيهم مرة أخرى وأنه أحدث تغييراً سياسياً في نفوسهم وأقنعهم بالثورة على مروان. ولذلك قبض عليه مروان بعد أخذه حمص وقتله في السجن. وعهد إلى زنجي بأن يغمس رأسه في زنبيل من الكلس المنقى. وقد ابتهج النصاري لذلك، وكان العباس قد أثارهم عليه بتمصه. وكانوا انذاك كثيري المدد في حمص. ولعلمهم قاموا بنصيبتهم في تسليم حمص لمروان الذي كان بعيداً عن التمصب للاسلام انظر Theoph. A. M. 6236. وتفضل روايته الصحيحة على الرواية المفتضة الواردة في الطبري ٤٣/٣.

عنها ، وقد احاط بها عرب من المنطقة التي يتولاها يزيد بن خالد القسري . وشتت المحاصرين ، وقتل يزيد ، واستباح معسكر الكلبين ، واحرق المزة . ثم تقدم الى طبرية عاصمة الاردن . وكان ثابت بن نعيم يحاصرها ، فدفعه وهزمه مرة اخرى في فلسطين ، ثم اسره (١٥) وقتك به وباولاده ، بعد ان قطعت ايديهم وارجلهم ، وصلبت جثثهم المشوهة على ابواب دمشق .

واخيراً اتى دور المكان الوحيد الذي لا يزال عاصياً ، الا

الصلح مع الكلبين

وهو تدمر مركز قيادة الكلبين . فسار مروان بنفسه

اليه . لكن الابرش سعى الى أن يمنع اسوء الشرين ، ففاوض بالصلح . وكان رؤساء المدينة ينتظرون مروان . وهرب الى البادية عدد قليل ممن لم يأمنوا له .

وعقد مروان البيعة بولاية العهد لابنيه في دمشق . وزوجها

اختين لهشام ، وجمع آل امية بأسرها في حفلة الزواج .

نصالح مروان مع

الامويين وتجهيزه

حملة من دمشق

وكان ذلك عمل رجل دولة ، فقد رأى انه أصبح يستطيع

أن يراضي العائلة ويحالفها . ودعا أهل الشام لحملة كان عليه أن

يقوم بها على العراق الذي لم يكن قد خضع له . فجد عشرة آلاف رجل منهم ، وجهزهم بالاسلحة والخيول ، وأمرهم بأن يلتحقوا بقوات أهل الجزيرة وقنشرين التي تعد عشرين الف والتي كانت ببداية عام ١٢٨ (خريف ٧٤٥) تسير محاذية للفرات بامرة (يزيد) بن (عمر بن) هيرة .

ولما مر الجنود العشرة آلاف بالرصافة ، أقنعوا سليمان

الجنود المجهزون

ببايعون سليمان

ابن هشام الذي كان يقيم هناك في قصر والده بأن يكون

عليهم خليفة . ومع ان مروان عامله برحمة كبيرة ، ومع ان هناك

من الاسباب ما يدعوه الى ألا ينتقض عليه ، فانه وهو رجل حرب لم يستطع

(١٥) ويقول الواقدي (الطبري ١٩٤٢) ان ذلك حدث في شوال ١٢٨ . اما أن

يكون نعيم بن ثابت ليس الا ثابت بن نعيم فذلك واضح من نسبه « الجذامي » .

ان ينجو من الاغراء الذي تعرض له . فاستولى على مدينة قنسرين التي كانت خالية من الجند . واقبل اهل الشام اليه من كل حدب وصوب زرافات ووحداً ، حتى قيل انه كان تحت رايته آخر الامر سبعون الف رجل .

وابقى مروان قسماً صغيراً من جيشه الذي كان يسير الى
كسر مروان لهم
دون رحمة
الكوفة بقيادة ابن هبيرة قرب دورين ؛ وقاد اكبر قسم
منهم بنفسه عائداً الى العاصي الذي ثار في ظهره . وانقض
على سليمان في معسكره قرب خفاف غير بعيد عن قنسرين ؛ فهزمه هزيمة ساحقة ،
ولم يرحم الاسرى من العرب ، بل كان عليهم ان يتحملوا الموت الزؤام ، إلا
من ادعى منهم انهم عبيد ، فكف عنهم . ويحدثنا الطبري عن مقتل
ثلاثين الف اسير . بيد ان تيوفات لا يذكر الا سبعة آلاف قتلوا عن
بكرة ابيهم .

ومضى سليمان ببقية جيشه الى حمص ، ثم هرب من هناك الى
قضاؤه على اعدائه
تدمر عند اقتراب العدو ، ومن تدمر الى الكوفة . وبقي
الجيش في حمص بأمره اخيه سعيد ؛ فحاصر مروان هذه المدينة مرة ثانية ؛ ولم
ترغم على الاستسلام الا بعد اربعة اشهر واثنين وعشرين يوماً^(۱۶) . واعدم
مروان عدداً قليلاً من اعدائه الالقاء ، ووضع سعيد بن هشام وابناءه في السجن^(۱۷) .
ولم يذكر لنا متى قبض على ابي محمد السفياي وسجنه ، لكن الأمر يؤيده

(۱۶) هكذا يقول الياس وانظر تيوفان ۶۲۳۷ ويجمع الطبري ۱۹۱۲ المدة عشرة
اشهر . لكن لا محل لهذا . وقد يكون ذلك مدة الحملة بأجمعها عام ۱۲۸ .
(۱۷) ويقول تيوفان انه اعدم اقارب هشام واصحابه كاهم . لكن هذا غير صحيح انظر
الطبري ۲۳/۳ مع ۱۹۱۲/۲ . وروى الطبري (۱۹۱۲/۲) مرتين على وجهين مختلفين
اعدام السكسي الذي اشتهر بأنه بطل اهل الشام . وينبغي التمييز بين ماوية السكسي واني علاقة
السكسي ويدعى ابو علاقة بالقضاعي ايضاً مع ان بني سكك ليسوا الا محالفين مع قضاعه
فلا ينتمون اليهم بالواقع .

الطبري^(١٨) . وهو مهم لانه يرينا ان هذا الاموي نفسه قد دفعه التيار العام ايضاً .
ونقضت ابراج حمص نقضاً ، وكذلك ابراج بعلبك
ودمشق والقدس والمدن السورية الكبيرة الاخرى ؛
لكنه لم ينقض ابراج انطاكية ، حيث كان معظم السكان
نصارى^(١٩) . ومن ثم يلوح ان مروان لقي آنداك مقاومة غير متوقعة في هذه
الاماكن ايضاً^(٢٠) . وفي صيف عام ١٢٨ (٧٤٦) انتهى من الشام ، فقد
كانت مبسوطة مقطعة على اقدامه .

نقض ابراج
بعض المدن

٢ . انتصار مروان في العراق والمشرق

وفي اثناء ذلك كان كل شيء في شرقي الدولة قد انقلب
رأساً على عقب . وكان يزيد الثالث قد جعل احد ابناء
الخليفة عمر بن الخطاب والياً على العراق في رمضان او
شوال ١٢٦ (تموز ٧٤٤) بدلاً من منصور بن جمهور الكلي الذي استمر محتفظاً
بمكاته في الكوفة ذات اثر . وكانت الحيرة مقراً للحكومة ومركزاً لقيادة
الجند السوري ، واستمرت كذلك . وكانت حصن الكوفة الى حد ما . اضعف
الى ذلك ان الحيرة كانت توقف الكوفة عند حدها ، عندما كان لدى العامل
شرطة تحت تصرفه . وطبيعي ان اهل الكوفة لم يكونوا على صلوات ودية
بالمعسكر الاجنبي .

اهل الكوفة

غير مرتاحين لحند الشام

وسعى ابن عمر ليكسب عطفهم . ومن الممكن ان يكون
السعي وراء هذه النتيجة جزئياً هو الغاية من تغيير العمال المستمر
الذي كان لابن عمر يد فيه^(٢٠) على ان اسلوبه الاساسي هو المال

عبد الله بن عمر يزيد

اعطيات اهل الكوفة

(١٨) ٤٣/٣

(١٩) Theoph. ,6237,6241

(٢٠) وهكذا فالواقدي قد لا يكون مخطئاً في جملة ما سجن ثابت بن نعيم وعقابه لا يحدتان لا اذناك

(٢٠ ب) الطبري ١٩٠٢

فقد اعاد الى الجنود العرب العطاء ، وكان قد سحب منهم لانهم لم يكونوا يقومون بالواقع بالخدمة العسكرية ، انما يحملون السلاح لاثارة العصيان خاصة . وبعد وفاة يزيد الثالث وولاية ابراهيم رفع المبلغ الى اكثر . وتهامس اهل الشام حول ذلك ، وقالوا « تقسم على هؤلاء فيثنا وهم عدونا » . غير ان اهل الكوفة لم يروا الا الضعف في هذا اللطف الظاهر ، حتى اذا توفي يزيد الثالث اعتبروا امر عبد الله بن عمر في انخفاض واضطراب ، فحاولوا ان يحضوا على العصيان عليه .

وكان يقيم بينهم آنذاك رجل يمكن ان يعد من آل الرسول
 [عليه السلام] وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
 من احفاد جعفر اخي علي . وكان وفد مع اخوته علي ابن
 عمر ، ثم ظل في الكوفة ، فتزوج من عائلة ظاهرة . وكان يلوح ان نسبه يؤيد
 صلاحه للدعاء بالخلافة ، وكان مستعداً لان يضع نفسه هذا الموضع . والزيدية
 انصاره الاول ، وهم الشيعة التي ثارت منذ بضع سنوات على حكومة هشام
 بقيادة زيد بن علي . وقاده الزيدية الى القلعة ، فاخرجوا منها عاملها . وكان
 بينهم كثير من الموالي ، على ان بقية اهل الكوفة بايعوا عبد الله بن معاوية ايضاً .
 ثم ساروا معه الى ابن عمر في الحيرة . ولم يكن ابن عمر
 اخضعت الثورة بسهولة على شيء من الهمة . فلا بود ان يدع اي شيء
 يعسكر عليه صفاءه ، حتى اذا لم ينخفض تيار الماء عام على وجهه فيه ، فالفي
 انه قادر على ان يستمر على هذه الحال ايضاً . وهكذا كان ياكل ويشرب تاركا
 لجند الشام ان يتصدوا للقتال . ولم يكن الأمر جدياً ، فهرب الكوفيون
 حين اخذ يقاتلهم في محرم ۱۲۷ (تشرين الاول / تشرين الثاني ۷۴۴) وقاتل
 الزيدية وخدمهم باقدام ، واستمروا في القتال اياماً اخرى في القلعة وفي شوارع
 الكوفة حتى منحوا الامن لهم والحرية لابن معاوية بالانسحاب .

ثورة الكوفة

بقيادة ابن معاوية

اخضعت الثورة بسهولة

وهذا ابن معاوية الآن يمضي الى الجبال عن طريق المدائن ،
ابن معاوية يستولي على بعض المشرق ولم يكن قد انتهى امره ، فبدلاً من ان ينخفض عدد
انصاره ازداد كثرة . وهرع اليه كثير من الناس من
الكوفة واماكن اخرى ، لاسيما من الموالي والخدم اي الاعاجم . واستقر
اول الامر في اصبهان ، لكنه في عام ١٢٨ (٧٤٦/٧٤٥) شخص الى اصطخر
بفارس . وخضعت لسلطانه مناطق واسعة في الجبال والاهواز وفارس
وكرمان ، اذ بدا ان نسبه يدعو الى الحكم .

واعترف به اصحاب دعوة آخرون ظهوروا في الوقت نفسه
اعتراف كثيرين به في تلك المنطقة ، اعترفوا به يبتغون ان تصبح دعواهم
مشروعة به كحارب بن موسى وسليمان بن حبيب (٢١) . ولجا الى كنفه
الامويون والعباسيون من الذين لم يامنوا على انفسهم في وطنهم آملين ان يفوزوا
منه بعمل او مكافأة . وكان التشيع عنده قد اصبحت شيئاً ثانوياً بعد ان رقي به
السلم . واجتمعت حوله جماعة من اشقات الناس . وهكذا قام في المشرق الذي
لاسيد له دولة مؤقتة واسعة الارحاء . وهي امارة مميزة من امارات
ذلك الزمن .

ووفق ابن عمر في التخلص من ابن معاوية (محرم ١٢٧)
ابن عمر يخالف مروان مؤيداً باليانيين ولم يعترف بمروان الثاني (صفر ١٢٧) . واستأنف في
العراق حكم الخليفة السابق في الشام بعد ان زال ، دون
ان يدعي بالخلافة . وكان يؤيده اليانيون من اهل الشام (قضاة وكتب)
انضموا اليه اذ لم يجدوا خيراً منه . وكانوا - وهم الاصل في جند الحكومة -
قد اقاموا دار هجره في الكوفة والحيرة ، واذا هم الآن يبرزون اكثر ، وقد

(٢١) ولا ريب ان سليمان هذا ليس القاضي الذي يحمل اسمه والذي ولي القضاء بالشام
في عهد الوليد بن عبد الملك وسليمان وهشام .

اصبح موطنهم القديم مكرها عندهم ، او مغلقة ابوابه دونهم . وشد في ازرهم مهاجرون لم يستطيعوا او لم يشاءوا ان يهادنوا مروان ، من اخوان خالد القسري او اولاده ، ومن عمال كلبين من عيار منصور بن جمهور ، ومن زعماء آخرين من الحزب المغلوب في الشام اتوا طبعاً معهم باتباعهم . ويقصد باليانيين الذين يذكر الطبري اشتراكهم في الحروب الدائرة وحاهها في هذا العهد اليانيون الشاميون في الكوفة اجمالاً .

ولم يكن مروان يستطيع ان يفعل شيئاً مع ابن عمر

الحرشي مع المضريين
اكتر من ان يقيم النضر بن سعيد الحرشي احد زعماء رجال
بناوته

ابن عمر مناوئاً له . وكان النضر قيسياً ، وهو ابن لوال

وقائد من مدرسة الحجاج . وسعى ليكتسب المضريين من جند الشام . لكن

اليانيين ظلوا على عهدهم مع ابن عمر ، لاسيما منهم الكلبين الذي كانوا هم الاغلبية

والذين ينتمي اليهم الزعيم الاكبر الاصبع بن ذواله احد قتلة الوليد الثاني ،

فكان ابن عمر قادراً على ان يثبت نفسه بالخيرة ، بينما استقر ابن الحرشي في دير هند .

ثم إن الحصين تقاطلا مدة اربعة اشهر بين الخيرة والكوفة قتالاً قيل انه لم يكد

يبلغ حد الالتحام الدموي الصرف . ثم إن خطراً مشتركاً أرغمهما على ان يتفقا .

فهام اولاء الخوارج يظهرون في الميدان ، ويحتلون مدة

من الزمن غرته . وكانوا في السابق قلبي العدد دوماً ،
كان جيش الخوارج
دوماً صغيراً

مضطربين الى ان يقتصروا على قتال متواضع . وحقاً أنهم

بوسائلهم ضايقوا اميراً كالحجاج ، وذلك بالرغم من انهم لم يطمحوا بصورة جدية الى

الحكم ، بل اتبعوا نهجاً غير سياسي ، يبغون انقاذ نفوسهم لافتح العالم

الاسلامي الذي لا يرغبون في ان يكون لهم به اقل صلة تجمعهم به .

وبعد فهاهي ذي الآن عصاباتهم الصغيرة تزداد ، فتصبح كتلاً

قوية . وهام اولاء يتخلون عن تشدهم القاسي في البعد

والاستقلال ، فيقبلون كل عون يقدم لهم . لاجرم أنهم

اصبحوا كثيرين
يبغون السلطان

ما زالوا يلزمون من ينتقلون اليهم بالايان بعقيدتهم ، لكنهم ما كانوا يردون اي حليف يريد ان يقاتل الى جانبهم . والحق أن الهدف الذي اصبحوا يسعون اليه لم يعد الجنة بل ملك الدنيا . فقد انضموا الى الخضم الذي يجري وراء السلطان ، ذلك السلطان الذي كانت المعصية لاجله ، انضموا على نحو الآخرين ، واصبحوا قريبين من كسب ذلك السلطان . وبعد ، فلو نجحوا لكفوا عن ان يكونوا من الخوارج .

وابتدأت الحركة في الجزيرة ، وهي مصر الذي فيه سقط ربيعة في الجزيرة
رأس مروان ، ابتدأت بين ربيعة في الشمال لا بين قيس في الجنوب . وكانت ربيعة تبتعد دوماً بعض البعد عن غيرها من العرب المسلمين ، لاسيا عن خصومها القدماء من مضر ، اولئك الذين ارغموها على الجلاء عن منطقتها السابقة والذين سلمت لهم على مضض بالنبوة والخلافة . وكان بنو شيبان من بكر الذين استقروا في منطقة الموصل على طرفي الدجلة منذ ايام شيبان هم ابطال مذهب الخوارج .

وظهر من بينهم بعد موت الوليد الثاني سعيد بن بهدل
انضحاك بن قيس
رأس الخوارج
خليفة على الخوارج . وبعد أن ازال في بيته خصمآله ، سار الى الكوفة حيث كانت تجتذبه آمال اجمل مما في ارض مروان . حتى اذا توفي في الطريق حل محله شيباني آخر ، هو الضحاك بن قيس من قبيلة مرة المرموقة ، تلك القبيلة التي ينتمي اليها أيضاً شيبان . والتحق به خوارج شهرزور وارمينية واذربيجان ، فتقدم الى الكوفة ، وتحت رايته عدة آلاف من الرجال .

واتحد عليه الاميران اللذان مازالا يتقاتلان فيها ،
الضحاك يهزم
ابن عمرو الحرشي
لكنهما لم يستطيعا ان يصداه . وفي رجب عام ١٢٧ (نيسان ٧٤٥) هزما هزيمة حاسمة ، جعلتهما يتركان الكوفة . ومضى ابن الحرشي الى مروان في الشام ، وشخص ابن عمر

الى واسط^(٢٢) ، حيث سبقه قسم من قبيلة بني كلب . وفي شعبان عام ١٢٧ (ايار ٧٤٥) تبعه الضحاك بن قيس وحاصره في واسط .

وبرز منصور بن جمهور في مقاتلة الخوارج ، ثم لم يبال ، ابن عمر يبايع الضحاك فكان اول من انتقل اليهم ، واجتاز امتحانهم الديني واعدأ بأنه سيتخذ الاسلام ديناً^(٢٣) ، وان يطيع كلام الله . وبعد مدة أي في آخر شوال ١٢٧ (بداية آب ٧٤٥) استسلم ابن عمر ايضاً وبايع الضحاك بن قيس . وقال الشاعر يعبر عن دهشته من ان بني امية اعترفوا بخارجي من شيبان اماماً لهم فقال :

ألم تر أن الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل
فقد كان الانتقال في السياسة انتقالاً في الدين ايضاً . وكان هذا التغير المفاجيء مدهشاً حقاً . واكثر من ذلك ان ابن عمر لم يربأ بنفسه من ان يبقى بواسط والياً خارجياً على كسكسر وميسان والاهواز وفارس ، وهو مركز تشاحن فيه مع ابن معاوية جاره في الشرق .

وعاد الضحاك نفسه الى الكوفة ، ومنها حكم على النصف الضحاك يهود الى الجزيرة الغربي من دولته . وبعد غياب لعله طال عشرين

(٢٢) هكذا على ما يقول الطبري ١٨٩٩ . ويقول ابو عبيدة (الطبري ١٩٠٢) ان الاثنين ابن عمر والحارثي هربا الى واسط وجددا خصامهما القديم ، ولم يتصالحا الا عند ظهور الخوارج بالاضبط . لكن لم يشترك ابن الحارثي مع الخوارج في الحرب او في الاستسلام . حتى على قول ابي عبيدة . وهكذا لا بد انه قد اختفى بسرعة وذهب من واسط الى الشام (الطبري ١٩١٣) . وفي هذه المناسبة قد يكون هو الذي قتل والي الكوفة الخارجي كما يروي لنا ذلك ابو عبيدة في الطبري ١٩٠٣ ، ١٩١٤ . على ان الذي قتله هو على ما يقول الطبري ١٨٩٩ وما بعدها و١٩٣٨ عطية التغلي . وقد توغل الى هناك في سبعين او ثمانين رجلاً من واسط عن طريق الكوفة الى الشام .

(٢٣) يدعي الخوارج باسم الاسلام انفسهم ويسمون اهل السنة كفاراً .

شهر آ^(٢٤)دعي بعد منتصف عام ١٢٨ (ربيع ٧٤٦) الى موطنه في الجزيرة في الوقت الذي اصبح فيه مروان منهكاً بكتا يديه في الشام . فجاء واستولى على مدينة الموصل ، وطرده منها ديوان الحكومة .

وهرع كل الناس اليه ، لاسيما ان عطاءه كان كبيراً . جيشه يصبغ عرمرماً ويقال إن جيشه بلغ (١٢٠) الف رجل . وحقاً ان هذا العدد يعتمد على تقدير شعبي ، لكن تيوفان نفسه يقول إنه كان للضحاك جيش هائل . وكان المهاجرون الكليون والمغامرون معه . وقد يعد بينهم سليمان ابن هشام الاموي الذي انقذ فرقة الذكوانية من الانكسار في الحفاف ، فهرع الى الانضمام الى الخوارج باربعة آلاف رجل .

وفيما كان مروان يخضع الشام ، كان يتعرض لخطر فقدان الجزيرة عمود قوته . ومع ذلك فلم يتخل عن محاصرة حمص التي كان مشتغلاً بها آنذاك . غير انه عهد مؤقتاً الى ابنه عبد الله الذي تركه خلفه في مقره بجران بان يسير الى الضحاك ، فيعيق تقدمه من الموصل . وسار عبد الله الى نصيبين . وبعد معركة لا توفيق فيها ، اضطر الى التوقف والانسحاب خلف ابراج المدينة حيث حوصر . واخفق الضحاك في محاولته ان يستولي بالاندفاع الى الامام علي ممر على الفرات قرب الرقة .

وفي تلك الاثناء اخضع مروان حمص . وهاهو ذا يتقدم بشخصه الى الخوارج عن طريق الرقة . والتقى الجيشان في كفر توثا ، وقتل الضحاك في مناوشة وكان دأبه تعريض نفسه دون مبالاة .

(٢٤) هكذا في الطبري ١٩٣٨ . وعن ابني عبيدة (الطبري ١٩١٤) ان الضحاك انسحب في ذي القعدة ١٢٧ (آب / ايلول ٧٤٥) الى الجزيرة . ويقول ابو عبيدة ايضاً (الطبري ١٩١٣) ان مروان انتهى من حمص في ذي القعدة ١٢٧ كذلك واصبح طليق البدن ليتصدى للضحاك . وهذان التاريخان متشابهان ، وفي الاثنين غلط في العام وقد يكون في الآخر صحة في الشهر .

وعاد خلفه الحیبری الى الانقضاء بعد مدة ، فاقتم طريقه في عسكر العدو ، لكنه عرض نفسه بهذا العمل لان يكون محاطاً به ، فيقتل بعمد الخیم من قبل العبيد . حدث ذلك في آخر عام ۱۲۸ حوالی شهر ايلول ۷۴۶ (۲۵) .

لكن الخوارج لم يخضعوا إلا في العام التالي (۶۲۳۹ للخليفة الخوارج يقاتلون قرب انوصل ثم ينسحبون في تيوفان ، ۱۲۹ للهجرة) . وكانوا لا يزالون اربعين الف مقاتل ، واختاروا خليفة لهم شيبان بن عبدالعزيز ابادلف

البشكري . وانصرف بهم خليفتهم الى شط الدجلة الشرقي ازاء الموصل عملاً بنصيحة سليمان ، لكنهم احتفظوا بالمدينة في ايديهم ؛ وكانوا على صلة بها بواسطة جسور معقودة اليها . وخذق مروان بازائهم على الشط الايمن . وقضى هكذا شهوراً طويلة من عام ۱۲۹ (۷۴۷/۷۴۶) ، دون ان يكسب ظفراً حاسماً حتى اذا انتزع العراق من ايديهم لم يعودوا قادرين على المقاومة في الدجلة . ولم يسعوا الى أن يقطعوا طريق الجيش الذي أصبح حرياً بان يهرع من الكوفة الى نجدة مروان . واكيبلا يصبحوا بين نارين ، اخلوا مواقعهم قرب الموصل حوالی آخر عام ۱۲۹ (آب ۷۴۷) ، وساروا خلال الجبال نحو الشرق .

وكان قائد مروان الذي انتزع العراق من ايدي الخوارج ،

فجعل موقفهم في الدجلة عسيراً يزيد بن عمر بن هبيرة القيسي من قنسرین الذي كان والده والياً على الكوفة من قبل يزيد بن هبيرة

يزيد الثاني . وفي بداية عام ۱۲۸ مضى في طريقه الى هناك ، لكنه اضطر الى ان يظل دون حراك مدة طويلة من الزمن في حدود قرقيسيا ، ولم يستطع الانقضاء إلا في آخر العام او بداية عام ۱۲۹ . وبعد معارك عديدة موفقة مع

(۲۵) ويتفق تيوفان في الجوهر مع الرواية الرئيسية للطبري (عبد الوهاب) . وعنه ان الضحاک نار عام ۱۲۷ (۶۲۳۶ للخليفة) في Persis اي العراق ؛ وظهر عام ۱۲۸ في الجزيرة . وأرسل مروان اول الاثمراثة للاقائه . لكنه بعد ان استولى على حمص أتى اليه بشخصه وقتله .

المتنى بن عمران والى الخوارج الذي قاتل معه منصور بن جمهور ، دبر في شهر رمضان ۱۲۹ (ايار او حزيران ۷۴۷) دخوله الى الكوفة (۲۶) . ثم اخذ مدينة واسط وأسر ابن عمر . وهرب منصور بن جمهور مع الكلابيين الى مصر الذي كان لابن معاوية والذي كان فيه الخوارج بعد أن قاتلوا مروان على الدجلة وانسحبوا .

ورفعت الظروف ابن معاوية الى منزلة سامية مدّة من الزمن
ابن معاوية يبرز
مع أنه رجل لاقية له . ولا ريب أنه ما كان ليحلم ان شيئاً من ذلك قد يحدث له . فقد تألفت تحت رايته الشيعة والخوارج والكلبيون والعباسيون والامويون . ولاح ان اختلافاتهم كلها قد انصهرت في عداوتهم الضاربة لمروان . بيد أنه لم يمض زمن طويل حتى انفك عن الاتفاق من بقي منهم من كانت جمعهم الضرورة .

وعاد مروان الى مقره بجران . وكان محتاجاً الى الراحة (۲۷)
اهم امصار الدولة
لمروان
وأصبحت اهم امصار الدولة تابعة له ، كالجزيرة والعراق والشام ومصر . وفي الجزيرة العربية افنى عام ۱۳۰ (۷۴۸) خوارج حضر موت الذين كانوا قد استولوا على صنعاء ومكة والمدينة . وبقي ثلاث سنوات سوياً في الميدان ، يكاد لا يفارقه . وتمت له انتصارات عجيبة في

(۲۶) هكذا عن ابي مخنف (الطبري ۱۹۴۶) الذي بلا ريب لم يكن مؤرخاً مدرسياً كالواقدي لكنه في هذا الظرف التزم ان يظفر بأخبار دقيقة ، لأنه آنذاك كان لا يزال حياً شيخاً عجوزاً في الكوفة ويقدم ابو عبيدة (الطبري ۱۹۱ : وما بعدها) تواريخ اخرى لكنه ليس ثقة فيها . وهو يعرف تفاصيل مهمة ، ورويها رواية حسنة كل الحسن ، لكنه لا يقارن في التاريخ بأبي مخنف .

(۲۷) اما أن تكون هذه فكرته فذلك حقاً امر مشكوك فيه . وكان الروم قد استفادوا من الحرب الأهلية بين العرب ، فوسعوا حدودهم في الشرق . ولعل مروان كان يريد ان يسير اليهم . وجعل قبرص تهاجم من مصر لكن عبثاً .

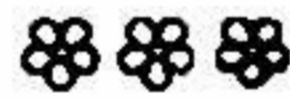
نضاله مع عالم من الاعداء. وتفوق على كل من سلفه بمقدرته الشخصية على انجاح مقاصده.
وترك على عاتق ابن هبيرة عامله على العراق حرب الخوارج
ابن ضبارة يشنت جيش ابن معاوية
في الشرق وحرب ابن معاوية. وكان عمارة بن ضبارة
المري يقود الجيش الذي ارسله ابن هبيرة لنجدته على
الخوارج حينما كانوا على الدجلة. وعهد ابن هبيرة الى هذا القائد بان يطارد
الخوارج، وان يتقدم الى ابن معاوية في مصره. وهناك التحق به قائد آخر
من قواد ابن هبيرة هو نباته بن حنظلة. فغلب ابن معاوية في المعركة امام ابن
ضبارة قريباً من مرو الشاذان في عام ۱۳۰، فترك دولته الى مصيرها، وهرب
من اعدائه الى خراسان حيث قتله اصداؤه.

وسار الزعيم الخارجي شيبان بن عبد العزيز الشكري الى
انصار ابن معاوية
الساحل الشرقي من بلاد العرب، ثم في عام ۱۳۴ (۲۸) قتل
يسقطون
بآخرة في موقعة بني جلندة امراء عمان الذين كانوا قد
استقروا بها منذ عهد بعيد. وركب سليمان بن هشام ومنصور بن جمهور
البحر الى السند (۲۹)،

الآن وقد شنت قواد ابن هبيرة هذا الحلف الغريب،
ابو مسلم يقضي
وكانوا قاب قوسين أو أدنى من اخضاع غرب ايران
على انتصارات مروان
اخضاعاً تاماً لسلطة مروان، ظهر امامهم خصوم ألداء،
الأ وهم الخراسانيون تحت راية بني العباس السوءاء. وعبثاً أنذرهم نصر بن
سيار ذلك الشيخ الذي ظل عدة سنوات أميراً للامويين على الحدود الشمالية

(۲۸) هكذا عن الطبري ۷۸/۳ وانظر ۱۹۴۵/۲ : ۱۹۴۹ : ۱۹۷۹ . ويقول ابو
مخنف في الطبري ۱۹۴۸/۲ ان شيبان بن عبد العزيز كان قد قتل عام ۱۳۰ في سجستان. ولعله
خلط بينه وبين شيبان بن سلمه الحروري الذي لب دوراً ذلك الزمن في خراسان، وقتل بالواقع
عام ۱۳۰ في سرخس لافي سجستان .
(۲۹) وانظر عن خاتمهم الاغانى ۹۶/۴ واليعقوبي ۴۳۰/۲ والطبري ۷۲/۳ . ۸۰ .

الشرقية بالخطر الدائم من هذا الربع ، وعبثاً طلب النجدة بالحاح ليقضي عليه .
ولدى مروان في مركز الدولة عمل يفيض عليه . فهو بحمد الله على انه قادر على
ان يحتفظ بموقفه ظافراً هناك . واذا هو في قمة نجاحه يرى امامه جسداً لجسد
وعلى حين غرة ذلك الشبح الاسود الذي لم يكن يعيره انتباهاً . واذا بالحراسانيين
يضعون عمله المرهق ادراج الرياح في اللحظة التي لاح له فيها انه بلغ هدفه . فقد
انقض عليه رجل أقوى منه ، هو ابو مسلم الحراساني .



الفصل الثامن

قبائل العرب في خراسان

١. - برائة العداء القبلي بالبصرة

ادت ثورة الشيعة الايرانيين في خراسان الى انهيار الامويين
اختلاف العرب في خراسان
انهياراً أخيراً ، لكن الطريق لهذه الثورة عبده التاريخ
اصنه في البصرة
السابق لهذا المص ، لاسيما منه عداء العرب القبلي في هذا
الربع ، ذلك العداء الذي بدأ في البصرة ، فخراسان كانت مستعمرة بصرية .
ولكي نفهم اذن الوضع في خراسان ، علينا ان نعود بالبحث الى الحالة الاولى ،
او الى اتجاه الاحوال في البصرة .

لا ريب ان التماسد بين القبائل بالكوفة في ابتداء العصر
الاموي أدى الى صلات متوترة بينها ، لكن هذه الصلات
لم تبلغ حد الانفجار العنيف . فالخصام انما كان في الكوفة
بين الاحزاب السياسية . هذا وكانت الحالة تبدو في البصرة
اول الامر كما كانت عليه في عصر الجاهلية . فقد احتفظ العداء بين القبائل بقوته
سواء في الحفاء ام في الجهر . غير أنه لم يكن يظهر بين القبائل متفرقة بمقدار
ما كان يظهر بين زمر القبائل نفسها .

واكثر الزمر بروزاً هي زمرة تميم وروباب . وقد التحق بها
الاساورة الفرس ، وسعى الزطاهنود والسيابجة الى الاحتواء
الزمر البارزة

بهم لانهم اقوى القبائل (٣٠) . وكانت ربيعة على خلاف مع تميم منذ الزمن الغابر .
والتحق بيكر في البصرة بنو عبد القيس الذين لم يكونوا وافري العدد في الكوفة .
وكان الازد يمثلون اليمانيين ، بينما كان السائد في الكوفة مذحج وهمدان وكندة ،
وهم اكثر العرب بروزاً وعربية (٣١) .

وأصبح الازد اقوياء في البصرة ، اولاً بهجرة اضافية تمت
خلال آخر عهد معاوية وخلال عهد يزيد ابنه (٣٢) . ولم
يكن يرى أن من الحق أن يدعي هؤلاء الوافدون
الحديثون الذين لم يشتركوا في الفتوح الكبيرة ايام عمر وعثمان بان لهم مال القبائل
القديمة من حقوق (٣٢) ب . ولقد قلبوا حالاً ميزان القوى الذي كان سائداً هناك ، وان
كانوا لم يبلغوا غاية شأنهم الا بالمهلب بن أبي صفرة وأولاده .

وفكرت تميم في البداية أن تكتسبهم الى طرفها وأن
تدخل في عصبة واحدة معهم ، لكنها توقفت عن اتخاذ
الخطوة الاولى بعد أن قال الاحنف مستشارها الحكيم ذو
الاثر إن من يخطو أول خطوة في حلف هو الذي يلعب فيه الدور الثانوي .
وهكذا سبقتهم ربيعة ، فاتحدت حلفاً داوياً مع الازد (٣٣) . وبما ان تيمماً
تمسكت باهل العاليه أي القيسيين ، فقد حدث انقسام الى طرفين ، فوقف الازد

ازد البصرة
يقوون بهجرة وافدة

تكون حزين :
الازد ومضر

(٣٠) فتوح البلدان ٣٧٢ وما بعدها ، الكامل المبرد ٨٢ ، ١٦ وما بعده .

(٣١) الطبري ٤٥٠/٢ . فتوح البلدان ٣٧٣

(٣١) وفي البصرة وخراسان كانت الاخشاس أي بكر وعبد القيس و تميم والازد واهل
العاليه (اهل المدينة ومظهم قيسون الطبري ٤٦١/٢ ، ٢١ ، ١٣٨٢) يقابلون ارباع
الكوفة . ففي الكوفة يكون الارباع اربع قبائل والاشخاس في البصرة خمساً . لكن هذه
التماير تستعمل لتقسيمات اخرى لاتدل حتماً على اربع او خمس . وينضم الى القبائل الكبيرة التي
سميت بها الاخشاس اقسام مجزئة من قبائل صغيرة ككندة وطبي انضمتا الى بكر في البصرة .

(٣٢) الطبري ٤٥٠/٢ ، فتوح البلدان ٣٧٣

(٣٢) ب) الطبري ٧٧٩

(٣٣) الطبري ٤٥٠ : ٩٧

(اليمن) وريعة المتحذان موقفاً معارضاً لمضر (تميم وقيس) .
وينبغي الا نظن ان الازديين لم يأموا البصرة إلا في عام ۶۰ ،
فقد كان فيها ازديون قبل ذلك ينتمون دون ادنى ريب
الى الفرع العربي الذي نزل في جبل السراة ، اي الى الدوس
غالباً ، شأنهم في ذلك شأن الازديين في الكوفة . لكنهم كانوا ضعيفي الاثر حتى
تقووا بمن انضم اليهم ، ممن كانوا اكثر عدداً ، فتدفقوا من عمان في شط شرقي بلاد
العرب . وكانوا يميزون بين ازد عمان وازد سراة ، فيسمون اولئك مازون .
على أن ازد عمان كرهت هذا الاسم الذي يتضمن اشارة الى أصلهم المختلط ،
وكان يعيش في عمان كثير من غير العرب . واستهزى بهم أيضاً لمهنتهم القديمة
أي صيد السمك ، كما كان يسخر من ازد العرب لانهم نساجون .

ازد سراة
يقوون بازد عمان

وفي عام ۳۸ او ۳۹ ارسل معاوية ابن الحضرمي الى البصرة
ليحض ، مستعيناً ببني تميم ، على الثورة على حكم علي . وكان
عليه أن يسعى في ان يضم اليه قسماً كبيراً من تميم . واذا
بالمستخلف علي ولاية البصرة ، وهو زياد ابن ابيه الشاب يسأل بكرة ان تحميه ، فلا
تصل الى اتفاق على ذلك بينها ، فيتجه الى الازد (السراة) ويجد عندهم ملجأ
اميناً لنفسه وليت المال بفضل رئيسهم صبرة بن شيان الحداني (من دوس) .
وقام علي بمحاولة لاغراء تميم البصرة وابعادهم عن ابن الحضرمي
بواسطة بني تميم المخلصين له . فقتل اول موفد اوفده ، لكن
الثاني أفلح ، وهو جارية بن قدامة . وتخلي بنو تميم عن
ابن الحضرمي الذي حاصره جارية في دار سنبل واحرقه مع اتباعه . وقد
انتهت الينا اشعار هجائية لعمر بن العرندي اتصل بالحادثة . ولزم
عارها تيمماً زمنياً طويلاً (۳۴) .

ازد سراة يحمون زياداً
من ابن الحضرمي

بنو تميم يتخلون
عن ابن الحضرمي

(۳۴) المدائني في الطبري ۱ / ۳۴۱ وما بعدها

تلك بداية الصداقة بين الازد وزيد وآله . وظل زيد ممتناً
كان الازد اولاً محابدين لهم (۳۵)، وحض اولاده على أن يطلبوا عونهم عند الحاجة (۳۶).
وموقفهم في الاصل بالنسبة للخصومة بين تميم وبكر موقف حياد ، فهم اذن
حريون بان يكونوا سنداً للحاكم .

ولم يحدث الانفجار الحقيقي للعداء القبلي في البصرة إلا بعد
مهاجرة ازد عمان وبعد موت الخليفة يزيد بن معاوية الذي
اصبح الحكم الاموي في ايامه بوضع متقلقل في كل مكان .
ورواية ذلك في الطبري (۳۷) مفصلة كل التفصيل لكنها غريبة بعض الشيء ،
فجدير بنا ان نحل عقدها وان نفرق بين خيوطها ، لاسيما واننا لانجد في غيرها
شيئاً يذكر ، ولانجد في كتاب ما رواية صحيحة عن هذه الحوادث التي اسفرت
عن نتائج مهمة . والمستند الاصل للطبري هو في ابي عبيدة جامع ايام العرب
الكبير . وحق ان روايته لاتوجد بكاملها ، لكن من الممكن سد النقص .
هذا ووهب بن جرير يتفق في الجوهر معه .

واليك روايتين اولين لابي عبيدة (۳۸) قال : كان عبيد
زيد يخطب فيدعو لنفسه
الله بن زيد والى العراق على خلاف مع يزيد بن معاوية ،
فقد كان يزيد يرى ان قتل الحسين لم يأت به بنفع بل بضرر . وفي مساء من الامة
اذا عبيد الله برسوله الذي كان يرسله الى معاوية حياته والى يزيد بعده يقدم الى
البصرة باخبار عن وفاة يزيد المفاجئة . « فامر عبيد الله منادياً ، فنادى الصلاة
جامعة ، فنعى يزيد وعرض بثلبه » وأوضح فضائله هو بالبصرة ، وقال : « ولقد
وليتكم ، وما احصي ديوان مقاتلتكم إلا سبعين الف مقاتل (عربي) . ولقد احصي

(۳۵) الطبري ۲/ ۸۰

(۳۶) الطبري ۲/ ۴۰

(۳۷) ۲/ ۳۳ وما بعدها

(۳۸) الطبري ۲/ ۳۵ ، ۱۷ ، ۳۶ ، ۱۵ . ويقابلها بن وهب في الطبري ۳۳ ، ۱۲

اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً ، وما أحصي ديوان عمالكم (الموالي) إلا تسعين ألفاً ، ولقد أحصي اليوم مائة واربعين ألفاً . وماتركت لكم ذا ظنة اخافه عليكم - يقصد الخوارج - الا وهو في سجنكم . وانتم اليوم اكثر الناس عدداً وأعرضه « وقد اختلف اهل الشام » « فاخاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه... فان اجتمع اهل الشام على رجل ترتضونه ، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم ؛ فما بكم الى احد من اهل البلدان حاجة ، وما يستغني الناس عنكم » . وكان ينبغي أن يجعل نفسه أميراً للمؤمنين بالاستخلاف ، إذ ان واجب الطاعة للحكومة بعدموت الخليفة لم يعد قائماً ، فذلك الواجب يعد امراً متصلاً اتصالاً مطلقاً بشخص المبايع .

وانتخبه اهل البصرة أيضاً وبسط يده فبايعوه « فلما البصرة تايبه غير مخلصه
خرجوا من عنده جعلوا يمسخون اكفهم بباب الدار
وحيطانه ، ويقولون : ظن ابن مرجانة اننا نوليه امرنا في الفرقة » كما وليناه
امرنا زمن الوثام والنظام . « وأقام اميراً غير كثير حتى جعل سلطانه يضعف ،
ويأمر بالامر فلا يقضى ، ويرى الراي فيرد عليه » (۳۹) .

وهذه رواية اخرى لابي عبيدة (۳۹) قال : إن الاشارة
بالعصيان اعطاها سلمه بن ذؤيب التميمي . فقد ظهر يوماً
على فرس في سوق الابل متقنماً بسلاح وفي يده لواء ،

سلفه بن ذؤيب
يدعو لابن الزبير

(۳۹) وحظي بالشعبية في اول الامر فقد حمل كتاب الخراج يوزعون مال الدولة (ثمانية ملايين كما في الطبري ۴۳۹ وتسعة عشر مليوناً كما في ۴۴۳) ليل نهار الى القبائل والمقاتله الذين يختص القمي . ثم بانواقع ، ذلك القمي الذي تجمعه الحكومة وتختزنه بهد ان ترفع منه الجزايات . لكنه اوقف ذلك عندما ابو طاعته حتى اذا هرب اخذ ما بقي في بيت المال معه . وبقيت الجواهر في حيازة آاه بهد ذلك (ابو عبيدة في الطبري ۴۳۹ ، ۱۰۰) .

(۳۹ب) الطبري ۱۰۰/۲

يدعو الى مبايعة ابن الزبير خليفة^(۴۰) . ومن ثم امر عبيد الله فنودي على المكان بالصلاة فتجمع الناس ، فانشأ عبيد الله يقص اول امره وامرهم وما قد كان دعاهم الى من يرتضونه فيبايعه معهم... واني آمر بالامر فلا ينفذ ويرد علي رأبي . ثم هذا سلمه بن ذؤيب يدعو الى الخلفاء عليكم ارادة ان يفرق جماعتكم ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف ، فوعد الاحنف رئيس تميم بان ياتي بسلمه ، لكن اتباع سلمه اصبحوا اقوياء ، فلما رأى الاحنف ذلك بعد عن عبيد الله بن زياد ، ولم يات .

وهذه رواية رابعة لابي عبيدة^(۴۱) حيث قال : كان عبيد الله في حال لا تحمد . فقد دعا رؤساء خاصة السلطان ، فارادهم ان يقاتلوا معه ، فقالوا ان امرنا قوادنا قاتلنا معك ،

ابن زياد يحتمي
بمسعود العتكي

فقال اخوة عبيد الله لعبيد الله : والله ما من خليفة فنقاتل عنه ، فان هزمت فنت اليه ، وان استمددته امدك... وقد اتخذنا بين اظهر هؤلاء القوم اموالاً ، فان ظفروا اهلكونا واهلكوها ، فلم تبق لك باقية . ثم صمم على ان يحتمي بالازد من تميم العاصية متبعاً مثال ابيه ونصحه . ولما ارخى الليل سدوله ، خرج بيت المال الى مسعود بن عمرو العتكي سيد بني ازد وصاحب الامر فيهم^(۴۲) . فلم يجازف بنفسه في النهار . بل انه في الليل نفسه كاد يسقطه الحراس الذين اقيموا مخافة الحرورية من الخوارج . ووقع سهم في عمامته ، حتى اذا بلغ مسعوداً

(۴۰) ويجهه برونو Brünnow في روايته للحادثة رسول ابن الزبير . بل يحمله مولد A. Müller مستشاره . غير ان الاخبار لا تذكر شيئاً عن ذلك . وايس بوسمنا ان نزين الاخبار عما لا يعرف . وفي الواقع انجبت المماضة نحو ابن الزبير ولا يظهر داع على فرس في سوق الابل يحمل زاية . انظر الطبري ۴۵۲ ، ۱۵ ، ۴۶۵ ، ۲ .

(۴۱) الطبري ۴۳۹/۲ ، ۱۰ ، ومقابها لابن وهب في الطبري ۴۴۱ ، ۲۰ . ويدعون في الطبري ۴۴۳ : بخارين (انظر ۶۴) وخاصة فتوح البلدان ۴۴۱) وفي موضع آخر يدعون خاصة السلطان تمييزاً لهم عن الشرطة .

(۴۲) عتبك ابرز آل ازد عثمان وكانت يارها الاولى في دبا . وينتمي المهلب ايضاً اليها .

بسلام ، خاف مسعود ، ولم يكن يريد ان يعادي اهل البصرة ؛ فهدىء خوفه وقيل له إنما يطلب اليه هو ان يتلقى الامير مؤقتاً عنده ، وان يبلغه مأمناً خارج البصرة (۴۳) .

وهذه رواية خامسة لابي عبيدة (۴۴) حيث قال : «وتراخي اهل البصرة يختارون بيته اهل البصرة برجلين مختاران لهم خيرة ، فيرضون بها . واحد القريشيين الذين اقترحوا بمت بصلة القربى بالرسول [عليه السلام] وبمعاوية فعهد اليه بالخيرة . وكان يدعى عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب ويلقب بيته . ودخل القلعة في اول جمادى الثانية سنة ۶۵ (۲۵ كانون الثاني ۶۸۴) .

وروايتان اخريان لابي عبيدة (۴۵) تقولان : حدث بعد بكر تميم على تميم ذلك ان احد بني بكر تبجح في المسجد بان رجلاً من قبيلته لطم قريشياً بارزاً ، وان القريشي تحمل ذلك بهدوء . وكان هناك عصابة من ضبة (من تميم) يتحزبون لقريش لانتمائهم الى مضر ، فضربوه ضرباً ميمتاً . ومن ثمّ هاج آل بكر جميعاً ، وتهيأوا للسير الى تميم ، يرأسهم مالك بن مسعود مكان اشيم بن شقيق الذي لم يشأ الخروج (۴۶) .

ولكي يستطيع مالك ان يهاجم بني تميم ، جدد حلفاً قديماً عبيد الله ياعد بكرأ كان معقوداً مع الازد . واعانه عليه عبيد الله بن زياد بماله بالازد من تميم عوناً كبيراً (۴۷) . وكان من حق الازد ان يكون رئيسهم

(۴۳) وهناك نص آخر عن ابي عبيدة في بعض الاختلاف (الطبري ۴۴۵ ، ۷ وما بعده) . ويقول وهب (الطبري ۴۴۱ ، ۱۰ وما بعده) ان مموداً ابدى استعداداً في الحال . (۴۴) الطبري ۴۴۶/۲ ، ۳ . ومقابله عند وهب في الطبري ۴۴۴ ، ۴۴۴ : ۱۷ (۴۵) الطبري ۴۴۷ ، ۱۲ : ۴۴۹ ، ۲۰ . (۴۶) وقد وردت عن النزاع المشل بين الرؤساء في الطبري ۱/ ۳۴۱ و ۲/ ۴۴۸ . وفي الطبري ۱/ ۴۵۰ ، ۵ وما بعده ان الاشيم كان الرئيس لا مالكاً . (۴۷) ووضع احد كتابي العهد عند الصلت بن حريث الحنفي (الطبري ۴۴۹ ، ۱۷ واظار الكامل المبرد ۶۲۷ ، ۱۰) .

مسعود بن عمر صاحب القيادة العليا . « وقال مسعود لعبيد الله : سر معنا حتى نعيدك في الدار » لكن عبيد الله بقي امام باب مسعود فلم يتحرك « و امر برواحله فشدوا عليها ادواتها وسوادها » وكان يؤتى بالانخبار في كل لحظة عن حالة الامور . وسار مسعود حتى دخل المسجد وصعد المنبر . وكان بية راضياً بتركه يفعل ذلك . ودخل مالك في ربيع بني تميم ، فلم يسر قليلاً حتى سمع ان مسعوداً قد قتل .

وتلك رواية اخرى لابي عبيدة^(٤٨) حيث قال : قال رجل
الاحنف يهيج بأخرة
من تميم للاحنف « ان ربيعة والازد قد دخلوا الرحبة (في المسجد) ... ثم اتوه فقالوا قد دخلوا الدار » فلم ينزعج لذلك ، فبدرت « ذؤبان بني تميم » برئاسة سلمة بن ذؤيب مع بضعة مائة مولى يرأسهم ماه افريذون . ولما تواتت اخبار السوء على الاحنف ، رأى اخيراً انه لا بد من استعمال القوة فدوى الصوت يقول : « هاجت زيرا . وزير امة للاحنف ، وانما كنوا بهاعنه » . ولما رأى الأحنف ان عباد بن حصين لم يأت اعطى الراية الى عيس بن طلق . ثم ماعتم عباد ان أتى ، لكنه عاد مع ستين فارساً ، ولم يشأ ان يسير تحت لواء عيس .

وهذه رواية اسحق بن سويد^(٤٩) قال : وقاتل في صفوف
تميم تقاتل مسعوداً
تميم ماه افريذون اكبر قتال مع جماعته الفرس ، كل واحد

(٤٨) الطبري ٢ / ٤٥٢ ، ٦

(٤٩) الطبري ٢ / ٤٥٤ ، ٦ وزواية ابي عبيدة عن الصدام مفقودة في الطبري ، فلا تقص علينا الا كلاماً للحسن البصري فيه هزم وسخرية فيقول (الطبري ٥٥٥ ، ٩) : ان مسعوداً « يأمر الناس بالسنة وينهى عن الفتنة ، الا ان من السنة ان تأخذ فوق يدك ... فوالله ما لبثوا ساعة حتى اتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه . قد علم الله ، فقتلوه » . ويحوض اسحق بن سويد النقص بما يوافق في الجوهر (حتى في التواريخ) ويخالف في بعض النقاط ، فمثلاً يجعل اشيم رئيس بكر لا مالكا .

منهم كان يصك بنجس نشابات في دفعة ؛ فلم يستطع الحُصوم ان يصدوا امام هذا السيل من الاسهم . وتجمهر بنو تميم في المسجد ، فانزلوا مسعوداً عن المنبر فقتلوه . وهرب اشيم بن شقيق البكري . حدث ذلك في اوائل شوال عام ٦٤ . ويورد ابو عبيدة التاريخ نفسه^(٥٠) لهرب عبيد الله ويقول^(٥١) انه لحق بالشام حين قتل مسعود .

وهذه رواية اخيرة لابي عبيدة^(٥٢) قال : وتصدى للثار لمسعود اخوه زياد بن عمرو العتكي ، وكان لا يزال غلاماً حدثاً ، واتي المربد في اليوم التالي (وهو الحي الاساسي في البصرة) « فجعل في الميمنة بكر بن وائل وفي الميسرة عبد القيس » والازد في القلب . وعبد الاحنف تيمياً . فجعل في القلب بجذاء الازد سعداً ورباباً برياسة عبس بن طلق . وجعل حارثة بن بدر في بني حنظلة بجذاء بكر بن وائل ، وجعلت عمرو بن تميم بجذاء عبد القيس .

زياد يتصدى للثار
لاخيه مسعود

لكن الامر لم يؤل الى الصدام : ذلك ان الاحنف اسمع الازد يدعو الازد الازد وربيعة هذه الحكمة : « يامعشر الازد وربيعة من وربيعة الى الحكمة اهل البصرة انتم والله احب الينا من تميم الكوفة... وانتم وبخضم النر بالدية بداتمونا بالامس ووطئتم حريمنا ، وحرقتم علينا ، فدفعنا عن انفسنا ، ولا حاجة لنا في الشر فتيسموا بنا طريقة قاصدة » « فوجه زياد اليه : تخير خلة من ثلاث » . فافتقرت الجيوش ، فلما كان الغد عزم الاحنف على قبول المقترح الذي ينص على ان تيمياً تبطل دماءها وتؤدي سائر القتلى من الازد وربيعة ، ويؤدي مسعود دية المشعرة (عشر ديات) . وبانتظار اتمام دفع الدية ،

(٥٠) الطبري ٢/٤٥٦ .

(٥١) الطبري ٢/٤٣٩ .

(٥٢) الكامل للبرد ٨١ . لم يحفظ لنا الطبري هذه القطعة ذات الدلالة ايضاً . بل وضع

مكانها نصاً آخر لمؤانة وبه بعض الاختلاف (٦١ : ١٨٠)

قدمت تميم وهائن من اشخاص عرضوا انفسهم لذلك بمحض ارادتهم . ويؤيد هذه الاخبار اشعار للفرزدق وجريز . وقام الاحنف هذه المرة بصفة خاصة والمرات الاخرى بصفة عامة بمهمة السيد العربي الاول ، الا وهي صيانة السلم^(۵۳) ، قام بذلك بطريقة لم يسبق اليها . وحاز اياس بن قتادة التميمي الغني شهرة كبيرة ، فقد اخذ على عاتقه ان يدفع القسط الاكبر من الدية^(۵۴) .

ورواية ابي عبيدة تصحح في بعض نقاطها من نصوص

تصحيح رواية ابي عبيدة : مجتزئة من غيره من الاخباريين . فهرب عبيد الله لم يتل عبيد الله لم يحضر

مباشرة مقتل مسعود في شوال ۶۴^(۵۵) ، بل يظهر من

خلاف القبائل

بعض الاشعار^(۵۶) ان مسعوداً نفسه هو الذي سهل لزياد

السير الى الشام . ويورد وهب بن جريز^(۵۷) الخبر نفسه أيضاً ، وعوانة^(۵۸)

كذلك . بل ان عوانة يجعل سير عبيد الله الى الشام في منتصف جمادى الثانية

عام ۶۴ ، اي بعد تسعين يوماً من وفاة يزيد ، فلم يشهد عبيد الله الحوادث

الدموية صامتاً اذن ، بل كان عنها غائباً . ولم يقع اختيار الامير ، وهو لا يزال

هناك ، بل كان الاختيار نتيجة للصلح بين القبائل بعد ان هددها الانقسام .

وحتى ان الاتفاق ما كان ليستمر هذه المدة الطويلة . وهذا عوانة يقول^(۵۹) :

« بعد موت مسعود وتسوية الخلاف » اجتمع اهل البصرة... فجعلوا عبد

الملك بن عبد الله بن عامر اميراً « ثم جعلوا بية » حتى عين الزبير بعد ثلاثة اشهر

(۵۳) وفضل الاحنف هو بالحق . مبالغ فيه بعض المبالغه وعن المدائني (الطبري ۶۵ :) .

و ۶) ان قريشيين سفرا بين الطرفين في امر الصلح .

(۵۴) انساب الاشراف ۱۸۷

(۵۵) الطبري ۴۵۵/۲ ، ۱۸

(۵۶) الطبري ۴۶۳/۲ ، ۵

(۵۷) الطبري ۴۵۶/۲

(۵۸) الطبري ۴۶۱/۲

(۵۹) الطبري ۴۶۳/۲

عاملاً عليهم . وبهذا يفسر كيف بقي بية في رواية ابي عبيدة بعيداً عن تدخل الازد في المسجد والقلعة ، فهو لم يكن اميراً بعد .

ويقول عوانه (۶۰) بعد ذلك ان عبيد الله حين هرب

استخلف مسعوداً . وأياً كان فقد حدثت ثورة مسعود

مسعود اراد
ان يصبح اميراً

ما بين العهدين بعد هرب عبيد الله . فقد اراد ان يصبح

اميراً (۶۱) . ولم يسر الى تميم بل الى دار الامارة والمسجد . واتخذ موقف الامير

على المنبر زاهياً . فاستنزل من المنبر ، وكان بنو تميم قد ساروا بعبيد الله . ولم

يكن بنو ازد ليتروكوا لهم اليد العليا ، بل ارادوا ان يقولوا كلمتهم . وهكذا

قام العراك . وبذلك يظهر واضحاً ان مسعوداً عمل ماعمل بنفسه ولنفسه ، فلم

تدفعه الى ذلك ربيعة ، وقصة اللكمة امر ثانوي جداً .

ويظهر مغزى الامر واضحاً في رواية عوانة ، الا وهو

ان سعي احدى القبائل ورئيسها لتكون رأساً على غيرها

القبائل لا ترضى
بترأس احدها عليها

بتشجيع لعله من الامير الذي انقضى حكمه تهاوى امام

مناوئة القبيلة المنازعة ، وان قريشاً التي تخرج عن نظام القبائل هي وحدها التي

ينتقى منها الامراء .

على ان عوانة مخطيء (۶۲) حين يدعي ان بعض الخوارج

الذين اتفقوا مع بني تميم هم الذين استنزلوا مسعوداً عن

القبائل توقف القتال
خوفاً من خطر الخوارج

المنبر وقتلوه . ويقول الاخباريون الآخرون ان المحالفين

لتميم منذ زمن بعيد ، انما هم الفرس مع ما افريدون ، او بصورة ادق انما هم

الاساورة (۶۳) . فقد كان الخوارج اعداء قبائل البصرة جميعاً ، وتماماً أيضاً .

(۶۰) الطبري ۴۶۱/۲

(۶۱) الطبري ۴۵۶/۲ ، ۱۶ ،

(۶۲) الطبري ۴۶۱/۲

(۶۳) الطبري ۴۶۵/۲

وكان خطرهم هو الذي حدى بالقبائل اكثر من اي شيء آخر على عدم متابعة العداة حتى نهايته وعلى ان تتفق على الامير .
والزم الامير المنتخب بان يستقيل بسرعة ، لانه لم يحقق لم يقتل الازارقة مسعوداً
الغاية التي انتخب لاجلها ، فلم يحارب الخوارج بجد . ورواية المدائني حاسمة (٦٤) ، فهو يقول ان الخوارج حشروا في الامر [ونسب اليهم قتل مسعود] باشاعة اشاعها عنهم الازد ، ولم تكن الازد تود ان يلحق بها عار قتل اميرها من قبل بني تميم وعار تخليها عن الثار بالمال يدفع لها . وما اشار اليه عوانة (٦٥) من ان الخوارج الذين قتلوا مسعوداً نزلوا بنهر الاساورة يكشف عن وجدان سيء .

٢ - العرب بخراسان من عهد الحجاج

فالعداء بين الازد و تميم ، بين اليمن ومصر انبعث من ظرف الخلاف في البصرة
محدد مؤرخ ، كما يظهر ذلك واضحاً من القصة التي اوردناها ، يتحول الى تنافس
فهي لذلك قصة مهمة . ولم يقض عقد الهدنة على الخلاف . في حرب الخوارج
وكان ذلك الخلاف حرياً بان ينفجر ثانية حين عمل المختار على الثورة في البصرة (٦٦) ، لكن الخلاف انقلب الى تنافس بين القبائل في القتال
مع الخوارج ، ذلك القتال الذي كان له اثر مهدي . فتميم لا ترضى بان تكون فيه دون الازد بامرة المهلب .

على ان العداة القبلي ، إن خف في البصرة نفسها ، فقد انتقال الصلات القبلية
استد خطرهم في خراسان التي انتقلت اليها الصلات القبلية من البصرة الى خراسان
من البصرة ؛ فمن البصرة تم فتح خراسان . والعرب

(٦٤) الطبري ٤٦٥/٢

(٦٥) الطبري ٤٦١/٢ ، ١٠٠

(٦٦) الطبري ٦٨٠/٢ وما بعدها

الخراسانيون عراقيون ، ومعظمهم من اهل البصرة . وهم ينقسمون في اتجاههم الحربي كالبصريين الى خمسة اقسام . والعامل عندهم تابع في حكمه لاميرالعراق ، لكنه كان كثيراً ما يعينه الخليفة نفسه ، ويجعل حيناً تابعاً للخليفة مباشرة .

وكانت خراسان مركز العاصفة في الدولة . ولها اثر في

قلب الدولة ذو معنى اقوى مثلامن اثرا فريقية والاندلس .

سيرة العرب بخراسان

كالجزيرة العربية

وهي مصر لم يهدأ مطلقاً ، ولم تحدد حدوده ابداً . ففيه

كان العرب يتنازعون باستمرار مع الترك والفرس ، حتى اذا وقفوا عن التنازع

معهم تخاصموا فيما بينهم . ومع انهم كانوا معرضين للاخطار هذا التعريض ،

فقد استمروا يسرون سيرتهم الاولى في ديارهم القديمة يعوزهم النظام والسياسة .

والفوا انفسهم احراراً لا يقيدهم قيد في الارض الواسعة التي هي بالصحراء أشبه ،

ولو انهم لم يردوها بحض ارادتهم . ولم يوحدهم الخطر الخارجي ، بل اثارهم

وجعلهم ضراة . وزاد الاسلام في عوامل الخلاف والشغب^(٦٧) واصبحت خراسان

جزيرة عربية ثانية ، باختلاف هو انها في ارض العدو ، وان لها علاقات مشتبكة

واسعة ، وانها اتاحت للميول الفوضوية بان تعبر عن نفسها تعبيراً اكثر حرية

واقل اكترائاً .

وروايات المدائني التي يتبعها الطبري دون غيرها بالتقريب

فيما يختص بشئون خراسان تثير في بعض المواضع ذكريات

اندائني يروي

ايام العرب بخراسان

قصص البطولة ايام العرب القديمة ، تلك القصص التي الفناها

في كتاب الاغاني . وكثيراً ما لا يعطي الطبري الا نسيجاً مفككاً من الاخبار

(٦٧) هكذا وزدت عبارة ولها وزن . ولم نفهم مقصوده منها بالضبط : هل هو يعني

الاسلام ديناً ، ام يعني الحكم الديني في ظل الاسلام ، فان كان الاول — ونحن نربأ بالمؤلف

ان يعتقد هذه العقيدة الفاسدة — فكل يعرف ان ذلك غير صحيح وان الاسلام ألف بين

العرب وجمهورهم . وان كان الثاني فكان على المؤلف ان يحمل تعبيره ادق وان يشح مكرمه

المعرب

لتكون محلاً للبحث والنظر .

القبلية او مجموعة من الايام (٦٨) . والاهتمام موجه فيه الى البطل أو الى الباحث عن الغنيمة . هذا وعرب خراسان ، ولاسيما تيمماً منهم ، يتمسكون بوطنيتهم مفتخرين . ويستمرون في اقصى الشرق على حياتهم القبلية باغانيتها القديمة ، واساطيرها التي تروي اعمالهم وتجاربهم . لكن هنالك خلافاً في تلك الواقعة المجردة الضيقة التي عرض فيها تراث العروبة القديم الاصيل .

ثم من البصرة فتح المشرق الايراني ، وذلك في ولاية عبد الله بن عامر الاموي ايام الخليفة عثمان . وجرى ذلك بسلسلة من الهجمات في نقاط مختلفة بوقت واحد . ولم تفلح هذه الهجمات دفعة واحدة ، وفي سنة واحدة . فقد كانت تعقد اتفاقات يحتفظ بها المرابذة الفرس بوصفهم القديم مع بعض التعديل والانكماش . والى جانب الحملات الكبيرة التي يقودها قواد معينون يبدأون الضربات الاولى ، كانت تجري معارك صغيرة مجهولة ، تعمل القبائل فيها لنفسها لتثبت امرها حيث تقدر .

وكانت قيس صاحبة السيادة في الغرب حيث كانت نيسابور القبائل تتنازع السيادة في الارض المفتوحة البلدة الرئيسية ، لاسيما في الحقبة الاخيرة (٦٩) . اما في الشرق فكانت اراضي البكرين والتميمين مختلطة بعضها ببعض . وكان عدد من القبائل يتنازع في بعض المناطق حول من له الحق فيها نتيجة لوضع اليد الاولى عليها . ولم يكن التنارع مقتصرأ على خراسان وحدها . بل امتد الى سجستان أيضاً . وهذان المصران المتجاوران يكونان وحدة ، ولو انهما في اكثر الاحيان يداران بصورة مستقلة . وانتقل مركز الجاذبية الى خراسان ، وكانت في الاول لسجستان . وكانت عاصمة سجستان زرنج وعاصمة خراسان مرو .

(٦٨) الطبري ٢ / ١٥١٦ ، ١٦٠

(٦٩) الطبري ٢ / ١٩٢٩

وقواد الجيوش يكافئون تبعاً للعادة القديمة بمنحهم اماره
ولاية خراسان المنطقة التي تم فتحها على يدهم . ولعب الاحنف آنذاك
دوراً لامعاً في الشئون الحربية ، لكنه لم يبق امداً طويلاً اميراً على البلاد
المفتوحة . ولعله كان اكبر قدراً من الامارة ، وهو رئيس قبيلة تميم في البصرة .
واقدم ولاية خراسان (او قسم من ارضها) بمن نعرفهم قيس بن هيثم وعبد
الله بن خازم ، وكلاهما من سلبي قبيلة قيسية .

وكان للاضطراب الذي حصل بعد مقتل الخليفة عثمان
صداه في الشرق الاقصى للدولة . ومنح علي ماهويه
مرزبان مرو الذي خان آخر شاهنشاه - حق جعل
الدهاقنة يدفعون الحراج اليه اول الناس . لكن ماهويه لم يعضد سلطة علي
بالرغم من هذا التنازل (٧٠) وانا لاندرك كيف عاد الحكم العربي اليها (٧١) .

وفي عهد معاوية اصبح قيس بن الهيثم اميراً مرة اخرى
ثم منافسه عبد الله بن خازم (٧٢) . ولما ورد زياد ابن ابيه
البصرة عام ٤٥ ، آلت خراسان وسجستان الى حكمه ،
بجيث كان هو الذي يعين العمال عليهما ؛ فقسم خراسان الى اربع مناطق مستقلة :
مرو ، نيسابور ، مرو الروذ (مع فارياب وطالقان) هراة (مع باذغيس
قادس وبوشنج) . ثم وحدها في عام ٤٧ تحت امره الحكم بن عمرو الغفاري
الذي توفي عام ٥٠ .

(٧٠) وفي الوقت نفسه استولى العرب الخجرات الذين يدعون انهم اتباع عثمان (اي
معايدون) على عاصمة سجستان . ولم يخضموها الا بعد سنتين بواسطة الحسين بن مالك قائد علي
الذي ينسب اليه مولاه الحسين فيروز .
(٧١) انظر فتوح البلدان ٤٠٩
(٧٢) وانظر فتوح البلدان ٤٠٨ الطبري ٦٥/٢ وما بعدها

ونخلف الحكم الربيع بن زياد الحارثي وكان رجلاً طوالاً
اصهب كبير الفهم . وهو فاتح سجستان . ولقي المرازبة
امام ابواب زرنج في ساحة الميدان ليضع معهم شروط
الاستسلام . وكان هو والعرب قاعدین على جث القتلى مرتاحين . وكان تقياً .
ويقال ان قلبه تظطر حزناً على اعدام حجر بن عدي . وكان يقطن خراسان
في ذلك الوقت (۲۵) الف بصري و (۲۵) الف كوفي ، ولعلمهم ليسوا من
النوع المسالم كثيراً .

الربيع بن زياد
حاكم عليهما

ولما مات زياد عام ۵۳ ، بدا كأن الشرق اصبح مكاناً
لتوكيز اولاده ، فقد كانت عبيد الله بن زياد اميراً على
خراسان في آخر عهد معاوية وفي ايام يزيد ، ثم بعده
بفاصلة من الزمن عبد الرحمن بن زياد ، واخيراً سلم بن
زياد . وكان على الحكم في سجستان عباد بن زياد ويزيد بن زياد . وكانوا جميعاً
احداثاً ، فكان الذي يسير العمل قدماء القواد والكتاب العارفون باساليب
الاقليم ، كقيس بن الهيثم السلمي واسلم بن زريعة الكلبي وآخرين . وكان
يحقد بعضهم على بعض ، ويسيء بعضهم معاملة بعض متى آل الأمر الى احدهم .
وبوفاة يزيد ابتدأ الخلاف بين القبائل هنا ايضاً . فثار
زنبيل الكابلي ، وقتل امير سجستان يزيد بن زياد ،
وأسر اخاه ابا عبيدة . فحل طلحة الطلحات المثيري الخزاعي
مكان يزيد ، وعقد صلحاً مع زنبيل ، وفدى ابا عبيدة من اسره بمبلغ كبير .
لكنه مالبت ان توفي . ولم يرض بنو تميم بالخضوع الى رجل من بني بكر تركه
خلفاً له ، بل ازاحوه . وفي تلك الاثناء انفجر العداة بين مضر ربيعة ، فافاد
زنبيل من هذا (۷۳) . وكان لذلك اثره في خراسان .

بعد زياد اولاده عليهما
والامر للكتاب
والقواد المتحاسبين

بدأ خلاف القبائل بوفاة
يزيد فافاد منه زنبيل

وحاول الامير سلم بن زياد ان يخفي وفاة الخليفة وسوء
 ما حدث لاختوته (في سجستان والبصرة) ، حتى اذا لم
 يعد للسرا مكان دعا العرب الى مبايعته اميراً نائباً ، فقبلوا
 لكنهم سرعان ما نبذوه ، فلاذ بالفرار تاركاً خلفه المهلب
 الازدي مستخلفاً عنه ، وكان قد اتى به معه من البصرة. لكن رؤساء العرب ممن
 لا قيمة لهم لم يرضوا بذلك ، فتحدى سليمان بن مرثد البكري المهلب ، وحاز لنفسه
 ولاية مرو الروذ . واضطر المهلب الى ان يسلم هراة الى بكري آخر ، هو
 اوس بن ثعلبة بن زفر . حتى اذا تمكن من الذهاب الى نيسابور والتقى فيها بعبد
 الله بن خازم السلمي ، دعاه هذا الى ان يعطي حساباً عن تقسيمه خراسان بين
 بكر ومزون (اي ازد عمان) وارغمه على ان يمنحه عهداً بولاية خراسان
 باسرها . وانسحب المهلب من مرو التي لم يكن له فيها قبيلة تؤيده ، وكان
 الازد قليلي العدد آنذاك في خراسان . وخلف رجلاً من تميم ، فامتنع هذا
 على ابن خازم دفاعاً عن النفس ، فاصيب في المعركة وتوفي من جراحه (۷۴) .

المهلب يسلم خراسان
 الى البكرين
 ثم الى ابن خازم

وايدت تميم اجمالاً ابن خازم مع انه لم يكن ينتمي اليهم
 بل الى مضر . وكان معادياً لبكر (۷۵) . وبتميم ابتدا
 نضاله مع بني بكر ، فسار قبل كل شيء الى سليمان بن مرثد
 من مرو الى مرو الروذ وقتله ، ثم الى اخيه عمرو بالطالقان فقتله أيضاً .
 وسار الهاربون الى هراة عند اوس بن ثعلبة . واستثار البكرين ضياع هراة
 فهرعوا اليه ، وأرادوا ان يطردها مضر كلها من خراسان . وانخفت المفاوضات
 التي ارغم بنو تميم ابن خازم عليها ، كما تنبأ هو : « ان ربيعة لم تزل غضاباً على
 ربها منذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم من مضر » ويقال ان المعارك امام

ابن خازم و تميم
 يخادبون بكرأ

(۷۴) الطبري ۲/ ۴۸۸ - ۴۹۰

(۷۵) وفي فتوح البلدان ۴۱۴ انه ثبت من قبل ابن الزبير

هراة استمرت سنة من الزمان^(٧٦) .

وكان يحيى ظهر بكر بلدتهم ، ويحييهم من الامام خندق
بكر تغلب وتضعف
حفروه . وهكذا تحدوا هجمات ابن خازم جميعها ، حتى
اصابهم في شرفهم اذ ناداهم قائلاً : « انكم قد اعتصمتم بخندقكم ، افرضيتم من
خراسان بهذا الخندق » فاحفظهم ذلك ، وتركوا موقفهم المتين ، فغلبوا في
ساحة الميدان وتكبدوا خسارة جسيمة . ودفع اسراهم الذين اخذوا عند
غروب الشمس ابهظ ثمن . وهرب اوس بن ثعلبة الى سجستان التي كانت في يد
زُنَيْبيل ، لكنه توفي فيها من جراحه . وذلك العداة القبلي في الشرق بين بكر
وتميم معاصر بالزمن للعداء بين كلب وقيس في الغرب . وحدث عام ٦٤ او ٦٥^(٧٧)
واسفر عن ضعف دائم عند بكر .

واخضع ابن خازم هراة بعون من بني تميم . لكنه لم
يكثر بعونهم ولم يرد أن يستقروا فيها فاتحين . وسلم
المدينة الى ابنه الشاب محمد ، وعين معاوناً له بُبْكَيْر بن
وشاح^(٧٨) ليقود الشرطة ، وكلف بكبيراً بالا يقبل تيمما ، فاعطاهم بكبير مبلغاً
جيداً من المال لينسحبوا . لكن هذه المحاولة في التخلص منهم ، انما أدت الى
اثارتهم ؛ فشقوا لأنفسهم طريقاً للدخول الى المدينة ، وبخاصة واحصروا محمداً وأهانوه

(٧٦) والحادث الذي يروي الطبري ٤٩٣/٢ ، ٦ ، الى ٤٩٤ ، ١٧ (عن سليمان بن
مجالد معاصر ابي مخنف الذي يروي عنه كثيراً) لاعلاقة له بهذه المناسبة انما هو من عصر متأخر .
هذا ورواية ابي الحسن الخراساني في الطبري ٤٩٤/٢ ، ١٨ ، الى ٤٩٥ ، ٧ تملأ الحرم الذي
يقع في رواية المدائني المهمة .

(٧٧) الطبري ٤٩٠/٢ — ٤٩٦

(٧٨) وكان هو ايضاً تيممياً وسعدياً فوق ذلك . وتسميته بالثقف في الطبري ٤٩٥/٢ ، ٧
انما هي وهم . انظر الطبري ٨٦٠/٢ ، ١٠ ، وما بعده ؛ ١٠٢٢ ، ١ ، ١٠٣٠ ؛ ١٣ ، ٢٠ ،
وما بعده ؛ ١٠٤٧ ، ١٨

« وشربوا ليلتهم » وفي الصباح قتلوه . وكانت تلك هي الطريقة التي اظهروا بها صداقتهم لأبيه .

ثم ساروا الى مرو ، فتقروا باصحاب من قبيلتهم ، وجعلوا حريش بن هلال القريني رئيسهم الاعلى في حربهم لابن خازم . ولم تحدث معارك ، بل كان ابطالهم ينقضون انقضاضاً سريعاً فيصيبون المغامرة ، وكل واحد منهم كتيبة . وكان زهير بن ذؤيب العدوي (من تميم) يقتل كل من يعثر عليه ممن يمتطي برذوناً اصفر . ذلك ان اخاه الاشعث قتله رجل مجهول يركب على برذون اصفر « فتحامي اهل العسكر البراذين الصفر » . وهذا من مميزات حوادث الحروب .

ولما ضجر بنو تميم ، تفرقوا فاضاعوا قوتهم ، وانسحب شماس تمكن بن خازم بن دثار العطاردي الى سجستان (٧٩) . ومضى حريش بن من تميم تفرقهم هلال الى مرو الروذ . فتمكن منها مدة (٨٠) . لكنه في النهاية اضطر الى ان يترك خراسان (٨١) . ومضى قسم من تميم بقيادة زهير بن ذؤيب الى قصر فرته غير بعيد عن مرو الروذ . فحاصروهم هناك ابن خازم وارغمهم على الاستسلام ، وقتلهم دون رحمة (٨٢) .

(٧٩) الطبري ٥٤٦/٢ : ١٠٢٦

(٨٠) وفي الطبري ٥٩٨/٤ : ٣٠ يقول :

حوالين ما اغتمضت عيني بمنزلة الا وكفى وساد لي على حجر

ولا يستنتج من ذلك بالضرورة (٥٩٥ ، ١٤) انه قاتل ابن خازم سنتين . وقد يكون ادخل فيها حربه لبكر فانا نجده في عام ٦٦ خارج خراسان انظر Chawarig, 34 وقتل عام ٨٢ (الطبري ١٠٦٦/٢ ، ١٥)

(٨١) الطبري ٥٩٣/٢ — ٥٩٨

(٨٢) الطبري ٦٩٦/٢ — ٧٠٠

ثم بدا أن السلم قد ساد في مرو مدة . لكن ابن خازم
إضطر بعد سنين إلى أن يجارب ثورة لثميم في نيسابور، يرأسها
بجير بن ورقاء الصريمي^(۸۳) . وعهد بمرو إلى بكير بن
وشاح ، لكنه لم يتوك ابنه موسى في العاصمة خوفاً من تميم فيها ، بل امره بان
يعبر النهر بامتعته الثمينة ، فيبحث عن ملجأ في حصن او عند ملك . ثم تقدم
هو إلى نيسابور .

مخاربه ثورة
لثم بنيسابور

وبينما كان يقاتل بجيراً هناك ، بلغه في آخر عام
۷۲^(۸۴) كتاب من عبد الملك يعده فيه بان تكون له
خراسان سبع سنين على ان يبايعه . فعد ذلك اهانة ،
وكان يريد ان يحكم حكماً مستقلاً ، وارغم الرسول على

ابن خازم يسيء
معاملة رسول الخليفة
عبد الملك

ازدراد الكتاب .

فاعطى عبد الملك ولاية خراسان لمثله في مرو ، وهو بكير
بن وشاح فقبلها . واذا بان خازم يقصر عن مقاومة بكير
وبجير معاً ، فيحاول ان يبلغ ابنه موسى في ترمذ ، لكن
بجيراً ادركه ، فقتل بعد مقاومة عنيدة . وتنخم في وجه وكيع بن
الدورقة^(۸۵) ، وهو على ابواب الموت فاجهز هذا عليه . واستولى الامير بكير على
الرأس المقطوع بالقوة ، وارسله الى عبد الملك واخبره انه هو الذي تغلب على
ذلك الطاغية وقتله . واساء معاملة البطل الحقيقي الذي هو بجير ، ووضع في
السجن مدة^(۸۶) .

بكير وبجير يتغلبان
على ابن خازم

(۸۳) الطبري ۲/ ۹۰۵۹۶

(۸۴) وهناك تاريخ آخر متأخر عن هذا في الطبري ۲/ ۸۳۴ وما بعدها .

(۸۵) نسبة الى امه وهي اسيرة حرب اصلها من دورق في خوزستان

(۸۶) الطبري ۲/ ۸۳۱ -- ۸۳۵

وكان في ذلك فرصة ملائمة لنشوب عداء داخلي في تميم نفسها،
الخلاف في تميم نفسها
بين بكير وبجير
لاسيما بين رجال سعد تميم الذين انتشروا في خراسان عامة
ومرو منها خاصة اكثر مما انتشروا في البصرة ، واليهم
ينتمي بكير وبجير معاً . ومال المقاعس والبطون الى بجير ، والاوس والابناء
الى بكير .

بيد انه اصبح من البديهي عند عرب خراسان انهم فاقدون
عرب خراسان يطلبون
اميراً قرشياً عليهم
لينقذهم من الفتنة
سيادتهم على البلاد ، اذا لم تنقذ تلك السيادة من خلافتهم
حول تفوقهم بعضهم على بعض ، واذا لم تصبح مشروعة
بسلطان اعلى ، فطلبوا الى عبد الملك بمحض ارادتهم اميراً
قرشياً عليهم عام ۷۴ يقف اعلى من حقد القبائل وتحاسدها . فارسل اليهم نبيلاً
من آل بيته ، هو امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وهو رجل عبقرى حر
الفكر . فلما وصل الى نيسابور تلقاه بجير ، وحاول ان يوغر صدره على بكير ،
لكنه لم يفلح . وثبت امية كل كتاب بكير ، وعرض عليه نفسه قيادة
الشرطة ، ولم يمنحها الى خصمه إلا بعد أن رفضها هو وما تتضمنه من النيابة
عن الامير (۸۷) .

وكان بكير حانقاً من ان عليه ان يتخلى عن الامر لقرشي ،
بكير يتآمر على الامير
الجديد فيمده
حتى اذا غاب هذا في احدى حملاته انتهز الفرصة ليقوم
بعضيان بمرور من وراء ظهره (۸۸) . وبما ان اسر الجنود
القائمين بالخدمة كانوا في قبضة يده فقد دخل امية في مفاوضات ودية معه بعد أن
عاد مسرعاً . ودفع ديونه وامهله اربعين يوماً يأمن بها على نفسه فينسحب فيها

(۸۷) الطبري ۲/ ۸۵۹ - ۸۶۲

(۸۸) ولا يكاد يكون هذا المصباح قبل عام ۷۷ آخر سنة من سني ولاية امية . كما

يظهر في الطبري ۲/ ۱۰۲۳ وانظر ۱۰۲۸ ، ۴ وما بعده وفي فتوح البلدان ۴۱۶

الى اي بلد في خراسان يختاره ، لكن بكيراً ظل في مرو ، وثابر على اعداد النضال . ولم يعر امية بالاً للشكاوى التي اثارها بجير عليه ، حتى جاء تأييدها من طرف آخر . فأوقف بكيراً ، ووجد انه مذنب بالرغم من انكاره . ولم يتمكن احد من رشوة الشهود ، فاعدم يوم الجمعة بجسامه نفسه . وقد يكون الذي اعدمه بجيراً نفسه ، فلا احد غيره كان يوسعه ان يقول : « لاتصلح بنو سعد مادنا حين » (٨٩) .

على ان آخر عمل من اعمال العداة بين بني سعد لم ينته إلا عام ٨١ . فان سبعة عشر رجلاً من الابناء ، وهي عائلة بكير ، تآمروا على بجير ، لكنهم لم يعملوا متفقين ، بل عمل كل واحد منهم منفرداً . وتوفى اعدم في اغتياله ، وهو صعصعة

احد بني الابناء
يقتل بجيراً
فيدم وتؤدي دية

ابن حرب . وكان ظفر من قرياء بجير في سجستان بتوصية اليه ، فتمكن من ثقته ، ووجاه بخنجر مغموس في لبن أتان ، وذلك امام الناس ليكون العمل اصح . ونادى « بالثارات بكير » . فأوقف واعدم وهو مغتبط سعيد . ودخل عليه السجن قوم من الابناء فقبلوا رأسه ، وغضبوا عندما اعدم وقالوا : « علام اعدم صاحبنا ، وانما طلب بثأره » . ولما دفعت دية اليهم هداوا ، بعد ان كان يظن ان الخصام بينهم وبين البطون وشيك أن ينفجر (٩٠) .

وكان لا يزال يوجد من بواقي عصيات عبد الله بن خازم

موسى بن عبد الله يلقب القيسي من لم يخضع بعد . وهو شظية من حكمه استمرت اثني عشرة سنة بعد مقتله . انه ابنه موسى « الثظ »

موسى بن عبد الله يلقب
الرع بغزواته من ترمذ

وكان هرب من مرو في آخر لحظة . وقطع نهر بلخ مع بضع مائة فارس . وذهبت محاولاته عبثاً في ايجاد محل يستقر به . واستقر بأخرة في ترمذ على

(٨٩) الطبري ٢/١٠٢٢ - ١٠٣١

(٩٠) الطبري ٢/١٠٤٧ - ١٠٥١

مسافة قصيرة من بلخ على الشط الآخر من النهر في قلعة مقامة على مرتفع صخري .
واجتمع القيسيون حوله حتى تبعه ۱۱۰۰ رجل . وبهم كان يغزو في كل جهة ،
فملاً جواره رعباً منه ومن فرسانه الشياطين . واخفقت حملة ارسلها اليه الأمير
أمية . وتركه خلفه المهلب وابنه يزيد آمناً مطمئناً .

وازدادت فرقه بما انضم اليها من فل جيش ابن الاشعث ،
فاصبحت ثمانية آلاف رجل . وشرع في غزوات اوسع ،
كان يساعده فيها قائدان ايرانيان ، انتقلا اليه مع اتباعهما
تاركين الجيش العربي ، وهما الحرث بن قطبة واخوه ثابت . وكانا قد اتصلا
بملوك تلك المنطقة ، لاسيما بطرخون سمرقند ، فاعانوهما على اعداد جيش
يقاتل الحكام العرب مع موسى . لكن موسى لم يكن يريد ان يساعد في قتال
يزيد بخراسان . وجل ما كان يبغيه هو ان يخرج عماله بما وراء النهر . فافلحوا
كل الفلاح في تصفية ما وراء النهر من كل ماتر كه العرب من سلطان .

لكن من تميز في هذا العمل اكثر من غيره هما الحرث
وثابت ، فاصبحا اقرباء كل القوة ، حتى غدا موسى غيوراً
منهما . ثم تبع ذلك خروج الترك والهباطلة والتبت فيما
وراء النهر . وصد موسى بنجاح اول الأمر هجوماً لهم ، فاءادهم عن ترمذ بالقوة ، ثم
انقض عليهم ، فاهزمهم قرب كفتان وتشتوا . وقتل في هذه الموقعة الحرث
ابن قطبة . لكن موسى لم يفتم لهذا ، بل كان يبغى من كل قلبه ان يتخلص
من ثابت الاخ الآخر .

وكشف جاسوس لثابت عن مؤامرة لقتله ، فهرب الى
عربي بقتل حليفه الآخر ^{ثابتاً} 'خشوراغ' (۹۱) حيث اجتمع عدد كبير من الايرانيين
والعرب حوله . واتي طرخون سمرقند الى نجدته بجيش

(۹۱) كذلك ينبغي ان تكتب انظر الطبري ۲/ ۱۰۹۱ . ۹

كبير . فتقدم الاثنان بقواتهما المتحدة امام ترمذ « فحاصروا موسى ، وقطعوا عنه المادة حتى 'جهدوا' لكن عربياً هو يزيد بن هزبل وفق الى ان ينسل الى ثابت فيقتله .

ومن ثم غامر موسى ، فاغار على معسكر العدو وجعلهم اعداؤه يتحالفون فيقتلونهم ينسحبون . ولكن لم يمض زمن طويل حتى تحالف عليه المفضل اخو يزيد بن المهلب وخلفه في خراسان مع طرخون السغد وسبيل الأختل . ولم يستطع ان يقف امام هذا الحلف ، فقتل وهو يحاول الهرب واستسلمت ترمذ ، واعدم المقاتلون المستسلمون . حدث هذا عام ۸۵

۳ . - العرب بخراسان من عهد الحجاج الى عمر بن عبد العزيز

خلال الزمن الذي كانت تهدر فيه شوكة العرب بخراسان في الخلافت الدموية ، تضعفت الفتوح الاولى فيما وراء النهر (۹۲) تضعفاتها . وقلب الاتراك الصفحة ، فتجاسروا واغاروا على خراسان ، وامتدت غزواتهم حتى نيسابور (۹۳) ، بل اعادوا الكرة فانقضوا ثانية بعد عودة السلم والنظام في خراسان .

وكان الامير امية هو اول من عاد بعد فاصل طويل الى اجتياز النهر ، لكنه لم يكن رجل حرب . وكان قد افسد موقفه في العراق بهربه الخجل من ابي فديك الخارجي ، فلم يستطع ان يصلحه في خراسان . ونجح في اول الامر (۹۴) ، ثم آل به الشأن الى ان هزم هزيمة

(۹۲) ووجه ابن عامر غزوات عبر النهر قبل ذلك . وكررها عبيد الله بن زياد الذي جلب معه للبصرة طائفة من اسرى البخاريين ، وخافه سعيد بن عثمان الذي قتله عبيد السغد ، وسلم بن زياد الذي حث امرأته بولده في سمرقند .

(۹۳) فتوح البلدان ۴۱۵

(۹۴) فتوح البلدان ۲۶ ، ۱۰ وما بعده

نكراء ، ولقي السوء الكبير في ان يسلم بنفسه ويجيشه من على نهر بلخ ،
وجلب لنفسه بذلك هذا القول الساخر : « من دعاه أمة ، فقد اصاب » وأمة
مصغر أمة . واسفر الامر عن انه اضطر الى ان يستقيل عام ٧٨ .

فعين الحجاج مكانه المهلب الازدي ، وذلك بعد ان ضمت
المهلب يكتفي بكش
خراسان وسجستان الى ولايته . وانضع المهلب الخوارج
بمبلغ من المال فينسحب
في كرمان في منتصف عام ٧٨ ، لكنه لم يرد مرو وبشخصه
الا عام ٧٩ . ولم يتبع خطوات سلفه فيما وراء النهر . وحاصر في آخر سنة من
حكيمه مدينة كاش دون جدوى^(٩٥) ، فتقبل بسرور تعهد السكان له بدفع
مبلغ من المال مقابل انسحابه .

وتوفي في زاغول قرب مرو الروز ، وهو عائد الى بلده ،
جلبه الازد الى خراسان
وذلك في ذي الحجة عام ٨٢ (كانون الثاني ٧٠٢) . ولم
واضاعة مضر مكاتها
يزد حربه في خراسان من شهرته ؛ على ان مسيره الى هناك
كان ذا أهمية كبرى ، فقد جلب معه الى خراسان قبيلته التي كانت تقاوم الخوارج
معه حتى ذلك الحين^(٩٦) . فتحالفت الازد في خراسان مع بكر وربيعة أيضاً^(٩٧)

(٩٥) ويذكر المدائني محاصرة كاش مرتين بالمناسبة نفسها عام ٨٠ وعام ٨٢ (الطبري
١٠٤٠/٢ وما بعدها ؛ ١٠٧٧ وما بعدها) ويمكن التوفيق بين الاختلاف في التاريخ باعتبار
ما قيل من ان الحصار استمر عامين (من منتصف عام ٨٠ الى ٨٢) .
(٩٦) وورد خراسان من فارس وكرمان ساحة الحرب ضد الخوارج الشاعران الازديان
نابت قطنه وكعب الاشقري . ولا مشاحة في ان افراداً من الازد قد يكونون اقاموا هناك
ذلك ، على ان القبيلة انما بلغت شأنها هناك مع المهلب . وانا لا نرى اي اثر من المحالفة بين
الازد وبكر خلال المداء الاول بن تميم وبكر .

(٩٧) وانظر عن « الاخماس » تلك النسبة المددية بين الفرق الطبري ١٢٩١ . وقدمت
تميم عشرة آلاف رجل للجيش والازد عشرة آلاف وقيس (اهل الماه) تسعة آلاف وبكر
سبعة آلاف وعبد القيس اربعة آلاف . والمجموع يبلغ زهاء اربعين الف رجل قادرين على
حمل السلاح . وعلى ذلك فان مجموع العرب في خراسان يكاد لا يبلغ اكثر من مائتي الف رجل .

وهكذا فقدت مضر (تميم وقيس) تفوقها ، فقدت ذلك التفوق على اقل تقدير مادام الوالي آتذرع بكمفته الى الفريق الآخر .

وعين المهلب ابنه يزيد رئيساً لعائلته المختلطة وخلفاً مؤقتاً له في عمله ، فوافق الحجاج على ذلك . وقاتل يزيد في فرغانة وخوارزم وعلى شط نهر بلخ في بادغيس دون ان يلقى أي نجاح ، او على اقل تقدير دون ان يلقى نجاحاً مستمراً . ولا ريب ان يزيد كان جسوراً بالرغم من ترفه وضحامة جثته ، لكنه كان ذا طموح متعجرف اكثر منه ذا قدرة على التنفيذ .

وشعر متألماً بتابعيته للحجاج ، لاسيما وانه رئيس الازد . والحجاج الذي بلغ ما بلغ انما هو قيسي . ولم يكن يزيد يرغب كثيراً في ان يلحق الجزاء اللائق بالعاصين من اهل العراق الذين هربوا الى مصره بعد هزيمة ابن الاشعث . فترك من بين رؤساء العصاة الذين وقعوا في قبضته اليمانيين منطلقين ، ولم يسلم الا المضرين .

فما كان الحجاج مخدوعاً في عواطفه نحوهم ، وخلعه في ربيع الثاني ٨٥ (نيسان ٧٠٤) ووضع مكانه المفضل بن المهلب شقيقه الذي كان يتآمر عليه . وكان الحجاج يفضل على ذلك ان يسحب المضر من حكم المهالبة تماماً والازد ، لكنه لم يكن يجروء على ذلك ، وموسى بن خازم متمركز في ترمذ وماوراء النهر ؛ وقيل انه لم يجروء على ذلك وهو قول لا يخلو من الحق .

وكان المهلب ويزيد مقتنعين انه ليس من المرغوب فيه ان يكون هناك وال قيسي يقف امام موسى ، فموسى نفسه كان قيسياً حائزاً عطف القيسيين . وهكذا استبقياها عدواً نافعاً يحفظ عدم استبعادها لها المكاة . اما المفضل فتجنب هذه السياسة المنزلية ، واستعمل الشدة امام موسى ، وهكذا قطع العنق الذي كان جالساً عليه ،

يزيد بن المهلب

لا يصب النجاح في حربه

لا يضرب اعداء الحجاج

الحجاج يخله

بأخيه المفضل

المفضل يتمكن من ابن

خازم فيعجل اقالته

وإذا به لا يتمكن من موسى حتى يزاح عن عمله بعد ان بقي فيه تسعة أشهر .
وعزل أيضاً حبيب بن المهلب وعبد الملك بن المهلب من
الحجاج يعين قتيبة
من قبيلة لاغزوة لها
عملهما ، ووضع يزيد في السجن . وعين قتيبة (عام ٨٥ او
(٨٦) على خراسان ، وقتيبة هو ابن مسلم بن عمر البصري
ذلك الذي كان مخلصاً لحكم بني امية . وهكذا سقطت في خراسان سيادة الازد
a potiori وربيعة اللذين كانا يدعيان اليمن ، فسمي العرب في عهد قتيبة مضر فقط (٩٨)
وكان قتيبة نفسه ينتمي الى قبيلة باهلة المتعضضة التي لاشان لها . وكانت خارج
الزمر الواسعة تحتل مكاناً منحطاً في انساب العرب . على أنها في ذلك الظرف
كانت مخالفة لقبس (٩٩) . وكان الحجاج مسروراً من ان قتيبة لا ينتمي الى عائلة قوية
تسندة ، وانه مضطر الى ان يتخذ الحكومة سنداً له .

والمناطق التي هي في ما وراء خراسان الى الشمال والشرق
وجوب تقديم ملاحظات
جغرافية وعنصرية
لم تؤخذ قبل قتيبة الا بعض اجزاها ، ولم تخضع الا بطريقة
سطحية ، كما يتبين لنا ذلك من قصة موسى بن عبد الله بن
خازم . وقتيبة في اقل تقدير هو اول من قام بالفتح الحقيقي . ولكي نحسن فهم
حملاته ، علينا ان نقدم بعض الملاحظات في الجغرافية والانساب عن الثغرين ،
اي طرفي الحدود في خراسان .

واحدهما طخارستان ، بُنحت القديمة او بلاد بلخ ، وبنحت
بُنحت على طرفي نهر بلخ في اصح التعابير الناحية الجبلية الممتدة على طرفي نهر بلخ
في وسطه حتى آخر نهر خرغام (بدخشان) . ويدخل فيها الطبري (١٠٠) شومان
وأخرون . لكن ما يفهم من هذا الاسم عادة ليس إلا الناحية الجنوبية لنهر بلخ .

(٩٨) الطبري ١١٨٥/٢ ، ٥ .

(٩٩) وكذلك أيضاً في الجزيرة انظر الطبري ١٣٠٠/٢ ابن الاثير ٢٥٦/٤ وما بعدها

وانظر اعلاه الحاشية رقم ٢ ، صفحة ١٦٥ .

(١٠٠) ١١٨٠/٢ ، ٧ .

ويدخلها العرب عرفاً في ارض مرو الروذ بلدة جيشهم في اقصى الشرق ، فاستيلاؤهم على بلخ لم يدم طويلاً ، على ان بلخ كانت عاصمة القطر .

وفي منطقة بلخ كانت تقع نحو اقصى الشرق 'خلم والطاقان بلدان منطقة بلخ وفارياب ومدن اخرى . وفي اقصى الجنوب وأعلى من

النور (هراة) Paropamisus تمتد مناطق الجوزجان وجوزستان وغرستان (مع الباميان التي تشرف على المر) . والى اقصى الغرب باذغيس بين وادي المرغاب ووادي هراة (هري الروذ) . وفي الجنوب الشرقي كانت غزنة وبالس وهما تنتميان بعض الشيء الى كابلستان وسجستان .

والحدود الاخرى لحراسان ، وهي اكثرها اهمية ، هي ماوراء النهر والصغانيان ماوراءالنهر Transoxiana . وتشمل بمعناها الواسع طرفها

الشرقي وهو الختلان ، تلك المنطقة الجبلية للختل (١٠١) الممتدة غرباً من نهر خرغام الى نهر (وخشاب) (١٠٢) . ثم تأتي الصغانيان ، وهي ارض الصغان (١٠٣) . وفي اقصى الغرب بين ترمذ على النهر وسمرقند على نهر السغد مدن شومان وأخرون ، ثم كش ونسف .

وهاتان الاخيرتان هما عند المقدسي (١٠٤) داخلتان في السغديان وعاصمتها سمرقند الصغانيان ، لكنهما عادة تعتبران من السغديان . والسغديان

هي ارض السغد على الطرفين المنخفضين لنهر السغد Polytimetus الذي يختفي في واحة بخارا دون ان يبلغ تماماً نهر بلخ (١٠٥) . والعاصمة القديمة هي سمرقند .

(١٠١) Salzgebirg , 1596

(١٠٢) الآن سرغاب . وفي كلمة وخشاب حفظ اسم Oxus الذي لم يمد يستعمل في اللغة الفصيحة .

(١٠٣) يدعى الملك صغان خذاه . الطبري ١٥٩٦/٢ : ١٦٠٠ وما بعدها .

(١٠٤) احسن التقاسيم ٢٦٧ ، ٢٨٢ وما بعدها .

(١٠٥) وهو يسمى الآن زرفشان . واسم Polytimetus غير مفهوم ، وكلمة

Polytmetus البق اذ ان النهر يقتطع في قناتين . ونظام الري القديم في هذا القطر لا يقل عن أي نظام آخر في بهانه وشهرته .

ويعني بالسغد سكان مدينة سمرقند ومنطقتها .

وفي شرق سفديانا على طرف واحد تمتد أشروسنه الجبلية في المجرى
اشروسنه والشاش العالي الضيق لنهر السفد ، وفي الطرف الآخر الى شمال
الجبال تمتد الشاش وفرغانه على سيحون عبر ارض الترك . والمجرى المنخفض
لنهر بلخ الذي يميل منه النهر نحو الشمال يذهب في الصحراء حيث بشكل واحة
خوارزم . والمعبر الاساسي فيه عند ارتداده هذا هو في آمل على جسر
من الزوارق .

وكان السكان واللغة والصناعة^(١٠٦) ايرانيين في هذه المنطقة
السكان والحضارة ايرانية الواسعة جداً . وفي السياسة كان هنالك اختلاف كبير
مع خضوع للحتل لا يمكن ان يكون قد وجد منذ سقوط الدولة الساسانية
فقط . والسلالات الملكية في عهد ارسقراطية الدهاقين تهيمن على النبلاء البسطاء
ومالكي الاراضي والقائمين على القرى . ونجد في كل جهة من هذه المناطق
المنعزلة والبلدان المتسعة امراء بالوراثة ، لهم القابهم الخاصة بهم^(١٠٧) . وبعض الالقاب
آرية ، لكن الالقاب غير الآرية توجد ايضاً كالأرية . ذلك ان الايرانيين الذين
تشتوا خضعوا ولم يظلوا ايرانيين خالصين .

وفي باريتسين Parātacene جاء الحتل ، فاقاموا فوق
الهياطلة يحكمون رقايمهم . ويسمى ملكهم سبل^(١٠٨) وكانوا كما يظهر مماثلين للهياطلة
كثيراً من المدن الاقدمين Hephthalites . وكان الهيطل يسودون في منطقة

(١٠٦) وفيما سوى زراعة الارض التي تستند الى ترتيب محكم في المياه كانت التجارة بالجاود
والحرير والماء [الصوف ؟] والمبيد مهمة على الطريق الى سينا .
(١٠٧) يتكرر لقب خوداه ، وشاه في خوارزم واسهباز في بلخ واخشيد في فرغانه
وشير في غرستان . هذا ومن الاسماء الحقيقية اخريد وويك في كوش وأشكند في نسف وأفشين
في اشروسنه .

(١٠٨) ان لم يكن اسماً ؛ انظر جيش (حنش) بن سبل .

ما وراء النهر جميعها، تلك التي يدعوها المقدسي ببساطة «ارض الهياطلة». وفي الزمن الذي نتحدث عنه تراجع الهيطان الى ما وراء الترك . وكان مقام الترك الحقيقي في شرقي سيجون ، لكنهم بواسطة الغارات التي كانوا يشنونها على مسافات كبيرة جداً مكنوا اقدامهم في كثير من المدن الايرانية المحيطة بهم ، واسسوا فيها سلالات وحصلوا منها الضرائب . ونجد لقب طرخون او طرخان التركي في مناطق بعيدة عما وراء النهر واخرى قريبة منه ، وهو يدل على امير يقع تحت حماية الخاقان (١٠٩) .

والترك في ما وراء النهر وتخارستان هم الملوك الحقيقيون في ذلك العصر . وانما على العرب في الواقع ان يجاربو الترك وان يجاربوهم بانفسهم ، وعلى اقل تقدير ان يجاربوهم آخر الامر . ودفع العرب الترك خارج خراسان وأوقفوا غاراتهم . وفي ما وراء النهر وطخارستان جاروهم بنجاح في حلبة السباق الى السيادة على السكان الايرانيين ، لكنهم كانوا يرضون باتباعهم لهم تبعية سطحية . وتركوا السلطان في كل مكان للسلطات المحلية ، ولم يطلبوا الا ضريبة واحدة سميت باسم خاص هو «الفدية» يفتدون بها من الحرب والسلب ، حتى اذا امتنعت تأدية الفدية ، وهو شيء ممكن وقوعه ببسر ، عاد القتال من جديد . والواقع ان العرب لم يكونوا يغمون دوماً من هذه المناسبات [التي تتيح لهم] الغزو والغنيمة .

ولم يحصل في عهد قتيبة نفسه اي تبديل منسق ، لكنه بالرغم من ذلك وسع سلطان العرب فيما بعد الحدود اكثر

حملات قتيبة

(١٠٩) الطبري ٦٤٧/٣ : الخاقان وطراخينه . وانظر رويخان روب ، وتوسيك (ترسل) فريادب وسهرك (سهرب) الطالقان وشذ كلها في طخارستان . وسيد الترك يسمى دوماً الخاقان وكأنه لا يوجد الا خاقان واحد .

بما كان الواقع حتى زمنه . وقام عاماً بعد عام بجملاته ، فكان المهندون يقدمون بمحض ارادتهم الى الميدان من نيسابور و ابيورد و سرخس و من هراة و مرو و الروذ . وفي عام ٨٦ قاد حملة كان هيأها سلفه (بعد فتح ترمذ) لتذهب الى آخرون و شومان و وافق الملك على دفع الجزية . وفي السنوات التالية وجه قتيبة اهتمامه الى مدن واحة بخارى ، وفي عام ٨٧ و ٨٨ فتح بيكند و تو مشكث و رامينه . وأخذ في بيكند ، تلك البلدة ذات المستودعات (١١٠) حصوله على الاسلحة
واخضاعه بخارا الواسعة ، مؤنة من الاسلحة ، وبها جهز العرب الذين كانوا حتى ذلك التاريخ فقيرين بالاسلحة ، لا يملكون الا (٣٥٠) درعاً (١١١) ، وفي عام ٨٩ و ٩٠ اخضع بخارا نفسها بضغط من الحجاج الذي ارسل خريطة للمنطقة ووضع مخطط الحملة .

وفي عام ٩١ وجد عملاً يلائمه كل الملائمة في تخارستان ، قضاؤه على عصيان
طرخان نيزك وهو القضاء على عصيان متسع ، روحه طرخان نيزك ، فخذعه و اخرجته من حصنه الواقع قرب اسكيمشت (١١٢) حيث ذهب اليه بنفسه ، و اعدمه بغش هو و طرخانات و دهاقين آخريين ، ثم اجتاز النهر ففتح مدينة شومان التي اشترك ملكها في العصيان ايضاً ، واستأنف سيره الى باب الحديد (١١٣) ، فاخضع كش و نسف (١١٤) ، و اقام حكومة جديدة في بخارى « و ملك بخارا اخذاه غلاماً حدثاً ، و قتل من خاف أن يضاده » .

(١١٠) ولا بد ان الياس النصيبي يقصد هذه البلدة (في حوادثه عن سنة ٨٧) .

(١١١) الطبري ٢/١١٨٠ ، ١٥٠ .

(١١٢) الاصطخري ٢٧٥ . و البلدة واقعة قليلا في شمال خط العرض ٣٦ و قليلاً الى شرق

خط الطول ٦٩ وفي الخريطة الانكليزية تسمى Ishkêmiş انظر - Marquart , 219, (1901) Eranshahr .

(١١٣) وهو اسم الممر الضيق المشهور على ساعد النهر المسمى الآن Kashka كشكا

وقد وصف في Reclus , 6, 502 .

(١١٤) و فارياب في الطبري ٢/١٢٢٩ ، ٣ يقصد بها فيرياب انظر ٢/١٥٦٦ ، ٣ .

وفي عام ۹۲ كان في سجستان . ويقال انه ارغم زنبيل
كابل على ان يدفع الضريبة . وفي عام ۹۳ غزا خوارزم
على حين غرة ، وقد دفعه الى ان يفعل ذلك الشاه نفسه ،
ووقف اول الامر الى جانب الشاه ضد ابنه ، لكن اخرجه بعد ذلك واقام
حكماً عربياً في ارضه .

اقامته حكماً عربياً
في خوارزم

ومن خوارزم سار الى سمرقند دون ان يطلع جنده على
الهدف الذي هم اليه سائرون . وكان طرخون ذلك المكان
قد عقد شري نفسه منه بصلح عقده سنة ۹۱ ، لكن شعبه
خلعه للذل الذي جلبه هذا الصلح فدفعه الى الانتحار . وخلفه الاخشيذغوزك .
وقدم ذلك الحادث لقتيبة مناسبة طيبة للتدخل . وبعد حصار دام طويلاً ، تم
الاستسلام . وتعهد غوزك بان يدفع الجزية ، وكان قتيبة عازماً على ان يسير
الى سمرقند ، وان يصلي في مسجد اقيم فيها ، ثم يخلي المدينة حالاً ، لكنه بعد
ان دخلها لم يخل عنها ، بل جعلها ثغراً أو نقطة انطلاق لفتوحه القادمة . ومن هناك في السنوات
الاخيرة لعهد (من عام ۹۴ الى ۹۶) نفذ الى أعلى وادي السغد والى شاش وفرغانه . ويقال
انه ذهب الى كشغر وانه اتصل بالصين^(۱۱۵) . وروايات المدائني في الطبري
والبلاذري تتفق في الجوهر ، إلا في ان البلاذري لا يقول شيئاً عن سجستان
وكشغر . وتؤيدهما الاشعار المعاصرة في مواضع عديدة^(۱۱۶) .

يتخذ من سمرقند ثغراً
ويصل الى الصين

(۱۱۵) انظر الابيات في الطبري ۱۲۷۹/۲ وما بعدها : ۸، ۱۳، ۲۰ ورواية فتوح
البلدان ۴۲۶ . ۱۸۰

(۱۶) واهم شعراء خراسان ثابت بن قُطَبة الازدي (الاغانى ۴۹/۱۳ وما بعدها)
وكعب الاشقري الازدي (الاغانى ۵۶/۱۳ وما بعدها) ونهار بن تومسة البكرى (الاغانى
۱۱۵/۱۴) وزياذ الاعجم مولى عبد القيس (الاغانى ۱۰۲/۱۴ وما بعدها) والمغيرة بن
جناب التميمي (الاغانى ۱۶۲/۱۱ وما بعدها) . ويذكر الطبري وحده كثيرين آخرين مجروين
في غير هذه المناسبة . ويتمرض الفرزدق والكميت والطارم الى حوادث خراسان عرضاً .

وترك قتيبة الملوك المحليين في سلطانهم مقابل دفع الجزية .
الحكم المحلي يبقى
وتلك هي القاعدة العامة ، ووضع عليهم شتى المراقبين من
العرب او من النواب . بيد انه كان هناك عدد قليل من الاماكن المهمة حقاً
اختيرت مقر العروبة والاسلام ، ولم يخرج اهلها منها ، بل احتفظوا بحكومة شخصية
مع السلطات القديمة التي كان عليها بصفة خاصة ان تضع الضرائب وان تجمعها .
وتقرر ان تصبح سمرقند بصفة خاصة مركز القيادة العربية ،
استيطان العرب سمرقند
ومخارا وخورزم
فدخلت المدينة فرقة بمختلف معداتها . وهدمت بيوت
النار ومعابد الاوثان بذريعة ان الوثنيين لا يجسرون على
البقاء ليلاً في المدينة . واتخذت تدابير مماثلة في خوارزم ومخارا دون ان تكون
صارمه بهذا المقدار . وقضي على هياكل الوثنيين في بخارا . وذلك اننا يجب ان
نضيف على ما ثبت انه كان يوجد هناك معبد للنار وهيكل أيضاً تحفظ فيه
الطواويس وأن هذه المعابد تلاشت بعد ذلك (۱۱۷) . وهذه المدن كان عليها ان
تصبح بالنسبة الى مجاورها ما كانت عليه المدن الحربية العربية كنيسابور
ومرو ومرو الروذ وهرارة بالنسبة لخراسان . وكان استيطانها بلاريب خطوة
كبرى اعظم من كل ما قام به العرب من محاولات واعمال في هذا القطر .
والنتيجة الدائمة لذلك ان بخارا وسمرقند بل خوارزم اصبحت مهداً للاسلام
ولنشر العربية .

وكان لاهتمام العرب بنجاحهم ما يبرره ، اهتمام يظهر تعبيره
صعوبة القتال على العرب
في اشعار عديدة نظموها . ولم يكن القتال سهلاً عليهم ؛

— ويأخذ الشعراء دوماً بطرف قلوبهم واهتمامهم ويتأثر بذلك حكمهم واتجاههم ، اياً قال نهار بن تومس
في الكامل للبرد ۵۳۸ . ۱۵ . على انه ينبغي الرجوع اليهم بعذر وان كانوا شهوداً لحوادث
المجردة ذوى قيمة .

(۱۱۷) ينبغي ان يستقر في ذهننا ان انتقال الرعايا الايرانيين الى الاسلام لم يكن مطلوباً
على العموم وانه كان مباحاً لهم ان يستمروا على عبادتهم ودينهم .

فقد كان عددهم قليلاً ، وكانوا مسلحين تسليحاً سيئاً اول الامر . والمسافات كبيرة وصعوبة الارض وشرائط الاقليم تضع العراقيين الجملة في طريقهم . وعليهم ان يحملوا معهم مؤنثهم وثياباً تقيهم من البرد . وهم لا يقدرون على اقامة الحملات الا في اجود فصل من العام .

وعدوهم ليس هيناً ، اذ تاتي في معظم الحالات جيوش كبيرة خصمهم الاول الترك من مسافات بعيدة لتتجد مدنه المحاصرة ؛ تقود هذه الجيوش الترك ، ومعظمها يتألف من الترك . والواقع ان العرب انما كانوا يجاربون الترك في سبيل السيادة على هذه المناطق ، واستولوا عليها من ايديهم . وكان ذلك منهم عملاً مجيداً يؤيد حقهم في السيادة على الايرانيين ؛ ولم يكن هؤلاء قادرين على الدفاع عن انفسهم امام الترك .

ولعل لزعامه قتيبة نصيباً كبيراً من الفضل ، فقد تفوق كثيراً على من سبقه . وكان عظماء الايرانيين يكونون نحوه من الاحترام ما لا يكون للمهلب ويزيد . وسلوكه في الحرب مسلك القسوة والخذعة . فلم تكن تأخذه في سبيل الله ، اي فائدة الاسلام ، لومة لائم في استعماله الخديعة . وكثيراً ما كان يدين لذلك بتوفيقه ، بيد انه في هذا لا يختلف عن عامة قواد العرب .

وحدث سقوط قتيبة ، وهو في اوج الشهرة والسلطان . وكان لهذا الحادث هزة كبرى في العالم الاسلامي . واستخدم المدائني في روايته المفصلة للحادث قطعاً من رواية ابي مخنف . وهذا الخليفة الوليد بن عبد الملك يتوفى في منتصف جمادى الثانية عام ٩٦ (آخر شباط ٧١٥) . وكان خلفه سليمان يكره الحجاج وانصاره ، فقد ارادوا ان يجرموه من ولاية العهد . وانقذ الحجاج من ثأره وفاته ، لكن سليمان حري بان ينقل ثأره من الحجاج الى قتيبة الذي اثاره عليه بصفة خاصة يزيد بن المهلب وعبد الله بن الاعمى .

وتلقى قتيبة اخبار تبدل الحكم، وهو في الميدان مع جيشه
بفرغانة . وكان يعرف ان العزل واسوء الشر يتهددانه .
ولم يكن ينوي أن يتحمل وقوع أي شيء به . على أنه
قضى بعض الزمن قبل ان يقرر مايفعله^(١١٨) . ورفض ان يعود الى سمرقند وان
يستقر فيها ، وان يحتفظ بالمقاتلين الذين قدموا انفسهم اليه عن رضاء . وقرر
ان يصحب الجيش بكامله معه في ثورته على الخليفة .

كيف تلقى قتيبة
خبر خلافة سليمان

وفي مسجد فرغانة يتن لممثلي الجيش من هو ومن سليمان، ومن
يزيد ودعاهم الى ان يكونوا معه . وكانوا في نهاية حملة ذلك
العام^(١١٩) مشتاقين الى زوجاتهم واولادهم ، فلم يظهروا
حماسة كبيرة لعمل خطير جد الخطورة يتناول نظرة بعيدة
الى الامام . وهكذا لم يجيبوا أي جواب . ولم يكن قتيبة يتوقع ذلك ، ففقد
باديء ذي بدء هدوءه . وكان لا يزال على المنبر ، فانفجر يطعن على القبائل
المختلفة ، ويعدد كل مخازيها التي تعير بها دون ان يغادر منها واحدة ، حتى إنه
عندما نزل من المنبر لم يشأ أن يهدئه أقاربه ، بل اعاد الشتم على أشد وجوهه .
وهكذا أهان كل عربي في الجيش . والعربي معتاد أن
الازد يسمون الى العصيان
يفعل ذلك العار بالدم . فاخذ العرب يتفاوضون في السر
للعصيان على ذلك الحائن النذل . وكانت الازد تحقد عليه منذ البداية ، لانه قام

(١١٨) ويقال انه ارسل ثلاثة كتب لسليمان ، نكبه لم ينتظر جوابها وكان رسول سليمان
في حلوان عندما بلغه خبر ثورة قتيبة . ولا يذكر الطبري شيئاً عن كتابي سليمان اللذين اشار اليهما
فايل Weil 1,555 f . ويبدو فيها خطأ ان قتيبة ما زال في مريو مستمداً اخرج الى فرغانة .
والباهليون اللذين يظهرون هنا بنص المدائني ممثلين لتفايد خاصة . من المرات يحاولون ان يبيضوا
صفحة ابن قبيلتهم قتيبة: الطبري ١٣١١/٢

(١١٩) ولم يكن بالامكان ان يبلغ نعي الوليد فرغانة قبل تموز وعلى ذلك فقد مضى مضى
الوقت قبل ان يأخذ قتيبة بخطته .

مقام المهالبة . وبلغ منهم شتمه اكثر من غيرهم ، فاتفقوا مع حلفائهم ربيعة ، وعرضوا الرئاسة على حُضين بن منذر البكري ، لكن حُضيناً كان خائفاً من مزاحمة بني تميم ذوي القوة فقال : ان صدرت الثورة عنا ، مابالوا في تعصبتهم لابن قتيبة .

وهكذا تركت الخطوة الاولى لبني تميم . وكانوا غاضبين

على قتيبة لموقفه من بني الاهتم الذين ينتمون اليهم . وكان
تميم حاقد على قتيبة
انتقامه من بني الاهتم
واهاته وكياً

قبل ذلك بسنين قد استخلف عبد الله بن الاهتم في مرو

خلال حملة له على بخارا ، فانتهز ابن الاهتم الفرصة ، فتآمر

مع الحجاج عليه ، لكن حال ابن الاهتم ساءت ، فاضطر الى ان يهرب الى سليمان في الشام .

وكان سليمان لا يزال ولي العهد الظاهر المنتظر . وجعل قتيبة اخوة ابن الاهتم

وابناء عمه يتحملون جريرته ، مما يدعو بني تميم الى اخذ الثأر منه (١٢٠) . أضف الى

ذلك انه اهان رئيسهم وكيع بن حسان بن ابي سود (١٢١) ، بان نسب الى اخيه

نفسه في بيان رسمي شرف كسب نصر كبير على الترك ، وهو نصر يدان به

لوكيع ، وبانه نزع عنه ايضاً قيادة فرقة بني تميم ، وأسلمها الى احد الضييين .

وهذا وكيع يرأس العصيان الآن . وايدته حيات

النبطي (١٢٢) الفارسي ، وهو رجل كان يغذي حقداً بالغاً

على قتيبة لعله واضحة (١٢٣) . وكان رجلاً خطيراً في مركز

ذي اثر . وله بواسطة الخدم الفرس صلات من كل جهة بالاسياد العرب ، بحيث

حيات النبطي خطير
ينضم الى المؤامرة

(١٢٠) فتوح البلدان ٤٢٥ وما بعدها ؛ الاغانى ٦١/١٣ ؛ الطبري ٨١٧/٢ ؛

١٣٠٩ وما بعدها ؛ ١٣١٢ .

(١٢١) ينبغي الا نخلط بينه وبين قاتل ابن خازم الذي يحمل اسمه والذي هو ولا رب

تميمي ايضاً لكن من اسرة اخرى .

(١٢٢) سمي نبطياً لانه عنده فقط (الطبري ١٢٩١) .

(١٢٣) الطبري ١٢٥٣/٢

كان يعلم ويعرف كل شيء . وكان خبيراً بالمؤامرات على اسلوب مختلف كل الاختلاف عن اسلوب العرب . وهو خطير بصفة خاصة لانه رئيس الموالي ، أي الفرس الذين اعتنقوا الاسلام ، فخدموا في فرقة خاصة لهم في الجيش العربي . وكانوا مخلصين لقتيبة اخلاً شخصياً . لكن حيان عمل على ان يفصلهم عنه ، بان اوضح لهم ان الحسام بين العرب لا يعينهم ، إذ ليس في سبيل الاسلام .
وحمل قتيبة ما حذر منه محمل سعاية دفع اليها الحسد .

وكيع بنور

لكنه دهش بأخرة من ان وكيعاً لم يعد ييدي وجهه في حضرته ، « فارسل يدعوه ، فوجده قد طلى رجليه بمغرة ، وعلق على رأسه حرزاً » فامر قتيبة ان يؤتى به محمولاً . حتى اذا عمد الى تنفيذ الامر ، قطع وكيع حبل السحر ، ووثب من سريره الى صهوة جواده وسار وحيداً . لكنه ما عثم ان اجتمع حوله عدد كاف من الرجال يحمل بهم على قتيبة .

ولم يلتحق بقتيبة إلا اخوته وأبناء عمه القلائل من باهلة قتيبة يتلاشى فيقتل
وعدد آخر من ذوي ثقته . والتحق الفرس برئاسة حيان بالمعتدين . ولم يخطئ حيان بظنه ان بوسعه ان يعتمد عليهم . وانتقل قتيبة من التحدي الى ضياع الامل ، وكان كالمشلول . فقد « دعا يبرذون له مدرب ليركبه فجعل يمنعه حتى اعيا ، فلما رأى ذلك عاد الى سريره فجلس عليه » امام حصن فرغانه ، وانتظر في المساء نتيجة القتال البينة مستسلماً . وقتل اخوته ومساعدوه بل ذبح هو نفسه ، وقطع ازدي رأسه . فخاب فآله في ظنه انه قادر على ان يحمل الجيش معه .

ولو كانت له قبيلة او عشيرة قوية تسنده ، لكان الامر على غير ما كان (١٢٤) . لكنه لم تكن له عشيرة . وكانت باهلة بالغة في ضعفها . اما قيس التي انتصر لها ، فتخلت عنه

العرب لا يتبعون
من لاءصية له

كما تخلى العجم عنه ، بل ان قوة فكره الدافعة لم تنفعه شيئاً . فهو لم يكن ينبغي إلا أن يأمن على نفسه وعلى وضعه . ولم يكن العرب ليتبعوا بيسر طريقاً يقفون به الى جانب رجل ، مهما عظمت مقدرته ، ضد سلطان منحه مكانته ، اذا كانت لاتصلهم بذلك الرجل سوى صلات رسمية .

ولقد ابتلي منهم عبيد الله بن زياد في البصرة بمثل ذلك من العجم لا يفهمون ماذا تخلى العرب عن قتيبة قبل . واخطأوا اهم الحساب ، اذ ظنوا انهم يستطيعون ان يقوموا بالحكم في مصرهم مستقلين عن الخلافة . والامير الذي ليس رئيساً لقبيلة لا يستطيع ان يفعل شيئاً دون الخليفة او ضده ، فالجراحة الشخصية ليست كافية . وليس بوسع امراء العجم ، والحق يقال ، ان يدركوا سلوك العرب نحو قتيبة . وقد عدوا ذلك انتحاراً . ولهم الحق ، لأنه بسقوط قتيبة اهتز حكم العرب اهتزازاً عنيفاً على الحدود التي اسسها .

ويقول الطبري ان الفاجعة حدثت عام ٥٩٦ هـ . اما ابن قتيبة وكبيع بيعت الرأس الى الخليفة فيجعلها في بداية عام ٥٩٧ هـ . وهذا وكبيع الذي اعترفت القبائل به خلفاً مؤقتاً لقتيبة يطلب رأس قتيبة . لكن الازديين الذين كان الرأس عندهم ابوا تسليمه بتحريض من قبيلته ، فاشار وكبيع الى خشب وقال : « ان هذه الخيل (اي اعواد الصلب) لا بد لها من فرسان » وكان لهذا القول اثره . ثم انه بعث بالرأس الى الخليفة ، لكنه لم يبعث معه من بني تميم احداً ، فقد كانوا متحيزين لقتيبة اكثر مما يخوله ان يسلمهم اياه .

واقصرت خطبته الافتتاحية في المسجد (١٢٥) على عدد قليل من الامثال والشواهد العنيفة التي دلت على مقصده . وخطبته وعنه وختم بقوله : « ان مرزبانكم هذا . . . قد اعلى عليكم اسعاركم . والله ليصيرن القفيز في السوق غداً باربعة دراهم او لاصلبنه » . وقصد بالمرزبان

(١٢٥) في مسجد مرو لا مسجد فرغانه .

على ما يظهر قتيبة يرى انه كبير من الكبراء الغرباء على الطريقة الفارسية (١٢٦). اما هو فيرى نفسه عربياً من الطراز القديم . وكان متمسكاً بالاسلام ، لكنه كان يكره عقوبة الجلد بالسياط التي شرعها القرآن لبعض الحدود ، ويؤثر ان يحكم على السكران بالقتل حالاً ؛ ويضرب ايضاً عنق عربي سرق جثة احد الباهلين الذين قتلوا مع قتيبة ، ويحظر السرقة حظراً شديداً . اما مظهره في اعماله فمظهر الاسياد العظماء .

وهذا الخليفة سليمان يثبته في ولايته اولاً . ثم يحل يزيد بن

زيد بن المهلب يتولى خراسان الى جانب العراق
عن ولاية العراق مصره السابق . وكان ليزيد بخلاف
قتيبة قبيلة تسنده ، وهو امر لامندوحة عنه . وبيزید عادت
فيملاً اعمالها بأهله

الازد الى الزعامة والارتقاع ، واضطهدت تميم ، وساء حال وكيع . وجلب
يزيد معه جند الحكومة الشامي ، فادخلهم الى خراسان التي ابعدهم عنها الحجاج
متعمداً (١٢٧) حين استعملهم في الهند دون غيرها . وملا يزيد كل المراكز باولاده
واقاربه كما هي العادة . وفي خراسان كان بين اهله وعشيرته ، يشعر انه اكثر
حرية منه في العراق ، وان عنده من الظروف المواتية للسلب والنهب اكثر .
ففرض المال لحاجاته الثمينة ، اي للجواري الجميلات ، وعرض نفائسه .

ويقال ان يزيد كان قبل ذلك ما ذكرت افعال قتيبة العظيمة

انهاؤه الخلاف في
امام سليمان الا رد بان جرجان مازالت بعيدة عن متناول اليد
جرجان ومهاجته لها
ولو انها تقطع الطريق الى خراسان . وحقاً ان المنطقة الجبلية

الواقعة الى الجنوب الشرقي من بحر الخزر كانت تضايق بعض المضايقة الاراضي
الاسلامية . غير ان يزيد حمل على مهاجتها لان في ذلك فرصة سانحة له اكثر من

(١٢٦) وحقاً انه كان هنالك . رزبان خاص في مرو لعله كان يراقب نظام السوق .

(١٢٧) الطبري ١٢٥٧/٢

انه واجب عليه الشرف . وكان الحُصام في جرجان على العرش سائراً يتقدم .
فقد فر الامير فيروز من ابن عمه المرزبان الذي كان مخالفاً للتركي صول في
دهستان ، وتقدم الى يزيد طالباً عونهُ .

وفي ربيع عام ٩٨ (١٢٨) سار يزيد بجيش عرمرم ، معظمه
استيلاؤه عليها
من العراقيين والشاميين واقبله من الخراسانيين . ودون ان
يضرب ضربة ما اعاد فيروز الى جرجان . وبعد ان تلقاه السكان ، خدع صول
مع اتراكه ، فاستدرجه من جباله الى البحيرة حيث اوقعه في قبضة يده . ويقال
انه قتل (١٤) الف اسير ، وكسب غنائم لا تحصى .

وبعد ان اخضع دهستان والبياسان تقدم الى الاصبهبند
انزاعه في طبرستان
في طبرستان ، ورفض مقترحاته للصلح راجياً ان يفوز
ومصالحته للاصبهبند
باكثر عن طريق الفتح عنوة . لكنه هزم هزيمة نكراء ،
ووجد ذاته في الوقت نفسه مهدداً من خلفه بثورة نشبت في جرجان . عندئذ
ظهر حيان النبطي وسيطاً ؛ فابان انه من مواطني الاصبهبند ، وحمل هذا على
ان يتخلى عن منفعة الموقته ، ويتخذ سياسة ابعده مدى ، فيوقف النضال ،
ويأخذ الامان لنفسه بواسطة تأدية المبلغ الذي عرضه قبل ذلك للصلح .

حتى اذا تخلص يزيد من وضعه ، رجع الى جرجان حيث
انتقامه من اهل جرجان
عاد المرزبان الى الثورة . وبعد حصار طويل استولى يزيد
ثورتهم
على الحصن الجبلي الذي يتحصن فيه المرزبان . وليبر يمينه

(١٢٨) والعام ٩٨ هو المذكور . اما ان الحملة ابتدأت في الربيع الذي يقع في المنتصف
الثاني من العام فهو شيء طبيعي . ولا يمكن ان تكون الحملة قد استمرت الى ما بعد الخريف .
وفي الخريف تغير الخليفة على امر مقتل يزيد . ولئن كان ذلك كذلك فحصار صول لا يمكن ان
يكون استمر ستة اشهر ، وحصار المرزبان لا يمكن ان يستغرق سبعة شهور . هذا ومن الصحيح
بالرجحان ان يزيد خرج للحملة بعد ثلاثة شهور او اربعة من وصوله الى خراسان . ومن ثم حدث
ذلك في سنة ٩٨ . في النصف الاول من العام ، لكنه ارسل ابنه المخلد يتقدمه .

بالتار » اجرى الماء في الوادي على دم (الامرى المعدومين) ، وعليه ارجاء
ليطحن بدمائهم ، فطحن واختبز واكل .

ثم انه كتب لسليمان بلهجة المظفر عن النجاح الذي اصابه
ولم يكن نجاحه في الحق لامعاً . وهو على كل حال
نجاح زائل . واعلن ان خمس الغنيمة يتراوح بين اربعة
ملايين درهم وستة ، وهو مبلغ يجب ان يدفع للخليفة ، فهياً بذلك لنفسه المصير
الذي ناله ، ذلك ان سليمان توفي في صفر ٩٩ في الصيف نفسه (١٢٩) ، اى في
ذلك الصيف الذي تمت فيه الحملة ، فطلب خلفه عمر بن عبد العزيز ذلك الفتى الفاسد ،
والقاءه في سجن المدينين ، اذ انه لم يستطع ان يدفع مبلغ الخمس المذكور .

مبالغة للخليفة
بظفره وغذائه

٤ . - العرب بخراسان من عمر بن عبد العزيز الى ثورة الحارث

وفي خراسان عظم شأن الازد بالمهالبة . ثم بهم ايضاً
تردوا الى العشاة ، وقبعوا في الهامش مناوئين . وحقاً
ان رد الفعل الذي احدثه عمر بن عبد العزيز ضد تحيز سلفه
ليس سوى نوع من الحياء التام بين القبائل ؛ فهو لم يظهر العداة للازد ، ولو
انه بعزله رئيسهم وضع حداً لسلطانهم . على ان خلفه احدث حزباً معاكساً
لحزب حكومة سليمان ، لاسيما بعد القضاء على العصيان الكبير الذي رفع لواءه
المهالبة في العراق . وانتقم يزيد الثاني من المهالبة ومن سعيهم مستهدفين عرشه .
وتناول الانتقام الازديين في خراسان ، مع انهم لم يشتركوا في العصيان
قط ، فطردوا من الاعمال ، واسيء الى رؤسائهم ، واتبع للباهليين بان
يأروا منهم لقتية .

يزيد الثاني ينتقم
من المهالبة

وعادت مضر الى السيادة ، وعلى رأسهم تميم . على ان الوالي
لم يكن بالرغم من ذلك يختار من بني تميم ، وان كان مساعده ،
وهو صاحب الشرطة ، منهم على الغالب . غير ان العمال
مازالوا ينتسبون الى قيس في اكثر الحالات . وكانت قيس منذ عهد الحجاج
تملك الحكم في يدها . على ان الولاة القيسيين لم تمنعهم جامعهم الحزبية من التعادي
والتباغض . والقاعدة العامة ان الخلف يسيء معاملة السلف ، ويغتصب منه المال
متذرعاً بحسابته ، ويسلك السلوك نفسه مع عمال هذا السلف أيضاً . وذلك هو
الطراز العربي للمسئولية الوزارية .

عودة السيادة الى مضر
والحكم الى قيس

وكان تغير الحكومة الدائم القاسي المطلق يحول دون
الاستمرار ، والحكومة امر شخصي محض يرادف السلب
الذي يجب ان يفيد الحاكم باسرع ما يمكن ، او تعني
الابتلاع . والواقع ان هذا الوضع لم يكن في خراسان وحدها ، انما كان يجري
في خراسان دون حياء اكثر منه في اي مكان آخر . وكان فيها اكثر خطورة
اذ ان الحاجة الى حكومة مكيئة كانت في هذا المصراع معرض اشدها في اي مكان آخر .
فما لبثت فتوح قتيبة ، والظروف هي هذه ، ان اصبحت
مهدة لا بد من تردادها المرة بعد المرة . ولا مشاحة في
ان اركان العروبة والاسلام التي اقيمت في بلاد السغد ،
لاسبياً منها سمرقند وبخارا كانت ثابتة ، ونشر الاسلام مستمراً في تلك البلاد .
غير انه نجم عن هذا الامر نفسه دون سابق انذار شر جديد على حكم العرب ،
ازداد فالتهم كل شيء حوله .

خطورة الوضع بخراسان
مع تغير حكماها

حدوث بشر

على العرب بخراسان

كان العامل الذي ارسله عمر بن عبد العزيز الى خراسان
مكان يزيد ، وهو الجراح بن عبد الله الحكمي ، رجلاً من مدرسة
الحجاج . وباشر حملته على الختل في البراتاسين Paratacene ،
ولم تكن هذه قد هوجمت الا قليلاً ، وارسل تقريراً الى

ابو الصياد يشكو
الى عمر بن عبد العزيز
فيأمر بالآيؤخذ الخراج
من المسلمين

الخليفة . وكان بين رسله اليه ابو الصيдаء الضبي « وكان فاضلاً في دينه » . وبالرغم من أنه عربي (١٣٠) شعر ان من واجبه ان يقول كلاماً جميلاً بحق الايرانيين الذين اعتنقوا الاسلام ، فقال « عشرون الفاً من الموالي يغزون بلاعطاء ولا رزق ، ومثلهم قد اسلموا من اهل الذمة يؤخذون بالخراج » . فامر عمر بوضع حد للأمر ، حتى اذا حاول الجراح ان يوقف تيار المسارعة الى الاسلام الذي اسفر عن ذلك (١٣١) فطلب أن يلزموا بالحنان ، عزله بعد ان قضى في عمله نحواً من عام ونصف عام ، وذلك في رمضان ١٠٠ (نيسان ٧١٩) .

وعين مكانه رجلاً لطيفاً ، هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ابن نعيم وسعيد خديته بتلاطغان مع السكان الذي لاجرم كان ازدياً ، ولو انه لا ينتمي الى ازدي عمام اي الى حزب الازد في خراسان . واختار عوناً له على

الجزية قيسياً حازماً ، هو عبد الرحمن بن عبد الله القشيري . وبقي ابن نعيم بعد وفاة عمر في عمله بعض الحين ، غير انه عزل عام ١٠٢ بسعيد خديته (١٣٢) ، وهو امير اموي عهد اليه بذلك العمل الخليفة يزيد الثاني . فتعامل على الازديين ، وعاملهم معاملة الاعداء . اما مع الايرانيين فكان رحيماً ، او كان على اقل تقدير رحيماً في حربه للسفد الذين ثاروا آنذاك على العرب في منطقة سمرقند دون العاصمة سمرقند نفسها ، وحالفوا الترك الذين كانوا في تقدم جديد . وسرعان ما استدعي سعيد لذلك اللطف نفسه الذي هو عند العرب في غير محله .

(١٣٠) وكان لا يفهم الفارسية (الطبري ١٥٠٧/٢) ولا يقتضى انه مولى كونه ايرانياً .

(١٣١) دخل عدد من الملوك فيها وراء النهر في الاسلام (فتوح البلدان ٤٢٦) .

(١٣٢) الطبري ١٣٥٧/٢ ، ١٤٢١ ، ١٨٦٧ ، فتوح البلدان ٤٢٧ ، الاغانى

وقدم مكانه قيسي ، هو سعيد الحرشي في عام ١٠٣ (١٣٣) .
وكان هذا شديداً على العاصين ، فقرروا خوفاً منه ان
يهاجروا الى فرغانة التي انفك فيها حكم العرب . وكان
معظمهم من سكان مدن قتي واشتيخن وبياركت
وبزماجن (١٣٤) . ومعهم امراؤهم برئاسة كارزنج قتي الذي كان كعدد من
ملوك السغد الآخرين تركياً حقيقياً (١٣٥) . وشخص معظم المهاجرين (١٣٦) الى
مدينة نخجندة بسيحون . لكن سعيداً سار اليهم ، واحدق بهم في نخجندة .
ولما خاب فآلمهم من عون ملك الترك ، استسلموا ووعدوا بدفع الجزية ، فعادوا
الى بيوتهم وواعتموا ان ندموا على ذلك ، وقد وجد سعيد ذريعة يتوصل بها
الى اعدام امير اشتيخن .

سعيد الحرشي قاس
يعيد من هاجر خوفاً
الى فرغانة

ولما شعر كارزنج بنفس المصير ينتظره ، قال لصاحب
سجنه العربي : « لايجمل اقتل في سراويل خلق ، فسرحت
غلامك الى جلنج ابن اخي يجيئني بسراويل جدد » وكانت هذه الاشارة المتفق
عليها ليهب جلنج الى عونه (وكان جلنج في بلده ، اوفي مكان آخر بفرغانة) .
فاتي وحاول أن يستولي على معسكر المسلمين دون جدوى . ومن ثم أمر
سعيد بضرب رقاب المحاربين السغد كلهم وامرائهم وأتباعهم . ولم يجدهم

يعدم آلافاً من السغد

(١٣٣) نسبة الى الحرشي بن عامر

(١٣٤) وليست اشتيخن وبزماجن بعيدة عن سمرقند وهكذا لايجب ان يفهم بينجيك مدينة
أشروسنه بل المدينة التي تحمل هذا الاسم قريباً من سمرقند . وفي (الطبري ٢/١٤٢٢ ، ١٦ ، ١٤٤١ : ٤٠١٤٤١)
قريبة ايضاً من سمرقند على نهر زرفشان وانظر في ياركت الاسم الفارسي يار (الطبري ٢/١٤٤٦ ،
١٠) وكت هو ما يلحق عادة بأسماء المدن .

(١٣٥) في بيت الشعر (الطبري ٢/١٢٨١ ، ٥) الذي وضع قبل مكانه كتب كارزنج
غلطاً بدلاً من كارزنج ؛ انظر الطبري ١٤٤٦ ، ١٠ ، ويقول في الطبري ١٤٢٣ ، ١٤٢٥
ان ماك قتي الذي يحمل هنا لقب طرخاقان هو صديق في الاصل للعرب .

(١٣٦) وانظر من جهة اخرى الطبري ١٤٤١ : ٧ ، ١٤٤٦ وما بعدها . وانظر

دفاعهم عن أنفسهم بالحطب شيئاً. وقتل في اليوم الثاني عدة آلاف من الحراثين، ولم ينج من القتل الا اربعمائة تاجر. على انه بقي عدد من السفد في فرغانة ممن لم يكونوا يقيمون في نخجندة^(١٣٧). وانضع سعيد في طريق عودته عدداً من المدن العاصية الاخرى، لاسيما بارغامها على الاستسلام، لكنه لم يقف عند حد الاستسلام مع الامراء بل كان يضرب رقابهم متى بدت له الفائدة من ذلك.

فاتخذ رئيسه عمر بن هبيرة أمير العراق ذلك حجة ليصب

ابن هبيرة يتخذ ذلك

عليه جام غضبه، ذلك الغضب الذي انا سببه في الواقع

ذرية لعزله وعذابه

شيء آخر. فسعيد كان تجاهله مرات عديدة، ولم يطع

أوامره فينتزع المال من بعض العرب من فرع المهالبة بخراسان، وحلق رأس

عامل هراة الذي عينه ابن هبيرة مباشرة، وجلده لانه تحداه. وها هو ذا

الحرشي يعزل ويؤخذ مقيداً من مرو الى الكوفة، فيعذب فيها حتى الموت.

وذلك مظهر من مظاهر العداة الداخلي بين القيسيين أصحاب السلطان في عهد

يزيد الثاني، فسعيد وعدوه وقبلهما جميعاً ابن هبيرة نفسه قيسيون. وهو أيضاً

مثل يضرب على اسقاطهم كل الاعتبارات التي فيما بينهم امام سعيهم وراء الاعمال

والمال. على أنهم كانوا بالرغم من ذلك متحدين امام غير القيسيين.

وخلف سعيداً الحرشي مسلم بن سعيد الكلابي، تلميذ من

مسلم الكلابي على خراسان

تلاميذ الحجاج، فجمع من أغنياء الايرانيين المبلغ الذي

وعصيان ازد ووزمة

كان ابن هبيرة يود الفوز به من بعض العرب. وبعد فسيان

عند ابن هبيرة، فالمال اتاه على كل حال اذ وضع يده عليه، وتابع مسلم حرب

السفد والترك. وفي ربيع عام ١٠٥ (٧٢٤) جهز حملة الى فرغانة^(١٣٨).

(١٣٧) الطبري ١٦١٣/٢ وما بعدها، ١٧١٧

(١٣٨) وليس من الواضح هل فتحه لافشيه كان في هذا الظرف ام قبل ذلك. وهي

مدينة تنتمي الى منطقة سمرقند (الطبري ١٤٦٢/٢، ٩، ١٤٦٣، ١٠، ١٥١٧، ٨). لكن

البلاذري (فتوح البلدان ٤٢٨، ٣) يضع مكانها افشين وهو اسم رجل.

لكن الازد وربيعة في طخارستان عصتا وابتا السير . وكان رئيسهما عمرو بن مسلم الباهلي ، اخاً لقتيبة (۱۳۹) . وارسل مسلم اليهم مساعده نصر بن سيار الكناني ، فغلبهم قريباً من الباروقان ، وهو ثغر عربي من ثغور بلخ يساعد على توسيع شقة الخلاف بين مضر واليمن .

ثم سار مسلم حتى اذا بلغ جوار بخارا ، اتته الاخبار ان غاب قريباً من خجندة الخليفة هشاماً الذي خلف يزيد الثاني في شعبان ۱۰۵ (كانون الثاني ۷۲۴) وضع على العراق خالد بن عبد الله القسري من بجيلة بدلاً من ابن هبيرة القيسي ؛ فترك عدد من رجال مسلم المقاتلين معسكراتهم . على انه استمر سائراً ، وتقدم نحو خجندة في أرض الترك ، لكنه أخذ على حين غرة هناك فغلب . ولم يتمكن من التقهقر الى خجندة عابراً نهر سيحون (۱۴۰) الا بمشقة . وفي خجندة بلغته اخبار عزله (عام ۱۰۶ صيف ار خريف عام ۷۲۴) وخلفه أسد بن عبد الله أخو امير العراق ، وهو شاب يافع .

وكان هوى اسد مع اليمانيين كاخيه ، مع ان قبيلته لا تنتسب اليهم بالضبط . فبجيلة كباهلة خارج الزمر الكبيرة . هوى الامير اسد قسري مع اليمانيين ووجد اسد عدداً من كبار عرب خراسان . واضطر البختري بن ابي درهم البكري (من حارث بن عباد) الى ان يتحمل العقوبة لانها اصابته نصر بن سيار في الوقت نفسه ، وهو رجل يكرهه بسبب قضية الباروقان (۱۴۱) . والقواد الذين عينهم اسد كان بينهم ازديون . لكن طفرة الازد

(۱۳۹) وكان الباهليون يبدلون موقفهم بين الزمر انقلبه دوماً تبعاً للاظروف . باعتبارهم غير منتسبين طبعاً الى زمرة معينة .

(۱۴۰) وفي خبر قصير سابق للزمن في الطبري ۱۴۶۲ (وهو في الواقع مماثل لما في الطبري ۱۴۷۷ وما بعدها) جعل هذا النهر الذي لا يمكن ان يكون الا سيحون جعل نهر بلخ . والعرب لا يستعملون غالباً الا كلمة « انهر » ويتكون لمعرفة القاري . الجغرافية تميز النهر المقصود (۱۴۱) انظر علاوة على ذلك الطبري ۱۵۳۰ / ۲ .

لتعاضم شأنهم مرة اخرى لم تدم كثيراً . ذلك أن أسداً استدعي عام ١٠٩٩ بناء على أمر من الخليفة . وواكبه دهاقنة خراسان الى العراق ، وكان يعاملهم بعطف و صداقة (١٤٢) .

وكان خلفه أشرس بن عبد الله السلمي قيسياً أيضاً . وحاول هذا ان يهديء السغد الذين لا يستكينون مستعملاً اسلوباً مأخوذاً من عمر بن عبد العزيز أوحاه اليه على ما يقال كاتبه الايراني عميرة . وبجث عن الرجل الذي يقال انه حمل هذا

أشرس يشخص
أبا الصيداء الى سمرقند
يدعو للاسلام

الخليفة على ان يجعل الايرانيين على مستوى واحد مع العرب ان اعتنقوا الاسلام ، ألا وهو ابو الصيداء صالح بن طريف الضبي ، فعهد اليه بان يدعو السغد الى قبول الاسلام ، وان يضمن لهم اسقاط الجزية عن المسلمين . وشخص ابو الصيداء الى سمرقند ومعه عدد من العرب يشابهونه في الرأي . وكان على سمرقند ابن ابي العمرة الكندي ، وهو ابن ذلك الشيعي من الكوفة الذي كان اول من استل الحسام غضباً لحجر بن عديج ؛ فقدم لابي الصيداء عونه . وكان لدعوة ابي الصيداء نجاح كبير . فقامت مساجد جديدة ، واعتنق الكفار الاسلام بعدد غفير .

لكن امراء الاقليم الذين لم يكونوا على صلة بالحكومة العربية استاؤا غاية السوء من ذلك ، والامر انهم كانوا مسئولين عن الخراج ، فلا يستطيعون أن يقدموا المبلغ المحدد للمال المطلوب الا بمشقة ، ان تحرر من قسطه من

امراء الاقليم يستأؤون لذلك
فيعود اشرس الى فرض
الخراج على المسلمين

(١٤٢) وعاد فيما بعد الى خراسان . ويوجد البلاذري بين المهديين الذين قام فيها بعمله . ويخطط المدائني في الطبري بين مضمونها . فتفسير اقامته الى باغ حدث ولاريب في عهد ولايته الثانية . ذلك ان مرو بعد ذلك هي مقامه ايضاً دون ذكر امودته اليها . ولعل جلد نصر في هذا العهد ايضاً . ولا يعرف النبيء الكثير عن العهد الاول لولايته .

الجزية ذلك العدد الكبير الذي كان يخضع لها. ولهذا السبب شكوا الى اشرس أن كل الناس قد أصبحوا عرباً ، او هم مصبحون. ويذكر لنا [بهذا الصدد] دهاقين بخارا ، لاسيما منهم غوزك اخشيد سمرقند الذي مر معنا اسمه في عهد قتيبة ، واذا باشرس يحاول ان يتخلص من استئثارهم ، فيضيق باديء ذي بدء اعتناق الاسلام بفرضه الحتان وبعض المعرفة الدينية ، حتى اذا لم يكف ذلك ، استبدل بابن العمرطة بعض العمال ، وعهد اليهم باقامة مقدار الجزية القديم على كل من قد اغفوا منها . فاعتزل سبعة آلاف مسلم على عدة فراسخ من سمرقند ، وقد حرّضهم ابو الصيذاء وخرج اليهم مع أصدقائه الممائلين له في الرأي والمنتسبين الى قبائل عربية مختلفة (تميم ، الازد بكر) ، ومنهم ثابت قطنه وابو فاطمة وبشر بن جرموز . على ان هؤلاء العرب ألخوا عن القضية التي أثاروها ، بعضهم بالقوة وبعضهم الآخر بالاقناع ، فاضاع معتزلة سمرقند سندهم ، فاعيدوا الى حالتهم الاولى من التبعية . واستخلصت الجزية بصرامة « واستخف بعضهم العجم » .

على أن هذا لم يكن خاتمة الامر . فان نكث التداوير السغد يتحالفون مع الترك المرضية اسفر عن أشد الغضب والمرارة عند السغد في كل مكان ، فتحالفوا مع الترك ليحرروا انفسهم من العرب . ويقال أن أحد اولاد يزيد جرد ، وهو آخر الساسانيين له صلة بهذا الامر ، وكان مركز الثورة في واحة بخارا حيث قدم خاقان بجيش كبير من الترك والاييرانيين .

وفي عام ١١٠ و قد يكون في آخره (١٤٣) أي في ربيع ٧٢٩ ، شخص اشرس بالجيش العربي من مرو لتلافي الخطر ، لكن الترك قطعوا عليه طريقه قريباً من آمل على ممر نهر

جيش اشرس بقاسي
المعطي بيكند

(١٤٣) ولم يترك اسد الا قريباً من آخر ١٠٩ في رمضان واقضى لمهمة ابي الصيذاء ونتائجها بعض الوقت .

بلغ ، ولم يستطع أن يدبر أمر وصوله الى بيكند الا بعد ان مضت عليه مدة طويلة . وفي بيكند أقام مخيمه . ثم ان الترك قطعوا الماء عنه ، فمات من جيشه سبعمائة رجل ، وعجز الباقون عن القتال . ثم تمكنوا أخيراً من إعادة المياه بفضل تضحية عدد من المتطوعين ، لاسيما منهم الحارث بن سريج . وقتل ثابت ابن قظنة يومئذ .

ثم واصل العرب سيرهم . وبعد نضال مرير انتقل فيه خاقان يسمع لمن حاصره من العرب بالانسحاب بعيداً عن جيش العرب وعسكروا فيها ، ومنها باشر واحملاتهم (يعني الى خوارزم) . على أن عدة فرق شتت ، وواحدة منها سارت الى كمرجة (قرب بيكند) فعاد اليها خاقان بكامل قوته ، فقذف بها بعيداً عن كمرجة . على أن المحاصرين دافعوا عن أنفسهم ، حتى ضمن لهم بأخرة انسحاباً حراً ، الا أنهم لا يسوغ لهم أن يلتحقوا بالجيش الاصيل ببخارا ، انما لهم ان ينسحبوا الى الدبوسية .

وهذا خاقان الآن حر الأيدي ضد أشرس في بخارا . وأشرس الجنيد بين أميراً فينقد أشرس لا يستطيع أن يتقدم خطوة ، وهو لا يقدر على ما يظهر أن يتحرك أكثر مما فعل . وهكذا عين الخليفة خلفاً له ليقوم مقامه ، وهو الجنيد بن عبد الرحمن المري (١٤٤) . وكان هذا حتى ذلك الحين في الهند . ومنها جلب معه (٥٠٠) شامي ، وبعد وصوله مباشرة (١٤٥) هرع الى نجدة أشرس ، والتحق به ببخارا بعد بعض الصعوبات . وأفلح في هزيمة الترك قرب

(١٤٤) المري ذاقه فلم تقع كثيراً .

(١٤٥) في عام ١١١ ، ولكن دون ان يكون ذلك قبل آخر السنة لان الطريق من بخارا الى الشام ومن الشام الى الهند ومن الهند الى خراسان كان طويلاً شاقاً . ولعل اشرس بقى ببخارا في شتاء عام ١١١ .

زرمين وفي رفع الحصار عن سمرقند، وكانوا يحاصرونها. ثم قاد الجيش بامان عائداً الى خراسان. ولعل ذلك كان أهم شيء.

وفي نهاية عام ١١٢ في ربيع ٧٣١ (١٤٦) بعث الجنيد الفرق العربية في حملات مختلفة، لاسيا في طخارستان. ثم بلغته صرخة استنجد من سورة بن الحر التميمي من سمرقند،

يهب لنجدة سورة فلاينجو
من كين الا بمشقة

وقد انقض عليه خاقان وامراء العجم من خلفائه. وسار الجنيد حالاً بالرغم من انه لم يكن بين يديه قوة كافية، وتقدم من على نهر بلخ حتى بلغ كاش. ومن كاش الى سمرقند يوجد طريقان. وتجنب احدهما الذي يقود خلال المروج، لدخول الصيف ولخشيتته من أن يحرق العدو العشب والشجر ويأخذ طريق العقبة. على انه فوجيء في العشب غير بعيد عن سمرقند. ولولا نصر بن سيار، ولولا شجاعة العبيد الايرانيين العاملين في مؤخرة الجيش العربي الذين اقتطعوا خشباً فشقوا طريقاً به، لكان محي محياً. على انه مافتىء في وضع خطير. ولكي يتخلص من هذا الموقف استنجد بسورة من سمرقند. وهلك سورة والحامية العربية وهم يحاولون الوصول اليه، لكن الجنيد تمكن من الافلات ودخل سمرقند.

وهذا خاقان الآن يتحول الى بخارا حيث كان في القيادة استيلاؤه على بخارا
أحد ابناء قتيبة، فيحاصر تلك المدينة. وتابع الجنيد سيره باقصر طريق فكسره قريباً من الطواويس في شهر رمضان. ودخل بخارى في عيد المهرجان (١٤٧)، وهو مغتبط بانه أتى بعمل جيد في بخارى وسمرقند،

(١٤٦) ربيع عام ١١٢ قد يمد اما بداية العام او نهايته على ان الظروف تدل على انه اقرب الى ان يمد نهايته زجيجاً. والتواريخ التي تتبع ذلك تتراوح بين عامي ١١٢ و ١١٣ : ١١٣ و ١١٤. واني ارى ان العدد الكبير في السنين هو الصحيح.
(١٤٧) ولا ريب انه لم يدخلها عام ١١٢ كما هو مذكور لكن عام ١١٣ (تشرين الثاني ٧٣١). وعيد المهرجان (الطبري ١٥٥٢/٢، ٧؛ وانظر ١٥٥٠، ١٣ وما بعده) =

وأنه رجع قبل ان يدخل الشتاء، وارسل الى سمرقند الفرق الجديدة التي أرسلها اليه هشام من البصرة والكوفة والتي التحقت به في الصغانيان وهو في الطريق . ولا شيء يذكر عنه في عامي ۱۱۴ و ۱۱۵ . وفي بداية عام ۱۱۶ (ربيع ۷۳۴) عزل بعاصم بن عبد الله الهلالي . بحلفه عاصم الهلالي .
 وحقاً ان عاصماً كان قيسياً كالجنيد ، لكنه كان عدواً له اختير خلفاً له يومئذ لتعذيبه . فقد كان هشام حانقاً عليه أنه تزوج ابنة العاصي يزيد بن المهلب (۱۴۸) علي ان من حسن حظ الجنيد أنه توفي وقد « سقي بطنه » ، وذلك قبل ان يصل عاصم الى مرو ، فلم يستطع هذا ان يعذب غير أقاربه وعماله .

۵ . — العرب في خراسان من بداية ثورة الحارث الى سقوط القسري

وذات أثر الحكم العربي فيما وراء النهر تأثيراً قوياً من تروده بين الرحمة والعنف ترداداً لا يستند الى مبدء . وكان عمر بن عبد العزيز حاول أن يصهر الرعايا الايرانيين مع العرب عن طريق الاسلام ، وذلك بان منح من دخل في الاسلام حقوقاً سياسية مساوية [للعرب] وبانه رفع الجزية عنهم . على ان هذا التدبير ابطل على ما يظهر مباشرة بعده . ونتج عن هذا ، مما لم يقرره الأخباريون ، ان القوة استعملت بعد وفاة عمر ضد السفد لمهلهم على دفع الجزية التي من البديهي أنهم رفضوها باعتبارهم

== احتفل به ولا بد اذن في زمن متأخر عن اعتدال الحريف . وكذلك يقع عيد النوروز (حسب الطبري ۱۸۴۶/۲ ، ۱۶۰) بعد اعتدال الربيع بزمان . هذا ورواية الطبري ۱۶۳۵/۲ ، ۱۸ يجب ان تكون مغلوبة . وتقويم الاعياد في عهد عباسيين كما يظهر كان مطابقاً . ففي عام ۲۳۹ تطابق عيد النوروز مع سبت الصيام (الطبري ۱۴۲۰/۳) وفي عام ۲۴۵ جعل متأخراً عن ذلك ايضاً (الطبري ۱۴۴۸/۳) وانظر ايضاً الطبري ۲۰۲۴/۳ ، ۱۴۴۳ وما بعدها . ۲۱۶۳ .

(۱۴۸) انظر الطبري ۱۶۳۳/۲

مسلمين . وغادر كثير منهم البلاد مع امرائهم وشخصوا الى حماية الترك ليفلتوا منها .
وبما يجب ان يذكر في الوقت نفسه انه وان كان امر عمر
يسري على الجميع كما قيل ، فان الايرانيين المسلمين في
خراسان لم يعصوا حين بطل ، فقد الفوا خلال سنوات
طويلة تبعيتهم السياسية ، فاصبحوا موحدين مع العرب بمصلحة مشتركة في الاسلام ،
فليس بوسعهم ان يرفعوا اصبعهم . وهذا القول يصدق أيضاً على مدينتي سمرقند
وبخارى حيث كان وضع العرب قوياً كل القوة .

الفرس لم يعصوا
بخراسان وبخارى

وكان الثائرون من السغد اكثر ، ومعهم المدن الرئيسية
التي لم تخضع خضوعاً تاماً ولم تعتنق الاسلام الا حديثاً
للاستفادة من منافعه المادية المحض حذو امرائها . ولا ريب
انها ارتدت في الحال عن الاسلام الذي لم يثبت جذوره فيها .

الثائرون من السغد
خاصة

وتظهر رخاوة اثر محاولة عمر بن عبد العزيز واضحة من ان
اشرس اخذ بهذه المحاولة مرة اخرى ، فتكرر الامر نفسه
والذي قام بذلك الاصلاح في عهد اشرس ابوالصيداء ومن
يؤيدونه في الرأي ، وهم الذين اوحوا الامر لعمر . وعادت الشكوى من
الاصلاح هذه المرة لتلك الاسباب المالية التي كانت ولا ريب العنصر الحاسم للأمر
اول مرة ، وفي هذه المرة كان السغد هم الذين عصوا لا العجم بخراسان .
وفي عهد اشرس لم يعرض اسقاط الجزية كما يظهر على الموالي ولا على من هم منهم
في خراسان ، بل على من دخل في الاسلام من بلاد السغد . على ان ثورة
السغد في عصره اتسعت واصبحت خطيرة اكثر من الثورة التي حدثت بعد وفاة
عمر بن عبد العزيز ، لاسيما وان الترك اتوا الى تلك المنطقة وتولوا الزعامة .
واستطاع العرب وحيدون ان يحتفظوا بوضعهم في البلدان الرئيسية
وفي نقاط قوية اخرى . وقضى على الحركة في سمرقند نفسها دون

محاولة اشرس في المساواة
اخفت

اضطراب (۱۴۹) .

وصدرت محاولة ثالثة، غايتها منح المسلمين الايرانيين حقوق محاولة الحارث بن سريج المواطنين الكاملة في حكم الله ، وذلك من الاسفل لامن الاعلى ، اعني من الحارث بن سريج التميمي من الدبوسية (۱۵۰) الذي تقدم ذكره محارباً باسلاً . ولو كان الحارث في الازمنة الاولى ثورياً تقياً لعدد خارجياً ، لكنه لم يلزم نفسه بالشروط القاسية التي يبني عليها الخوارج عقيدتهم ، ولم يبايع خليفة ، ولم يسع سعياً آخر نحو الحصول على عمل .

انما ابتداء مرجئاً ، وكتبه جهم بن صفوان اشهر عالم من ارجاؤه علماء تلك الفرقة . واشترك هو بنفسه في الاحاديث والمناقشات المتصلة بالمذهب . والارجاء في الواقع سياسة في جمع الشمل . فالمسائل المختلف عليها استبعدت وتركت لحكم الله ، لاسيما منها تلك المسألة الدائمة التي لا تحل والتي تتصل بمن هو الامام الحق الوحيد . ومن ثم طرقت النقاط التي يمكن الوصول الى اتفاق فيها على اختلاف نزعات المناوئين المتدينين . وكان ذلك احتجاجاً باسم حكم الدين على الطغيان الواقع وباسم الشرع المقدس على سوء العدالة وعلى القوة .

ولقد جرد الولاة القيسيون الحكم الاموي في خراسان من مكانته كلها في عيون الاصدقاء والاعداء على السواء . وسلوكهم نحو السغد خاصة لم يقتصر على انه اثار خطراً خارجياً جسيماً بل تبعه أيضاً امتعاض أخلاقي عميق انتشر

الحارث يدخل من باب
التحرير من الجربة
والاشراك في العطاء

(۱۴۹) انظر عن هذا وعمما يتاو

G. van Vloten , Recherches sur la domination arabe , in -
Verhandlungen der Amsterdamer Akademie , 1894 , Lutter -
kunde , 1 , 3 .

(۱۵۰) الطبري ۲ / ۱۹۲۳ . ۳ . ۲۷ . ۱۲ . وانظر ايضاً ۱۸۹۰ ، ۷ .

في الحلقات المعنية المتصلة به من قريب . واذا بالحارث يأتي من هذا الباب ، فقد
حرص الموالي معلناً انه سيحقق التحرر من الجزية والاشراك في العطاء ، مما هو
من حقهم الذي وعدوا به . فاجتمع الدهاقين واهل القرى حول رايته السوداء .
وهكذا اتبع خطوات ابي الصيда ، فكان يوجد في صحبته
العرب يقودون معه حركة الحقوق المتكافئة من هو على رأي هذا ممن لا يزال حياً ، اي فاطمة
الايادي (من الازد) وبشر بن جرموز الضبي (من تميم) .
وكان زعماء حركة منح الحقوق المتكافئة للايرانيين الذين اعتنقوا الاسلام في حكم
الله عربياً ايضاً . واشترك الى جانبهم ايضاً في الثورة على الهيئة الحاكمة عدد عديد من
عرب تميم والازد ممن لبسوا محض مرجئة . فقد قبل الحارث أي عون استطاع
ان يفوز به .

والارض التي ابتداء منها هي الثغرات . ونشر الراية
السوداء اولاً فيما وراء النهر . ولا ريب ان ذلك حدث في
آخر ايام الجنيد ، تلك الايام التي لا يذكر عنها شيء . وعند وصول
عاصم نشر الحارث قواته على طخارستان ايضاً . ومن النخذ ذهب الى بلخ عن
طريق الفارياب بعد أن تمكن بقتال مظفر ان يعبر نهر بلخ . ولم يستطع ولا بلخ
ومرو الروذ وهرارة ان يصدوه . وسقطت طخارستان باجمعها في قبضة يده ،
ومعها العرب انفسهم الذين اكثرهم ازديون وبكريون . واتفق معه جينغويه
امير الترك في طخارستان العليا وامير الختل .

وكانت مرو ونيسابور ، المنطقتان الغربيتان بخراسان ، هما
الوحيدتان اللتان بقيتا في حكم الملك الاموي دون منازع (١٥١) .
وتضخم جيش الحارث تضخماً رهيباً بعد نجاحه في طخارستان .
واتحد في هذا الجيش فرسان العرب ومشاة الايرانيين . واذا الحارث يتقدم الآن بقوة

كبيرة الى مرو حيث كان على صلوات بتميم ، فهو قد خرج من مرو (١٥٢) .
وكان عاصم ينسحب من امامه الى نيسابور في ارض قيس ، فلا يقدر على ان
يمكن اقدمه إلا بمشقة . ورد هجوماً اول للحارث ، لكنه عندما علم انه سيعزل
اراد ان ينتقل الى صفه .

لكن يحيى بن حُضَيْن البكري ، رده عن ذلك . و برئاسة
بكر تقي في وجه هذا الرجل الحساس عدلت بكر موقفها بعد ان كانت
مناهضة مع الازد . ذلك أنها شعرت ان مصلحة العرب القومية باجمعها كانت
مهتدة . وتميزت من بين الآخرين جميعهم في قتال الحارث . فكسر هذا مرة
اخرى ، فعاد مجتازاً نهر بلخ ؛ وهناك حاصر مدينة الترمذ ذات الامة .

وتقول الروايات ان خراسان كانت يومئذ تابعة للخلافة في الشام
عزل عاصم وانتقال الكفة
مباشرة . ويصور عاصم على انه كان السبب في عزل نفسه .
الى جانب البانيين
حدث ذلك في اول عام ١١٧ (٧٣٥) ، وذلك انه طلب
ان يلحق بوالي العراق مرة اخرى ، اذ كان بحاجة الى سنده . فيقال ان خالداً
القسري استخدم هذه المناسبة ليعين أخاه . على انه كان قد حان الوقت لانفكاك حكم
قيس في خراسان . ويقول خبر آخر ان هشاماً نفسه امر خالداً ان يضع أخاه
في مكان عاصم .

ولأسد أن يعد شرفاً له ارساله مرة ثانية الى خراسان في
ظروف صعبة . ولقد برر الثقة التي وضعت فيه . وعين
مساعد له ازدياً ، هو جديع الكرماني ، لكنه لم يبع
نفسه لمصلحة حزب البانيين . واطلق سراح قواد الجنيد الذين سجنهم عاصم .
وبالرغم من ذلك كانوا باعتبارهم قيسيين اعداء له (١٥٣) .

(١٥٢) الطبري ٢/١٨٩٠

(١٥٣) الطبري ٢/١٥٨١ ، ١٥٠

وابتدأ نشاطه ضد الحارث فيما وراء النهر ، فاخضع بالعنف الحارث ينسحب
او بالرحمة عدة بلاد تحزبت للحارث ، بما فيها على الظن من طخارستان
سمرقند نفسها (١٥٤) . ولم يأت بالواقع بشيء ضد الحارث
نفسه الذي عسكر امام الترمذ . لكن اهل البلد ، مع انهم فرس ، دافعوا عن
انفسهم ببسالة ، حتى ان الحارث استحسن ان ينسحب الى طخارستان ، فتشتت
حلفاؤه وانصاره .

واتجه اسد ايضا الى طخارستان . وحقا إن هذه المنطقة اسد يقيم الحامية العرب
اخضعها قتيبة ، لكن عاصمتها بلخ كانت وحدها مع مرو في بلخ مجتمعة
الروذ المركز المكين للقوة العربية الى حد ما . وانسحب
اسد الى بلخ ، ونقل اقامته من مرو اليها . وذلك يدل على الاهمية التي
لطخارستان عنده . وجعل للحامية العربية ارباعا ، تلك الحامية التي كانت حتى
ذلك الوقت بنزل في مكان مجاور ، هو الباروقان ، دون ان تختلط بالمواطنين
الايروانيين . لكنه لم يجعل ابناء القبائل المختلفة يعيشون متفرقين بل مجتمعين ،
وذلك ليحول دون « عصبيتهم » . وخصص لكل مقاتل عربي ملكا من الارض
في بلخ معادلاً ما كان يمتلكه في الباروقان .

وتصادق مع الدهاقين صداقة حميمة ، وكان شعبياعندهم شميتة عند السكان
قبل ذلك . وأراد ان يفوز بواسطتهم باثر في ابناء جلدتهم وتجديده بناء بلخ
من هم اقل منهم مكانة . وكان على الرعايا الفرس ان
يكملوا تجديد بناء بلخ الذي بدأ به هو ، فتسقط قيمة العمل من خريديتهم .
وعهد بالعمل للدهقان برمك نوبهار ، وهو جد آل برمك الذين اصبحوا بعد

(١٥٤) لا يقال واقعياً ان سمرقند ، انتقلت الى الحارث ولا ان اسداً رذها اليه ، بل يقال
انه سار اليها وقطع الماء عن المدينة . على ان هذا الفعل لا يكاد يفهم الا انه تدبير عدائي .
والماء يأتي من ورغسر ، ومركز الاقضية هناك . ورغ يعني السداوسر (كلمة راس السامية) يعني
منفذ تقسيم الماء من السد .

ذلك في غاية الشهرة . وقام برمك في الحدود المعقولة بكل ما قدر عليه في سبيل
استرضاء العناصر المعادية وائتلافها .

وكان الحارث بن سريج قد فر الى طخارستان العليا عند
فتح التبوشكان اقاربه في حصن التبوشكان . بيد أن هؤلاء لم يكونوا يرغبون في

ان يضحوا بأنفسهم لاجله ، فابعده واتباعه ، ودخلوا في مفاوضات مع أسد .
لكن أسداً ، لما علم من الوسطاء ان الحصن مجهز تجهيزاً سيئاً بالسلاح يكاد لا يستطيع
ان يدافع عن نفسه ، ارسل الكرماني ليهاجمه ، فاضطر العطش الحامية الى
الاستسلام ، وقضي بالموت على المقاتلين الذين اسروا (١٥٥) وقضي على نساءهم
بالببيع ، فيمن يزيد في سوق بلخ ، مع انهم من دم عربي .

وفي عام ١١٨ (٧٣٦) باشر أسد حملته على الختل الذين لم
يخضعوا بعد ، وهم في شمال نهر بلخ حذاء بلخ ، وكانوا محالفين
للحارث . واتجه امرؤهم الذين يقيمون في نواكث الى خاقان

الترك طالين نجدته ، حتى اذا تقدم هذا اليهم من سويات عن طريق خشو راغ ، ارسل
كتاباً الى اسد يحذره فيه ، ويقول انه لا يرغب في انتصار الترك بل الذي يرغب فيه توازن
بينهم وبين العرب . وبعد بعض الفاصل من الزمن اعتبر اسد ذلك ايجاءً له بالعودة .

فلما اجتاز نهر بلخ ظهر الاعداء في الضفة الاخرى وخاضوا
التيار بين قرع الطبول وصهيل الخيل ، وعبروا النهر ،

لكنهم لم ينقضوا على الجيش الاحلي بقيادة اسد نفسه ، بل على فرقة ارسلها على
مجرى النهر تسبقه مع الاثقال والماشية ، فوقعت الاثقال في يدم . اما رجال
اسد ، فكان همهم النجاة بانفسهم ، وذلك في آخر يوم من رمضان عام ١١٨ (١٥٦)

(١٥٥) الطبري ٢/١٩٢٨

(١٥٦) ١١ تشرين الاول ٧٣٦ . والتواريخ هنا تختلف بمقدار عام ، فيوم الانتقال

حدد عام ١١٩ . على ان النظر في الحوادث السابقة تجعل التاريخ الصحيح عام ١١٨ .

وكان على اسد ان يرضى بعودته الى بلخ بجلده ، والاولاد يفتون حوله اغنيات ساخرة .

اسد يتبع خاقان
على أن خاقان لم يده في أمان . بل سار الى جبغويه
الحرحلي (١٥٧) في طخارستان الشرقية تلبية للحارث بن سريج
الذي كان يقيم هناك . ومن ثمّ شخص نحو الغرب في وسط الشتاء ، مع تابعيه
من الملوك والمخالفين . وفي العاشر من ذي الحجة عام ١١٨ (١٩ كانون الاول ٧٣٦)
تلقى اسد علماً بذلك . فدعا الناس بواسطة النيران الى ان ينجوا بانفسهم الى بلخ
واستخلف مساعده الكرمانى عليها . وسار هو حالاً الى خاقان بحاميته التي كانت
كل ما يملك ، فقد كان في بدء الشتاء ترك الآخرين يعودون الى بيوتهم .

وكان خاقان معسكراً غير بعيد عن عاصمة الجوزجان .
وقد فرق جنوده في جميع الجهات ، فما كان بجانبه الا اربعة
مفاجأته له واستيلاؤه
على غنائم كثيرة
آلاف رجل ، فحمل عليه اسد (١٥٨) ؛ وسار في شعب
تساعده فرقة يقودها امير الجوزجان ، فالتقى بخاقان في المؤخرة ، واضطره الى
ان يعجل بالفرار ويترك امراته مع خصي له ، فيقتلها هذا لينقذها من العار .

(١٥٧) والحارث قبيلة تركية (ابن خرداذبه ٣١) . وجبغويه يسمى سيد الشذ حتى في عهد
ابن قتيبة . وطرخان نيزك يمين ممة او دونه . وانظر التقرير الذي وجه للخليفة هشام [عن هذه
الموقعة] في الطبري ١٦١٥/٢ .

(١٥٨) كانت ميمنة اسد من الازديين والتميميين والجوزجان والشاميين من اهل فلسطين
وقنسرين ، وميسرته من ربيعة ومن الشاميين من اهل حمص والاردن . وعلى المقدمة الشاميون من
دمشق والشرطة واتباع اسد . وبدهي ان جيش الشام كان دوماً مع الوالي لا يعود في الشتاء الى
بيوته كما يفعل عرب خراسان . اما خاقان فمه الحارث بن سريج باتباعه (السغد وربيعة) وملك
السغد وامير الشاش خرا خرة من اشروسنه (وهو ابو جد افشين بن كاوس المشهور) وجبغويه .
ولعل ملك السغد هو سيد اشتبخن الذي تبع مع اشخند نسف جيش خاقان الى الختل بينما قاتل
صنان خذاه الى جانب اسد وقاتل الايرانيون في كلتا الجهتين . وفي الطبري ١٦١٣/٢ ، ٢٠
وما بعده يبدو ان خرا خرة بقي بين اهله في اشروسنه ، فقد كان قلبياً ضد خاقان .

واطلق سراح الاسرى المسلمين من المعسكر المغلوب ، حيث كانت القدور لا تزال تغلي على النار . ووقع في قبضة الظافرين كثير من نساء الترك وعدد كبير من الدواب . فقدم أسد جواري الترك هدية الى دهاقين خراسان (١٥٩) الذين كانوا على استعداد حسن نحوه . أما سرايا الترك فقد اسرت ، ومنها واحدة عجلت الى كنيسة مرو الروذ .

واصبحت مطاردة خاقان مستحيلة بالشتاء . فبقي هدامدة
مقتل خاقان ووقوع
الحلاف بين الترك
اطول في طخارستان قريباً من جبغويه ، ثم سار عائداً الى
بلادهم عن طريق اشروسنة ، يصحبه الحارث بن سريج ، فما
لبث ان قتله احد كبار رجاله ، وهو كورصول التركشي (١٥٩ ب) الذي يتردد
ذكره . واسفر ذلك عن وقوع الحلاف بين الترك ، فتركوا العرب في امان مدة
من الزمن .

وامر أسد بالصيام في بلخ شكراً لله على نصره . ولما بلغت
الشام اخبار ذلك الحادث العجيب ، لم يشأ هشام ان يصدق ،
وكان يحيط به القيسيون في بلاطه . فهو حتى الآن لم يتلق
من خراسان الا اخباراً سيئة . غير ان رسول أسد ، وهو مقاتل بن حيان
النبطي ، ازال كل شك بروايته الصحيحة للحادث .

ولما حل صيف عام ١١٩ (٧٣٧) عاد أسد الى الحرب مع
الحتل . وقد اصبح الترك غير قادرين على مساعدتهم لحلاف
بينهم على ما يبدو . واغتصب بدرطرخان السلطة من
الباميان (١٦٠) . فاذعنه أسد لسلطانه بنكث للعهد محجبل ، واسلمه للقتل الى ازدي

(١٥٩) اساء فان فاونن Van Vloten , O. , 25 , n . 2 تفسير هذه الفقرة من

الطبري ١٦١١/٢

(١٥٩ ب) انظر ابن خردادبة ٣١

(١٦٠) انظر الطبري ١٦٩٤/٢

له عنده ثأر محفوظ^(۱۶۱) . وبالرغم من هذا ، لم يدرك شيئاً كبيراً ، بل اقتنع
بارسال بعض السرايا الى وادي الحتل .

وفي الشتاء الذي تلا اي اول عام ۱۲۰ ، فاجأه الموت ،
فانقذه من مصير كمصير اخيه خالد^(۱۶۲) . وكان كبار
العرب والعجم قادمين عليه ، ومعهم الهدايا والتحف .
وتكلم خراسان دهقان هراة فرفعه بكلامه الى السماء السابعة . « فناوله أسد
تفاحة كانت في يده » وفي ذلك الحين « انقطعت الدبيلة فهلك » . هذه هي
الرواية ، لكن الظروف المذكورة ، وهي عيد المهرجان ، غير صحيحة ، تلقي
الشك على الامر الذي له صفة الاسطورة على كل حال^(۱۶۳)

٦ . - - العرب بخراسان من سقوط القسري الى آخر الدولة الاموية

ان سقوط خالد القسري الذي كان والياً على العراق عدداً
كبيراً من السنين ، كان ايذاناً بنهاية عهد الحكم الاموي
الاخير القاضي . وكان خلفه يوسف بن عمر من آل الحجاج
نصر وال على خراسان
بحر

(۱۶۱) وعده اسد بأمان الله ورسواه والخليفة والمسلمين . لكنه لما نكت عهده ، دفع
بدر طرخان « حصاة فرمى بها الى السماء وقال هذا عهد الله . واخذ اخرى فرمى بها الى السماء
وقال هذا عهد محمد صلى الله عليه وسلم واخذ يصنع كذلك بمهد امير المؤمنين وعهد المهديين » .
(۱۶۲) عزل خالد في جمادى الاولى عام ۱۲۰ (ايار ۷۳۸) لكنه كان لا يزال في عمله
بين علم بوفاة اخيه (الطبري ۲ / ۱۶۵۰ . ۱۲) وخاف نصر اسداً في رجب ۱۲۰ بعد فاصل
قدره اربعة اشهر (الطبري ۱۶۳۸) . وهكذا يكون اسد قد توفي في صفر ۱۲۰ (شباط
۷۳۸) . وما يقال من انه توفي في عيد المهرجان غير مقبول لان ذلك حدث في الحريف وليس
حريف عام ۱۱۹ ولا حريف ۱۲۰ تاريخاً ممكناً .

(۱۶۳) سها ولها وزن في نص الطبري (۲ / ۱۶۳۸) (فخلط بين تفاحة ألقاها اسد الى
خراسان دهقان هراة وبين كثرى ألقاها اليه بعد ان مرض وافاق . وهناك فاصل بين الحادثتين في
الزمن يجعل كلام ولها وزن ضعيفاً هنا .

المعرب

نصيراً صرفاً لقيس ، بوده لوجلب لولاية خراسان قيسياً ، و بوده لوان هشاماً
لم يتدخل لتعيين خلف لاسد ، هو الشيخ نصر بن سيار احد الرجال المسنين
القبائل الذين يظهرون في تاريخ ذلك الزمان . وسن نصر لم تؤثر في ذهنه
الغض كما تدل على ذلك أفعاله ، بل الاشعار التي عبر فيها عن مشاعره في آخر
حياته . وقد ولد في المنطقة نفسها ، وشاب في العمل .

وبما حسن به عند الخليفة انه لا اثر عائلياً له ، وانه مضطر الى
ان يعتمد على معاضدة الخليفة له . فهو لا ينتمي الى أية قبيلة
من القبائل الكبيرة في خراسان ، انما ينتسب الى كنانة
التي هي قليلة العدد والشأن في خراسان . وهو باعتباره كنانياً يتحد في النسب
مع تميم ، فتميم تشتق وكنانة من خندف . هاهوذا الآن يغير عمال سلفه
المعزول ، دون ان يسيء معاملتهم . فيضع مكانهم خندفين أعني تميميين على
الغالب . وكان مقر الحكومة آنذاك بلخ و خوارزم و سمرقند ، باستثناء المدن
الاربع القديمة في خراسان^(١٦٤) . واعداد مقامه من بلخ الى مرو ، اي من المحيط
الى مركز الحكم العربي .

وافتح عمله بالحرب مع الترك ، فاضعهم حقاً . وسار من
نحو الباب الحديد على طريق ووغسرا الى سمرقند . وهناك
احضر بين يديه دهقانان اسرا ، وكانا قد ناهضا الحكم العربي والمحلي في بخارى
لانهما رايا انهما قد ظلما . فلما حكم عليهما افلنا^{(١٦٤)ب} ، وجرح احدهما عامل
بخارى العربي ؛ فاطار هذا قصف راسه . وطعن الآخر بخارا خذاه ، فقتله امير

(١٦٤) الطبري ٢/١٦٦٤ .

(١٦٤)ب) النص الاصل في الطبري ٢/١٦٩٣ لا يبدو سايباً كل السلامة . ولعل ولها وزن
حاول ان يفسر ما انمض عليه منه فخالفه بما اوردته هنا . والا فان نصراً لم يحكم على الدهقانين
بل أمر بأخذ خنجرين كانا عليهما . وليس في النص ما يدل على أنها كانا موتوقين لفلنا كما بدا
لو لها وزن .

المعرب

الجوزجان . ولعل الظلم الذي كانا يشكوان منه هو فرض الجزية عليهما مع
انهما مسلمان .

وهذا نصر يسير من سمرقند الى اشروسنة ، وقد زاد
قوة بفرق ايرانية ملحقة ، ثم الى الشاش حيث كان كورصول
قاتل خاقان ، وهو امير « صاحب اربعة آلاف قبة » .

غزو نصر
لشاش وفرغانة

ووقع كورصول هذا بيد العرب بعد بعض القتال فسلم . وقاتل الحارث بن سريج
العرب الى جانب الترك ، لكنه لم يرض ان يقذف اخوانه من بني تميم قبيلته
بالمجنبيين اللذين احضرهما معه . وانتهى الامر بان اعطى نصر الامان الى
الشاش « واشترط عليهم اخراج الحارث » . ثم سار الى فرغانة ، لكنه اكتفى
فيها بعقد الصلح ، ثم عاد ولم يغز ما وراء النهر .

ولعل هذا العمل اقتضى منه اكثر من عام . على ان المدائني
يجزئه تجزئة لا معنى لها^(١٦٥) ، فيفرق بين ما هو مجرد وجه من
وجوه الامر ، ويجمع كل ما يقدر على الفوز به [من اخبار] ،

اقوال المؤرخين
في غزوته هذه

ويجعل التفاصيل والاقاصيص محوراً لعرضه . اما البلاذري فلا يذكر الاحملة
واحدة لنصر على اشروسنة كانت شبيهة^(١٦٦) . والاعمال المجيدة التي ينسبها
مولر^(١٦٧) الى نصر ، والتي يتبع فيها اقوال فايل متحرراً^(١٦٨) لم يقم بها
نصر ابدأ ولا ريب .

(١٦٥) فيقول ان نصراً سار (أ) الى الباب الحديد وعاد الى (ب) سمرقند ثم عاد (ج)

الى سيحون . على ان (أ) و (ب) هما مراحل الى (ج) .

(١٦٦) وتاريخها « زمن مروان الثاني » هو اكثر من بعيد التصديق .

A. Müller 1,412 (١٦٧)

Weil 1,632 (١٦٨)

على ان نصرأ جعل الترك بالشاش يتخلون عن الحارث بن سريج
الثائر ، وان لم يسلموه اليه . وينسحب الحارث الى الفاراب
والمغديسودون الى بيوتهم
و يحافظ على السلم حتى كانت الحرب الاهلية بعد موت
الوليد الثاني . وسوغ نصر للمهاجرين من السغد ان يعودوا الى بيوتهم ، وكانوا
في غمرة الاضطراب بعد مقتل خاقان قد شعروا أنهم غير آمنين في الشاش
وفرغانة . وحمل عرب خراسان الخليفة هشاماً على الموافقة على عودتهم .

ويلقى اصلاح نصر للضرائب بعض الضوء على سياسته
الداخلية . ويقدم المدائني عرضاً لذلك في الطبري (١٦٩) .
خطبة نصر في رفع
الجزية عن المسلمين
وتنظيم الخراج
فيقول ان نصرأ اعلن عن برنامجه في ذلك بخطبة القاها
في جامع مرو فقال : « الا ان بهرامسيس كان مانع

المجوس ، يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل اثقالهم على المسلمين . الا ان اشداد بن
جرميجور (١٧٠) كان مانع النصارى . الا ان عقبة اليهودي كان مانع اليهود فيعمل
ذلك . الا اني مانع المسلمين ، امنحهم وادفع عنهم ، واحمل اثقالهم على المشركين .
الا انه لا يقبل مني الا توفير (١٧١) الخراج على ما كتب ورفع . وقد استعملت
عليكم منصور بن عمر بن ابي الخرقاء . وأمرته بالعدل عليكم . فاما رجل منكم
من المسلمين كان يؤخذ منه جزية عن رأسه او ثقل عليه في خراجه ، وخفف مثل
ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك الى منصور بن عمر يحوله من المسلم الى المشرك »
« فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم
وثمانون الف رجل من المشركين قد القيت عنهم جزيتهم ، فحول ذلك عليهم
والقاء عن المسلمين . ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظف الوظيفة

(١٦٩) (١٦٨٨/٢) وما بعدها

(١٧٠) هذا الاسم المسيحي الذي يصعب تمييزه في الخط العربي يجب ان يثبت هكذا .

(١٧١) يجب ان تقرأ هكذا (توفير) كما في هامش الطبري ١٦٨٨ رقم (٢)

التي جرى عليها الصلح « فكانت مرو يؤخذ منها مائة الف سوى الخراج أيام بني أمية » .

وهكذا أصبحت الجماعات الدينية والجماعات التي يقع عليها الخراج متاثلة . يجمع الضريبة من اليهود رأس الربانيين والمطران من النصارى والمرزبان^(۱۷۲) من المجوس . وطبيعي ان يكون المجوس هم الاكثرية ، ولو أن عدد النصارى كان ولا بد كبيراً^(۱۷۳) . لكن كيف كان رؤساء الملل يقوون على جمع الضرائب من المجوس والنصارى واليهود ويقدمونها للمسلمين تحت عين سلطان العرب؟ إن نصوص المدائني عن ذلك هي في حالتها الحاضرة غير مفهومة .

فليس من المصدق ان ثمانين الف رجل يعفون من الجزية ، وكانوا يؤدونها ، وان ثلاثين الفاً حلوا محلهم ، ما كانوا يؤدونها . ووضع الاشياء على سبيل المقارنة والاحتمال يلخص في أن اسلام الرعية من غير العرب لا يجبرها من تبعيتها لجماعتها في الضريبة . فالجزية هي ضريبة حددت حين جرى الفتح بمبلغ لا يبدل . حتى اذا كف المسلمون الجدد عن المساهمة به ، اضطر الباقون الى ان يدفعوا عنهم . فنتج عن ذلك أنه لم يعد بإمكانهم تأدية المبلغ . وهكذا انحدر واجب الدفع من الآباء الى

رؤساء الطوائف
بمجموع الضريبة

انحدروا واجب الجزية
من الآباء الى الابناء

(۱۷۲) ففي هذه الحالة المرزبان لا رأس المجوس انظر الطبري ۱/۲ : ۱۴۶۲ ، ۱۳ .
(۱۷۳) من المعروف ان النساطرة السوريين انتشروا في الشرق . ففي عاصمة مرو دفن جنان يزدجرد ، وهو آخر الساسانيين ، في ناووس (الطبري ۱/۲ : ۲۸۷۲ وما بعدها ؛ ۲۸۸۱ ؛ ۲۸۸۳ ؛ وانظر ۲/۲ : ۱۴۴۸ ، ۵ ، ۱۵۴۳ ، ۱۰) . وتذكر البراذين رواحل ويذكر موضع ماسرجان ومارسرجس (St Sergius) قرب مرو (الطبري ۲/۲ : ۱۵۷۲ ؛ ۲ : ۱۳ ، ۱۹۲۵ ؛ ۱۹۵۷ ، ۱۴) وتذكر بيعة فيها (الطبري ۱۴ ، ۱۵۶۹) وبيعة قرب مرو الروذ (الطبري ۱۶۱۲ ، ۱۱) . وخلف نصر امرأته مرزبانة في قرية تدعى نصرانية حين هرب من مرو (الطبري ۲/۲ : ۱۹۹۵ ، ۱۰ وانظر ۲/۲ : ۱۸۸۹ ، ۶) وبدعى احد المواضع المهمة في طخارستان اليهودية ، اي بلدة اليهود .

الابناء حملاً مفروضاً عليهم حين الفتح ، حتى ولو انتقل الابناء الى الاسلام .
ووفقاً لهذا العرف عملت السلطات المحلية بتأييد من الحكومة العربية . فقد ظهر
انه يستحيل تنفيذ ما حاوله اولاً عمر بن عبد العزيز من اجراء تعديل اساسي .
على انه لم يبد من العدل ان يبقى المواطنين الجدد في حكم
الله يرزؤون بالحمل نفسه كسائر المواطنين الذين انما ظلوا
تساحاً معهم . فجعل تمييز بين الطبقتين ، لكنه أُجري بحيث
لا يهبط المبلغ المحدد لمال الضريبة . وحل نصر هذا الموضوع
بالاسلوب نفسه الذي حل به في الازمنة السابقة .

تمييز بين المسلمين
وغير المسلمين
من حيث الجزية

فالضريبة قبل الآن كانت توضع بمكوس مختلفة الانواع .
فمكوس ملاكي الاراضي والمستوطنين صارت تزيد في
قيمة الضريبة . وبما انها كانت تأتي باسم « الضريبة » ، فقد
كان الناس يذكرون ضريبة واحدة تدعى الخراج او الجزية . والاسمان لهما
معنى واحد (۱۷۴) . واذا بهم يكتشفون ان الضريبة في مبلغها المحدد منذ الاصل
على المدن المختلفة والمناطق انما تؤخذ بكاملها من الارض المملوكة . وكثير
الخراج بما يوافق ذلك فجمع من كل ملاكي الاراضي بنسبة ملكهم ، سيان في
ذلك المسلمون او الرعية (۱۷۵) ، بحيث لا يتصل الخراج بالناس بل بالاشياء ، فلا
يعتبر عاراً . واتى مع هذا جنباً الى جنب التمييز التام بين ضريبة الارض
التي دعيت الآن بالخراج دون اي اسم آخر وبين الضريبة على الرأس التي دعيت بالجزية .
ولم يكن مبلغ الضريبة المحدد بحاجة الى أن تدخل فيه الجزية ،
الجزية على غير المسلمين
اذ ان دخل هذه كان يتبدل ، يهبط سنة بعد سنة بنسبة

(۱۷۴) الطبري ۲/ ۱۵۰۷ وما بعدها .

(۱۷۵) انقلت قطع الارض الى مالكيها المسلمين لباغتناق قدماء الملاكين الاسلام و...
بل بشراء العرب وحوزتهم لها ايضاً . وفي الطبري (۲/ ۱۰۲۹ ، ۶۰) يظهر انه قبل زمن نمر نفسه كان
على العرب الذين في ايديهم اراضٍ مملوكة ان يدفعوا الخراج منها الى الدهاقين وانهم ما كانوا
بغماون ذلك عن رضو .

زيادة اعتناق الاسلام ، ذلك أنها كانت تسقط عن المسلمين وتظل على غيرهم ،
تظل في الواقع على غير المسلمين جميعاً ابتغاء جعلها حمل صغار على شخصهم المنحط .
وتظهر براعة التنظيم الجديد الذي وضعه نصر في خراسان
بمقابلته بالاسلوب الذي عد مشروعاً في الزمان السابق
الحراج على صاحب
الارض أباً كان
حيث كان المسلمون معفين من خراج الارض . فقد ظل
الفرق في المعاملة بين المسلمين وغير المسلمين . هذا والمسلمون ، سواء منهم العرب
او الموالي ، هم على قدم المساواة في المبدأ (۱۷۶) . وهكذا حصل تجنب لانخفاض
قيمة الدخل الحكومي ، باختلاف الجزية التي هي غير ذات شأن وتدرجها في
الهبوط لا يؤثران أثراً كبيراً .

ومن الممكن جداً ان ترتيب نصر لم يعمل لحكومة منطقة
مرو خاصة بل لكل المصر على ضفتي نهر بلخ ، ذلك أنه
ليس من شيء خاص في هذا الترتيب حقاً . بحيث امتد في
كل مكان في الدولة الاسلامية كانت الشروط فيه متماثلة . وهو يمثل القانون
الحاكم الذي افترض الفقهاء منذ ذلك العصر انه موجود منذ البداية ، مع انه في
الواقع لم ينشأ الا متدرجاً .

ولهذا السبب اضطرب المدائني من هذا الافتراض ، فلم ينههم
اقل الفهم الشيء الذي كان يتصدى له نصر ، وماذا أربطل .
وللمدائني ، للسبب نفسه ، آراء عجيبة عما كان يسود من سوء
تصرف مخالف للشرع . لكنه اورد الحوادث صحيحة ، أي ان المبلغ المحدد
للخراج قد وزع بين ملاكي الارض جميعهم حتى المسلمين منهم ، وان الجزية
قد اسقطت عن المسلمين ، فلم تفرض الا على غير المسلمين .

التباس الامر
على المدائني

(۱۷۶) كان على الايرانيين في الواقع ان يؤدوا اكثر من غيرهم لأن الاراضي المملوكة
هي لهم في أغلبها ، ولا سيما منهم الدهاقين الذين كانوا يحلبون الفلاحين بدورهم . لكن هذا
لم يكن ظلاً .

وعلی هذا الاساس من الحقوق المتكافئة في الاسلام قد
يكون كان يوجد ثمة توازن بين العرب والعجم دائم .
لكن زمنه انقضى . فقد ابتداء العرب يهدمون انفسهم في
خراسان من جديد . اثارهم هذه المرة الثورة في الشام التي قامت ايام الوليد الثاني
مناهضة لحكم القيسيين المنحل . وخلف الوليد الثاني هشاماً في اول ربيع الثاني
١٢٥ (شباط ٧٤٣) . فثبت اول الامر نصراً في عمله ، لكنه استدعاه بعد
ذلك بقليل بتأثير الزعيم القيسي يوسف بن عمر^(١٧٧) والي العراق . دعاه برسالة
طلب فيها منه ان يحضر معه جميع آلات الطرب واشياء اخرى نفيسة . وتعمد
نصر ان يقضي زمناً طويلاً وهو يعد العدة لذلك . وهكذا حدث انه كان
لا يزال في خراسان عندما بلغته اخبار مقتل الخليفة في يوم نوروز من عام ١٢٦^(١٧٨) .
ولم يعترف بالثائر يزيد الثالث ولا بعامله على العراق ، اولم
يعترف بهما حينئذ . واقنع القبائل بان يبائعوه اميراً
مستخلفاً على خراسان حتى تنتهي الحرب الاهلية ويعترف
بالخليفة اعترافاً عاماً . ووافقت الازد وربيعة نفسها على هذا ، مع انها لم تكن
على صلات حسنة به ، واذا هو يكف عن اعمالهم ، كما كان يفعل قبل ذلك عند
توزيع الاعمال .

الوليد الثاني يثبت نصراً
ثم يستدعيه

نصر لا يعترف
بيزيد الثالث

(١٧٧) وكان في عهد هشام قد تأمر مع القيسيين على نصر (عام ١٢٣) لكن دون هدف .
(١٧٨) قتل الوليد الثاني حوالى آخر جادى الثانية ١٢٦ (منتصف نيسان ٧٤٤) .
وتلقى نصر خبراً خاصاً عنه من عامل البريد وذلك قبل اثباته الرسمي بعشرة ايام . ولا ريب ان
السكة (الطبري ٢ / ١٨٤٥ ، ٢١ : ١٨٤٩ ، ١٠) هي سكة البريد (الطبري
٢ / ١٧٠٩ ، ٥ : لسان العرب ٤ / ٥٣) . لكن الاخبار لا تكاد يمكنها ان تبينه في اقل
من شهر من الزمن . وهكذا فالنوروز في ذلك الزمن لم يقع قبل منتصف ايار ؛ انظر الحاشية
رقم ١٤٧ في الصفحة ٣٦٥ .

وكان هدفه ان يجعل العرب في خراسان يعملون بوفاق: هدفه التوفيق بين العرب
في خراسان
يعدون الحكومة امراً مشتركاً لامرضوع خلاف .
ويسر له موقفه المحايد اللاحزبي الذي حاول ان يتخذه أنه
(وهو كناني) لا ينتمي الى زمرة من الزمر القبلية الكبرى. والحق ان الحكومة
هي شأنه الخاص ، اذ كان على رأسها . ويقول شاعر من شعرائه المخلصين إنه
كان يقول مفاخرأً: نضرب قبساً بربيعة وتميماً بالازد، واذا الامر لكناثة . وكان
نصر متضايقاً من مفسدي الوفاق السياسي الذين يتعمدون الضرر بالخصوم .
على أنه لم يطل الوقت على الازد وربيعه في مناوئته ثانية عصيان الازد وربيعه
مذكرين بانهم يمانيون ، ينتهون الى طرف يزيد الثالث
والكائبين المحالفين له . حتى اذا عمد الى ان يدفع اليهم عطاءهم لادراهم موزونة
بل آنية ذهبية وفضية كان اتخذها للوليد الثاني عصوا جهاراً .

وترعم عصيانهم جديع الكرمانى من الازد، فدعا لثارات بني جديع الكرمانى
يقود المصيان
المهلب (١٧٩) الذين اضطهدهم بنو امية دون رحمة مشيئاً
قولاً وجد صداه في نفوس الازديين وهو : انهم ابيع لهم
في عهد المهلب وابنه يزيد التهام خراسان ثم انقطع دورهم ، بل انهم في عهد اسد لم
يفوزوا بما كانوا يأملون .

وقبض نصر على الكرمانى واوقفه في قهندز مرو في آخر هرب الكرمانى
وعدم تسبياه للصاح
رمضان ١٢٦ (منتصف تموز ٧٤٤) ، لكنه اقلت بعد شهر
من سجنه ، وسار الى موضع في منطقة مرو ، فاجتمع
حوله جيش من الازد وربيعه . وسار نصر اليه . وحقاً انه لم تحدث موقعة لان كلا
الطرفين تردد في الامر . على ان مفاوضات الصلح التي دخلوا فيها لم تبلغ نهايتها الامولة ،
فقد كان الكرمانى يحقد حقداً عميقاً على نصر ، ولا يريد ان يصلح الموقف معه .

ومن سوء الطالع ان الحارث بن سريج خرج من منفاه بين
 نصر يدعو الحارث
 الى مرو
 الترك مرة اخرى. ولعل ذلك حدث قبل آخر عام ١٢٦ ،
 اذ ان يزيد الثالث (١٨٠) الذي يقال انه حمله على ذلك توفي
 في آخر عام ١٢٦ . وبما ان الحارث عدو للكرماني، فقد دعاه نصر الى ان ياتي من
 سمرقند الى مرو حيث ابتداء امره اول مرة . وظهر في مرو في آخر رمضان
 ١٢٧ (اول تموز ٧٤٥) .

لكنه ربا بنفسه ان يكون تابعا لنصر بسبب الهدايا
 موافقه له على مطالبه
 والتشريفات التي كان هذا يقدحها عليه . فسند امامه مطالب
 المرجئة كما بينهما هو في الواقع . وتبعه نحو من ثلاثة آلاف رجل من قبيلته تميم .
 وسار نصر شوطاً بعيداً في الاستجابة الى ذلك المنافس الخطير الذي جلبه على
 نفسه . ووافق على منح الايرانيين في الحدود - الذين ظل الحارث مخلصاً لهم -
 عهداً مكتوباً يوافق مذهب المرجئة في القانون والعدل، وعلى تعيين قراذع عليهم
 يرضى عنهم الله، وعلى منح الامارة للحارث نفسه .

لكن ذلك لم يجده نفعاً ، فقد كان الحارث غير آمن منه ،
 خلفها
 ولم يثق به في شأن عدائه الحازم للحكم الاموي، ذلك العدا
 الذي كان يتأجج في نفسه وفي نفس اتباع رايته السوداء . وما كان يتحمل قربه
 منه ، ولعل ذلك اناية منه . هذا ولم يكن نصر يريد ان يخضع لحكم مجلس تحكيم
 اعترف به الحارث بخصوص عزله . وهكذا انتهى الامر الى فصر العربي بينها جواراً .
 وعسكر الحارث امام مرو ، ومن هناك حاول ان يباغت
 نصر يترك مرو
 للكرماني والحارث
 المدينة في آخر جمادى الثانية عام ١٢٨ (آخر آذار ٧٤٦) .
 فاخفق في محاولته هذه ، لكن جهم بن صفوان المرجني

(١٨٠) كان يزيد الثالث ابن اميرة سفديّة (الطبري ، ٢ / ١٨٧٤) فهو قد يكون

له ميل الى السند .

الداعية له وصاحب كتاب عنه وعن برناجه وكان يقرأه بصوت عال ، أخذ أسيراً وضرب عنقه . ثم ان الحارث تحالف مع الكرماني الذي يعود ذكره اول مرة بعد مرور سنة ونصف . والقي الكرماني بنفسه في الحصار ، فغير شكله . وبعد قتال دام عدة ايام استحسن نصر ان ينسحب الى نيسابور مركز القيسيين الاساسي وان يترك مرو للعاصين .

وسرعان ما أخفق التفاهم بين الثوار . وكانت تميم لا تزال تميم لم تنس ما فعل الكرماني باقارب الحارث آسفة من أنها برئاسة الحارث اسعفت الازد على النصر على اخوانها في مرو ، اولئك الذين كانوا يقاتلون من أجل نصر . ولم يكن بوسعها ان تنسى ان الكرماني ، بعد ان أخذ حصن التبوشكات في عهد أسد ، تسبب في ضرب رقاب عدة مئات من اقارب الحارث وانصاره وفي التمثيل باجساد عدد منهم تمثيلاً قبيحاً .

وكان بشر بن جرموز ، وهو أهم أنصار الحارث ، اول من الازد تنصر على تميم عدل عن هذا الحلف غير الطبيعي . فتبعه عدة آلاف ؛ وانتقل الحارث اليه في القتال الذي حدث حينئذ ، وقطع الصلات بالكرماني . على أن الازد وحلفاءهم انتصروا على تميم ومضر في آخر رجب ١٢٨ (نيسان ٧٤٦) فاخرجوهم من مرو وهدموا ارباعهم .

وقتل الحارث نفسه وصلب ؛ فتلقى المكافئة اللائمة باعماله ، وليكن شعوره ما يكون . فقد تحالف في الدفاع عن الاسلام ضد العروبة ، وفي الدفاع عن المضطهدين ضد المضطهدين : تحالف مع الموت والشيطان على الحكومة القائمة ، وحرك السموات والأراضين على الحكم الاموي . وقاد الترك في الميدان اول امره ضد العرب ، حتى اذا أخفقت مغامرته وجد ملجأه عندهم عدة أعوام . ثم ظهر ثانية ، ففرق بني تميم الذين بثباتهم يتعلق حينئذ استقرار الحكم الاموي في خراسان تعلقاً كبيراً . وهكذا تمكن من ان يجعل اليابانيين يتغلبون على الحكومة ويتخذون

مقتل الحارث

وسوء طامه

العنف مع مضر . وكان يعد بحق رجلاً شئيم الطالع وأشد نذير بثورة
أبي مسلم (١٨١) .

وفي تلك الايام الحرجة تبني القيسيون بنيسابور نصراً ،
وكانوا قبل ذلك على غير ود معه . وتجمع حوله المضربون ،
وقد أخرجوا من مرو . وزعم بعضهم أنه حاول قبل ذلك
أن يكتسب للخلافة سنداً . غير أنه كان مقطوعاً عن مقر الحكم الاموي ،
فالعراق والمناطق الايرانية التابعة له في سلطان الخوارج وسلطان ابن معاوية
الجعفري . ولم يتغير ذلك حتى عام ١٢٩ ، ففيه أخضع يزيد بن عمر بن هبيرة العراق
لحكم مروان . فاعترف نصر به رئيسه المباشر (١٨٢) . ولم يكن ينبغي قط أن
ينبذ الامويين ، لكنه تحفظ حتى استقر اضطراب العرش في الشام على حال .
ولعله ما علم أن اخذ بجانب مروان بعد أن افضت اليه الخلافة .

وأياً كان فان حلفه لابن هبيرة لم يجده الا القليل من النفع .
وهو الذي رأى برأيه ان يستعيد مرو عام ١٢٩ . وبعد
أن حاول قواده محاولات غير مجدية للحملة عليها ، تقدم
بعمره الثمانين مع قواته بكاملها ، فهب الكرماني للقائه . وعسكر الطرفان
خارج المدينة في الحندقين اللذين ظهرا بعد ذلك بزمان . وبقياً مدة طويلة
يتنازعان دون ان يدخل معركة حاسمة . وذهبت ادراج الرياح مستعجل نداءات نصر

(١٨١) وقد سميت رايته السود (في الطبري ٢ / ١٩١٩ . وما بعده) بهذا المعنى .
ولو ان ذلك غلط . وفي الاشعار المعاصرة يصور تصويراً حاداً على انه مفرق مضر (الطبري
٢ / ١٩٣٥ وما بعدها) وانه محالف للونين على العرب (١٥٧٥ وما بعدها)
« ارجاؤكم اركم والشرك في قرآن

فانتم اعلى اشراك ومرجونا »

(١٨٢) والرواية التي تقول ان ابن هبيرة تحالف معه في مبدأ عام ١٢٧ (الطبري ٢ /

١٩١٧) تحالف التاريخ مخالفة صارخة

لمروان ولابن هبيرة^(١٨٣) ووصفه الحي للخطر .
على أنه يلوح ان الخوف من عدو مشترك قاد العرب الى
ريية وبكر تقر بان منه الرجوع الى العقل والاتفاق بينهم مرة اخرى . فأمام اعينهم
اجتمع شيعة بني العباس تحت راية ابي مسلم السوداء ومعظمهم فرس ، فنصبوا
معسكراً قوياً غير بعيد عن مرو . وهذه ريية تتخذ طبعاً موقفاً وسطاً ، مع انها
كانت مخالفة للازد حتى ذلك الحين . فتدخل في الهوة بين اليمن ومصر . وهذا
يحیی بن حنين ، وهو اكبر زعيم لبكر يلتحق بنصر ، وقد رأى ان الأمان
الوحيد للقبائل العربية هو في الاتفاق مع الحكومة^(١٨٤) . وسارت الامور
ما استمرت المفاوضات بين نصر وجديع الكرمانی .

على ان المفاوضات انقطعت ، وذلك ان احد ابناء الحارث
الكرمانی يذبح ويقتل ابن سريج ، وكان مع نصر ، ظن ان الفرصة سانحة في
خفة هدنة مع نصر اخذ الثأر من قاتل ابيه ، فاغتال الكرمانی^(١٨٥) . ومع ذلك
لم يقع الخلاف بين العرب في هذا الصدد . وأثر استسلام هراة لابي مسلم ،
وهي مدينة مهمة ، أثراً كبيراً في العرب وفتحت عيون العميان انفسهم ، واذا

(١٨٣) ولاشماز المشهورة (في الطبري ٢ / ١٩٧٣) قيات بهذه المناسبة

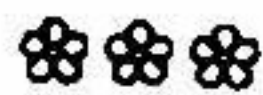
(١٨٤) انظر دعوة نصر شعراً لريية في Nöldke , Delectus , 88

(١٨٥) ولازب ان الروايات تظهر نصراً شريكاً في قتل الكرمانی اذ تقول انه صلب
جنته وبجانبه سمكة ، والسمك هو ما يميز به الازد . لكنه قام بدور رئيسي في المفاوضات جاداً ،
وليس مقصده منها مجرد القيام بالقتل الذي اندر بأن فيه خرابهم . وصلب رئيس الازد ، ولاسيما
حادثة السمك . كان جديراً بأن يوقف كل عاطفة طيبة الازد نحوه طول المدى . ولئن صالح ابن
المقتول نصراً بعد ذلك مباشرة . فذلك لانه لم يكن حينئذ مقتماً . مشاركة نصر بالقتل . ولعل
ابا مسلم هو اول من اثار الفكرة في ذهنه . وليس من برهات ملهوس على موافقة نصر على القتل
يمكن تقديمه اكثر من امره بعرض جنة الكرمانی مع السمك [ولو صح امره هذا] الكان ادى الى نتائج اخرى ،
وخائف مخالفة مستقيمة سياسته في التوفيق . والمبدأ اللاتيني الذي يقول ما معناه « ليس فاعل
الأمر الا من افاد منه » is fecit cui prodest خطأ تطبيقه هنا .

باحد اتباع الكرمانى ممن مر ذكره قبل ذلك ، ألا وهو شيبان بن سلمة
الخارجي^(١٨٦) يجتلى مكانه فيعقد مع نصر هدنة مدتها عام بالجماء من يحيى بن
حزبن . ونتج عن ذلك ان نصرأ تمكن من ان يدخل مرو في آخر عام ١٢٩
(آب ٧٤٧) .

ولم يوافق الازد وخدم على الهدنة ، بل وافق عليها ايضاً
ابومسلم يصبغ ابن الكرمانى ابن زعيمهم المقتول ، وهو علي بن الكرمانى . وكانت
على نصر هذا تطوراً في الامور حرجاً على ابي مسلم . لكن ابا مسلم
كان من الدهاء بحيث ابان لابن الكرمانى ان نصرأ نفسه هو الذي كان السبب في قتل
ابيه ، بين له ذلك ليغلبه الى طرفه (مستهل عام ١٣٠ تشرين الاول ٧٤٧) واذا بان
الكرمانى يشهر السلاح على نصر مرة اخرى ، هو والازد الذين تبعوه .

واستمر القتال في ضواحي مرو وازقتها . وظل على ما يظهر
ابومسلم يصبغ سيد زمناً طويلاً ، واذا بابي مسلم يصبغ سيد الموقف . حتى
الموقف في خراسان اذا رأى ان الحين قد حان دخل في قلبه ، وحسه دون
ان يضرب اية ضربة . وذلك في ربيع الثاني ١٣٠ (كانون الاول ٧٤٨)^(١٨٧)
واذا بنصر يهرب في غد ذلك اليوم الى نيسابور عن طريق سرخس وطوس .
وكان في هذا خاتمة الحكم العربي بخراسان ، وبداية نهاية الحكم العربي على التمام .



الفصل التاسع

سقوط الدولة العربية

١ . - صده العرب بالفرس والعباسيين بالنسبة:

ما قيل في الفصل السابق عن العلاقة بين العرب والفرس
يتصل خاصة بالثغرين وبالسفد اكثر مما يتصل
بطخارستان. فهناك مافتىء الطرفان مختلفين احدهما مع
الآخر . ولئن كان الاسلام قد كسب مراكز ثابتة فيها، فهو لم يسد الموقف تماماً.
أما في خراسان نفسها ، فقد توازنت القوى قبل عصرنا هذا ، وتم التعايش بينهما.
وانقضى زمن ذلك الوضع الذي مافتىء آنذاك قائماً فيما
وراء النهر ، ذلك الوضع الذي نجهد شأنه في خراسان
حين كان فيها ، فليس لدينا اخبار كافية عن الحقبة السابقة
بعد الفتوح الاولى . على ان نتأمله تستحق بعض العرض : عرضاً للحالة في
الحقبة التي استمرت من عام ١٠٠ الى عام ١٣٠ (١) .

توازن القوى
في خراسان

عرض نتائج وضع
الفتوح بخراسان

لم يكن العرب والفرس تفصلهم بعضهم عن بعض اماكن
السكن . فقد بقي السكان القدماء اصحاب البلاد في مدن
الجيش العربي . وطبيعي ان الفاتحين كانوا يحتلون الحصون:

العرب والفرس
يعيشون معاً

(١) انظر G. van Vloten , Recherches sur la domination arabe
Verhandelingen der K . Akademie te Amesterdam , Afd .
Letterk . 1 , 3 . Amst . , 1894

نيسابور (ابيورد ، سرخس ، نسا) ومرو ومرو الروذ وهرارة . واذن فلم
يحصر العرب انفسهم في نقاط معينة ، ولا اقتصروا على المدن التي اختاروها
موطناً لجيشهم .

وكان عندهم اراض وعبيد في القرى ، بل ان بعضهم كان
يسكن فيها ، لاسيما في واحة مرو حيث كانت المدينة
تكون نقطة المركز لقرى عديدة تستقى من نظام واحد
للري . وكان عندهم خدم من الفرس وزوجات فارسية . وظهر الاثر في الاولاد
منذ الجيل الثاني نفسه .

ولم تقوى الموجات العربية المتتالية التي كانت تأتي من العراق
العنصر العربي بحيث يصبح بوسعه ان يقاس في العدد بالعنصر
الايرواني ، فالحرب الدائمة كانت تقنيه بوجه خاص . وتشير
بعض الروايات عرضاً الى انه كان في خراسان خمسون الف جندي من العرب .
وبما ان الخدمة الاجبارية كانت ممتدة تشمل ما يقرب من نصف الذكور ، فسكان
العرب قد لا يبلغون اكثر من مائتي الف نسمة .

وهاجم العرب يالفون كونهم خراسانيين ، ويجدون انفسهم
في مصر المشترك متفقين مع شعب البلاد . وكانوا يلبسون
السراويل كالفرس (۲) ، ويشربون الخمر ، ويجيئون اعياد
النوروز والمهرجان . ويتخذ كبارهم مظهر المرازبه . ويقودهم العمل في الاجمال
الى التفاهم مع الفرس .

بل ان لغة السوق في الكوفة والبصرة نفسها هي ، على
ما يقال على الاقل ، فارسية وعربية بمقدار واحد . ويبدو شاذاً ان
لا يتكلم ابو الصيдаء الا العربية ، فلا يكون رسواً لصالحاً عند

(۲) الطبري ۱۰۳۰/۲

السعد الذين لا يعرفون الا الفارسية . وكان العرب انفسهم كثيراً ما يتكلمون الفارسية (٣) في جيش ابي مسلم .

ولم يتخذ الفرس في خراسان من جهتهم موقفاً معادياً كل المعاداة للعرب ومجافياً . وتناولهم الاسلوب المختلط ايضاً . هذا وموقفهم لم يتغير بالاجمال من جراء الفتوح الا قليلاً ؛

افرس غير معادين
للعرب

ولم يسوء الا قليل السوء . واعد العرب الدفاع امام الهجمات الخارجية ، اي امام الترك ، بصورة اكثر توفيقاً مما فعل العهد الساساني (٤) .

ولم يتدخلوا كثيراً في الامور الداخلية ، بل تركوا الحكم

السلطات المحلية
هي صاحبة الحكم
المالي خاصة

للمرازية والدهاقين ؛ وبواسطتهم اتصلوا بالسكان المحكومين .

وظلت السلطات الوطنية في مدن الجيش والحكومة العربية

جنباً الى جنب مع العرب ، وكان عليها ان تجمع الضرائب

وان تتحمل لذي الفاتح تبعة دفع كامل قيمة الضريبة الذاتية . على ان دافع الضريبة البائس كان عليه ولا ريب ، ان يدفع مبلغاً لا يقل عن قيمتها في عهد الساسانيين .

ولم يشدد العرب على الفرس في شئون دينهم ؛ ففي عقود

للفرس دينهم ولهم
ان يحتفظوا باعبادهم
بعد اسلامهم

الصلح نص في كل مكان على ان يحتفظوا بها . حتى انهم في

المدن التي يعيش العرب فيها سوغ لهم ان يبقوا وثنيين ،

على ان تبقى شعائر الوثنية الخارجية وطقوسها بعيدة عن

النظر بعض البعد . وبعد فلا يبدو انهم كانوا على صلة جدية بالزرادشتية .

واكثر ما يمكن ان يقال هو ان العبادة الهادئة السعيدة التي اقصى غايتها اعياد

النوروز والمهرجان غدت عزيزة عندهم . وكان بوسعهم ان يستمروا على الحفاظ

(٣) الطبري ٣/٥١ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ١٨ ، ٦٥ ، ١٤ ، ١٦

(٤) ولم تمتد هجمات الآراك حتى نيسابور الا في عصر الصراع القبلي بين تيم اوتو

البلدان (٤١٥)

عليها ، حتى ولو اعتنقوا الاسلام . ذلك ان العرب انفسهم اتخذوا من دين
البلد ما فيه متعة .

وجذب الاسلام الفرس اول الامر للمنافع التي يجلبها اكثر
بما جذبهم لذاته . واستعملوه سبيلاً للتقرب من الطبقة الحاكمة ،
ولمشاركتها في مزاياها ، ولتعريب انفسهم . ثم اتخذوا
اسماء عربية ، ودخلوا في القبيلة العربية (۵) . وتزلف للعرب الافراد الطامحون
منهم ، ولعبوا دوراً ملتبساً وسطاء بين الشعوب . وكانوا يدعون بالنصحاء .
واشهرهم سليم وحيان النبطي .

وتقدم الخدمة العسكرية في حوادث حرب ذلك الزمن
وذلك الاقليم خير مناسبة للالتحاق بالاسلام . فقد حذا
اشراف العرب حذو الفرس المرموقين ، فاتخذوا معهم
للميدان شاكزية اي تبعاً من الخدم . هؤلاء الخدم يشاركون في القتال ،
فيكونون حيناً الحاسمين للمعركة . وكان الى جانب ذلك فرق فارسية خاصة ،
يقودها قواد ايرانيون . مثال لهم الحريث بن قطبه واخوه ثابت في الازمنة الاولى ،
وحيان النبطي وابنه مقاتل فيما بعد (۶) .

(۵) انظر فتوح البلدان ۱ : ۱۱۱ : اسم الملوک ونسبوا بأسماء العرب . وليس يوجد في
ذلك الزمن اجلاً فارس مسلحون يحملون اسماء ايرانية . واستعمال الكنية يتردد تردداً فاقماً بينهم :
كابي داود وابي عون وابي سلم وابي نصر وهلهجرا . وعند العرب في خراسان تصحح الكنية
اسماً يسمى به للحرب (بما للحكمة من معنى) : الطبري ۲ / ۱۲۸۹ . ۱۵ . ۱۵۳۰ : ۳ .
۱۵۹۳ ، ۱۶ ، ۱۶۲۷ ، ۱۶۳۱ ، ۱۵ . واسم آخر من الاسماء الحربية في ۷ . ۱۵۳۸ .
(۶) وكان بالاضافة الى ذلك جيش الامراء التابعين الذين اعينهم ان يؤدوا خدمات
عسكرية وما فتئوا وثنين الى حد كبير على الاقل .

والموالي - اي مايعنى هنا وفي كل مكان آخر من اسلم
من غير العرب وقبل في القبائل العربية - كانوا يقاتلون
مع العرب اعداء ملتهم القدماء ، اعني الترك . على انهم
كانوا يقاتلون من اجل الاسلام ايضاً اهل قبيلتهم من السغد ، ماداموا اعداء
للاسلام ومحالفين للترك . والاسلام الذي اعتنقوه بالاصل لاسباب خارجية امتدت
جذوره في قلوبهم ، فاصبحوا ينظرون اليه بجد اكثر من العرب انفسهم (۷) .
بيد أن العرب لم يعترفوا كل الاعتراف بالموالي . حتى اذا
خدم هؤلاء في الجيش قاتلوا راجلين لا راكبين . واذا
تميزوا في الحرب ومقومهم بجذر . والحق يقال ، انهم كانوا
يتلقون اجوراً ويشاطرون في الغنائم ، لكنهم ليست لهم
جراية منظمة . وليس لهم اسم في الديوان ، أي في قائمة الجراية الحربية . ولئن
قبلوا في القبائل العربية ، انهم ما فتئوا « اهل القرية » تمييزاً لهم عن « اهل القبيلة » .
وبالرغم من انهم مسلمون ، فهم لم يعفوا من الجزية . والضريبة التي يساعد العرب
الملاك انفسهم فيها ، لا ريب انها لا تبدو حملاً ثقيلاً على الخراسانيين ، ولا على
اهل ماوراءالنهر من الذين اسلموا بغية التحرر منها فقط . ومع ذلك فاستياء السغد كان
ولا ريب يؤثر في الخراسانيين انفسهم ، ولقد ادرك الحارث بن سريج
وغيره ذلك .

الموالي بحاربون
مخلصين للاسلام

التمييز بين العرب
والموالي في العطاء
والضريبة

ولو ان العرب عاملوا العجم المسلمين معاملة الاكفاء ، لعله
كان بالامكان صهر الامتين . اما والامور على ما كانت
عليه ، فقد انشأ العرب لأنفسهم اعداء بينهم . وبدلاً من
أن يزيل الاسلام الخلاف ، زاد فيه . فقد بعث العجم ، ومنحهم
قوة الطبع ، ووضع بين ايديهم سلاحاً ضد اسيادهم . ذلك أن سقوط القوة

الاسلام يقوي انتمس
ويوحد بينهم وبين
مناوئي الحكم الاموي

(۷) الطبري ۱/۲۹۱ ، ۹ : ولم يتدخل العجم الا اذا كان الامر بالدين

العربية لم يحصل من أهل ماوراء النهر الذين ظلوا ايرانيين مناوئين للعرب ، بل من الخراسانيين الذين اسلموا . وكان الاسلام هو الميدان الذي شرع الخراسانيون النضال فيه ضد اصحابه الاول . وكان الاسلام هو الذي وحد بينهم وبين من اتبع من العرب مبادئ الحكم الديني فناهضوا الحكم الاموي . والعرب هم الذين اثاروا الموالي اولاً ونظموهم .

والاسلام المحافظ يضع الجماعة فوق كل شيء ، ويفرض الطاعة للحكومة والتوافق معها . أما الاسلام الثائر ، فهو يضع فكرة حكم الله ضد الحكومة القائمة ، ويدعو الناس الى قتال امية وعمالها في سبيل الله ، والى قتال الشر والقوة في سبيل الحق والعدل .

مقارنة بين الاسلام
المحافظ والثائر

والخوارج يذكرون قليلاً في الشرق الأقصى . ولكن سيان ، فهم فيه ذوو اهمية اكثر مما تخولنا افتراضه المعلومات القليلة عنهم . وليس يوسع شبان بن سلمة الحروري مع اتباعه ذوي الشأن ان يظهر بفرقة من لا مكان كما يبدو لنا انه فعل . والمرجئة هم بالحق اكبر اهمية . وكان لهم بقيادة الحارث بن سريج اثر ضخم في التاريخ . والخوارج كالمرجئة لا يقرون في المبدء بوجود اختلاف في الاسلام بين العرب والموالي ، لكن الخوارج والمرجئة دخلوا معاً في الهامش تماماً أمام الشيعة الذين انتشروا في خراسان منذ القديم واصبحوا عاملاً حاسماً .

الخوارج والمرجئة
دون الشيعة اثرأ
في خراسان

وللشيعة مركزهم في العراق . وشأنهم في ذلك شأن المعارضة اجمالاً ، تلك المعارضة المستندة الى حكم الله . على أن الشرق الايراني انما فتح من قبل العراق ، وسكنه العراقيون ، بل إن الصلة بين الاثنين ظلت قوية بعد ذلك . ومن العراق

الشيعة مركزهم
في العراق ويمهدون
الى خراسان

مازالت ترد مناطق ماوراء النهر امواج جديدة ، لا تتكون من اكثر الرجال اعتداداً بالسلم . ويلوح أن ولاية بني امية على العراق ، لاسيما منهم زياداً والحجاج ، ابعثوا العناصر الخطرة عن الكوفة والبصرة الى خراسان ، لتبذل في الجهاد

رغباتها للعمل. وبما له دلالة ان الحجاج منع أهل الشام من الجهاد خشية ان يصيبهم وباء الفكرة الشريفة .

وليس بين ايدينا، على ما يمكن فهمه، اخبار مضبوطة عن

ثورة الشيعة في خراسان . فقد انتشرت بذور الثورة في

ابو مسلم يتخذ موقف
التأريخي بن زيد

الهواء ، واستقرت بنفسها . وندرك كيف كانت الميول

الشيعة منتشرة هناك من ان يحيى بن زيد بن علي نصح ، بعد ان حاول والده

ثورته المشثومة في الكوفة ، بان يشخص الى خراسان فاتبع النصيحة . وحقاً

انه سقط في المعركة امام جنود الحكومة ؛ لكن وقوعه شهيداً اثار ضجة

كبيرة ؛ فيقال ان جميع الاولاد الذين ولدوا في ذلك العام بخراسان تسموا

باسمه (٨) . ولقد عرف ابو مسلم كيف يفعل حين اتخذ صفة المنتقم ليحيى . وهو

بفعله هذا ضرب ضربة لقيت صدى في كل مكان (٩) .

بل ان ابن معاوية بن جعفر رأى في خراسان ملجأ اميناً .

وهو لاريب مخطىء في رأيه عن أبي مسلم الذي دبر قتله في السر ،

يدبر قتل ابن معاوية
لحاجته الى الشهداء
لا الاحياء .

وكان يحتاج الى علوي شهيداً اكثر من حاجته الى علوي حي .

على أن ابن معاوية نفسه استمر زمناً محتفل به شهيداً في

خراسان ، وقبره له صفة المزار .

ولو اتحد العرب في خراسان فيما بينهم ، ووقفوا الى جانب

الحكومة ، لما استطاعت الشيعة أن تفصم عراهم ؛ لكنهم

المنافع سب الاختلاف
بين العرب

وهم لم يشاؤوا أن يشاركوا الموالي في الحكم ابوا ان يمنحه

بعضهم بعضاً . والأعمال والمنافع التي كانت في يد الحكومة هي منبع التحاسد

بين القبائل وسببه . وما يسمى بالعصية هو مرض مدمن عند العرب . حتى اذا

(٨) المسعودي ٣/٦

(٩) الطبري ١٩٨٥/٢ : ٥٠٦/٣ وما بعدها

اخذ عرش بني أمية يتداعى ، أصبحت العصية كما رأينا بالغة الحدة .
 وهذا الوضع من الامور انتفعت به تلك الشيعة خاصة التي
 كان العباسيون معتصبين معها . فهم انفصلوا عن العلويين ،
 وانسحبوا من المدينة حيث لم يسعهم منافسة العلويين ،
 انسحبوا الى الحيمة في المنطقة الجبلية بين الشام وجزيرة
 العرب (الشراة) (۱۰) .

شيعة العباسيين
 يفيدون من
 الاختلاف

وكان بين الشيعة قسبان رئيسيان ، ليسا حقاً واضحي التحديد
 في كل مكان : احدهما معتدل لا يميز عن الاسلام المعروف
 الا بمبدأه السياسي القائل بان الخلافة ملك لاهل بيت الرسول
 [عليه السلام] ، والآخر متطرف له عقيدة خاصة غريبة كل الغرابة على
 الاسلام الاصيل .

من الشيعة متطرفون
 ومتطرفون

وللمتطرفين اسماء مختلفة لا تدل الا على ظلال لا قسمة لها من
 المعاني . وكانوا اولاً يسمون السبائية . ويقول سيف بن عمر ان
 السبائية كانوا منذ اول الامر اهل الشر والسوء في تاريخ حكم الله ، هم قتلة

السبائية متطرفة تقمصيون

(۱۰) كان جد العباسيين المحدث النبي عبد الله بن عباس وهو ابن عم محمد [عليه السلام]
 وعلي بن ابي طالب . وبما انه استجاز ان يبيع نفسه لماوية فقد ظل على صلوات حسنة بالامويين
 مدمماً عليهم في السر . وابنه الذي يعاداه في القمى وهو علي الملقب بالسجاد ذي الثغينات فعلى
 كآبئه . فذهب في عهد عبد الملك الى دمشق يسكنها ، لكنه بعد وفاة عبد الملك اساء اليه الوليد .
 وفي عام ۹۵ على ما يقال نقل تحت الضغط مقره الى الحيمة قريباً من اذرح على طريق الحاج
 الشامي . وهناك توفي عام ۱۱۸ في سن عالية (الطبري ۲ / ۱۵۹۲) . وكان ابنه محمد في حياته
 نفسها على سبيل آخر . واول ظهور له كان ادعاؤه امامة الشيعة . وكان محرك الدعوة السرية
 للعباسيين الذين تركهم يقومون بمعلمهم في الكوفة وخراسان بينما كان هو في ملجأ بالحيمة . وتوفي
 في ذي القعدة عام ۱۲۵ (الطبري ۲ / ۱۷۶۹) ثم خلفه ابنه ابراهيم بن محمد الذي ولد في عام
 ۸۲ والذي اصبح الامام العباسي الثاني .

عثمان ، فتحوا باب الحرب الاهلية ، واسسوا فرقة الخوارج الثوروية ، وتولد عنهم انهيار الاسلام . اما مكانتهم في التاريخ ، فبلغوها اول الامر بواسطة المختار ، وان كانوا قد وجدوا قبل ذلك^(١١) . وكان موطنهم الكوفة وضواحيها . وليسوا من العرب وحدهم ، بل معظمهم من الموالي . وهم يعتقدون بتعاليم ابن سبأ في تقمص الارواح ، ولا سيما عودة روح الرسول [عليه السلام] في آل بيته . تلك صفاتهم الثلاث الاساسية .

وقد نبذهم العلويون المرموقون ابناء فاطمة بنت الرسول ^{ينبذهم ابناء فاطمة} [عليه السلام] اولئك الذين تمسكوا باساس الاسلام القديم ^{فيتخذون ابن الحنفية اماماً} والعروبة . فارتبط السبائية بابن لعلي من زواج ثان ، اسمه ابن الحنفية نسبة لأمه ، فجاز لهم هذا ان يجعلوه مثاهم الذي يتغفونه حسب مذهبهم . ولا فرق انه بقي في الهامش ، فقد كان صالحاً لغاياتهم حياً وميتاً . وقالوا حيناً من الزمن انه لم يميت ، بل هو يعيش في عزلة في جبل الروضة قرب المدينة مهيباً للظهور في الوقت المناسب .

ثم ان ابنه ابا هاشم عبد الله الذي كان تافهاً كوالده اضحى يعتبر ^{ابو هاشم بن الحنفية} وريثه في الامامة . ولم يفز المتطرفون في الكوفة بما توقعوه ^{يوصي بالخلافة لبني العباس} من زيد بن علي بن الحسين . ثم ان ابا هاشم نقل مقره الى ^{على ما قبل} الحميمة ، وهناك اعتصب مع العباسيين^(١٢) . حتى اذا توفي عام ٩٨ قيل انه اوصى بالامامة وصية خاصة لمحمد بن علي العباسي .

(١١) انظر عن المختار كتابي عن الشيعة (Göttingen, 1901) ص ٧٤

(١٢) وقد يكون وزد الحميمة قبل العباسيين وقد يكونون التحقوا به (عام ٩٥) على

انه هو لم يلتحق بهم

ويذكر فان فلوتن أهمية هذه الوصية بقوة^(١٣) . ولعل هذه
الوصية على شكلها خيالية^(١٤) . والحق يقال ، إنها
يجب ان تكون أقدم لان مشاهديها عديدون^(١٥) والا
كان ربا العباسيون المتأخرون من أن يبنوا دعواهم على اساس كأساسها . وهذه
الوصية صحيحة من حيث ماهيتها ، فابو هاشم هو سلف محمد بن علي بالواقع ، ولو
أنه قد لا يكون سماه خلفه تسمية رسمية . وكان لابي هاشم حزبه . ويسمى
أنصاره بالهاشمية^(١٦) نسبة اليه . وانتقلوا بعد موته الى محمد بن علي^(١٧) . ويقول
الطبري^(١٨) إنه كان لهم زعيم اسمه خدش ، وهو أكثر قواد دعاة الشيعة نجاحاً .
وكان محمد بن علي على تفاهم معه منذ الاصل . وهكذا فهناك درجة من الصحة
في رواية هذه الوصية . والتحق العباسيون بابي هاشم ليكتسبوا الهاشمية اليهم .
على ان هذا يظهر أيضاً صلتهم بسبائية المختار ، فمن مؤلفي
ابن الحنفية ولد مؤهلوا ابنه ، وهم الهاشمية . ولم تنطفئ
السبائية في الكوفة بانطفاء المختار ، بل ظلوا في الحلقات
الدنيا . ولا يختلف المذهب الباطني للهاشمية ، كما يعرضه الشهرستاني ، اي اختلاف
عن مذهب ابن سبأ . فالمؤامرة العباسية تشابه تمام المشابهة مؤامرة السبائين كما يصفها

مناقشة الوصية
وتن لها أصلاً

العباسيون بسبأ
على خطة السبائية

(١٣) Opkomst der Abbasiden (Leiden , 1890) 18f. 148 .

(١٤) يقول الشهرستاني ١١٢ . ١٩٠ ان ابا هاشم اوصى ابي الله بن عمر بن حرب الكندي

(١٥) الدائني في الطبري ٣ / ٢٤ : ابن سعد في Wüstenfeld , Register ص

١٩٠ . ٣١٠ وفي فان فلوتن ص ١٤٨

(١٦) الشهرستاني ١١٢ وما بعدها . وفي الطبري يظهر اوضح ظهور اسم الهاشمية دلالة على الفرقة

وحدها في ١٥٨٩ / ٢ : ١٩٨٧ : ٨٩ وهو بالاجمال يستعمل في معنى آخر نسبة لهاشم لا
لابي هاشم كالمشيعين بالاضط . ولا انبئاس قد يكون مقبولاً عند العباسيين بخلاف عكسه .

والهاشميات للكعبة هي اشار عن الفاطميين

(١٧) الطبري ٣ / ٢٥٠٠

(١٨) ١٥٨٩ / ٢

سيف^(١٩) . ومركز قيادتها في الكوفة أيضاً . فمن الكوفة كانت تنتشر دعوتها الى خراسان . وموجز القول ان الحركة في كلتا الخلتين دعمها الموالي الفرس ، ووجهت ضد العروبة في الاسلام . وهكذا نرى التوافق بين [العباسيين والسبائين] يمتد الى جميع النقاط المهمة : الى المذهب وطريقة الدعوة ومكان الحزب وتكوينه .

ومن الممكن اضافة نقطتين اخريين . فكوبات الخشب كوبات الخشب سائية
هي السلاح الوطني للسكان الفرس من العامة . وكان هذا
السلاح يسمى قديماً « الكافر كوبات »^(٢٠) اتاه ذلك الاسم
من خشية المختار ، ومن خشية ابي مسلم . والموالي
الموجودون في ارض المختار بخطرانية قريباً من الكوفة هم انصار المختار الاول .
ويقول الطبري^(٢١) ان ابا مسلم خرج من خطرانية أيضاً . ولئن كان هنالك ريب
في صحة هذين الخبرين ، فانهما لا يفقدان معناهما ، لان الوضع يقتضي سبباً ؛
ونحن انما نبغي السبب . اما ان العباسيين تنكروا فيما بعد للشيعة واقصوهم مع
انهم قاموا بهم ، فذلك امر غير عجيب^(٢٢) . فقد كان الشيعة غير ملائمين لهم ،
وعليهم ان يذهبوا بعد ان خدموهم في تحقيق اهدافهم .

ويبدو ان كل هذا يدل على وجود صلة متينة بين ثورة
المختار التي اخفقت وثورة ابي مسلم التي نجحت . وبالرغم من
انه لاح ان نار عام ٦٧ قد اطفئت بالدم ، فهي ما فتئت
قابلة تحت الرماد . وسارت من الكوفة الى خراسان . فهذا القطر ظروفه
ثورة ابي مسلم
تنمص لثورة المختار

(١٩) Skizzen 6 , 124 وتلمب كسب الملاحم التي اصلها يهودي دورها في كلتا الخلتين

(٢٠) الطبري ٢/٦٩٤

(٢١) ٢/١٩٦٠ والمسدودي ٦/٥٩

(٢٢) الطبري ٣/٢٩ : ١٧

اكثر ملائمة ، اذ ان الموالي فيه اكثر عدداً ؛ والعرب الذين يقابلونهم اضعف فيه منهم في الكوفة . والمختار رجل من عظماء رجال التاريخ الاسلامي . فهو قد تنبأ بالمستقبل . وعرب خطرنية عادوا الى الحياة مرة اخرى في موالي خطرنيه ، ان كان مذهب النقص صحيحاً .

٢ . — الدعوة العباسية بخراسان قبل ابي مسلم

في سنة ١٠٠ وجه محمد بن علي ميسرة الى الكوفة ،
للماسيين ١٢ نقيباً
ووجه (٢٣) الى خراسان محمد بن خنيس وابعكرمه السراج
بخراسان سنة ١٠٠
المسمى ايضاً ابا محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمه ،
وهم كوفيون . و أمرهم بالدعاء اليه والى اهل بيته . وعادوا الى ميسرة بكتب
من خراسانيين اكتسبواهم لدعوتهم ، فارسل ميسرة هذه الكتب الى محمد بن علي .
واختار ابو محمد الصادق في خراسان اثني عشر نقيباً وسبعين رجلاً آخر « وكتب
اليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون عليها » . هذا
ما يقوله الطبري (٢٤) . وهؤلاء النقباء الاثنا عشر مع اتباعهم السبعين في آخر سنة
مائة (٢٥) مئاً للريبة (٢٦) . وتدل الاخبار عن سنين متأخرة ان الامور لم تسر
بهذه الصورة المرتبة . وهي اخبار معظمها مجهولة السند ، الا في ثلاث منها نسبت

(٢٣) فاعل وحه في الطبري ١٣٥٨/٢ ينبغي ان يكون محمد بن علي ، اكنه في الطبري

١٤٣٤/٢ ميسرة

١٣٥٨/٢ (٢٤)

(٢٥) الطبري ٢٤/٣

(٢٦) وفي الطبري ١٩٨٨/٢ ان محمد بن علي بعث في عام ١٠٢ او ١٠٣ رسوله الى

خراسان . « فأجابته ناس لما صاروا سبعين اخذ منهم اثني عشر نقيباً » . واسماء النقباء المذكورون
هنا بصورة تعاضف من الاختلاف عن اسمائهم في الطبري ١٣٥٨/٢ . وفي مواضع اخرى خاصة
نجد اختلافات ايضاً . بل ان الترتيب في التعداد ليس اكيداً . وفي كتب الملاحم يلعب العدد
مائة دوراً .

الى المدائني ، واني اقدم هنا مضمونها :

الطبري ١٤٣٤/٢ : وفي عام ١٠٢ «وجه، فياذكر، ميسرة رسله
من العراق الى خراسان، وظهر أمر الدعوة بها. فجاء رجل من
بني تميم» فلفت نظر عامل يزيد الثاني الى اعمال هؤلاء القوم
الذين يقولون أنهم أناس من التجار. فوقفوا ثم ما عتموا أن أخلي سيلهم، وقد
ضمنهم أناس من اهل خراسان، جلهم ربيعة واليمن.

الطبري ١٤٦٧/٢ : وفي عام ١٠٥ «قدم بكير بن ماهان (الى
الكوفة) من السند، وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً
له^(٢٧) ومعه اربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب، فلقي ابا عكرمة
الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالماً الاعين و ابا يحيى مولى بني سلمى،
فذكروا له امر دعوة بني هاشم، فقبل ذلك ورضيه، وانفق مامعه عليهم،
ودخل الى محمد بن علي. ومات ميسرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان الى
العراق مكان ميسرة، فاقامه مقامه»

الطبري ١٤٨٨/٢ : وفي عام ١٠٧ وجه بكير بن ماهان الدعوة
ابا عكرمة و ابا محمد الصادق^(٢٨) ومحمد بن خنيس وعماراً
العبادي في عدة من شيعتهم، فجاء رجل من كندة الى أسد
ابن عبد الله الوالي ووشى بهم «فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم
وصلبهم». وهرب عمار الى الكوفة وحده. حتى اذا عرف محمد بن علي الامر
قال: «قد بقيت منكم قتلى ستقتل»

الطبري ١٤٩٢/٢ : ذكرت الحادثة نفسها في عام ١٠٨ باختلاف هو أن
عماراً وحده قطعت يداه ورجلاه ونجا أصحابه.

(٢٧) وفي الطبري ١٧٢٦/٢ ، ١٠ «كاتباً»

(٢٨) وفي الطبري ١٣٥٨/٢ ، ٤ (١٤٦٧ ، ٧) ذكر أن ابا عكرمة هو ابو محمد.

الدولة العربية وسقوطها (٢٦)

الطبري ١٥٠١/٢ : في عام ١٠٩ عن المدائني : « اول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد ابو محمد مولى همدان في ولاية اسد بن عبد الله الاولى » . وكان قد اقام قبل ذلك مدة في دمشق فبعثه « محمد بن علي بن عبد الله بن العباس » ، وقال له ادع الناس الينا وانزل في اليمن والطف بمصر . ونهاه عن رجل من ابرشهر (نيسابور) يقال له غالب لانه كان مفرطاً في حب بني فاطمة » . وعن غيره ان « اول من جاء اهل خراسان بكتاب محمد بن علي حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة من اهل بلخ » .

« واقام ابو محمد زياد بمرور شتوة^(٢٩) وكان يختلف اليه من اهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي و ابراهيم بن الخطاب العدوي » « وقدم عليه غالب من ابرشهر ، فكانت بينهم منازعة... ففارقه غالب » . ووشى صاحب خراج مرو ابا محمد زياداً ، فنفاه اسد من خراسان ، بالرغم من انه ادعى انه تاجر لا يخشى منه شر . لكن زياداً بقي في خراسان ، فاعدم فيها قبل الاضحى باربعة ايام^(٣٠) . وقتل معه أصحابه من الكوفة « ولم ينج منهم يومئذ الا غلامان استصفرهما اسداو تبرءا من العباسيين » .

ثم قدم بعدهم رجل من اهل الكوفة يسمى كثيراً ، فنزل خدش يترأس الدعوة على ابي النجم . ودعا للعباسيين « فكان على ذلك سنة أو سنتين . وكان كثيراً امياً ، فقدم عليه خدش... فغلب كثيراً على امره ، ويقال ان اسمه عمارة^(٣١) فسمي خدشاً لانه خدش الدين »

(٢٩) الطبري ١٥٠١/٢ ، ١٥٠

(٣٠) الطبري ١٥٠٣/٢ ، ٦

(٣١) وفي الطبري ١٥٨٨/٢ ، يدعى عمار بن يزيد . واسمه اجمالاً خدش لانه خدش

فخدش يجب ان يحوي « ال » التعريف .

الطبري ١٥٦٠/٢ : وفي عام ١١٣ « صار من دعاة بني
عام ١١٣ يهدر دم الدعاة
العباس جماعة الى خراسان ، فانخذ الجنيد بن عبد الرحمن
رجالاً منهم فقتله ، وقال : من اصيب منهم فدمه هدر »

الطبري ١٥٨٦/٢ وما بعدها : وفي عام ١١٧ اخذ اسد بن
عبدالله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان في ولايته الثانية .
وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق
الحزاعيون وخالد بن ابراهيم الكلبي وموسى بن كعب
عام ١١٧ اسد يعاقب
الدعاة التميميين
ويغفون عن غيرهم
ولا هز بن قريظ التميميان . وقال سليمان بن كثير لاسد : « ان هذه المضربة
انما رفعوا اليك هذا لانا كنا اسد الناس على قتيبة بن مسلم ، وانما طلبوا بثارهم
من الازد وربيعة . وذكر ان المضربة أعداء للوالي . وكان هذا حقاً ،
فاخلى اسد سبيل الحزاعيين والبكري وعاقب التميميين . وامر بموسى بن كعب
ان يلجم بلجام حمار ، وامر باللجام ان يجذب فجذب حتى تحطمت أسنانه .
وضرب لاهزاً (٣٢) ثلاثاً سوط .

الطبري ١٥٨٨/٢ : وفي عام ١١٨ « وجه بكير بن ماهان
عام ١١٨ خدش
يظهر الخرمية فيمذب
عمار بن يزيد الى خراسان والياً على شيعة بني العباس فنزل ،
فما ذكر ، مرو . وغير اسمه وتسمي بخدش » وافلح في
دعوته « ثم غير وتكذب ، واظهر دين الخرمية (الاباحية) ودعا اليه .
ورخص لبعضهم في نساء بعض » واوقفه اسد « فاغلظ خدش له القول ، فأمر
به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عينه » . يضاف الى هذا ان المدائني يقول
في الطبري ١٥٨٩/٢ : « لما قدم اسد أمّ (عام ١١٨) اتوه بخدش صاحب
الهاشمية ، فأمر به قرعة الطيب فقطع لسانه وسمل عينه » ثم دفعه الى عامل
أمّ فقتله وصلبه .

(٣٢) ولم يجسر على العرب الخراسانيين كما جسر على الموالي الكوفيين

الطبري ١٦٣٩/٢ وما بعدها: وفي سنة ١٢٠ هـ وجهة شيعة

بني العباس بخراسان الى محمد بن علي سليمان بن كثير هـ
للسبب الآتي ولاريب : ذلك ان محمد بن علي كان في
موجدة هـ علي من كاث بخراسان من شيعتهم من اجل

عام ١٢٠
محمد بن علي ناقم على من
تبعوا خدasha

طاعتهم لخدasha... وقبولهم منه ماروي عليه من الكذب هـ فتروك مكاتبهم .
فارسوا اليه سليمان بن كثير ليعيد الصلة بينهم . فبين محمد له سبب موجدته ،
وأعطاه كتاباً ليس فيه شيء . ثم ارسل بعد ذلك ابن ماهان ، وكتب معه اليهم
كتاباً اطلق فيه العنان لرأيه عن خدasha . لكن الخراسانيين لم يصدقوا ابن
ماهان ، واستخفوا به . فبعث محمد بعصي مضية بعضها بالحديد وبعضها بالشبه ،
ووزعها ابن ماهان على النقباء ، فعملوا انهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا (٣٣) .

الطبري ١٧٢٦/٢ : وعن المدائني ان شيعة بني العباس عام

١٢٤ هـ اجتمعوا بالكوفة في دار فغمز بهم ، فاخذوا

عام ١٢٤ بكيير يسجن
فيشترى ابا مسلم

وحبس بكيير (رئيسهم) . وفي الحبس يونس ابو عاصم

وعيسى بن معقل العجلي هـ فاجاباه الى رأيه ، حتى اذا أنخلي سبيلهم ، ابتاع بكيير
من عيسى غلامه ابا مسلم باربعمائة درهم (٣٤) . فبعث به الى ابراهيم بن محمد بن
علي ، فدفعه ابراهيم الى موسى السراج ، فسمع منه وحفظ ، ثم صار الى ان
اختلف الى خراسان هـ (٣٥) .

(٣٣) ولا بد انهم ادركوا معنى العصي اكثر مما ادركته . وما كان بوسمهم ان يثقوا

ثقة عمياء بان ماهان

(٣٤) احتفظت بعرض ولها وزن . وينبغي القول ان فيه بعض المخالفة لنص الطبري

المعرب

فالغلام ابتاع حين كان في السجن لا بعد اخلاء سبيلهم

(٣٥) قوله « صار الى ان اختلف الى خراسان » مبهمه بعض الابهام انظر البقية في

الطبري ١٩٤٩/٢ ، ١٤

ويضاف الى ذلك وجه آخر للقصة يختلف بعض الاختلاف
رواية اخرى عن ابي مسلم ولم يذكر سنده . وهو في الطبري ١٧٢٦/٢ وما بعدها
و ١٧٦٩ : « توجه (النقباء) سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ
وقحطبة بن شبيب من خراسان ، وهم يريدون مكة في سنة ١٢٤ . فلما دخلوا
الكوفة اتوا عاصم بن يونس العجلي ، وهو في الحبس قد اتهم بالدعاء الى ولد
العباس ، ومعه عيسى وادريس ابنا معقل العجلي ، حبسهما يوسف بن عمر فيمن
حبس من عمال خالد بن عبد الله القسري ، ومعهما ابو مسلم ، وقد كان ابو مسلم
يسمع عيسى وادريس يتكلمان في هذا الرأي ، فاذا سمعها بكى ، فلما رأوا
ذلك منه دعوه الى مام عليه فاجاب وقيل « . ثم ذهبوا الى مكة (٣٦) فلقوا
« محمد بن علي فاخبروه بقصة ابي مسلم ومارأوا منه ، فقال لهم : أحر هو ام
عبد؟ قالوا : اما عيسى فيزعم انه عبد ، واما هو فيزعم انه حر . قال : فاشتروه
واعتقوه . واعطوا محمد بن علي مائتي الف درهم وكسى ثلاثين الف درهم ،
فقال لهم ما اظنكم تلقوني بعد عامي هذا ، فان حدث بي حدث ، فصاحبكم
ابراهيم بن محمد فاني اثق به وتوفي محمد بن علي في مستهل ذي القعدة ،
وهو ابن ثلاث وستين سنة . وكان بين وفاته ووفاة ابيه علي سبع سنين . »

الطبري ١٨٦٩/٢ : وفي عام ١٢٦ : « وجه ابراهيم بن محمد

الامام ابو هاشم بكير بن ماهان الى خراسان ، وبعث

معه بالسيرة والوصية ، فقدم مرو وجمع النقباء ومن بها

من الدعاه ، فنعى لهم الامام محمد بن علي ، ودعاهم الى

ابراهيم ، ودفع اليهم كتاب ابراهيم ، فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من

نفقات الشيعة ، فقدم بها بكير على ابراهيم بن محمد .

عام ١٢٦

ابراهيم بن محمد

يخلف اياه في الامامة

(٣٦) في آخر عام ١٢٤ ويؤرخ الطبري الحادثة في عام ١٢٥ ولكن لا بأس فالج

كان بين العامين

الطبري ١٩١٦/٢ وما بعدها: وفي عام ١٢٧ هـ كتب بكير

عام ١٢٧
ابو سلمة يخلف ابن
ماهان في الدعوة

ابن ماهان الى ابراهيم بن محمد يخبره انه في اول يوم من ايام
الآخرة و آخر يوم من ايام الدنيا ، وانه قد استخلف حفص
ابن سليمان (مولى السبيع) ، وهو رضى للأمر...

وكتب ابراهيم الى اهل خراسان يخبرهم انه قد أسند أمرهم الى ابي سلمة .
ومضى ابو سلمة الى خراسان ، فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا اليه ما اجتمع قبلهم
من نفقات الشيعة وخمس اموالهم « ولقب بوزير آل محمد (٣٧) .

وتظهر الكوفة في جميع هذه الاخبار معقلاً لبني العباس
ومركزاً لهم . ففيها يقطن ممثلو الامام غير المرئي وسفراؤه
ميسره وابن ماهان و ابو سلمة واتباعهم ومساعدوهم .
وهم كلهم من الموالي الفرس ومن اصحاب الخوانيت واصحاب

الكوفة معقل الدعوة
والعرب لا يجتلون
مكان القيادة فيها

المهارة في التجارة . وقد يكون بين اولئك الجماعة عرب ، لكن العرب لا يجتلون بينهم
مكاناً في القيادة . وخراسان اعني مرو وموجبة من الكوفة . فبعد عام مائة بزم من بعيد
مافتيء الدعوة في خراسان كوفيين فقط ، وهم تجار غرباء .

اما مبدأ الدعوة فبهم ملطخ بالدم . واول من احرز بعض

خداش مؤسس حزب
العباسيين بمرو ومنظمه

النجاح فيها هو خداش . ويذكر اول ما يذكر عام ١٠٩ .
على ان مما يدعو للنظر ان يكون ابتداء نشاطه آنذاك حقاً .

وليس من المحتمل ايضاً ان يكون قدم من الكوفة عام ١١٨ ، اي السنة التي
قتل فيها . وهام اولاء اهل مرو يهرعون اليه ويقبلون كلامه ويتبعونه .

فيظهر المؤسس الحقيقي لحزب بني العباس في مرو . ولا بد انه كان منظم ذلك
الحزب ايضاً . فليس من العجيب اذن ان نجد في عام ١١٧ اول مرة بعض

الاثر لنقباء من اهل البلد ، مفروض انهم عينوا عام ١٠٠ من قبل محمد بن علي

نفسه ؛ وليس غريباً ان يكونوا منتبين الى خداهش اكثر من محمد هذا .
وكان اول النقباء عربياً ، ستة منهم سموا في الطبري (٣٨) ،
خزاعة من الازد
تقدم المدد للعباسيين
وذلك في الوقت الذي كان فيه مجموع الشيعة في مرو ومن الموالي .
واكثر اولئك النقباء مكانة مرموقة سليمان بن كثير الذي
خلف خداشاً بعد موته . وهو ينتمي الى قبيلة خزاعة التي تمتلك بعض القرى في
واحة مرو ، والتي بفلاحيتها الفرس تقدم مدداً واسعاً الى الشيعة العباسية لا يتناوله
الحصر . وبنو خزاعة حلفاء قدماء لآل الرسول [عليه السلام] . وهم علاوة
على ذلك ينتمون الى الازد الذين كادوا دوماً منذ سقوط المهالبة يكونون
مناوئين ، فكانوا اسهل اقبالاً على الثورة على الحكومة من مضر .

وبين النقباء الستة الذين اخذهم اسد في عام ١١٧ تميميان ،
النقباء من مختلف القبائل
ومن الموالي
الى جانب ثلاثة خزاعيين وبكري . وعلى ذلك فلا يجب
ان نشدد في شأن اختلاف القبائل . فهؤلاء الشيعة ، بل
العرب من بينهم ، احتجوا على القومية العربية . فالاسلام لا العروبة ، على ما يرون ،
هو الذي يعطي حق المواطن في حكم الله . والموالي لم يقصوا عن المراكز
الرئيسية في الحزب ، فبين الاثني عشر نقيباً الذين ذكرهم الطبري (٣٩) اربعة
موالي الى جانب ثمانية عرب .

وانهم محمد بن علي خداشاً بعد موته بل قبل ذلك . فقليل
محمد يتهم خداشاً
انه العدو السوء الذي بث في حقول القمح عشباً ، وانه
مفسد الشعب ورئيسه ، فكأنه دخل في الحزب وفي انظمته بعد ان وضعت .
وقيل إنه أتى بالخرمية ، والواقع ان الفرقة التي كانت
ماهي الخرمية
يقودها ويبشر بها هي الهاشمية . فالخرمية ليست فرقة ،

بل ميلاً اباحياً عاماً ، ، احتج على تهود الاسلام كما اسماه يعني تقشفه الحزبن .
واراد الحرمة ان يحتفظوا بحقهم في دين الطبيعة والمتعة ، وهكذا انضموا
الى الوثنية الايرانية المحلية . وقد يكونون تأثروا أيضاً بفكار اشتراكية تلائم
قصد الموالي اجود الملائمة . وقيل ان شيوعية الزوجات التي كان دعا اليها مزدك
احتيتها الحرمة والراوندية .

وبعد فما يجب ان نصدقه هو ان خداساً لم يناهض ذلك
الميل بل شجعه وافاد منه . على اننا ملزمون ان نرى أنه
من غير المرجح ان يكون ذلك حجر عثرة بالنسبة لبني
العباس . فقد كانوا آنذاك يجمعون حولهم الزنادقة ولا ينبذونهم . ولم يصبحوا
من اهل الجماعة الا بعد ذلك حينما بلغوا هدفهم ، اما في اول الامر ، فقد
حاولوا ان يحولوا تيارات المقاومة الشعبية جميعها الى رحاهم ، ولتكن
صبغتها ماشاءت .

وكان هدفهم الاول هدفاً سلبياً ، الا وهو التغلب على
اخفاؤم هدفهم الاصلي الامويين . اما هدفهم الايجابي الذي هو الاستيلاء على
الخلافة لانفسهم فقد اخفوه ، فاظهروا انفسهم لاتباعهم اجمالاً اداة للثورة التي
يريدها الله اكثر مما اظهروا انفسهم مطالبين بالخلافة . ولم يضعوا اشخاصهم انفسهم
في المقدمة ، انما وضعوا الفكرة والدفاع عن الحق امام الشر . وما طلبوا
البيعة لانفسهم وباسمهم ، بل لرجل مجهول من آل البيت يتفق عليه فيما بعد .
حتى ان بعض مؤسسي [حكومتهم] الذين ينظر اليهم على انهم مطلعون معلّمون
لم يشرعوا يأخذون فكرة عن الهدف الحقيقي الا بعد ذلك .

وسعى بنو العباس قصاراهم كيلا يفضحوا ارادتهم في
اتخذوا صفة طالب النار
لشهداء الشيعة
تنحية ابناء فاطمة ، فخلقوا شعوراً بانهم يعملون لهم متخذين
في خراسان وفي سواها من الأرجاء صفة طالب النار
للسهداء من الفاطميين . بل اقل من ذلك قدرتهم على ان ينبذوا الفرع الآخر

من الشيعة الذي يحتاجون الى عونه امام الفرع الاول وان ينكروه . وللشيعة ان يعتقدوا ما يحبون وان يعيشوا كما يطيب لهم . فهذا عند بني العباس له من الاعتبار محل ثانوي . فعنايتهم الاولى انما هي ان ينضم الشيعة اليهم .

وبعد فاباحية الهاشمية لم تثر حميتهم ، انما الذي اثار الحرج

عليهم ان الحزب في خراسان نظم تنظيمًا مستقلاً تبع

الثورة الكبرى بقيادة خدش . فقد تكون في مرو ،

على ما يمكن ادراكه بسهولة ، لجنة محلية تريباً ، دون ان

تخون ثقة محمد بن علي نفسه ، ان يكون زمامها في يد الكوفة . على أنه ظهر

لمحمد بن علي نفسه خطر من الامر ، وهو أنه قد يفلت الزمام من يده في خراسان ،

فهو انما يمسك خراسان بواسطة الكوفة .

وهكذا استعمل نفوذه الشخصي الذي ما فتى يتمتع به

لدى النقباء الخراسانيين ليدفعهم الى التخلي عن استقلالهم ،

فيتبعوا الوزير في الكوفة . واخيراً افلح بشق الانفس في

اكتساب زعيمهم سليمان بن كثير . فاستقبل الخراسانيون الوزير العباسي الكوفي

عام ١٢٦ و ١٢٧ استقبالاً حميماً وسلموه المال الذي جمعوه ، بعد ان كانوا يندوه

عام ١٢٠ . وكانوا في الظروف الاخرى يقدمون المال مباشرة الى الامام ،

ويزورونه بمكة لابلحمة . ففي الحج تسنح للتوار الفرصة الملائمة الحفية للاجتماع

بعضهم ببعض ؛ فتظهر الصلات الشخصية بالامام فيها مظهراً أكثر واقعية ، وتظهر

اكثر قوة بسبب المعاملات المالية .

٣ . - اسبيرة ابي مسلم على خراسان

واتخذ ابراهيم ولد محمد بن علي وخلفه خطوة حاسمة ليكون

زمام الامر تماماً في يده بخراسان ، وذلك بارساله ابا مسلم

هناك . وأصل ابي مسلم منهم ، والروايات عنه غير ثابتة . ومما هو ثابت أنه

نشأة ابي مسلم

فارسي غير عربي ، وانه عبد او مولى من الكوفة . وكان حديث السن فيها عندما جلب انتباه حزب بني العباس . واستشير ابراهيم ليجلبه اليه . فتلقاه في في عائلته واهتم به واتخذه صاحب سره .

وفي عام ١٢٨ جعل ابو مسلم ممثلاً دائماً للعائلة المقدسة في خراسان حيث كان معروفاً من زيارته العديدة اليها قبل ذلك وعين قائد الدعوة . وكان قد حان الحين؛ فهاهذي القبائل العربية العاصية قد طردت نصراً من مرو، وغلت ايدي بني امية بالثورات من كل ضرب وفي كل ربع (٤٠) .

تعيينه قائداً للدعوة
بخراسان

وكان الموالي المتبنون اضمن لدى بني العباس في خراسان من العرب الاحرار الذين ماقتوا يراسون الهاشمية فيه . وحقاً ان سليمان بن كثير لم يكن ليستبدل به حالاً ابو مسلم ، بل إن هذا كان على العكس تلقى أوامر بان يحترمه وأن يسير بنصحه . لكن سيان . فقد وجد فيه خصماً يهدد موقفه . ومن المعقول ان سليمان ، كما هو معروف من سوابقه، لم يتلقاه في أحضانه؛ وتبع ذلك ان موقف ابي مسلم في خراسان كان عسيراً . ولم يجده أنه تزوج بنت ابي النجم احد النقباء ، فقد عدت دخيلاً ، وما كان يقدر ان ينجح الا عن طريق سليمان ، فاستحسن ان يخلي الميدان له .

اضطراره الى اخلاء
الميدان لسليان

وترك مرو ، وشخص الى الكوفة عائداً . بيد انه لما بلغ قورمس ، وكاد يخرج من خراسان ، حمل على العودة اليها . فقد كان قد حصل تغيير في مرو ، اذ ظهر أن الناس على عودته الى خراسان قبل خروجه منها

(٤٠) وهذه رواية توفان في ذلك عام ٦٢٤٠ لبدء الخليفة : «بما ان بني امية كانوا على عداه فيما بينهم منذ مقتل الوليد ، وكانوا منهمكين كل الانهاك ، فقد افاد من ذلك بنو هاشم وبنو علي بن ابي طالب اقارب الرسول [عليه السلام] وهم يقطنون في عزلة مطمئنة في الجزيرة العربية . واجتمعوا بقيادة ابراهيم ، فأرسلوا عتيقهم ابا مسلم الى خراسان عند بعض ذوي الاثر من الرجال هناك ليدعوم الى ان يشاركوا في النضال ضد مروان » .

استعداد للطاعة له باعتباره الممثل الاعلى لورثة الرسول [عليه السلام] . واذا هو يعد بيده معدات الثورة ناجحاً كل النجاح .

ويلوح انه دفع الى ترك الدعوة حاجاً الى مكة مع

تذرع بالحج
ليتصل بالزعماء

عدد من رجال حزبه في جمادى الثانية عام ١٢٩ هـ بغية تسليم المال^(٤١) الذي جمعه الى الامام . بيد انه لما بلغ تخوم

خراسان الغربية ، جهز قعطبه بن شبيب الطائي الى مكة ، وعاد هو في طريقه الى مرو . فالحج لم يكن عنده الا ذريعة . والحق انه كان يبغى أن يزور الشيعة على اختلاف آرائهم وان يكتسبهم وان يعدهم للثورة القادمة . وسار خلال غربي خراسان جميعه حتى تخوم جرجان ، ثم عاد وهدفه ان يتصل بالزعماء . وكان يحط مدة طويلة في اماكن عديدة من الاماكن المهمة عند الشيعة ، حتى اذا عاد الى مرو اخذ يعمل في رابعة النهار .

واني اتبع رواية الطبري^(٤٢) التي لم يذكر سندها ، فأميز

يجب قبول وجود رحلتين
لابي مسلم

بين رحلتي ابي مسلم . فالمرّة الاولى ترك مرو لأنه لم يقدر على تثبيت قدمه فيها . وفي المرة الاخرى رحل الى غربي

خراسان متذرعاً بالحج ، وهو يقصد بعث الهياج . أما المدائني^(٤٣) فلا يذكر الا رحلة واحدة ، وهي الرحلة الثانية . ولا يورد شيئاً عن الخلاف الخطير بين ابي مسلم وسليمان . لكن هذا الخلاف ، كما بينه فان فلوت^(٤٤) بحق يجد سبيلاً واسعاً في الامكان .

(٤١) والتاريخ المحدد (في الطبري ٢/١٩٦٢) هو بعض الشيء سابق للحج .

(٤٢) ٢/١٩٦٠ وما بعدها .

(٤٣) في الطبري ٢/١٩٤٩ وما بعدها .

(٤٤) انظر النص الذي ذكره عن المقرئ بن شأن اهل الكافية (80, Recherches)

الصعوبات التاريخية
تمنع من افتراض
رحلة واحدة

على اننا بالرغم من ذلك نستطيع ان نقصر امر ابي مسلم على
رحلة واحدة . فلنا ان نعتقد انه حاول ان يتخذ لنفسه
موقفاً في غربي خراسان، وقد تعذر عليه ان يثبت اقدامه
في مرو . غير ان الحج الذي شرع فيه مع اهل مرو لا يتفق
مع هذه الفرضية . ثم إنه علاوة على كل شيء تبدو صعوبات تاريخية . فالاحتفال
الذي رحلوا لاجله هو الذي اقيم في آخر عام ١٢٩ ، وقصته [الذي جهزه ابو
مسلم الى مكة] لم يعد الا في عام ١٣٠ . هذا وفي عام ١٣٠ كانت ثورة ابي مسلم في
مرو سائرة سيراً تاماً ، فقد نشبت حالاً بعد عودته من رحلته الثورية . فخصامه
مع سليمان وماتج عن ذلك من سفره من مرو مرغماً لا بد انه حدث قبل هذه
الرحلة أي بعيد وصوله الاول في عام ١٢٨ . ولعل وصوله في كلتا الرحلتين الى
تخوم خراسان الغربية وعودته منها يساعدان على الالتباس والخلط بين الرحلتين .
ويورد الطبري (٤٥) رواية المدائني عن وثوب في قرى خزاعة
قرب مرو في النصف الثاني لعام ١٢٩ (صيف عام ٧٤٧) .
ويورد كذلك رواية ابي الخطاب (٤٦) عنها ورواية اخرى
بجهولة السند (٤٧) . والروايات الثلاث تتفق في بعض صفاتها وفي بعض تفاصيلها
البارزة ، لكنها تختلف فيما بينها اختلافات عديدة . وليست في ذاتها نفسها على
وفاق ، حتى اذا اخذت بجموعها كانت بعيدة ان تكون مرضية بعداً كبيراً .
وانا قبل كل شيء ميالون كثير الميل الى رواية ابي الخطاب ،
فهي تبدو اول وهلة اقرب الى الصدق من غيرها .
[وهذه هي] : في يوم الثلاثاء التاسع من شعبان عام ١٢٩

روايات الطبري عن

الثورة في قرى خزاعة

رواية ابي الخطاب :

١ - ابو مسلم يظهر

الدعوة في سيكديج

(٤٥) ١٩٤٩/٢ ، وما بعدها : ١٩٦٥ وما بعدها : ١٩٨٩ وما بعدها .

(٤٦) الطبري ١٩٥٣/٢ وما بعدها : ١٩٦٧ وما بعدها : ١٩٨٤ وما بعدها .

(٤٧) الطبري ١٩٦٠/٢ وما بعدها : ١٩٧٠ وما بعدها : ١٩٩٢ وما بعدها .

(الثلاثاء ٢٥ نيسان ٧٤٧) اتخذ ابو مسلم نزله أولاً في فنين، وهي قرية ابي داود خالد ابن ابراهيم البكري^(٤٨)، وذلك بعد أن بلغ واحة مرو قادماً من خراسان . وفي الثاني من رمضان (١٧ ايار) تحول عنها الى سيكدنج قرية سليمان بن كثير الخزاعي . وحدد الخامس والعشرون من رمضان تاريخاً للعمل جهاراً ، واعلم ذلك اعضاء الحزب في مرو الروذ وطخارستان وخوارزم . وهكذا عقد في سيكدنج اللواء ان الاسودان اللذان ارسلهما الامام . وارسلت اشارات بالنار الى سكان القرى المجاورة أيضاً .

وفي الايام القليلة التالية وصل هؤلاء السكان ، واوهم
٢- اجتمع الشيعة حوله
اهل السقادم ، وصلوا في ٢٧ رمضان . واذا بالمعسكر
والصلاة بهم
يبلغ (٢٢٠٠) راجل و (٥٦) فارساً . وفي عيد الفطر
اي يوم الجمعة الاول من شوال عام ١٢٩ (١٥ حزيران ٧٤٧) اقيمت في
سيكدنج اول صلاة على الطريقة العباسية . وأمّ الناس سليمان بن كثير ؛ وتبع
الصلاة طعام أعده ابو مسلم .

ولما انقضت ثمانية عشر يوماً^(٤٩) على ظهور ابي مسلم ،
٣ - مالك يدحرفرة
تقدمت اليه فرقة من الفرسان ارسلها اليه الامير نصر .
ارسلها نصر
غير أن ابا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي دحرها قرب آلين .
واعتني بزعيم الفرقة الاسير المجروح ؛ ثم اطلق سراحه ليتمكن من الرجوع
الى اهله ، فينشر مديح ابي مسلم .

وفي الاول من ذي القعدة استولى خازم بن خزيمه التميمي
٤ - ابو مسلم يتحول
على مدينة مرو الروذ ، وقتل عاملها . وظل ابو مسلم اثنين
الى الماخوان
واربعين يوماً في سيكدنج . ولما كان يوم الاربعاء التاسع
وينظم جيشه
من ذي القعدة (السبت في ٢٢ تموز) حول معسكره الى

(٤٨) انظر الطبري ٢ / ١٩٦٠ ، ١٤ وما بعده .

(٤٩) قوله في الطبري (٢ / ١٩٥٧ ، ١٧) (شهراً) بدلاً من (يوماً) زلة قلم .

الماخوان ، وهو مقر عدد من الشيعة اشتهرت اسماؤهم بعد ذلك . واقام هناك اقامة طويلة . وعين عماله ، وقوى معسكره . ولئن كان حتى هذا اليوم رجلاً كفيروه ، انه الآن يتخذ مظهر الامراء . ويبلغ جيشه سبعة آلاف رجل . وتسجل اسماء الرجال واسماء آباءهم وقراهم على دفتر . ويتراوح عطاء كل منهم بين ثلاثة دراهم واربعة (في الشهر) .

وارسل ابو مسلم أهل السقادم ، وعددهم ثمانمائة رجل ، الى جيرنج ليقطعوا مادة نصر من مرو والروذوطخارستان ، وعزل الخدم في معسكر منفصل . وارسلهم بعد ذلك الى موسى بن كعب التميمي في بيورد . وبعد أربعة أشهر تحول من الماخوان الى آلين التي لا يمكن ان يقطع الماء عنه فيها ؛ وكان يخشى حملة يقوم بها عرب مرو الذين عقدوا لاجلها الهدنة فيما بينهم . وفي آلين عيد الاضحى في العاشر من ذي الحجة عام ١٢٩ (٢٢ آب ٧٤٧) .

٥ - نحوه الى آلين خشية انقطاع الماء

وهذه فرق الحكومة تتقدم الآن من مرو لتتقضى عليه ، فتقوم بضروب من الاذى في القرى استمرت حتى تقدم فوضع حداً لها . ووقع بعض الجرحى اسرى في قبضة يده ، فاعتنى بهم ، حتى اذا شفوا أطلقهم .

٦- يهزم فرقاً حكومية

ولم تستمر وحدة الاعداء طويلاً . فهذا سليمان بن كثير يدفع علي بن جديع الكرمانى الى نقض الهدنة ، واذا باولئك الاعداء يجعلون ابا مسلم حكماً بينهم في الخلاف . وهذه وفود من كلا الطرفين ، مضر فالازد وربيعة ، تظهر أمامه ، وتلتبس رضاه . واذا هو في مجلس زاهٍ ضم سبعين محكماً يعطي حكمه للازد على مضر ، ولعلي بن جديع على نصر . واذا بضر تغادر المكان وعليها « الكآبة والمذلة » . وترك ابو مسلم آلين بعد تسعة وعشرين يوماً ، وعاد الى الماخوان . وأمر رجاله ان يتمونوا منها للشتاء ، فقد أزال

٧ - الازد ومضر يجتمعان اليه

٨- عودته الى الماخوان

الله خطر الاعداء . كان ذلك يوم الخميس ١٥ صفر عام ١٣٠ (٢٥ تشرين الاول ٧٤٧) . وهاهوذا الآن يظل في الماخوان تسعين يوماً حتى الخميس لتسع خلون من جمادى ؛ ثم يشخص الى مرو^(٥٠)

وكانت المدينة نفسها في قبضة نصر ، وانقض على هذا علي
٩ - ظفروه على نصر
ابن جديع انقضاضاً قوياً يسانده فيه قائد من قواد ابي
مسلم . وفيما كانت الحرب مستعرة ، دخل ابو مسلم ، فاستسلم نصر اليه ، ثم هرب
من الغد مع اتباعه المخلصين . وضرب ابو مسلم رقاب أربعة وعشرين من أعيان
العرب بينهم سلم بن أحوز التميمي .

وبعد فلابعد كثيراً بصحة هذه الاخبار واكلها . ولنضرب
مثلاً على ذلك تكرار رد هجوم العدو في آلين وحسن معاملة
ابن مسلم للاسرى المجروحين . كرر ذلك بصفة خاصة في
الاخبار المؤرخة . وهذه الاخبار تحوي أكثر التناقض سذاجة ، كالممدد الطويلة
التي لا تتفق مع التواريخ المحددة في التقاويم . ففي الثاني من رمضان ١٢٩
(١٧ أيار ٧٤٧) قيل ان ابا مسلم قدم الى سيكدنج ، فأقام فيها ٤٢ يوماً أي
الى منتصف شوال (آخر حزيران) ؛ ثم ذكر أنه لم يشخص الى الماخوان الا
في التاسع من ذي القعدة (٢٢ تموز) . وحددت مدة اقامته الاولى في الماخوان
أربعة اشهر ؛ ثم ذكر أنه في آلين في اول ذي الحجة (منتصف آب) اي بعد
انقضاء ما لا يكاد يكون شهراً على اقامته فيها . وقيل انه بقي في آلين تسعة
وعشرين يوماً اي الى اول المحرم ١٣٠ (منتصف ايلول) ؛ ثم ذكر انه لم يعد

(٥٠) في الطبري ١٩٨٦/٢ ، ١٨٠ ، ١٩٨٧ . اما في الطبري ١٩٨٤/٢ ، ١٤٠

فالشهر جمادى الآخرة . اما عن التسمين يوماً من منتصف صفر فابعد . فشهر جمادى الاولى
اكثر موافقة ، لكن جمادى الآخرة اصلح بالنسبة ليوم الخميس . اما التاسع من جمادى الاولى
فيقع في يوم الاثنين . والتاسع من جمادى الثانية في يوم الاربعاء . واختلاف يوم واحد لا يؤثر
باعتبار ان مبدأ الشهر يتكرر اختلافه يومياً تكرراً كبيراً .

الى الماخوان الا في منتصف صفر (آخر تشرين الاول) . اما اقامته الثانية في الماخوان فقد ذكر أنها استمرت تسعين يوماً ، يعني حتى منتصف جمادى الاولى . وهو تاريخ يطابق تقريباً دخوله مرو ، إن اعتبرنا تاسع جمادى هو تاسع جمادى الاولى لاجمادى الآخرة .

ورواية ابي الخطاب تقتضي التصحيح ان أخذنا بقول المدائني .
تصحيح رواية ابي الخطاب
أما الرواية التي لاسند لها فهي تتوسط بين الاثنتين .
برواية المدائني

فالمدايني يقول ان ابا مسلم لم يرد الماخوان مرتين بل مرة واحدة . والاشهر الأربعة التي يحددها ابو الخطاب لاقامته الاولى هي في الواقع مدة كامل اقامته فيه . والاشهر الثانية (٤ أشهر + ٢٩ يوماً + ٩٠ يوماً) التي بعدها منذ اول قدومه الى الماخوان حتى تركه النهائي لها تختصر الى النصف . فلاريب ان اقامة ابي مسلم في الماخوان قد قطعت ؛ وهي كذلك حتى في رواية المدائني نفسه ؛ لكنها قطعت برحلة قام بها بشخصه الى مرو . ولدى عودته من تلك الرحلة أقام ، كما يقول المدائني ، ثلاثة اشهر اخرى في الماخوان . هذه الاشهر تقابل التسعين يوماً التي ذكرها ابو الخطاب . وحدثت عودته على ما يقوله المدائني و ابو الخطاب في اول عام ١٣٠ . فاذا حسبنا ثلاثة اشهر او تسعين يوماً بعد ذلك الوقت يكون ابو مسلم قد نقض مخيمه في الماخوان في اول ربيع الثاني لبشخص انى مرو . ويؤرخ المدائني في الواقع دخوله مرو في التاسع من ربيع الثاني . وتتفق معه الرواية التي لاسندها^(٥١) . ويؤيد هذا التاريخ ما ذكر من ان تلك الايام كانت قصيرة^(٥٢) ، فالتاسع من ربيع الثاني عام ١٣٠ يوافق ١٧ كانون الاول ٧٤٧ . والتاسع من جمادى الاولى او الآخرة الذي يذكره

(٥١) ويمدد ذلك التاريخ في السابع من ربيع الثاني ايضاً . والالتباس بين ٧ و ٩ يقع دوماً في الكتابة العربية .

(٥٢) الطبري ٢/١٩٩٠ ، ٢٠٠ .

ابو الخطاب بدلاً من ذلك (١٥ كانون الاول او ١٤ شباط ٧٤٨) يقع بعدميل الشمس الاكبر الشتوي بكثير او قليل . واذا رجعنا الى الورا تين لنا أن اول ذي الحجة ١٢٩ هو مبدأ اقامة ابي مسلم في الماخوان ، تلك الاقامة التي امتدت اربعة اشهر في مجموعها . وتبين لنا ان معسكره في آلين لم يقسم تلك الاقامة شطرين بل سبقها ؛ اذ يقول المدائني ان ابا مسلم كان بآلين (٥٣) في ذي القعدة عام ١٢٩ . وتقول رواية مجمع عليها انه كان في سيكدنج في شوال ورمضان . والايام الاثنان والاربعون التي يجعلها ابو الخطاب في سيكدنج يجعلها المدائني في آلين ؛ و ابو الخطاب هو المصيب ولا ريب . فعلياً ان تتبع روايته في جعل فنين تسبق سيكدنج (٥٤) .

واذا صح هذا الوجه من الترتيب فاننا نحصل على شيء يشابه
مركز المؤامرة
سيكدنج
الفكرة التالية عن سير الحوادث : فقرى خزاعة (٥٥) التي كان ينقل فيها ارباعه هي في منطقة قناة خارقان قريب بعضها من بعض . والمركز الأصلي للمؤامرة هي سيكدنج حيث كان يقيم رئيس نقباء الهاشمية سليمان بن كثير . وفيها عقدت الالوية التي أرسلها ابراهيم بن محمد ، ومنها اوقدت النيران . وفيها كان يجتمع أعضاء الحزب آتين من المناطق المجاورة قريباً وبعيداً . وفيها اقيمت اول صلاة عباسية في الاوّل من شوال ١٢٩ ، وأم فيها سليمان بن كثير .

اما أن يكون سليمان قد فعل ذلك بأمر من ابي مسلم ،
سليمان هو المصدر
فهو أمر لا يصدق . فلم يكن بسيكدنج في ذلك الوقت بالضبط الشخص الذي يمكنه ان ينهي سليمان عن الصدارة . فقد كان سليمان

(٥٣) بالين (الطبري ٢/١٩٥٢، ١٠٠) ثمان آلين او آلين وقد تكون نشأت من كلمة آلين .

(٥٤) انظر 79 ، Van Vloten , Opkomst der Abbasiden

(٥٥) وكانت تسمى هكذا a potiori لان فنين والماخوان ليست بالتخصيص خزاعية

يظهر مظهر المتقدم على اقل تقدير، ولو ان زعامة الحركة كانت قد تقلصت من يده .
وضاق ابو مسلم ذرعاً به ، ففارق سيكدنج بعد اثنين
واربعين يوماً ، وشخص الى آلين ، ومنها الى الماخوان
حوالي آخر عام ١٢٩ . واطهر نفسه في الماخوان سيداً
وحاكماً ، وازداد جيشه ؛ وبازدياد جيشه ازداد سلطانه واثره . واثار عندئذ
اول مرة خشية العرب الذين كانوا يتناحرون بمرور .

ابو مسلم يقوى
بالماخوان

وازدادت خشيتهم اثر النجاح الذي احرزته الحركة الشيعية
حينئذ في نقاط اخرى ببيورد و مرو الروذ وفي هراة
بصفة خاصة (٥٦) . فهادن شيان الحروري نصراً ، دفعه
الى ذلك البكريون الذين كانوا يعملون معه . ويبدو أن علي بن جديع الكرمانى
نحذا حذوه . وبدا كأن العرب ادركوا أخيراً الخطر الذي يتهددهم ، فارادوا
ان يواجهوه متكاتفين . لكنهم ، وقد تملكهم الحذر بعضهم من بعض ، لم
يقوموا بعمل جدي امام ابي مسلم . وجل ما فعلوه انهم شرعوا في حملة على
المنطقة الواقعة في قبضته ، فردهم دون مشقة (٥٧) .

العرب يتكاتفون
خشية منه

وتمكن بعد زمن قصير من أن يفصم عرى الحلف بين اولئك
الاخوان المتنافرين . فقد سار بنفسه من الماخوان الى مرو ،
وافلح في جعل علي بن جديع ينسحب من الهدنة مع الازد ،
ويزج نفسه في صلات عدائية مع نصر ومضر . وفي مستهل عام ١٣٠ ، عاد ابو مسلم
الى الماخوان . فهو الآن آمن كل الأمن من جهة العرب ، وبوسع ان يتركهم

ابو مسلم يفصم
عرى تفاهمهم

(٥٦) الطبري ١٩٦٦/٢

(٥٧) وقد اشير قبل ذلك الى ان ابا الخطاب يذكر صورتين (الطبري ١٩٥٨/٢
وما بعدها ؛ ١٩٧٠) للأمر نفسه (في آلين) وتنتهي الصورتان بأن يماثل ابو مسلم الجرحى
من الاسرى معاملة حسنة ليكتسب الثقة لنفسه ، والصورتان مزخرفتان . ففي الطبري ١٩٧٠/٢
بلغ النزاع حد سرقة مواشي الفلاحين ودجاجهم وذبحها .

لانفسهم هادئاً الى الحين الذي يبدو له فيه ان الوقت قد حان ليقتطف ثمار عملهم الانتحاري .

وصلاته بمضر لم تتأثر أبداً من أنه اكتسب الازد الى جانبه، بل قيل على العكس من ذلك ان مضر حاولت ان تنتزعه من الازد اليها . وهكذا كان الفريقان يتوددان اليه . ولم يعودا يجرءان في حال من الاحوال ان يعاملاه معاملة العدو . ولعله امكنه بهذا ان يدخل مرو حاكماً ، وان يضع بوساطته حداً للنزاع الضاري الذي كانت القبائل العربية تفني قوتها فيه .

وقرر - على ما يظهر بادىء ذي بدء - ان يأخذ بطرف الازد ضد مضر . والمشهد الذي رواه ابو الخطاب بمناسبة هذا الحادث الحقيقي عن سفراء الازد ومضر ، وكيف ظهروا في معسكر الماخوان امام ابي مسلم يعرضون عليه خصومتهم ليقرر ما يراه فيها ، وكيف حكم حكمه هو ومساعدوه السبعون انما هو تخيل وتقدير .

ثم هو لم يتفاوض مع جديع الكرمانى ؛ انما تفاوض مع ابنه علي في آخر عام ١٢٩ او مستهل عام ١٣٠ ؛ وكان في ذلك صاحب المبادهة . وكان هو المطارد لا المطارد ، كما لاحظ ذلك فان فلوتن بحق . ويرى بعض ذوي الرأي من المتأخرين انه لم يظهر باحسن مظاهره في هذا الامر ، وخالف الافكار التي كونها الناس عنه بانزال نفسه هذا المنزل . فالناس كانوا ميالين الى ان يجعلوا وضعه المتسلط تسليماً خاصاً في زمن أسبق مما بلغه آخر الامر . لكن هذا الرأي لا يمكننا من ان نفهم لماذا انتظر تلك المدة الطويلة دون ان يبسط سلطانه .

وبعد فلم يكن اول الامر قوياً بحيث يستطيع ان يقاوم العرب جهاراً دفعة واحدة . وهكذا عالج الامر بالسياسة فجعلهم في شك من أمره ، وذر الرماد في عيونهم . بل إنه لم يفسد

لم يظهر عداوه لاحد
اول امره

الامور مع مضر افساداً تاماً بحيث يرون فيه عدواً لهم صريحاً . أما تحريضه على الثورة على الحكم الاموي فكان آنذاك أمراً طبيعياً لا يضائق انساناً . هذا ولم يظهر اصابه في شيء أبعد من ذلك . وعن المدائني (٥٨) ان «فتية من أهل مرو نسكاً كانوا يطلبون الفقه» اتوا ابا مسلم ليروا من هو وماذا يريد ، لكنه لم يكن ينبغي منهم شيئاً فقال «نحن في شغل» عن مسألتكم .

واكثر المنضين اليه من الفلاحين الفرس ومن موالي قرى الهاشمية نواة الجيش مرو . بيد أنه كان بينهم عرب يجتلون مراكز رئيسية . وعصرهم الجامع هو الدين ابي المذهب . وتتكون من الهاشمية نواة الجند الحراساني ، اي جند بني العباس . ونرى الطبري ينص على ذلك بالتخصيص (٥٩) . وانما دخل ابو مسلم مرو على رأس الهاشمية ، وتلقى البيعة بعد دخوله منهم ، ، وكان ابو منصور طلحة بن رزيق الخزاعي هو الذي يأخذ البيعة عليهم .

ونص البيعة كما يلي : «ابايكم على كتاب الله عز وجل نص البيعة لبني العباس وسنة نبيه صلى الله عليه والطاعة الرضا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه . عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعناق والمشي الى بيت الله ، وعلى ان لا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى يبدأكم به ولا تكلم (٦٠) . وان كان عدو احدكم تحت قدمه ، فلا تهبجوه الا بأمر ولا تكلم»

ومن المدهش ان ابا منصور الذي كان مطلعاً اطلاقاً تاماً نظام الدعوة سري على مبادئ الفرقة وحججها ، على ما ذكر ، لم يدع الجند يعرف شيئاً منها ، بل اقتصر على ذكر المبادئ العامة . ولم يدع بعد شخص

(٥٨) الطبري ١٩٦٥/٢

(٥٩) ١٩٨٧/٢

(٦٠) انظر ايضاً اهل الكافية (او الكفاية) في Vlolen, Recherches, 66, 80

الامام العباسي يتعدى حلقة بيت النبوة . والزعم الجند قبل كل شيء بالطاعة العامة لقوادهم ، بل اعطى للدين امام هؤلاء الثورويين صبغة عسكرية . فالعامة من الناس ليسوا مضطرين الى ان يعرفوا اسرار من هم اعلى منهم .

و حسبهم باللواء الاسود شعاراً . وكانت الالوية بالوانها المختلفة^(٦١) مستعملة عند الاحزاب الاسلامية . لكن

اللواء ولونه ومعناه لم يبرز ذلك البروز الصارخ في جهة ما برونه عند شيعة خراسان . حتى انهم كانوا يحملون الراية السوداء على اجسامهم . ويدعوهم تيوفان بالمرتدين الاسود $\chi\omega\rho\alpha\sigma\alpha\upsilon\iota\ \mu\alpha\rho\upsilon\sigma\upsilon\beta\acute{o}\rho\omicron\iota$ ^(٦٢) وفي صلة ايزيدور الاسباني^(٦٣)

يسمون الشياطين السود *persarum pullala demonia* .

ويقال ان راية الرسول كانت سوداء ، ومن ثم كانت راية

العباسيين كذلك . وتذكر كتب الجفر ذا الرايات السود

الذي سيأتي بالعهد الجديد . على ان الحارث بن سريج الذي

مكن للموالي اول مرة باسم الاسلام كانت له رايات سود ؛ وقد يكون ابو مسلم أخذها عنه لمكانتها الشعبية بين الموالي .

تاريخ اللواء الاسود
قبل العباسيين

(٦١) احمر للخوارج (الاغانى ٢٠/١١٢، ٣١) واسود (النص السابق و٩٩٩، وانظر الطبري ٢/١٩٨١، ٢٠٠٧، واللسان ١١/٣٢٩) واختار اعداء العباسيين اللون الابيض لالناميون من النزعة الاموية وخدم بل الملويون ايضاً (الطبري ٣/٢٢٣ : ٢٧١ : ٢٩٥) وكانوا يسمون لذلك بالمحمرة (الطبري ٣/٤٩٣ وما بعدها ؛ ٦٤٥ وما بعدها ؛ ١٢٣٥) وكان احد الحسينيين يحمل راية صفراء عليها صورة حية (الطبري ٣/٥١٦) . وفي ايام العرب القديمة كان الاسود لون الثأر (الاغانى ٨/٢٠٠، ٧٥)

(٦٢) $\chi\omega\rho\alpha\sigma\alpha\upsilon$ او $\chi\omega\rho\alpha\sigma\alpha\upsilon\iota$ هي الكتابة الصحيحة (فتيوفان كالسوريين يستعمل $\sigma\upsilon$ القصيرة) ؛ $\chi\omega\rho\alpha\sigma\alpha\upsilon$ مغلوطة فه المكررة طويلة

(٦٣) Ed. Mommsen, par, 134

وقال نصر بن سيار عامل مرو للامويين يوجه كلامه الى
دين أبي مسلم ان تقتل العرب

العرب في آيات حفظها لنا الدينوري^(٦٤) حيث قال :

ما بالكم 'تلقون الحرب بينكم'
وتتوكون عدواً قد أظلمكم
ليسوا الى عرب منا فنعرفهم
قوماً يدينون ديناً ما سمعت به
فمن يكن سائلي عن أصل دينهم
فان دينهم أن تقتل العرب

وفي الطبري^(٦٥) ان الامام ابراهيم بن محمد بعث الى ابي مسلم على

ما يقال بالا «يدع بخراسان عربياً الا قتله». وفي تيو فان^(٦٦)

ان العبيد بخراسان الذين أثارهم ابو مسلم قتلوا اسيادهم في
حين انتصارهم بخراسان

ليلة واحدة ، وجهزوا انفسهم باسلحتهم وخيولهم وما لهم .

على ان الطبري لا يذكر شيئاً من هذا في روايته التاريخية عن الاستيلاء على مرو ،

اللهم الا ان ابا مسلم ضرب رقاب اربعة وعشرين من اعيان اصحاب نصر بعد

ان هرب هذا ؛ لكنه اوصى جنوده باتباع ادق الانظمة وحظر عليهم القتل

تعمداً . وبعد فمن الجائز ان يكون قد وجد في هذه الاخبار وفي غيرها اعتدال

في مصلحة العباسيين . وقد يكون الموالي على اكثر وجوه الاحتمال امكاناً انطلقوا

الى هياجهم بصورة اشد قسوة مما يبدو في الطبري . على ان شعورهم الوطني في

العداء للعرب لا بد انه لم يكن قد بلغ اشدّه .

فالحركة لم تصدر عن القومية الايرانية ، بل عن فرقة

خرجت من منطقة محددة بعض التحديد لم يكن العرب منها

بمستبعدين . ولتلك الحركة دواع دينية ذات صفة سياسية

الحركة اصلها

في الاسلام

(٦٤) الاخبار الطوال ٣٦٠

(٦٥) ١٩٣٧/٢ : ١٩٧٤ : ٢٥/٣

(٦٦) عام ٦٢٤٠ لبدء الخليفة

اجتماعية ، علينا ان نبحث عنها فنجدها في الاسلام . ويتجه تهديد هذه الحركة في المبدأ الى الزنادقة لا الى الغرباء . ومن هنا اطلق اسم كافر كوبات على اسلحة الموالي (٦٧) .

واخلص اصحاب ابي مسلم ، اي ابو نصر و ابوداود وغيرهما ، كانوا عرباً . وليس العرب لذاتهم هم الذين ينبغي قتالهم ، بل العرب الحاكمون منهم . ويقا تلون باسم الاسلام ، ذلك انهم يحكمون ظلماً وخلاًفاً للشرع ، ويؤيدون عهد الامويين الكفار ، ولا يقرون بالحقوق المتكافئة للمسلمين الآخرين في حكم الله . وُعد الحزب العربي المناهض اول الامر حليفاً ، اعني العراقيين واليمن في خراسان .

وهي انما تحارب
الحاكمين الظالمين

وبعد فقد آل قتال العروبة في الاسلام ، والحق يقال ، الى ان جعل للايرانيين الكلمة العليا والى خضوع العرب حتى باعتبارهم امة ، اذ ان حكمهم كف بانتهاء الحكم الاموي . ولقد تبدأ نصر بن سيار بهذا ، وذلك من طبيعة الاشياء نفسها ، لكنه لم يكن بين الاهداف الاصلية .

انتصار الحركة بجعل
لفرس الكلمة العليا

واذا بقومية الفاتحين تثبت سلطانها على الاسلام الذي نمت في قماطه . على ان الاسلام في الاصل كان القوة المحركة لثورة الخراسانيين لافكرة القومية ، كما كان في السابق القوة المحركة لثورة العرب انفسهم . واذا الاسلام الان يتحد مع قومية جديدة .

الاسلام يتحد
مع قومية جديدة

(٦٧) الاغانى ٩٣/٤ ؛ الدينوري ٣٦٠ ؛ ولا يذكر الطبرى الكافر كوبات الا عن

خشبية المختار ٦٩٤/٢

٤ . — اسفيلاء بني العباس على سائر ملك بني امية

ارسل ابو مسلم الى طخارستان صاحبه المخلص ابا داود
ابوداود يستولي على بلخ البكري الذي كان اظهر نشاطه هناك قبل ذلك (٦٨) .
وافلح ابو داود فطرد من بلخ عامل بني امية زياد بن عبد الرحمن القشيري ، ثم
استعيد ابو داود ووضع مكانه يحيى بن نعيم البكري . لكن هذا دخل في مفاوضات مع
زياد الذي استقر بامان في الترمذ غير بعيد عن بلخ .

واسفر ذلك عن حلف على شيعة خراسان تم بين جميع
عرب بلخ وفرسا القبائل العربية في تلك المنطقة : مضر واليمن وربيعة . بل
يتحالفون على الشيعة ان فرس ذلك الربع انضموا اليهم ؛ وتلقى زعيمهم مقاتل
ابن حيان القيادة العليا كيلا يختلف العرب بشأنها . وهذا التحالف بين العرب
والفرس ضد الشيعة قد يفيد في اصلاح الآراء المغلوطة . وبما يستحق التنبيه ايضاً
هو ان قسماً من المتحالفين كانوا يحملون الرايات السود ؛ ولا ريب انها رايات
الحارث بن سريج .

وهذا ابو داود يرسل مرة اخرى الى الميدان لقتال هذا
ابو داود ينتصر التحالف . وبعد عراك في السرجانات جلا العدو عن بلخ
على الحلف ثم على مضر مرة اخرى ، وعاد الى الترمذ . فاستعيد ابو داود مرة
ثانية ، واعطيت السلطة على بلخ لعثمان بن جديع الكرماني الازدي اخي علي .
لكن عثمان عجز عن الاحتفاظ بموقفه هناك ، فقد طرده من بلخ بنو مضر من
اهل الترمذ بقيادة مسلم بن عبد الرحمن الباهلي ، وهو ابن اخي قتيبة المشهور . فكان
علي ابن داود ان يعود مرة ثالثة ؛ وكان لا بد منه هناك . هكذا يروي

الطبري (٦٩) الحادثة. وليس احسن من هذه الرواية شيء نضعه مكانها (٧٠).
وكان ابو مسلم في خراسان نفسها سيداً على المناطق الشرقية
المنطقة الغربية أي نيسابور ، فكان بيده مدينتا نساو بيورد
الذي ماعتم بعد هرب نصر ان جلا عن مرو ايضاً ، اذ كان لا يستطيع
ان يتلاءم مع الظروف الجديدة . وانقض عليه ابو مسلم هناك ، فغلب وقتل
وهرب جيشه الى نيسابور ، واكثره من البكرين ، والتحق بنصر .
واذا بالقتال مع نصر يبدأ . ومن ثم قامت الحرب الكبرى
التي تمزق فيها حكم الامويين ارباً ارباً امام شياطين خراسان
السود . ولم يتول ابو مسلم القيادة في ذلك ، بل كان القائد قحطبه بن شيب ،
وهو عربي من قبيلة بني طي (٧١) . وكان قحطبه غائباً خلال العصيان ، ولم يعد
من مكة الا بعد اخذ مرو ، وكان ذهب الى مكة ليلقى الامام ابراهيم بن محمد
في الحج . فعينه ابراهيم قائداً اعلى ، وعقد له اللواء ، وايد ابو مسلم ذلك واسلمه
القيادة العليا . وكان دونه او بجانبه ابو عون عبد الملك بن يزيد الازدي وخازم
ابن خزيمه التميمي وخالد بن برمك البلخي الفارسي وآخرون (٧٢) .

(٦٩) الطبري ١٩٩٧/٢ وما بعدها

(٧٠) وانظر عن الثورات التي حدثت بعد ذلك في السغد ضد ابي مسلم الطبري ٧٤/٣ ؛
٧٩ وما بعدها . وللمباسبين يد في الامر ايضاً . ولم تخضع ماوراء النهر تماماً لحكم الاسلام
الابائي مسلم والعباسيين .

(٧١) الظر الحماسة ٣٠٣ وما بعدها

(٧٢) وفي تيوفان عام ٦٢٤٠ للخليفة ان قحطبه وضع الى جانب ابي مسلم مساوياً له .

تم اخو نصر يقتل
وابو مسلم ينتقل
الى نيسابور

وارسل نصر أخاه تيمياً الى جيش الشيعة المتقدم . وبعد
ان 'غلب تيمم وقتل قرب طوس ، فارق نصر نيسابور في
آخر شوال ١٣٠ اي نهاية حزيران ٧٤٨ (٧٣) . وبعد ذلك
بمدة يسيرة نقل ابو مسلم اقامته من مرو الى نيسابور (٧٤) .

ابو مسلم وابو داود
يتخلصان من ابني جديع

واستصحب حليفه علي بن جديع الكرمانى ، لكنه خلال
الطريق دبر أمر الخلاص منه نهائياً . وفي اليوم نفسه نحى
ابو داود من الطريق اخاه عثمان بن جديع في طخارستان (٧٥) ،

وكانت المحالفة بين الازد والشيعة قد حققت غايتها ، فتم بها الاستيلاء على مرو .
وتم بقتل زعيم الازد تجنب منافسة غير ملائمة . فقد كان يلوح ان ابن جديع
استمر متمكناً في موقف مستقل مشروع على درجة مساوية الى جانب ابى مسلم .
وذهب نصر من نيسابور الى قومس على تخوم جرجان ،

قحطبة يقتل نباته
الذي ارسله ابن هبيرة
مدداً لنصر

ومعه عرب بني تيمم وبكروقيس الذين فروا من خراسان .
وارسل ابن هبيرة عامل العراق نباته بن حنظلة الكلابي
الى جرجان بأمر من الخليفة ، لكن نباته لم يتعاون مع نصر ،
بل زاد في ضعفه بان استجلب لنفسه القيسيين من جيش نصر . وهذا قحطبه الآن
يتصدى أولاً الى نباته ، ويتقدم بجرجان في ذى القعدة ١٣٠ ، فيقاتله في يوم الجمعة
الاول من ذى الحجة (الخميس الاول من آب ٧٤٨) فيغلبه ويقتله .

نصر يهرب الى همدان

وفي غضون ذلك بدا نصر ناجحاً في الصمود امام الحسن بن
قحطبه الذي ارسل لينقض عليه . وانتقل الى طرف نصر
ابو كامل احد قواد الشيعة . لكن قومس لم تعد موضعاً لنصر بعد مقتل نباته ؛

(٧٣) الطبري ٢/٢٠١٦

(٧٤) الطبري ٣/٣ وانظر مع ذلك ٥٩/٣

(٧٥) الطبري ٢/١٩٩٩ وما بعدها

وهذا الطريق الى العراق يصبح مهدياً امام قحطبه . فيقدم قحطبه يتجه نحو الكوفة امامه ابنه الحسن ، ويتبعه بنفسه من نهاوند عن طريق قرماسين الى حلوان وخانقين . والتف بمذق حول الامير ابن هبيرة الذي تقدم اليه عابراً دجلة بجيش قوي والذي عسكر في جلولاء ، فعبر هو دجلة وسار الى الكوفة . وبجوار الانبار على الفرات وقف وقفة اولية .

وبادر ابن هبيرة الى لقائه ، وعسكر على بعض المسافة عنه ابن هبيرة يلحقه ثم يؤخذ على حين غرة على الشط الأيسر على فم الفرات من ارض الفلوجة العليا ، حيث يشتق فرع النهر الذي يسير الى الكوفة . وارسل فرقة تتقدمه الى الكوفة بامر حوثة بن سهيل الباهلي ، وعبر قحطبه الفرات قرب دميا ، وسار محاذياً للشط الايمن الى الحائرة ، وهي موضع يقع ازاء معسكر ابن هبيرة . وفي ليلة الاربعاء الثامن من محرم ١٣٢ (الاربعاء ٢٧ آب ٧٤٩) عبر من مخاضة بشرذمة صغيرة ، ففاجأ معسكر العدو (٧٩) . وأخذ ابن هبيرة على حين غرة ، فتراجع أولاً الى فم النيل ، لكنه لم يقف هناك بل انسحب على جانب النيل الى مدينة واسط ، تلك البلدة الحكومية القوية . ولما سمع بذلك حوثة الذي بلغ قصر ابن هبيرة ، لم يخاطر في التقدم الى الكوفة ، بل اتحد مع والي واسط .

قحطبه يموت في المعركة وكان نجاح قحطبه تاماً ، لكنه كلفه حياته ، فقد لقي حتفه بعد ان مكن شهرة بصورة خفية في التباس الليل . ولا ريب انه قام بالشيء جيش العباسيين الكبير للعباسيين من وجهة النظر الحربية ، فمنح النصر للألوية السود ، واسس شهرتها بانها لا تقهر .

الحسن بن قحطبة اما الحسن الذي بقي في مكانه على الشط الايمن ، فقد اخذ
يدخل الكوفة بمد ان القيادة مكانه ، واصبح قادراً على ان يدخل الكوفة دون
مدها له ابن القسري ان يضرب اية ضربة . وكان محمد بن خالد القسري الذي
اضطهده الحكم الاموي قد حاول الوثوب في الكوفة باليمنيين من اجل العباسيين
واستولى على دار الامارة . واذا به لا يجد أحداً يضايقه بعد مسير حوثرة .
ودخل الحسن بمشورته المدينة يوم الثلاثاء ١٤ المحرم (الثاني من ايلول ٧٤٩) .
واخفقت محاولة سفيان بن معاوية المهلبى بالبصرة في التغلب على
اليمن تلتحق بالثورة
الحكم الاموي بعون من الازد وربيعة . فان مضر
وماضى تخاربا
واهل الشام عاضدوا الوالى سلم بن قتيبة الباهلي ، وكسروا
الازد . والتحق اليمن (وربيعة) في كل مكان بالثورة . اما مضر فقد حاربت
في سبيل الحكم العربي^(٨٠) .

هاهذي سلطة بني العباس المتكتمة تظهر جهاراً . واذا ابو
مروان يوقف
سامة وزير آل الرسول [عليه السلام] يخرج من عزلته
ابراهيم العباسي
ويمسك الحكم بيده . وكان يقيم في حمام اعين حيث كان
فيخلفه ابو العباس
يعسكر الخراسانيون . وكان الوقت قد حان لترك بنو
العباس مخبأهم ، فيبرزوا الى الصف الاول . وكان ابراهيم بن محمد رئيسهم قد
اوقف بامر من الخليفة مروان ، ونقل من الحمية الى حران ، فيقال انه امرهم
بان يذهبوا الى الكوفة وان يبايعوا اخاه ابا العباس خلفاً له .

(٨٠) اتبعت رواية ابي مخنف المؤلف القديم الذي تظهر كلماته هنا في الطبري ١٠/٣
١٤ ؛ ١٨ - ٢٠ آخر ظهور لها . واذن كان حياً بعد الكارثة ، لكنه لاجرم كان شيخاً
مسناً . ويختلف عنه المدائني وهو رأس من يؤرخ الحوادث في الطبري في نقطة او نقطتين
اساسيتين ، ويقدم تحديداً أكثر دقة ، انظر السمودي ٧٣/٦ ؛ اليمقوي ٤١٢/٢ ؛ الحماسة
٤٠٣ وما بعدها .

ولا جرم ان سجنه لم يحدث قبل دخول الخراسانيين الكوفة
بكثير . فالعباسيون بلغوا الكوفة بعد شهر واحد من
هذه الحادثة أي في صفر ١٣٢ . وكان بينهم اربعة عشر رجلا
من اعمار مختلفة . اولهم اولاد علي بن عبد الله بن عباس ، وهم داود وعيسى وصالح
واسماعيل وعبد الله وعبد الصمد الى جانب موسى بن داود . ثم اولاد محمد بن
علي بن عبد الله بن عباس ، وهم ابو العباس وابو جعفر ويحيى . ثم احفاد محمد بن
علي ، وهم عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد واخوه محمد مع عيسى بن موسى بن محمد .
ثم أخيراً يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس^(٨١) من بطن آخر .

بنو العباس يردون الكوفة
بعد فتحها بقليل

ولم يستقبل بنو العباس في الكوفة استقبالاَ حاراً ، فالوزير ابو
سلمة لم يعتبر ادعاءهم بخلف لـ ابراهيم بن محمد الذي بايعه بنفسه
امراً مفروغاً منه . وكان وجودهم يضر به . فحاول حيناً من
الزمن ان يكتم عن الخراسانيين نزولهم الكوفة قائلان وقتهم لم
يحن ، فواسط لم تفتح بعد . على ان احد اصحاب ابي مسلم وهو ابو الجهم قدم
خفية ، وبلغهم الامر .

ابو سلمة يحاول كتم
دخول بني العباس الكوفة
فلا يقدر

واذا باثني عشر نقيباً من الخراسانيين يسرون في الكوفة
من معسكر حمام اعين الى ربيع بني العباس ، ويبايعون
أبا العباس ، فيضطر ابو سلمة بنتيجة ذلك الى أن يدعن^(٨٢) .

البيعة تقام لهم فيخطب
ابو العباس وداود

(٨١) لم يأت داود بن علي واخوه موسى من الحميمة ، انما التحقوا بمن تقدموا الى الميدان
عن طريق دوما ونصحوم اول الامر بالايذهبوا الى الكوفة . ولم تكن الاسرة دوماً تجتمع
متفقة بكاملها حول الامام ابراهيم بن محمد . فقد تبع عيسى وعبد الله ابنا علي وابو
جعفر اخو ابراهيم ابن معاوية (الطبري ١٩٧٧/٢) ولا يظهر داود بن علي وحده مقيماً
في غير الحميمة اي في العراق بل سليمان بن علي ايضاً الذي لم يذكر بين الاربعة عشر (انظر
اليعقوبي ٤١٩/٢)

(٨٢) هكذا عن المدائني في الطبري ٢٨/٣ وما بعدها وهو يختلف بعض الاختلاف
عن الرواية المقابلة . انظر الطبري ٤٣/٣ وما بعدها المسعودي ٩٢/٦ وما بعدها؛ اليعقوبي ٤١٣/٢

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الثاني ١٣٢ (الجمعة ٢٨ تشرين الثاني ٧٤٩) اقيمت البيعة لابي العباس وللدولة الجديدة في جامع الكوفة . وصعد ابو العباس المنبر وتكلم حتى « اشتد عليه الوعك » وكان موعوكاً ، فاضطر الى ان يجلس ، فقام داود بن علي عمه الذي كان دونه على المنبر بثلاث درجات ، فاتم كلامه . ولم تنته خطبتهما الينا بصورتها الصحيحة ؛ على أن مضمونها الخطبة تشيد بالكوفة وترد على العلويين .
يوافق الوضع اجمالاً . [قيل فيها] إن حق بني العباس في الحكم دليله في كلام الله . وفي الخطبة طرف من الرد على الشيعة^(٨٣) التي تقول بان العلويين هم اصحاب الحق الاول . على أن ماتناولته بصفة خاصة هو وحدة المصلحة بين العباسيين والعراقيين^(٨٤) . فان العباسيين حين تغلبوا على الامويين بجيشهم الخراساني كانوا في الوقت نفسه يجررون العراقيين من نير اهل الشام . واذا بالنضال الذي استمر مائة عام دون جدوى بين العراق والشام ينتهي بانتصار العراق ، واذا بمقر الحكم يعود الى الكوفة حيث كان في الايام الاولى في عهد علي . « لكل دولة نقطة ارتكاز ، وانتم نقطة ارتكازنا » ، ألم يكن هذا القول حقاً ليسحر الكوفيين ؟ وأياً كان فمركز النقل في الدولة انتقل من دمشق الى الكوفة والعراق . وذلك حادث له معنى بليغ^(٨٥) .
اضف الى ذلك أن ابا العباس لم يكن واثقاً كل الوثوق من ابو العباس ينتقل الى الهاشمية مبتعداً عن ابي سلمة
الكوفيين . فلم يجعل اقامته في بلدتهم ، بل جعلها بين الخراسانيين في حمام اعين . فما فتئت الصلات بين الفريقين متوترة . فابو سلمة ميال الى العلويين ، يعبر عن ميله جهاراً كي يجعل مكاناً للشك في أنه لم يكن وحيداً في عواطفه ، ولا سبياً

(٨٣) ويشملهم لقب السبالية المحترق الطبري ١٧٠٢٩/٣

(٨٤) انظر عما قبل ذلك قوله عراقي الهوى في الطبري ٧٠١٨١٦/٢

(٨٥) Theoph . A.M.6241

ان زمام زعامة الحزب حتى ذلك الحين كانت في يده .
ولم يجرؤ الخليفة على ان يقف ضده . وبما انه كان دور
كان لا يجرؤ عليه
سلطان وكان صنيعه من صنائع وسائله التي تصنع الملوك
والتي هي علاوة على ذلك تدرك جيداً ريبة شرعية حكمه ، فقد كان مستأثر الرغبة اولئك
الذين هم أشد تأثراً منه .

وارسل اخاه ابا جعفر الى خراسان ليتأكد من عواطف
ابو مسلم يساعد على الفتك
ابي مسلم الذي كان اثره في الجيش الخراساني عظيماً جداً .
ومن حسن حظه أن ابا مسلم لم يكن بينه وبين ابي سلمة
باني سلمه ويفتك بسليمان
مصالح مشتركة ، فخدم بني العباس بقتله . واتم في الوقت نفسه الفتك بمنافسه
القديم في خراسان سليمان بن كثير رئيس النقباء متدرعاً ، لشفاء غله منه ، بانه كان
متفقاً مع ابي سلمة . وكان صاحبه المخلص ابو الجهم يراقب الخليفة ابا العباس ويوجهه (٨٦) .
وفيما كانت الاشياء تحدث في الشرق ، كان الغرب مسرحاً
ابو عون يطارده الجيش
لحوادث انقلابية (٨٧) . فبعد سقوط نهاوند في ذي القعدة
الشمالي الى الموصل
١٣١ ، بعث قحطبه ابا العون عبد الملك بن يزيد الازدي
الى شهرزور . وبعد موقعة حاسمه في العشرين من ذي الحجة ١٣١ (العاشر من
آب ٧٤٩) طرد من هناك الجيش الشامي ، واستقر بنفسه في المنطقة التابعة
للموصل على الشمال من دجلة .

وبعد أن أخذت الكوفة ، تلقى المدد منها ، لكنه اضطر
عبد الله بن علي
يهزم مروان في الزاب
الى ان يسلم القيادة العليا لعبد الله بن علي العباسي . وتقدم
الخليفة [الاموي] من حران عابراً دجلة الى الخراسانيين
من عرب الجزيرة والشام . والتحمت المعركة على الشط الغربي من الزاب الاكبر

(٨٦) البقوي ٤٣٣/٢ ؛ الطبري ٦٧/٣ : ٨٨

(٨٧) الطبري ٩/٣ وما بعدها لاسياً نقلاً من المدائن

ابتدأت في الثاني من جمادى الثانية ١٣٢ ، وانتهت في يوم السبت الحادي عشر من جمادى الثانية (الأحد ٢٥ كانون الثاني) بهزيمة مروان هزيمة ساحقة .

ويقدر تيوفان جيش مروان بثلاثمائة الف رجل ، ويقول

عدد جيش مروان

ان الالوف كانت تهرب أمام الالف ، وان عشرات الالوف

كانت تهرب أمام الالفين . وهذه النسب غير المتكافئة [في العدد] تظهر في مواضع أخرى ايضاً ، ويمكن فهمها بالحكمة التي تقول بان النصر من عند الله و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » . على أن رواية للمدائني تقول (٨٨) ان مروان لم يكن لديه الا اثنا عشر الف رجل .

وكانت الكفة في جانبه اول الامر ، وسبب سوء النهاية

العرب فقدوا الامل

بعض السبب قيس التي لم ترد أن تعمل اكثر من قضاة .

ولم يشأوا التضحية

أضف الى ذلك ان الحراسانيين كانوا ولا ريب عازمين

على النصر وآملين في الظفر . وكان العرب قد فقدوا الثقة فيما بينهم ، فلا يريدون أن يضحى بهم . وبذل مروان المال واعدأ أن يقاسمهم إياه إن قاتلوا ببسالة ، لكنهم هالكوا دفعة واحدة على المال ، وهربوا به . وغرق عدد كبير من الهاربين في الزاب ، وقد قطع الجسر .

وانسحب مروان عابراً دجلة الى حران حيث بقي بعض

مروان يفر

الزمن . وما ينسب الى فضله أنه أطلق سراح الاسرى

من بلدة الى بلدة

السياسيين الذين وجدهم في السجن ، بينما قتل أتباعه

الحرانيون المخلصون من حاول الهرب منهم قبل وصوله . وسار من حران عن طريق قنسرين الى حمص فدمشق ، ثم الى حصن ابي فطرُس قرب يافا حيث احتسى برجل من آل جذامة اصحاب الملك القديم من بني روح بن زنباع ، اذ كان السلطان في هذه المنطقة قد خرج من يد الحكم الاموي . وفر من أبي فطرُس

الى ميناء الفرما المصري ، واذا بطارديه يلحقون به مهددين .

وكان عبد الله بن علي يتبعه مع الخراسانيين ، وقد أنجدني

عبد الله يلاحقه

طريقه باخويه عبدالصمد وصالح ، فسار عن طريق الموصل

فتسلم المدن له

وحران والمنبج وقنسرين وبعلبك وعين الجر الى المزة

قرب دمشق حيث أقام معسكره . وكانت المدن السورية تسلم اليه دون

قتال . ولم تكن تربطها بمروان رابطة^(٨٩) ، ومن السير فيهم ذلك .

ولم يضطر الى محاصرة مدينة ما ، اللهم الا عاصمة الملك دمشق .

وكان الوالي عليها صهر مروان ، اي الوليد بن معاوية بن

اهل دمشق يقاومون

مروان الاول . على ان اهل المدينة لم يعضدوا هذا الوالي متحدين

ثم يقتلون واليه

بقوتهم ، بل قتلوه في آخر الامر ، وفتحوا أبواب المدينة

ويستسلمون

لعبد الله بن علي في الرابع عشر من رمضان ١٣٢ (٢٦ نيسان ٧٥٠)

وبعد اسبوعين سار عبد الله الى ابي فطرس ، ومنها بحث أخاه

مقتل مروان

صالحاً مع ابي عون الى مصر لمطاردة مروان . ثم سار هو

في بوسير

الى مصر في ذي القعدة ١٣٢ (حزيران ٧٥٠) . وكان

مروان يفر من أمامه من مكان الى مكان ، حتى وصل الى بوسير قرب الروضة

في اشمونين من مصر العليا . فتوقف هناك ، وبعد قتال ضار تشتت اتباعه

المخلصون^(٩٠) فقتل : انقض عليه عربي خراساني من يمن بلحارث مع رجالهم ،

وهو يناديهم بالفارسية « شدوا في القتال أيها الرجال » وقتله . وكان ذلك في

آخر عام ١٣٢ ، وبداية آب ٧٥٠^(٩١) . وارسل رأسه . ويقول المسعودي ان

(٨٩) المسعودي ٨٤/٦ وما بعدها

(٩٠) على ما يقول تيوفان

(٩١) انظر الاغانى ٩٢/٤ ؛ المسعودي ٧٦/٦ وما بعدها ؛ التنبيه ٣٢٨ ؛ ابن الاثير

٣٢٦/٥ وما بعدها ؛ اليعقوبي ٤١٤/٢ ؛ ياقوت ٧٦٠/٤ . واليوم من الشهر (٢٧ من ذي الحجة)

لا يوافق احد يومي الاسبوع الاحدا والاثنين .

علامات الخلافة ارسلت أيضاً الى ابي العباس . ويذكر ابن الاثير بيتاً من الشعر يشير الى ان لسان مروان قد لاهه هر . وبقي ابو عون في مصر . وكان طبعاً الزعيم الحقيقي للجملة .

وهذه واسط ما فتئت مستعصية ، وواسط هي تلك القلعة ابن هبيرة يجتمى بواسط المحصنة في العراق التي اسماها الحجاج في منطقة دجلة ذات المستنقعات . وهذا ابن هبيرة يشخص اليها بعد ان قاتل قحطبة في بابل قتالا خانة فيه الحظ ، يشخص اليها مع اهل الشام وبعض العرب من خراسان الذين اجتمعوا حوله ، ومعظمهم من بكر بامرة يحيى بن نعيم (٩٢) .

فيطارده الحسن بن قحطبة ويحاصره . وبعد لأي من الزمن الحسن وابو جعفر التتق ابو جعفر اخو الخليفة ابي العباس بالحسن رئيساً له . ومالك يحاصرونه فيقاوم على ان الحسن ظل في الواقع صاحب القيادة . والحق أنه لم يكن يتبع الخليفة بل ابا مسلم . وارسل ابو مسلم ابانصر مالك بن الهيثم الخزاعي على فرقة من الخراسانيين مدداً له . ولم يكن المحاصرون على اتحاد ، فقد كانت اليمن على خصام مع نزار (اي مضر وربيعة) . على ان المدينة قاومت احد عشر شهراً .

ولم يعمد ابن هبيرة الى المفاوضة الا بعد ان وافته اخبار شروط استسلامه لم تحترم مقتل مروان ، اي في اول شهر من اشهر عام ١٣٣ (خريف ٧٥٠) . وانقضى اربعون يوماً قبل ان يضع العلماء شروط الاستسلام ، فيرضى بها الفريقان . ووافق ابو العباس على تلك الشروط . غير انها بالرغم من ذلك لم تحترم . فقد ضربت اعناق القواد الاسرى الذين كانوا ينتمون الى نزار دون اليمن ، وكانوا يحملون الخاتم علامة على انهم قواد . ثم ان ابن هبيرة نفسه تعرض للمصير ذاته ، بعد ان تخلى عن حرسه ، وسلم بيت المال الذي

(٩٢) ينبغي التمييز بين يحيى بن حنين

كان يحتفظ به (٩٣) .

وهذا الوضع من القساوة الغادرة مذكور في الطبري أيضاً.

العباسيون يقابلون
حلم الامويين بالفدر

اما فيما تبقى فقد فضل الطبري السكوت عن الحفلات الدموية التي
احتفل بها العباسيون بانتصارهم (٩٤) . ولقد عاملهم بنو امية

بجلم عجيب ، واذا بهم يكافئونهم بوضعهم خارج القانون ، وبالاستيلاء على املاكهم .

فلا اعتبارات انسانية عندهم ، بل نفذوا غضب الله وثارهم المشروع الى اقصى حد .

وبما انهم لم يكن لهم شيء كبير يثارون له ، فقد استعاروا

يحملون الاخذ بالثار
للعويين سبيلاً الى
السلطان

ذلك من العلويين ، فجعلوا انفسهم اصحاب الثار لهم .

وخولهم ذلك في الوقت نفسه القضاء على العلويين ذاتهم ،

فكان حق الثار ليس هو الذي مهد السبيل الى السلطان ،

بل اخذ الثار . وكان الاخذ بالثار يمنح الحكم صفته الشرعية . والحق يقال ان

هدفهم الدقيق انما هو هدف سياسي ، فهم انما ينشدون جعل الدولة الساقطة

عاجزة كل العجز . وتذكرنا القضية بمجموعها بما قام به انبياء بني اسرائيل من

محو عائلة او مري .

والمسرح الاساسي للتنكيل بالامويين هو في الشام حيث

الشام مسرح الاخذ بالثار

كان لعبد الله بن علي القيادة العليا . وينبغي الانحتمل

الخراسانيين تبعته على ما يثبت في الاغاني (٩٥) ، فقد كانوا نظاميين ادق النظام ،

(٩٣) وفي الطبري ٧٠/٣ والحماسة ٣٧٢ وما بعدها والاغاني ٨٣/١٦ وما بعدها

مرثيات عن ابن هبيرة

(٩٤) ونجد اخبارها في اليقوي والمسعودي وابن الاثير والاغاني . والشعر المعاصر لاحد

بني ابلات او لمولى لهم مهم ايضا جداً . وقد حفظ اقساماً منه يا قوت ٢٣٩/٤ : ٣٢٦ :

٨٣١ والاغاني ٩١/٤ : ١٠٠ ، ١٠٥ . وابلات فرع جاني لامية

(٩٥) ٩٦ : ٩٤/٤

لا يفعلون شيئاً دون امر . والتنكيل انما كان بامر من العباسيين (٩٦) .
ومما يجب ذكره ان الاموات انفسهم لم ينفلتوا من العقاب ،
التنكيل بالاموات
من بني امية
فقد نبشت قبور الخلفاء وغيرهم من الامويين بدمشق
ودابق والرصافة وقنسرين واماكن اخرى ، وهتك ما فيها
حين كانت ثمة بقية فيها . وعفوا عن عمر بن عبدالعزيز ، واعجب من ذلك انهم عفوا
عن معاوية نفسه . وعبروا عن الحقد على هشام المتوفى حديثاً اشد تعبير . وكان
لذلك الحقد اسبابه . فجذدت جثته التي لم يبيل منها إلا اربعة ائنه ، وصلبت ثم
حرقت ، وذر رمادها في الريح (٩٧) .

وأسوأ عمل قام به عبد الله بن علي في الاحياء هو الذي اتى
به في ابي فطرس ، حيث اقام بعض الزمن بعد أن ازاح
مأدبة تقام
على جث بني امية
مروان . وتقول الرواية انه جذب الى هناك اكثر من
ثمانين اموياً بوعود خلافة ، ودعاهم الى مأدبة ، حتى لكأنه اتخذ جيهاً مثلاً له .
ثم استشارته فجأة للثأر في الظاهر اشعار رددت امامه ، فأمر بهم ، فضربوا بالعمد
حتى قتلوا ، وبسط عليهم الانطاع فأكل الطعام عليها ، وهو يسمع انين بعضهم
بدلاً من الموسيقى (٩٨) .

وتظهر مرة اخرى في ظروف اخرى تلك المظاهرة وذلك
هو حادث
يندى له الجبين
الشعر ينشد ايداناً بانفجار للحق مفاجي ، ويظهر هذا الخداع
للضحية بدعوتها للطعام ، فيذكر هذه المرة ابو العباس او
داود بن علي مكان عبد الله بن علي (٩٩) . وقد يكون هذا الخبر موضع الشك .

(٩٦) اليعقوبي ٤٢٧/٢

(٩٧) المسودي ٤٧١/٥ وما بعدها

(٩٨) الكامل للبرد ٧٠٧ ؛ ابن الاثير ٣٢٩/٥ وما بعدها . وبوجه آخر في اليعقوبي

٤٢٥/٢ وما بعدها ؛ الاغانى ١٦٠/٤ وما بعدها

(٩٩) الاغانى ٩٤/٤ . وقتل العدو في الحفلة هو اطار عادي يتخذ في كل مكان

اما حادث ذلك القتل الكبير [الذي قام به عبد الله] فصحيح كل الصحة .
ويمثل ذلك عند العرب من اهل الشام ذكرى تعادل مايمثله عند قدماء بني اسرائيل
ذلك البحر من الدماء الذي دالت فيه دولة او مري . ويطبع يوم ابي فطرس
بطابعه جبين العباسيين ، كما طبع يوم جزريل جبين بني جيهو . ويؤرخ
المسعودي (١٠٠) الحادث الرهيب يوم الخامس عشر من ذي القعدة عام ١٣٢
(٢٥ حزيران ٧٥٠) . ويؤرخه يتوفات مخطئا بعد سنتين . على ان روايته
الموجزة التي درجت في طي الالهال حتى الآن مهمة ، لانها تظهر بجلاء ان ابا
فطرس هو Antipatris انتيبتريس القديمة (١٠١) .

اما في المدينة ومكة ، فالفاتك بالامويين (١٠٢) هو داود
الفتك بالامويين
ابن علي ، وفي البصرة سليمان بن علي . وامر ابو العباس نفسه
في غير الشام
في الحيرة بقتل من احضروا اليه ، او من اتوا يسألونه العفو ،
ومن بينهم سليمان بن هشام نفسه الذي خيل اليه انه آمن على نفسه باعتباره اشد
اعداء مروان ضراوة . بل ان الامويين لم يأمنوا على انفسهم بين الناس ، حتى
بعد ان توقف اضطهادهم ، فظفوا محتبئين يقضون حياتهم في وضع زري ورهبة
دائمة من أن يعتبروا خارجين على القانون ان عرفوا . ولم يفلت منهم الا احداحفاد
الخليفة هشام : افلت الى اسبانيا ، فبلغ فيها السلطان .

٧٦/٦ (١٠٠)

(١٠١) « في عام ٦٢٤٣ لبدء الخليفة قتل الحكام الجدد عدداً كبيراً (من النصارى
باعتبارهم) مقربين من الدولة السابقة ، وفنكوا بهم غدرأ في انتيبتريس بفلطين » . وكون
ابي فطرس وانتبتريس شيئاً واحداً يثبت الاسم (فطرس = بترس) والحادث . وانتبتريس
او كفر سبا (Josephus Ant. 16, 112, 13, 309) تقع تماماً في وادي الموجاء حيث
يجب ان نبحت عن حصن ابي فطرس الذي يصفه العرب . على اننا لانفهم لماذا وصف الامويون
بانهم نصارى . ومن البدهي ان هناك غلطاً او تحشية للكتاب .

(١٠٢) مشاهد القتل في الكوفة : اغاني ٩١/٤ وما بعدها : يا قوت ٢٤٤/٤

على ان اهل الشام الذين وقفوا موقفاً سليماً ما عتصموا ان
اضحوا حانقين على ذلك القضاء الرهيب على دولتهم القديمة،
سواء منهم القيسيون والكلييون . ووثب القيسيون
بقنسرين خاصة . وكان على رأسهم اكثر رجالهم مكانة ، ابو الورد مجزاة بن
الكوثر حفيد زفر بن الحارث والتحق بهم كليوندمرو عرب حمص . وانضموا
الى ابي محمد السفياي طليق مروان ، واعترف ابو الورد به ايضاً وريثاً
شريعياً للخلافة .

اهل الشام يثورون
مبايعين السفياي

لكن النادرين كسروا قرب مرج الأخرم في جوار
قنسرين ، كسرهم عبد الله بن علي وشتمهم في آخر عام
١٣٣ (١٠٣) ، اي آخر تموز ٧٥١ . وقتل ابو الورد مع
خمسائة من اهل بيته . وهرب السفياي باتباعه من بني كلب الى تدمر اولاً ، ثم بحث
عن ملجأ له في الحجاز . واخذ في آخره بعهد الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر
المنصور ، فقتل .

النادرين يكسرون
ويقتل السفياي

ومن المدهش ان اهل الشام انتقلوا من المروانيين الحاكمين
الى السفيايين الذين زالت دولتهم . فمحمد لم يبلغ مكانته بعد
مقتل الوليد الثاني مباشرة بفضل من مزاياه الشخصية ، بل
لانه من ابناء معاوية ويزيد الاول ، لا من ابناء مروان الاول وعبد الملك .
ولم يعرف باسمه الشخصي بل باسم آله ، فقد كان يسمى السفياي خالصاً . ولم
تتلاش قيمته بوفاته ، بل ازدادت . واذا هو يصبح اولاً المهدي عند اهل الشام ،
يعلقون على عودته آمالهم السياسية ، ثم يصبح عندهم النذير بالدجال بعد ان ثبت

ما يثله السفياي
عند اهل الشام

(١٠٣) في آخر يوم من العام كما يقول الطبري ٥٥/٣ ، لكن هذا اليوم لم يكن الثلاثة
كما ذكر بل الخميس . ويجعل تيوفان عام ٦٢٤٢ ميرج الحادثة في حمص لافي قنسرين .
وقد يكون حدث هناك قتال ايضاً .

اعدائهم اركان دولتهم. وامتدت حياة بني امية الى ما بعد سقوطهم شعباً يتخلل
شئون يوم المعاد (١٠٤) .

٥. مقارنة بين الحكم الاموي والحكم العباسي

اطلق العباسيون على حكومتهم اسم الدولة اي العهد
الجديد (١٠٥) . والحق يقال ان الثورة التي تمت آنذاك
اهل الشام لم ينموا
سقوط الامويين
كانت هائلة . وفارق اهل الشام الميدان مع الامويين .
فهم تركوا مروان الثاني الملقب لمصيره ، ولم يقوموا بعمل ضد العباسيين في
الوقت الملائم ، فاضحوا غير قادرين على ان يغيروا في وضع الاشياء . واذا
بالسواد ينتصروا اذا بالبياض يضيع الملك . حقاً ان اهل الشام احتفظوا بعظمتهم
على دولتهم الزائلة (١٠٦) وعبروا عنه تعبيراً عملياً ، بيد ان جهودهم ذهبت عبثاً ، فقد
كان يعوزهم النظام .

ثم ادركوا ، وقد سبق السيف العزل ، ان القضية قضيتهم حقاً ،
وانهم هم الذين تحملوا او رر ذلك . فقد نقل مركز الحكم من دمشق
الى الكوفة ، ثم الى بغداد . فأضاعت الشام سيادتها . وتحرر
العراق من نير الحكم الاجنبي الذي ناواه مائة عام عبثاً . واذا هو يبدو ، وقد
بلغ السيادة التي كانت له مرة في عهد علي . واذا بالعباسيين يظهرون ان نزعتهم
السياسية نزعة عراقية ايجابية معادية للشام .

Snouck Hurgronje , Mahdi, 11. DMZ, 1901, 690f. (١٠٤)

(١٠٥) الطبري ٣/٨٥؛ ١٦٦؛ ١٩٦؛ ١٩٥؛ ١١٥٠؛ ٩٠٠ وابتداء الدولة م الحراسانيون في
خدمة العباسيين . وكتاب الدولة (٣/١٤٩٧) اسم كتاب يتنبأ بمستقبل بني العباس . واصبح
معنى الدولة بعد ذلك الملك او الدولة عامة . ونجد هذا التحول في شعر نوبة وعقبه (ديوان
الهدليين ٣٨٠٧٤) . على ان المعنى الاصلي ظل في الاستعمال ؛ مثلاً في عبارة «صار المال دولة»
اي ان المال انتقل الى ايد اخرى

وانقضى في الوقت نفسه حكم العرب انقضاء حاسماً ، وكان
خسر العرب مزايام
سند هذا الحكم الامويين واهل الشام . واذا بموطن
العرب القومي يصبح قافراً موحشاً ، حتى غدا الحج غير امين . ولم تعد القبائل
العربية اطاراً لحكم الله ، بل فقدت مزاياما فقدت تماماً . وتحرر الموالي ، وتلاشى
التمييز بين العربي وغير العربي من المسلمين . وانسحبت العروبة الى ميدان
سلمي مدني ، بعد أن نجت عن وضعها الخاص الذي يستند في الاصل الى
شرع الحرب .

واصبحت رمزاً عالمياً يساهم فيه كل المسلمين . والجزء
الدين واللغة يستمران
الاساسي من هذا الرمز هو الدين ، فالدين العربي لم يسقط
مع الوطنية العربية ، بل استمر يزداد قوة . وبقي اللسان العربي لغة الاسلام ،
وذابت فيه لغات معظم الشعوب المسيحية المهمة في آسية وافريقية . واتخذت
الكتاب والعلماء حتى خيل انه نفذ الى الفرس ؛ بيد ان الشعر الفارسي حفظ
لغة الكلام الوطنية وبوأها مرة ثانية مكان الشرف .

ولم يسد الموالي على العرب اجمالاً الا في نقطة واحدة . فقد
الحراسانيون يحلون
مكان اهل الشام
ساعد الحراسانيون العباسيين في الظفر ، فكانت لهم حصتهم
في الغنيمه ، وغدوا بعض الشيء وريثة لاهل الشام ، ولو
ان صلحتهم بالحكومة تختلف عن صلة اولئك بحكومتهم . وكان اسمهم شيعة
الدولة (حزبها) وانصارها (مساعدتها) وابناءها (اولادها) (١٠٧) . وعليهم
تقوم القوة الخارجية ، وكانوا منظمين على اسلوب عسكري . وفي يدهم القيادة
العليا ، واذن لقوادهم بان يلعبوا دور الاسياد العظماء .

(١٠٦) والخبر الوارد في الطبري ٢١٦٣/٣ وما بعدها مهم . وتر كزت ذكرياتهم
حول معاوية خاصة . وقد رأينا ان قبره ظل مزاراً خلال قرون بعد وفاته
Matth.17,25 (١٠٧)

والخراسانيون يكونون جيش الخليفة المؤهب . وحرس
بغداد ومعسكرهم
الخليفة يعيشون بينهم . وبغداد لم تؤسس في واقع الامر عاصمة
للامبراطورية ، بل معسكراً للخراسانيين ، نشد الخليفة ان يقيم فيه بعيداً عن
الكوفة . على انهم في معسكرهم هذا ، ظلوا محتفظين بصلاتهم بوطنهم . واذا
بسيادتهم في حزبهم وجندهم التي ظفروا بها في خدمة العباسيين تنتقل الى شعبيهم
ومصرهم : الى الشرق الايراني . واذا بالفرس ينتصرون على العرب تحت رداء
الاسلام العالمي .

وبتبدل الدولة تبدل طراز الحكم الداخلي ايضاً . وسواء
نظام الامويين
اساسه قبلي
اكان الاثر الفارسي في هذا الحكم ذا مفعول خاص ام لم
يكن ، فانه من الثابت انه غدا لا عربياً . وكان العرب قد
اصبحوا بالفتح اعياناً حاكمين يميزون عن المغلوبين . وتمتد اغصان شجرة
نظامهم القبلي الى امصار دولتهم امتداداً سطحياً . وظل هذا النظام البدائي في
عصر بني امية بمبادئه الاساسية ، وان كان ما عثم ان تبين انه لم يعد يمكن
الاحتفاظ به . اما في عصر العباسيين فقد اختفي لاختلاف الظروف التي
كانت يقتضيها .

ولم يرتفع العباسيون كالامويين مشرفين على ارسقراطية
نظام الحكم
عند العباسيين
متسعة ينتمون اليها بانفسهم فالخراسانيون الذين استندوا
اليهم ليسوا من دمهم ، انما كانوا اداة لهم . وصلتهم بهم
صلتهم بكامل مجموع المسلمين ، فلا سلم يتدرج به في الحقوق السياسية . انما العباسيون هم
وخدم اصحاب الحق الالهي في الحكم بوصفهم وريثة للرسول [عليه السلام] .
وليس ثمة من عقبات من وجهة النظر التطبيقية تقف في سبيل جعلهم الحكم يبدو
ملائماً لمصلحة القضية [العامة] ولمصلحتهم الشخصية . ووضعوا للحكم نظاماً اقوى ،
لا سيما في الضريبة وادارة القضاء .

وتجلت حماستهم في الاستجابة الى شكاوى الذين يتجهون
اليهم متظاهرين الى حكمهم السامي . على انهم قضاوا على
اهتمام الناس الحيوي بالسياسة ، ذلك الاهتمام الذي كان
في صدر الاسلام جزءاً من الدين ، قضاوا عليه بمدى اوسع بكثير مما تمكن
الامويون ان يفعلوا فيه . فالمسلمون ، عرباً كانوا أم غير عرب ، هم محض رعية .
ولم يعد لهم ان يساهموا بالاعمال العامة . وحط بهم الى ميدان التجارة والزراعة .
وجل ما بوسعهم ان يعملوه هو ان يتآمروا بالخفاء .

قضاؤهم على اهتمام
الناس بالسياسة

واقترنت الدولة على الحاشية . واحيط الخليفة اول الامر
باصحاب من كلا الجنسين طربين عديدين . ثم احيط باقربائه
من عائلته ذات العدد الكثير ، اعني الهاشميين . وينتمي
الجنود الى الحاشية ايضاً . ونواته متمركزة دوماً في مقر الخليفة . وبغداد
لا تختلف بذلك عن المدينة وحدها ، بل عن دمشق ايضاً . ثم انتمى الى الحاشية
بعد ذلك جمهور من الكتاب المدنيين كفوا عن ان يكونوا من القواد ، واصبحوا
في غالبيتهم من صنائع الحاكم ومقربيه . ومن بينهم معظم العتقاء . وتمتعوا في الايام
الاولى بزلفى ذات اثر ؛ ثم اذا هم يبلغون اعلى المراكز العامة . ينتزعون من
الوحل تارة ثم يلقون فيه تارة أخرى . واذا بالمصائب والدسائس التي تقود الى
ذلك تصبح عند الحاشية خبر اليوم . واقحم في تلك الحاشية على خلاف رغبتهم ودون
عمل معين رجال مر موقون من اصحاب القيمة والاعتبار .

الحاشية تبلغ اعلى
الدرجات ثم تسقط

بل ان العباسيين لم يعودوا يعتدون بالنسب عند نساءهم ؛
فليس اصل الانسان هو الذي يعطيه شرفه ، بل الخليفة .
واذا الخليفة يطرح عليهم الشرف والرتبة من الثياب
والطرز . واذا بالخطاطين والطرارزين يفرقون في العمل . ونشأ عوضاً عن
الارستقراطية حلقات متسلسلة من موظفين متزلفين ، قسموا برابعة النهار على
درجات يراقب بعضهم بعضاً . وعلى رأس الدرجات الوزير ، وله مراقبة بيت

الخليفة هو الذي
يمنح الشرف

المال . ثم يصبح الوزير في الازمنة التالية الصنوارأي للخليفة غير المرأي ، بحيث لا يظهر الخليفة الا صدفة ممثلاً على المسرح ، او منفجراً كالعاصفة تخرج من وراء الغيوم .

واتسعت العادة عند الولاة فأصبحوا يديرون امصارهم بممثلين عنهم ، ويظنون هم في البلاط ، لا سيما اذا كانوا ممن ينعمون بشرف الامارة بالدم . ومعظم صفار العمال في ديوان الحكومة نصارى ويهود ، جلبوا على انفسهم بيسر حسد جمهور المسلمين وتعصبه .

الولاة يقيمون
في بغداد
لا في مصرهم

ولعل الجلاد ابرز شخصية بين الموظفين باستثناء الوزير . ولم يكن العرب يعرفون الجلادين ولم يتخذ الامويون جلادين . اما العباسيون فالجلاد كان عندهم شخصاً لا بد منه ؛ وكان النطع يقام قريباً من العرش فيستخدم للاعدام ، كما يستخدم النصب الحشبي . والنطع جزء من علامات الخلافة . وكانت الاعدامات الوحشية المفاجئة او المسبوقة بالتصميم تزيد في هيبة الملك . ونموذج ذلك ماخوذ عن الفرس الذين يتمتع الشاه بينهم بحق الحياة والموت على تابعيه . وعن الفرس اخذت ايضاً وظيفة المنجم الذي يستشار في جميع الاعمال المهمة ويصحب الجيش في حملاته .

الجلاد موظف بارز

ثم ان علينا ان نعتبر عمل اصحاب البريد بما يمتاز به العهد العباسي . وكانوا عيون بلاط بغداد ، يوفدون الى الامصار وينتقون من اشخاص ذوي ثقة ليراقبوا بالحفاء [ماجري] حتى مع الولاة . وعملهم التجسس ؛ ومكتب الاستعلامات في الدولة الواسعة منظم الى ابعد حدود التنظيم . فهذا الطبري في الاعوام المتأخرة لا يؤرخ الحوادث وحدها ، بل يؤرخ ايضاً موافاة اخبارها الى دار الخلافة .

اصحاب البريد
عيون بني العباس

والدولة الجديدة تتميز عن الدولة القديمة تمييزاً أساسياً عن
 طريق علاقتها بالدين . فالعباسيون يفاخرون بانهم جعلوا
 للاسلام المنعة والقوة ، بعد ان قضى عليه الامويون .
 و ارادوا كما بينوا ذلك ان يبعثوا سنة الرسول [عليه السلام] التي تلاشت .
 فشجعوا الباحثين في الشرع الالهي ليفدوا اليهم في بغداد من المدينة مقرهم السابق .
 وكانوا يفوزون دوماً بتأييدهم ، وذلك بان يجعلوهم يتصدون للمسائل السياسية ذاتها
 على الشكل المشروع متخذين قراراتهم وفقاً للكتاب والسنة . على أن العباسيين في
 الواقع انما كانوا يستخدمون الدين لغاياتهم الشخصية ، فقد روضوا العلماء في
 قصورهم ، فجعلوهم يبررون تدابيرهم التي تثيرا كبر الاعراض (١٠٨) . وجعلوا معارضة
 المتدينين عزلاء من السلاح يجعلها تنبؤ السلطان . وبعد فسقوط الامويين بلغت تلك
 المعارضة هدفها ورضيت .

اما الاعمال السياسية فكانت في ايد صالحة . ولم يعد للمسلمين
 ان يقلقوا بشأنها . فقد تحقق حكم الدين ، واصبح ملزماً
 بان يكف عن ان يكون مبدء الثورة على الحكم الراهن .
 وقاد العباسيون الرأي العام في تلك الوجة بصورة نجحت نجاحاً لا بأس به ، وكانت
 الحاجة الى السلم تؤيد العباسيين في تلك الحقبة من الزمن بعد تلك السلسلة من
 الثورات والقتال ، وبعد ان استنفد العرب سورتهم ودمهم حتى الممات .

نجاحهم في اسقاط
 المعارضة

(١٠٨) اطلق ولها وزن الكلام هنا اطلاقاً ، وكان حقاً عليه ان يذكر ان من العلماء
 من كانوا يتجنبون الحكم ويأربونهم في سبيل عقيدتهم كأحمد بن حنبل وغيره . ومقاماتهم بين
 ايدي الخلفاء اي تصنيفهم لهم ونصحهم كثيرة حتى آلت الكتب في ذلك ومنها كتاب مقام
 العلماء بين ايدي الامراء لعبد الكريم بن محمد السمعي (كشف الظنون ١٧٨٤) وفي احياء
 علوم الدين للقرظي (طبعه البائي سنة ١٣٤٦ / ٢ - ٣٠٠ - ٣١٢) مجلة صالحة من اخبار ذلك .

وقد يذهب الفكر الى ان العباسيين قربوا الشيعة التي كانوا
 لها مخالفين، [لكن الامر غير ذلك] فقد تغيروا عندما بلغوا
 سلطانهم ، وانقلبوا بعض الشيء فاضحوا اعداء لاولئك
 العلويين الذين كانوا منهم وفيهم ، وما ذلك الا استبعاداً لدعواهم بالخلافة بل ان
 بنى العباس تخلوا عن اتباعهم الشخصيين ، اعني عن الشيعة المغالية (الراوندية) التي
 في ايران ؛ فاتجهوا في المذهب نحو العرب ، وابتعدوا عن الفرس . وانكروا
 نشأتهم في المحيط حين افضوا الى المركز ، وقبضوا في يدهم على سلطان كل شيء .
 واتبعوا مذهب اهل الجماعة المعروف الذي لم يتخذ لنفسه
 مذهبهم مذهب الجماعة
 وآراء خاصة ، بل رأى ان الدين عرف ، وارتضى بالسنة التي
 والسنة
 توجه الحياة العملية للأفراد قاطبة اتجاهاً موحداً عن طريق
 التعبد والشرع . وبالرغم من انهم على ما يظهر كانوا على طرفي نقيض مع الامويين ،
 فهم في هذا الشأن قد اتخذوا طريق هؤلاء ؛ الا انهم وقفوا بجانب السنة بحزم
 اشد ، واتبعوا بتصميم اقوى الطرق الملتوية التي تعرض الوحدة الدينية
 والسياسية للخطر .

وباعتبارهم وروثة الرسول [عليه السلام] استفادوا ، خيراً
 من الامويين ، من انهم ليسوا اصحاب السلطان الزمني وحده ،
 اسسوا سلطانهم على
 الدين وتبع الزنادقة
 بل الروحي ايضاً اي الإمامة . وبينما اعتمد الامويون على
 القومية ، اقام العباسيون حكمهم على الاحتراس والدين . ويمكن ان توصف
 خلافتهم بانها قيصرية . فقد عينوا مفتشين ، واقاموا التفطيش باديء ذي بدء على
 من دعوا بالزنادقة ممن يلوح انهم كانوا براعم للشيعة الفارسية المتطرفة .
 بل ان الخراسانيين اصبحوا يوماً غير ملائمين للعباسيين .
 وهذا ابو جعفر المنصور يقضي على وصاية ابي مسلم حين لم
 حاولوا القضاء
 على الخراسانيين
 يعد بحاجة اليه ، وكان ابو مسلم بزم اياه العظمى اكبر من
 خصم له ، فقد كان قادراً على ان يتفوق عليه بالدهاء وان يتآمر على قتله . على

ان الخراسانيين ما فتئوا قبل كل شيء ضروريين في الاعمال العسكرية ، بل انهم ،
حتى بعد ذلك ، ما كان ينبغي محوهم تماماً او اقصاؤهم . والمحاولة التي تمت بعد
وفاة هارون في هذا الاتجاه لم تعمل إلا في تأسيس سلطانهم وتوطيده .
ولم يفلح العباسيون في الحصول على الاستقلال فلاحاً اكبر حين
اقتنوا عدداً كبيراً من البربر والكرج والسغد والتوك وجهزوم
ونظموهم ليقابلوا بهم الخراسانيين . والنتيجة الوحيدة التي
حصلوا عليها هي انهم وقعوا تحت طغيان هؤلاء المماليك ، لاسيما الترك منهم ،
فاضحوا في آخر الامر ولاسلطان لهم ابداً ، وتقطعت دولتهم ارباباً ارباباً .
واحتفظ الايرانيون قرناً او قرنين بسيادتهم ، لكنهم لم
يكونوا ليعتمدوا على استمرار تلك السيادة في موطنهم
الاصلي . ففي ما وراء النهر وطخارستان وخراسان لم
يكونوا قادرين على ايقاف تقدم الترك ، ذلك التقدم الذي صده العرب امداداً .
وهكذا اصبح الاتراك انفسهم آخر الامر ورثة الدولة الاسلامية التي تسربوا
اليها وهم مماليك . ولنا معنى اوسع ان نعد منهم المغول ، اولئك الذين لم يصبحوا
بالفعل من اهل بيت الاسلام على الضبط ، بل اجتازوه بعض الشيء كالصاعقة
الماحقة ، فلم يخلفوا فيه من اثر في الواقع اللهم الا ما كان سلبياً .

اغذوا المماليك

فوقوا في قبضتهم

الترك والمغول

يقضون على الخلافة

الدليل العام للكتاب

وينتضمن بترتيب حروف الهجاء أسماء الأعلام

والمواضع والشعوب والمذاهب والمصطلحات

واللغات ذات الدلالة التي وردت في الكتاب

— أ —

أبرقباذ او أبرقباذ ٩٦	أبان بن عقبة بن مويث ١٥٧
أبروز ٢٠٥	أبراج ٣١١ ، ٣٠٥
أبلات ٤٣٦	أبراهيم (عليه السلام) ٢٤
الأبناء ٣٣٦ ، ٣٣٧	أبراهيم من بني مخزوم ٢٨٢
أبناء عمهم ١١٣	أبراهيم بن الاشر ١٦١ ، ١٥٢
أبيورد ٣٤٦ ، ٣٩٠	أبراهيم بن الخطاب المدوي ٤٠٢
أثانين الأجر ٢٢١	أبراهيم بن سلفة ٤٠٠
أترك انظر ترك	أبراهيم بن محمد بن علي ٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
الانتقال ٣٧٢	٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٢
ابن الاثير ٧٣ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٥٧	٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠
١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢٥٩ ، ٤٣٥	أبراهيم بن الوليد المخلوع ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠
الاجارة ٢٠	٣٠١ ، ٣٠٦
الآحام ٢٢١	الأبرش الكلبى ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣
آجام ربي ٢٠٥	٢٩٠ ، ٣٠٣
الاحاديث النبوية ٤٨	أبرشهر ٤٠٢ وانظر نيسابور
الاحباس ٢٢٠	الأبرق ٢٨١
الاحد (يوم) ٢٣	
أحد ٢٢ ، ١٢٦	

الارجاه ٣٦٨ ، ٣٨٦ وانظر مرجئة	الاحزاب ٤ ، ١٦ ، ٥٩ ، ٦٠
ارحاء (جمع رحي) ٣٥٦	أحلاف ١٩ ، ٢٢
اردب ١٧٨	احلام ٣
الأردن ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٩	الاجاء (جمع حمى) ٤١
٣٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠١	أحمد بن حنبل ٤٤٥
الارزاق ١٠٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧	الاحنف بن قيس التميمي ١١٤ ، ١١٦ ، ١٧١
الارستقراطية ٥٦ ، ٧٦ ، ١١٢ ، ٤٤٣	٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢١ ، ٣١٧
الارض ٢٣١	٣٣٠
ارض المشرق ٢٣٣	الاخباريون ٦٧ ، ٧٨
الارضون ٢٣٢ ، ٢٣٤	أخرون ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦
ابن أبي ارطاة ٨٥	اخريد ٣٤٤
الأرقام ١٧٩	اختيد ٣٤٤
أرميا ٢٥٣	الاختل ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦
ارمينية ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤	اخاس ٣٠ ، ١٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١
٣٠٩ ، ٢٩٨	٣٥٨ ، ٣٥٦ ، ٣٤٠ ، ٣١٧
آري ٣٤٤	« أخوه الثاني » ١١٣
الأزارقة ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ وانظر الخواارج	ادارة ١٨٠ ، ٤٤٢
الأزد ١ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٧١	الادباء ٢٨٤
٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥	ادريس بن مقل المجلي ٤٠٥
٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢	الأذان ٢٣ ، ٢٥
٣٢٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤	اذريجان ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٨٨ ، ٢٩٦
٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠	٣٠٩ ، ٢٩٨
٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧	اذرح ٧٥ ، ٣٩٦
٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩	الأذرع ١٩٢
ازدسراة ١٠٨ ، ٣١٨	الاراضي ٥١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥
ازد'عمان ٥٨ ، ٥٩ ، ١٧١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٢	٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٣٦
٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٨	الاراضين ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤
الازرق ٢٨١	الارامون ٣٠٠
لأزقاذ ٩٦ ، ١٩٤	الارباع ٣١٧
الأساورة ٣١٦ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧	اريد ٢٦١

اسماعيل بن عبد الله ٢١٩	اسبانيا ٩٨٢ ، ٢١٨ ، ٤٣٨
اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ٢٣٠	اسهباز ٣٤٤
الاسناد ٢	استيفان ٢٧٨
الاسواق ١١	ابن اسحق ٤ ، ٢١٠ ، ٨٥
ابو الأسود الدؤلي ٨٣ ، ٨٧	اسحق بن الاشعث اخر عبد الرحمن ١٩٠
آسية ٢٧٥ ، ٤٤١	اسحق بن سويد ٣٢٣
آسية الصفري ١٧٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩	أسد بن عبد الله ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ -
أسير انظر أسرى	٤٠٣ - ٤٠١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٦
اشوش ١٣٩	بنو اسرائيل او الاسرائيليون ١٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨
الاشتر انظر مالك الاشتر	أسرى ١٨ ، ٦٠ ، ١٧١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٨ ،
اشتراكية ٤٠٨	٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٧٤ ،
اشتبخن ٣٧٣	٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥
الاشج ٢٠١	الاسطول ٣ :
اشجع ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٢٥٧	الاسكندرون ١٨٤
الأشجمي ١٢٧	الاسكندرية ٢٧٩
اشخند نسف ٣٧٣	اسكيمت ٣٤٦
إشداد بن جريجوز ٣٧٨	اسلام ٥ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٧ - ٣٥ ، ٣٩ ،
الإشراف لللاذري (كتاب) انظر اناب الاشراف	٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٨ -
أشرس بن عبد الله السلمي ٣٦٢ - ٣٦٤ ، ٣٦٧	١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
أشروسنة ٣٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤	١٣١ - ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
٣٧٧	١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
الأشمار ٣	٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،
أشع ١٣١	٢٣٥ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ - ٢٥٣ ،
الأشعث ٧٢ ، ٨٨	٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ،
ابن الاشعث انظر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث	٢٨٣ ، ٣١٠ ، ٣٢٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤
الأشعر ١٢٢	٣٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٤
اشعري ٢٠٣	٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ - ٣٨٥ ،
أشكند ٣٤٤	٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩ - ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢١ ،
اشمونين ٤٣٤	٤٢٣ - ٤٤١ ، ٤٤٧
أشيم بن شقيق البكري ٣٢٢ ، ٣٢٤	اسلم بن زرعة الكلابي ٣٣١

الله جل جلاله ٩ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨
 ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٠
 ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠
 ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ١٠١ ، ١٠٢
 ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٨
 ١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٧
 ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٨
 ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
 ٢٥٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣١٠ ، ٣٣٢
 ٣٤٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤
 ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤٢٣
 ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤١
 الامان ٢٢٣
 المانية الشمالية الغربية ٢٤٥
 الوبة (جمع لواء) ٦٨ ، ٣٢٠ ، ٤١٣
 ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨
 الناس النصيبيني ٩٣ - ١١٤ ، ١٣٧ ، ١٥٠
 ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ٢١٤
 ٣٤٦
 آلبن ٤١٣ - ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٨
 الامام ١٦ ، ١٧ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٣٦٨
 ٤١١
 امام الصلاة ١٤٧
 الامامة ٥٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٤٦
 الامانوس ١٥٣
 الامبراطور ٢١٨ ، ٢٦٠
 الامبراطورية العثمانية ١١
 آمة ٢٨٧
 الامة ٥ ، ٩ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٨
 ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٨٧

الاصبغ بن ذواله ٣٠٨
 الاصبغ ٣٥٥
 اصطخر ١٠٠ ، ٣٠٧
 اصفهان ٧١ ، ١٦١ ، ٣٠٧ ، ٤٢٧
 الاعاجم ٣٠٧ وانظر القرس
 الاعراب ٢٤٣
 اعني همدان ٢٠١
 اعطيات ١٢٦ ، ١٩٠ ، ٢٩٢ وانظر عطاء
 ابو الأعور ٨٢
 الاعباد ٢٣ وانظر مهرجان ونوروز
 الاعباس ١٤١
 الاغاني (كتاب) ٨٤ ، ١٢٢ ، ١٣٠
 ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧
 ١٦٨ ، ٢٦٣ ، ٣٢٨ ، ٤٣٦
 الاعنف ٢٨١ ، ٢٩٠
 افريقية ٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٠٢
 ٢١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 ٢٧٩ ، ٣٢٨ ، ٤٤١
 الافريقيون ٢٤٢
 أفشين ٣٤٤ ، ٣٦٠
 افشين بن كاس ٣٧٣
 أفشيه ٣٦٠
 افينون Akroinus ٢٧٢
 الاقباط ١٧٧
 اقطاعيات ٢٢٢
 افنية انظر قناة
 الآكام ٢٢١
 اكفور ٢٧٣
 آل البيت ٥٦ ، ١١٣ ، ٤٠٨
 آل الرسول عليه السلام ٢٧٠ ، ٣٠٦ ، ٤٠٧

٢١٤ ، ١٣٣ - ١٣١ ، ١٢٧ - ١٢٢	١٧٢ ، ٩٣
الانطاع ٤٣٧	بُتْل ٤٠٣ ، ٣٦٣ ، ٣٤٤
انطاكية ٣٠٥ ، ٢٧٧	اموصيا (النبي) ١٧١
الاقتم ٣٥١	امويون وبنو امية ٤ ، ١ - ٧ ، ٢٤ ، ٣٧
أهل السنة ٣١٠	٣٩ ، ٤٩ ، ٥١ - ٦٢ ، ٧٨ ، ٨١
أهل العالية ٣٤٠ ، ٣١٧	٩٢ - ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١١ -
أهل الكافية ٤٢٠ ، ٤١١	١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ -
اهلواردت ١٥٩	١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ - ١٤٩ ، ١٧٢ -
الاهواز ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ،	١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ،
٣١٠ ، ٣٠٧ ، ٢٥٤	٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ،
الاوثان ٣٤٨	٢٣٤ ، ٢٤٨ - ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،
اوروبه ٢٧٤ ، ٢٧٢	٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ -
الاوزان ٢٠٧	٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ -
الأوس ٣٣٦ ، ٣٦ ، ٢٢ ، ١٣	٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
اوس بن ثعلبة بن زفر البكري ٣٣٣ ، ٣٣٢	٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ -
اوسترازيا ٢٧٣	٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٢ - ٤٢٧ ، ٤٣١ -
اومري ٤٣٨ ، ٤٣٦	٤٣٦ - ٤٤٦
ابن أويس البلوي ٤٤	امية بن عبدالله بن خالد بن أسيد ٣٣٦ - ٣٣٩
اياس بن قتادة التميمي ٣٢٥	أمير الجماعة ١٢٧
أيام العرب ٣١٩	أمير المؤمنين ٣٥
ايتيشوس ١٧٦ ، ١٧٤	اناستازيوس Anastasius ٤٢٧
ايدو Eudo ٢٧٣	الانبار ٨٤ ، ٢٥٤ ، ٤٢٨ ،
ايران ٦١ ، ٨٣ ، ١٠٢ ، ٣١٤ ، ٤٤٦ ،	انباط ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
ايرانيون ٦٠ ، ٦١ ، ١٨٩ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣ ،	الانجيل ٢٣ ، ١٠ ،
٣٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ،	الاندلس ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ ،
٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ - ٣٨١ ،	٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٢ - ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٣٢٨ ،
٣٨٤ ، ٤٢٣ ، ٤٤٧ ، وانظر فرس	أنساب الأشراف للبلاذري (كتاب) ٧٤ ، ١٥٩ ،
ايزيدور الاشبيلي ٦ ، ٨٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ،	١٨١ ، ١٩٠ ،
٢٦١	انصار وانصاري ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٥ - ٣٨ ،
٢٤٣	٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ١١٣ ،

بحدلي ١٤٧
 بحر الخرز ٢٧٢
 المحرب ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠
 بحير بن ورقاء الصريمي ٣٣٥ - ٣٣٧
 البحيرة ٣٥٥
 بخاري ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٧
 ٣٦١ ، ٣٦٣ - ٣٦٧ ، ٣٧٦
 بخاريون ٣٢١ ، ٣٣٩
 بُحْت ٣٤٢
 البخاري بن ابي درهم البكري ٣٦١
 البخراء (قصر) ٢٩٠
 بدخشان ٣٤٢
 بدر (وقفة) ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٨
 ١١٢
 بدر طرخان ٣٧٤
 البدو ٣٦
 البدوي ٢٨
 ابن بديل ٦٨
 البرانسين Paratacene ٣١٤ ، ٣٥٧
 البراحم ٦٣
 براذين انظر برذون
 البربر ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ - ٢٧٦
 ٤٤٧
 برج انظر اراج
 البرد ١٩٠
 البردة ٢٨١
 برذون ٣٣٤ ، ٣٥٢ ، ٣٧٩ وانظر حار
 برقاذ أو ابرقاذ ٩٦
 برمك ٣٧١ ، ٣٧٢
 برمك نوبهار ٣٧١
 بروكلان ١٥٩

ايلباه ٨٥
 الايمان ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٦ ،
 ٦٠ ، ٥٢
 أيوب بن سليمان بن عبد الملك ٢١٥
 الآمين (الجرك) ٢٤٤

— ب —

الباب الحديد ٣٤٦ ، ٣٧٦
 الباب الصغير ١١٤
 باب القفاس ٢٩٨
 الباب المفتوح ٤٥
 البابا ٣٨
 بابل القديمة ٢٥٤ ، ٤٣٥
 البابوية ١٦
 باججيرا ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ١٦٠
 باججيرات ١٥٧
 البادية ١٦٦ ، ١٨٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٠١
 بادغيس ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣
 الباروقان ٣٦١ ، ٣٧١
 باريتسين Paratacene ٣٤٤ ، ٣٥٧
 بازي انظر بوازي
 مالس ٣٤٣
 الباميان ٣٤٣ ، ٣٧٤
 باهلة والبهليون ١٦٥ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،
 ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،
 ٣٦١ ، ٣٥٦
 به انظر عبد الله بن الحارث
 بينجيك ٣٥٩
 بحيلة ٢٦٣ ، ٣٦١
 ابن بحدل انظر حسان بن مالك

بطنان حيب ١٥٤ - ١٥٦
 البطون ٣٣٦ ، ٣٣٧
 بعك ٢٠٣
 بعلبك ١٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٤٣٤
 بعت ٥١
 بغداد ٤ ، ٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥
 البقر ١٨٤ ، ٢٠٥
 ببيع الفرقد ١٢٩ - ١٣١
 البكائي ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨
 بكر بن وائل (بنو) والبكريون ٥٨ ،
 ، ٥٩ ، ٧٠ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ،
 ، ٢٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
 ، ٣٢٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
 ٣٤٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ،
 ٤١٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٥
 ابو بكر الصديق ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٦ ،
 ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ١١٥ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٢
 ابو بكرة ٩٩ ، ١٠٠
 بكير بن ماهان ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ،
 ٤٠٥ ، ٤٠٦
 بكير بن وشاح ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧
 البلاد العربية ٢٥
 البلاذري ٦ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٣ ،
 ١٣٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ،
 ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧٧
 ابو بلال ١٠٥
 بلج (ابن أخي كلثوم) ٢٧٦
 بلحارت ٤٣٤

Braunschweig - لونبيرغ
 ٢٤٥ Lüneburg
 برونو ٣٢١ Brünnow
 البريد ٢٢٠ ، ٣٨٢ ، ٤٤٤
 البريدات ٢٢١
 بريق الهذلي ٤٨
 بزماجن ٣٥٩
 بست ١٩١ ، ١٩٥
 بسر بن أبي ارمطة ٨٤ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
 بسطام بن مصقلة بن هيرة ٢٠٠
 بشر (مكان) ١٧٠
 بشر (نصراني) ٢٦٠
 بشر بن أسيد ١٨٥ ، ١٨٦
 بشر بن جرموز الضبي ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٨٥
 بشر بن مروان ١٦٩ ، ١٨١
 البصرة ٦ ، ٢٨ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧١ ،
 ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٩ ،
 ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
 ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٨١ ،
 ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ،
 ٢٧٠ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٩ ، ٣٥٣ ، ٣٦٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣٨
 البصريون ٦٤ ، ٨٣ ، ١٩٢
 البطارقة انظر بطربك
 البطال ٢٧٢
 بطرس دمشق ٢٨٣
 بطرس البوما Maiuma ٢٨٣
 بطربك ٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٧

٢٥٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٠
 ٢٩٣ ، ٢٧٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٥٧
 ٤٣٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣٠١
 ٤٤٤ ، ٤٤٣
 البيت المقدس ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٣
 بيت النبوة ٤٢١
 بئر زمزم ٢٦٥
 البيريه ٢٧٤
 البيع ٢٦٥
 البيعة ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ ،
 ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،
 ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٣٧٩ ، ٤٠٨ ،
 ٤٢٠ ، ٤٣١ وانظر المباحة
 بيكند ٣٤٦ ، ٣٦٤
 بيلات Pilate ٢٦٢
 البيوت ٤٣
 بيوت النار ٢٢٠ ، ٣٤٨
 بيورد ٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٥

- ت -

تاج ٨٥
 تاجر انظر تجار
 التاريخ ٧
 تاريخ ابن عساكر (كتاب) ٢٣١
 التاليو ١٨
 التبت ٣٣٨
 التبوشكان ٣٨٥
 التجسس ٤٤٤
 التجار ٢٤٤ ، ٣٦٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ،
 التجارة ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٤٣
 التحكيم ٥ ، ٥١ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ٩٠ ، ٧٥

بلغ ٢٧١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ،
 ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٢٤ ،
 البلد ١٦٣ وانظر مكة
 اللقاء ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ ،
 البليخ ١٦٨
 البناء ٢١٤
 بنات قين ١٦٩
 البنادر ٢٢١
 بهر امسيس ٣٧٨
 بهلول بن بشر الخارجي ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،
 بواتيه ٢٧٣
 بوازي ٢٨٥
 بوخولز ٢٠
 بوشخ ٣٣٠
 بوصير ٤٣٤
 البوق ٢٣
 بومة أينية ١٧٧
 بونيفاسيوس ٢٤٢
 بوب ٦٤
 يازكت ٣٥٩
 الياسان ٣٥٥
 الياضر ٤٠٠
 بيان ٢٦٣
 البيت (الكعبة) ١٢١
 البيت الحرام ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 بيت المال ١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ،
 ٥١ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ،

التهدد ١٠	مخارستان انظر طخارستان
التوحيد ١٠	تدمر ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠
تور (بلدة فرنسية) ٢٧٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣	٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٤٣٩
التوراة ٢١٥ ، ١٣٨ ، ٢٣ ، ١٠	التدمريون ٢٩٠
تورسك ٣٤٥	ترانسدكتين Transductine ٢٧٤
توما ٢٤٢	ترسل ٣٤٥
بومشكت ٣٤٦	ترك ، اترك ١٨٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦
تيهنا ٨٤	٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨
تيوفان ٦٥ ، ٨٣ ، ٦٩ ، ١١١ ، ١٤٧ ، ١٥٠	٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩
١٥٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٨	٣٥١ ، ٣٥٨ - ٣٦٤ ، ٣٦٧
٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣	٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ -
٢٩٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣١١	٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩١
٣١٢ ، ٤٣٨ ، ٤٣٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢١	٤٤٧ ، ٣٩٣
٤٣٩	تركيا ٢٩٢
	الترمذ ٢٠٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ - ٣٤٦
	٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٢٤
	تستر ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧
	التشريع ٢١
ثابت بن قطبة اخو الحرث ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٩٢	تغلب ١٤٨ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦
ثابت قطنة الازدي ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٦٣	تكريت ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٩٤
٣٦٤	تيم ، تيميون ٥٨ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ١٠٠ ، ١٠٤
ثابت بن نعيم الجنامي ٢٩٨ - ٣٠٣ ، ٣٠٥	١٠٦ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٤ ، ٢٥٢
التار ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ١١١	٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٣١٦ - ٣٣٦
١٣٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١	٣٤٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ - ٣٥٧
٢٥٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٢٤	٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦
٣٢٧ ، ٣٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٤٠٣	٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٠١
٤٠٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧	٤٠٣ ، ٤٢٦
الثرثار ١٦٨	التناسخ ٥٧
الط انظر موسى بن عبدالله بن خازم	تنوخ ١٤٨
نفر ، نفور ٢٨ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٩٢	تنور ٢٦٢
٣٦١ ، ٣٤٧	
النمران ٣٤٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٩	

— ث —

جبنوية الخمر لُخمي ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٣٦٩
 جبل رضوى ٣٩٧
 جبل النراة ٧٥
 حل طارق ٢٧٤ ، ١٨١
 جلة بن زحر ٢٠٢
 جلة بن مسروق ٨٢
 جول ٢٦٣
 الجحاف بن حكيم السلمي ١٧٠
 جديع الكرماني ٣٧٠ ، ٣٨٣ ، ٤١٩
 جذامة ٤٣٣
 الجراح بن سنان الأسدي ٨٩
 الجراح بن عبد الله الحكمي ٢١٨ ، ٢١٩
 ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٢٥٦
 حراية . جرايات ٨٠٨ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٣
 ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ١٢٠
 ٣٩٣ و انظر رزق
 جرجان ٢١٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٤١١ ، ٤٢٦
 جرير الشاعر ٦٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٥٧
 ٣٢٥
 جرير بن سعد بن قيس ٢٠٠
 جرديل ٤٣٨
 جزيرة ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ -
 ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ - ٢٣٨
 ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩
 ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٨ -
 ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ -
 ٣٨١ ، ٣٩٣
 الجزيرة ٢٧ ، ٦٥ ، ٨٧ ، ١٣٩ ، ١٥١
 ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠
 ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨

نقل انظر انقال
 تقيف ، تقيون ١١١ ، ٥٩ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٠
 ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٦٧
 نمود ٢٠١
 نور بن معن السلمي القيسي ١٤١
 نوزة ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٢٥ ، ١٢٧
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢
 ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧
 ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٧
 ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩
 ٣٩٥ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٢٠ ، ٤٢٩
 ٤٤٠ ، ٤٤٥
 الثياب ٤٤٣

— ج —

جابلق ٤٢٧
 الجاية ١٤١ - ١٤٩
 الجاحظ ١٩٩
 جارية بن قدامة ٣١٨ ، ٨٤
 جاسوس ٣٣٨
 جامع (مسجد) ٨٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٤٠
 ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٣٧٨
 ٤٣١
 جامعة ١٢٣
 الجاهلية ١٠١ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ٣١٦
 الجبال ٣٠٧
 حال البيرة ٢٧٢
 الجاية ٢٧٩
 الجبر ٣٠١
 جبري ١٠ ، ٣٠٠

جہاد ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ١٧٦ ،
 ١٧٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٣٣٦ ،
 ٣٩٤ ، ٢٣٧
 ابو الجہم ٤٣٠ ، ٤٣٢
 جہم بن صفوان ٣٦٨ ، ٣٨٤
 الجواز ١٨
 جوارى ٢٨٥ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤
 الجواهر ٣٢٠
 الجوخة ١٨٨
 جوخي ٧١
 الجوزجان ٣٤٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧
 جوزستان ٣٤٣
 جوستنيان الثاني ١٧٦ ، ١٧٧
 الجولان ١٤٧
 جيبون Gibbon ٢٧٣
 حيرنج ٤١٤
 حيرون ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥
 جيش ١٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٤٠ ،
 ١٤٩ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ ، ٣٤٠ ،
 ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣٥٢ ، ٣٩١ وانظر جند
 جيش الطواريس ١٩٠ ، ٢٠٠
 جيهو ٤٣٧ ، ٤٣٨

— ح —

الحارث بن سريج ٣٥٦ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ،
 ٣٦٨ - ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤
 ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٣١ ، ٤٢٤
 الحارث بن خالد المخزومي ١٢٣
 الحارث بن عباد ٣٦١
 الحارثة (بنو) ١٢٨

٢٥٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ،
 الجزيرة العربية ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣١٣ ، ٣٩٦ ،
 جسر ١٨٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣٤٤ ، ٤٣٣ ،
 جسر النهروان ٧١
 الجسانية ٨٥ ، ١٧٤
 الجعد بن درهم ٢٩٦
 جعفر [بن ابي طال] ٣٠٦
 ابو جعفر المنصور العباسي ٨٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٧٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٦
 جعل ٨٣
 الجفاف ١٥٤
 الجفريه ١٠٥ - ١٥٦
 الجلاذ ٤٤٤
 الجملحة ٨٥ ، ١١٠ ، ١٧٤
 جلتج ٣٥٩
 جلندة ٣١٤
 الجلود ٣٤٤
 جولولا ٤٢٨
 الجماعة ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٤٥ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 ١١٩ ، ١٦٩ ، ٢٠٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ،
 ٤٠٨ ، ٤٤٦
 الجمل ٧ ، ٤٧ ، ٤٩
 الجمهورية ١٥
 ابو جناب الكافي ٧٦
 الجنة ٢٧ ، ٥٥
 الجند ٤٠ ، ٤١ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٣٨ وانظر
 الجيش
 الجنيد بن عبد الرحمن المري ٣٦٤ - ٤٠٣

حجر بن عدي ٤ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،	الحارث بن بدر ١٠٦ ، ٢٢٤ ،
٣٦٢ ، ٣٣١	الحاسب ٩٩
الحدود ٥٣	حاشية ١٨٠ ، ١٨١ ، ٣٩٣ ، ٤٤٣ ،
الحديث النبوي انظر الاحاديث	حامو العصا ١٥٧
ابن حديج ٨٢	حامية ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٦٧ ،
حذاء ١٢٥	٣٧٢ ، ٣٧١ ، ٢٩٣
ابن أبي حذيفة ٨١	الحائرة ٤٢٨
حذيفة ابن أخت معاوية ٨٠	حباية ٢٦٠
حذيفة المدائني ٧٠	ابن حبان البستي ٢١
الحر (الامير) ٢٧٢	الحبس ٢٥٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، وانظر مسجن
الحرثون ٣٦٠ وانظر الفلاحون	حبس (وقف) ٢٣٣ وانظر احباس
الحراس انظر الحرس	الحبشة ١٨١
حران ١٣٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،	ابن حبيب ١٦٨ - ١٦٩
٤٢٩ ، ٤٣٢ - ٤٣٤	حبيب بن المهلب ٣٤٢
الحرانيون ٤٣٣	حج ٦ ، ٢٣ ، ٤٦ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٧٤ ،
الحرب ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ،	٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٢٥ ،
حرب بن عثمان ٤٠٢	الحجاج ٩٤ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٨ ،
الحرث (وقعة) ٣٧ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،	١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
حزب انظر احزاب	٢١٤ - ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ - ٢٣٠ ،
حرز ٣٥٢	٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ،
الحرس ٢٨٩ ، ٣٢١ ، ٤٣٥ ،	٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ - ٢٦٧ ،
حرسى ٢٥٩	٢٨٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٩ - ٣٤١ ،
الحرسى ٢٥٨	٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،
ابن الحرسى ٣٠٩	٣٦٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٣٥ ،
حرم مكة ١٢٢	الحجاج بن يزيد الثاني ٢٥١
حروراء ٧٠ ، ٧٢ ، ٥٠ ،	الحجاز ٨٤ ، ٩٨ ، ١١٦ - ١١٨ ، ١٢٦ ،
الحرورية ٧٠ ، ٧١ ، ٣٢١ ،	١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ - ١٦٤ ،
الحرب بن قطبة ٣٣٨ ، ٣٩٢ ،	٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٤٣٩ ،
الحرر ٣٤٤	حجة الوداع ٢٥
الحريش بن عامر ٣٥٩	الحجر المقدس ٢٣ ، ١٣٥ ،

الحق الالهي ٥٤	حريش بن هلال القريني ٣٣٤
حَكَم ٥٠	الحسابات ١٧٨ ، ١٧٩
الحكم بن ايوب الثقفي ٢٣٠	حسان بن مالك بن بحدل ١٣٩ - ١٤٤
الحكم بن عمرو الفغاري ٣٣٠ ، ٣٣١	١٤٦ - ١٤٩ ، ١٧٣
حكم الدين ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٥	حسان النبطي ٢٠٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧
٤٦ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ١٠٧ ، ١٣٣ ، ٢٢٨	الحسن البصري ٥٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٣
٣٩٤ ، ٤٤٥ وانظر حكم الله	٣٢٣
حكم الله ١٥ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠	ابو الحسن الخراساني ٣٣٣
٢٠٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣	الحسن بن علي بن ابي طالب ٥١ ، ٨٧ - ٩٣
٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧	الحسن بن قحطبة ٤٢٦ - ٤٢٩ ، ٤٣٥
٤٢٣ وانظر حكم الدين	الحسينون ٤٢١
الحكم المقدس ١٦	الحسين بن علي بن ابي طالب ٤ ، ٨٩ ، ١١٦
حلب ٢٥٦	١١٩ - ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٣
حلة ٢٤٣ ، ٢٤٤	١٣٧ ، ٣١٩
حلف انظر أحلاف	الحسين فيروز ٣٣٠
حلم انظر احلام	الحسين بن مالك ٣٣٠
حلوان ٤٢٨	حش كوكب ٤٥
حار ٨١ ، ٨٢ ، ٢٨٩ ، ٤٠٣ و انظر برذون	حشاك ١٦٨
الحماسة لابي تمام كتاب ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٦٦	حصن وحصون ٣٥٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩
حام اعين ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١	حصن التبوشكان ٣٧٢
حمامة ١٢٢	الحسين بن نعيم التميمي الكوفي ١٢٩
حجر انظر حجار	الحسين بن نعيم السكوني ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩
حجران بن ابان ٩٨	١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥١
حص ١١٠ - ١١٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤	١٥٢
١٥١ ، ١٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣	حصي ١٨٦
٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠١	حضر موت ٣١٣
٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣٧٣ ، ٤٢٩	ابن الحضرمي ٨٤ ، ٣١٨
٤٣٣ ، ٤٣٩	حُضَيْن بن منذر البكري ٣٥١
حَمِي ٤١	الحطيمة ١١٥
حميد بن حريش بن بحدل الكلبي ١٦٦ - ١٧٠	حفص بن سليمان (مولى السبيع) ٤٠٦

خالد بن جرير بن عبد الله القسري ٢٠٤
 خالد بن عبد الله القسري ١٧٥ ، ٢١٠ ،
 ٢٧٥ ، ٢٦٨ - ٢٦٢ ، ٢٥٨ ، ٢١١
 ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧
 ٣٧٥ ، ٣٧٠ ، ٣٦١ ، ٣٠٨ ، ٢٩٠
 ٤٠٥
 خالد بن يزيد بن معاوية ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ،
 ١٨١ ، ١٦٩
 خائقين ٤٢٨
 الخبثات ٣٣٠
 الختان ٣٦٣ ، ٣٥٨
 الخنثى ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٢
 الخنثان ٣٤٣
 خنم ٨٠
 خجندة ٣٥٩ - ٣٦١
 خداس ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩
 الخدم ٤١٤
 خذاه ٣٤٦
 وخرابرة ٣٧٣
 خراج ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٧٢ ، ١٣٨ ،
 ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ،
 - ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦٢ ، ٣٧٨ - ٣٨١ ، ٤٠٢
 خراسان ٦ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ،
 ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ،
 ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،
 ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ٢٥٢

الحميمة ٣٩٦ ، ٤٠٩ ، ٤٣٠ ،
 حنا انظر يوحنا
 حنش Hanash ٦٥
 حنظلة (بنو) ٣٢٤
 حنظلة النسيب ١٢٦
 ابن حنظلة الانصاري ١٢٦ - ١٢٧
 ابن الحنفية انظر محمد بن الحنفية
 حوارين ١٣٧ ، ١٣٨
 حوثة بن سهيل الباهلي ٤٢٨ ، ٤٢٩
 حوران ٨١
 الحوليات ٤ ، ٦
 حيان المطار (خال ابراهيم بن مسلمة) ٤٠٠
 حيان النبطي الفارسي ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ،
 ٣٩٢
 الحيرة ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ،
 ٣٠٥ - ٣٠٨ ، ٤٣٨

- خ -

الخابور ١٦٧ ، ١٦٨
 الخاتم ٩٦ ، ٢٦١ ، ٢٨١
 الخازر ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٧
 ابن خازم انظر عبد الله بن خازم
 خازم بن خزيمه التميمي ٤١٣ ، ٤٢٥
 خاصة السلطان ٣٢١
 الخاقان ٣٤٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ -
 ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨
 خالد بن ابراهيم الككري ابو داود ٤٠٣ ،
 ٤١٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦
 خالد بن أسيد ١٨١ ، ١٨٥
 خالد بن برمك البلخي الفارسي ٤٢٥

الخطباء ١١٠	٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤
الخطبة البتراء ١٠١	٣١٤ ، ٢٩٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٧٧
خطبة الجبل ١٠	٣٩٠ ، ٣٨٩ - ٣٢٧ ، ٣١٧ ، ٣١٦
خطبة نبة ٣٩٩ ، ٤٠٠	٤١٣ - ٣٩٩ ، ٣٩٦ - ٣٩٤ ، ٣٩١
خفاف ٣٠٤ ، ٣١١	٤٤٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٢ ، ٤٢٦ - ٤٢١
حلافية : ٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١	الحراسانيرن ٦١ ، ٢٤١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،
٨٥ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٥٩	٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٢٨
١١٨ ، ١١٠ ، ٩٣ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٦	٤٣٦ - ٤٢٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٣ ، ٤٠٩
١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢١	٤٤٧ - ٤٤٦ ، ٤٤٢ - ٤٤٠
١٦٤ ، ١٥٥ ، ١٤٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧	ابو خراش ٤٨
١٨٠ ، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٦٧	خراش بن جابر المعجلي ٢٣٠
٢٤١ ، ٢١٥ ، ٢١٠ ، ١٨٥ ، ١٨٢	الخرافات ٢٠٨
٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٠	خربيتا ٧٨
٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٢	الخرنوخ ٣٧٣
٣٥٣ ، ٣٠٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٠	الخرمبية (الاباحية) ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨
٤٣٥ ، ٤٠٨ ، ٣٩٦ ، ٣٨٦ ، ٣٧٠	خربيا ١٩٢
٤٤٦ ، ٤٤٤ ، ٤٣٩	الخرت بن راشد الناجي ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٣
خلق القرآن ٢٩٦	خریطه ٣ : ٦
خلم ٣٤٣	خزاعة و خزاعيون ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ،
الخليفة ٦ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ - ٥٠	٤١٧
٧٧ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٥	خزاة الممد ٩٥
١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٨٧ ، ٧٨	الخرز ٣٥٤
١٢٣ ، ١١٧ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١٠٩	الخرزج ١٣ ، ٢٢ ، ٣٦
١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣١ ، ١٢٨ -	الحشب ٣٦٠
١٦٣ ، ١٥٧ ، ١٤٧ ، ١٤٢ ، ١٤١	خشبية ٣٩٩ ، ٤٢٣
١٨٠ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧١	خشوارغ ٣٣٨ ، ٣٧٢
٢١٠ ، ٢٠٩ ، ١٩١ ، ١٨٥ -	الخصراء ٢٩١ ، ٢٩٣
٢٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢١٩ - ٢١٣	ابو الخطاب ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٩
٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ - ٢٥٠	الخطب ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٩ ، ٢٨٩ ،
٢٧٤ ، ٢٧١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٢	٤٣١ ، ٣٥٣

الدولة الرومانية ١٠٨	الدعاء ٤٠٥
الدولة الساسانية ٣٤٤	الدعاء ٤٠١ - ٤٠٦
الدولة العربية ٤ ، ٥ ، ٩ ، ٦١	الدعوة ٩ ، ١٤٦ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٦
دوما ٤٣٠	٤١٠ ، ٤١١
دومة الجندل ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ٩٦	الدانا ٧٨
الدير ١٥٨	دمشق ٥١ ، ٥٣ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ١٠١
دير الجناقة ١٥٨ ، ١٦٢	١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٨ - ١٢٤ ، ١٢٦
دير الجاجلة ١٩٣	١٣٧ - ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٨
دير الجماجم ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢	١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ - ١٨٣ ، ٢١٧
٢٣٥	٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٦
دير قرة ١٩٣	- ٢٧١ ، ٢٨٢ - ٢٩٣ ، ٢٩٩ -
دير هندية ٣٠	٣٠٥ ، ٣٧٣ ، ٤٠٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٣
دير يزيد ٢٣٥	٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣
دي غوية ٩١ ، ١٥٢	الدمشقيون ٢٩٠
دي فوغي de Vogüe ١٧٤	ديبا ٤٢٨
ديلم ٢٥٣	الدنانير ١٧٧
الدينوري ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٠	الدهاقنة ، الدهاقين ٣٠ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ،
٤٢٢	٢٤٥ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩
الديوان (بمعنى مركز العمل الحكومي) ٣٢ ،	٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩١
٩٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٤	دهستان ٣٥٥
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٨٤ ، ٣١١	دهقان هراة ٣٧٥
٣١٩ ، ٣٩٣	دهلك (قرب مساوة) ٢٨٣
ديوان الخراج ٢١٣	الدوردون ٢٧٣
ديوان المطاء ٢٢٧	دورق ٣٣٥
دية ١٨ ، ١٩ ، ١٦٩	دورين ٣٠٤
دية المشمرة ٣٢٤	دوزي ١٢٩ - ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ - ١٦٩
الدين الاسلامي انظر الاسلام	١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٤٥
الدين النصراني انظر النصرانية	الدوس ٣١٨
الدين اليهودي انظر اليهودية	دولة ١٠ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٤١ ، ١٧٣
	٢٤٨ ، ٤٤٠

- ذ -

الذراع الهاشمية ٢٢٠

الذكوانية ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١١

ذمة ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٣٥٨

الذميون ٢٤٤

الذهب ١٧٧

- ر -

راهرمز ٧٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧

الراوندية ٤٠٨ ، ٤٤٦

راية ٣٦٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٤

وانظر الوبة

رامينته ٣٤٦

الربا ٢٤٣

رباب (قبيلة) ٣١٦ ، ٣٢٤

الربانيون ٣٧٩

الربض ٢٨٩

ربيع انظر ازراع

الربيع بن زياد الحارثي ٣٣١

ربيعة (بنو) وربيعون ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٩

١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ٢٠٤

٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣١٨

٣٢٣ - ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠

٣٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٦١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٢

٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٥

٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥

زنبيل ١٨٩

رجاء بن حيوة الكندي ١٧٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦

رحوب (موضع) ١٧٠

رداء ١٢٥

الردة ٩٤ ، ١٣٢

رزق انظر ارزاق وعطاء

رستقباد ١٨٧ ، ١٩٢

الرسال ١٢ ، ٥٧

الرسول عليه السلام انظر محمد بن عبد الله

الرُصافة ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ -

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٤٣٧

رضوى (جبل) ٣٩٧

رعية ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣

الرقية ٦٥ ، ٢٦١ ، ٣١١

الرقوق ٢٣١

الركوع ١٠

رئح ٩ ، ١٣٥

رمضان ٢٣

الريثة ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤

الرها ١١١

الرواة ٧

روب ٣٤٥

ابو رؤنة ٢٥٥

روح بن زناع ١٧٣ ، ٤٣٣

رودريك ٢٧٤

الروضة ٤٣٤

الروم ٦ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٩٤

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٣٧

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨١ -

١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢٣٢ ، ٢٧١ - ٢٧٤

٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣١٣

الزكاة ٢٥ ، ٣٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٢٧
 الزلازل ٥ ، ١١١ ، ٢٤١
 زمزم ٢٦٥
 ابو زناد ٢١٩ ، ٢٧٧
 الزنادقة ٤٠٨ ، ٤٢٣ ، ٤٤٦
 زُنبُل السجستاني الكابلي ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٥
 - ١٩٧ ، ٢١٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٣
 ٣٤٧
 الرندقة ٢٦٠
 زككييل ١٨٩
 الزهري (المحدث) ٧٥ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩٠ -
 ٩٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ٢٧٧
 زهير بن ذؤيب العدوي ٣٣٤
 الزوارق ٣٤٤
 زياد ابن ابيه ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٩ -
 ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٨ - ١٨٠
 ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٦٢
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٩٤
 ٤٢٤
 زياد الأعمجم ٣:٧
 زياد (بن زياد) ١٥٤
 زياد بن عبد الرحمن الفشيري ٤٢٤
 زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية السفياني ابو محمد
 ٢٨٨
 زياد بن عمرو العتكي ٣٢٤ ، ٣٢٥
 زياد ابو محمد ٤٠٢
 زيرا ٣٢٣
 زيزاء ٢٨١
 زيد بن علي بن الحسين الماوي ٢٦٩ - ٢٧١ ،
 ٢٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٩٧

رومانيا ٢٧٢
 روبخان روب ٣٤٥
 الري ٧١ ، ٨٣ ، ٢٦٥ ، ٣٤٣ ، ٣٩٠ ،
 ٤٢٧
 الري (السقي) ٢٠٥
 ريسكي Reiske ٢٧

— ز —

الزاب الاكبر ٤٣٢ ، ٤٣٣
 زابل ١٨٩
 زابي ٢٠٥
 زادان فروخ بن يري ١٧٨ ، ١٩١
 زاغول ٣٤٠
 الراوية ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٨
 زائدة بن قدامة الثقفي ١٦٢
 ابن الزبير انظر عبد الله بن الزبير
 الزبير بن بكار ١٥٩
 الزبير بن العوام ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ - ٤٩
 ٢٢٢ ، ٣٢٥
 الزرادشتية ٢٢٨ ، ٢٩١ وانظر المجوس
 الزراعة ١٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٦٥ ،
 ٤٤٣
 زومان ٣٦٥
 زرفشان ٣٤٣ ، ٣٥٩
 زرنج ١٩١ ، ١٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١
 الزرط المنود ٣١٦
 زفر بن الحارث الكلاني ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ،
 ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ - ١٥٧
 ١٦٥ - ١٦٨ ، ١٧٢ ، ٢٥٨ ، ٤٣٩

السختياني (الوزير) ٢٦٣	الزبيدية ٣٠٦
سدّ ٢٠٥ ، ١٢٧	
السراة ٣١٨	
سرادق ٩٠ ، ٨٩	
سراويل ٣٩٠ ، ٣٥٩	
سرايا ٢٠٢	
سربال ٤٤	
السرجان ٤٢٤	
سرجون بن منصور النهراني الرومي ١٧٩ ، ١١١	
ابن أبي سرح ٨٠ ، ٧٨ ، ٤٢	
سرخس ٤٢٥ ، ٣٩٠ ، ٣٨٨ ، ٣٤٦ ، ٣١٤	
سرغاب ٣٤٣	
سرقسطة ٢٧٤	
سروال انظر سراويل	
سرية انظر سرايا	
سمد (بنو) ٣٣٧ ، ٣٢٤	
سمد تخيم ٣٣٦	
سمد بن عجل بن لجيم (بنو) ٢٣٠	
سمد بن أبي وقاص ٧٦ ، ٣٩	
سميد ٤٢	
سميد بن بهدل ٣٠٩	
سميد خذينه ٣٥٨	
سميد (بن سميد) ١٥٤	
سميد بن عثمان ٣٣٩	
سميد بن عمرو الحرشي القيسي ٣٥٩ ، ٢٥٧	
٣٦٠	
سميد بن مالك بن بحدل الكافي ١٣٩	
سميد بن المسيب ٥٢	
سميد بن هشام ٣٠٤	
سميد الهمداني ٢٠١	
	ساباط ٨٩
	سابور ١٩٥
	السارق ٩٩
	الساسانيون ٣٩١ ، ٣٦٣ ، ١١٥
	سالم الاعين ٤٠١
	ساوه ٤٢٧
	ابن سبأ انظر عبد الله بن سبأ
	سبائية ٣٩٩ - ٣٩٦ ، ٢٠٠ ، ٥٧ ، ٥٦
	السباخ ٢٢١
	سباحت الكليكية اوسبستبوايس ١٧٧ ، ١٧٦
	السبالية ٤٣١
	السبت ٢٣
	سبت ٢٧٦
	سبل ٣٤٤
	سَبَل الختل ٣٣٩
	السيبع ٤٠٦
	سجستان ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ - ١٩٥
	٢٩٤ ، ٢١٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٧
	٣٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٤ - ٣٢٩ ، ٣١٤
	٣٤٧ ، ٣٤٣
	السجن ٢٩١ ، ٢٨٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٨٠
	٣٣٧ ، ٣٢٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٠
	٣٤٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٤٣٣ وانظر حبس
	سجن عازم ١٢٣
	السجناه ٢٩٣
	الصحرة ٢٦٣

— س —

السلم ١٩	السُفد ٢٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧
سام بن اخوز التميمي ٤١٥	٣٥٧ - ٣٦٣ ، ٣٦٦ - ٣٦٨ ، ٣٧٣
سلم بن زياد ١٣٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩	٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١
سلم بن قتيبة الباهلي ٤٢٩	٣٩٣ ، ٤٢٥ ، ٤٤٧
ابو سلفة (وزير آل محمد) ٤٠٦ ، ٤٢٩ - ٤٣٢	السفديان ٣٤٣
سلف بن ذؤيب التميمي ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣	سفديانا ٣٤٤
بنو سلمى ٤٠١	سفراء ٢٧٥
سليم ١٤٨ ، ١٦٥ - ١٧٠ ، ٣٣٠ ، ٣٥٢	سفيان بن الأبرد الكلابي ١٩٢ ، ١٩٤
سليم بن كيسان ٢٨٧	سفن ٤٢ ، ٢٥٨
سليمان بن حبيب ٣٠٧	ابو سفيان ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ١٠٠ ، ١٠١
سليمان بن سعد ١٧٩	١٣١
سليمان بن سليم الكلابي ٢٩٣	سفيان بن عوف ٨٤
سليمان بن صرد ١٥١	سفيان (بنو) والسفيانيون ٩٤ ، ١٣٣ ،
سليمان بن عبد الملك بن مروان ٤ ، ٢٠٩ -	١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٨٠ ، ٢٥١
٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨	٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٤٣٩
٢٦٢ ، ٣٠٧ ، ٣٤٩ - ٣٥٤ ، ٣٥١	سفيان بن معاوية المهدي ٤٢٩
٣٥٦	سفير انظر سفراء
سليمان بن علي ٤٣٠ ، ٤٣٨	السفينة انظر سفن
سليمان بن كثير ٤٠٣ - ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤	السقادم ٤١٣ ، ٤١٤
٤١٧ ، ٤٣٢	سكاسك ١٤١
سليمان بن مجالد ٣٣٣	سكة البريد ٣٨٢
سليمان بن مرشد البكري ٣٣٢	سكسك ١٤٨ ، ٣٠٤
سليمان بن هشام ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨	السكسكي ٣٠٤
٢٩١ ، ٢٩٩ - ٣٠٤ ، ٣١١ - ٣١٤	سككون ١٤١ ، ١٤٨
٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٣٨	سكينة بنت حفيد الرسول عليه السلام ١٣١
الساوقيون ١١٣	السلالة الأموية ٢٥٠
السايمبون ١٦٧	سلام ١٩
سجال ٢٨٨	سلامة ٢٦٠
الساواة ١٦٧ ، ١٦٩	سلسلة ١٢١
سبح بن مالك الخولاني ٢١٩ ، ٢٤٨ ، ٢٧٢	السلطان ٤٠ - ٤١

السيابجة ٣١٦
 السباط ٣٥٤
 سييغت ٢٠١
 سيجون ٣٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ،
 ٣٧٧
 ابن سيد الناس ٢١
 السيرة ٤٠٥ ، ٢١ ، ٥
 سيف بن عمر (الراوية) ٦٧ ، ٦٣ ، ٧ ،
 ٣٩٩ ، ٢٧٥ ، ٦٨
 سيف بن عمران السبابة ٣٩٦
 سيكدنج ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،
 سينا ٣٤٤

- ش -

الشادروانات ٢٢١
 شارل مارتل ٢٧٣
 الشاش ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
 شاكرية ٣٩٢
 الشام ٤ ، ٦ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٩ ،
 ٨٤ - ٨٦ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٨ -
 ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ،
 ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،
 ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
 ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ،
 - ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ،
 - ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥

شمرة بن جندب الفزازي ١٠٥
 سرقند ٢٣٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦٢ - ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،
 ٣٨٤
 سمكة ٣٨٧
 السهودي ١٢٨
 سية ٩٩
 ابن سية ١٠٠
 السبيدع ٢٥٦ ، ٢٥٥
 السنة ٣٣ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ،
 ٢٢٩ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٣٢٣ ، ٤٢٠ ،
 ٤٤٥ ، ٤٤٦
 السند ٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣٣٧ ، ٤٠١ ،
 سهرب ٣٤٥
 سرك ٣٤٥
 السواد (قطر) ٣١ ، ٨٧ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦
 السواد (شمار) ٤٤٠
 سورة بن الحر التميمي ٣٦٥
 سورية ٥ ، ٦ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ،
 ١١٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٢٩٩ ، وانظر
 الشام
 السوربون ٥٠ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 سوس ١٩٥
 سوق ٣٥٤ ، ٣٧٢ ، ٣٩٠ ، وانظر اسواق
 صوط انظر سباط
 سوق الابل ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
 سولون ٢٥
 سويات ٣٧٢

الشهرستاني ٣٩٨	٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٠ ، ٣١٣ - ٢٩٧
شهيد انظر شهداء	٣٨٦ ، ٣٨٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٠ ، ٣٥١
الثوري ٩٦ ، ٧٧ ، ٣٧	٤٣١ ، ٤٢٩ ، ٤٢٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥
شومان ٣٤٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢	٤٣٢ ، ٤٣٥ - ٤٤٠ وانظر سوزية
الشياطين السود ٤٢١	٤٢١ ، ٣٧٣ ، ٣٥٥ ، ١٩٧ الشاميون
شيبان (بنو) ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧	٤٤٤ ، ٣٤٤ شاه
شيبان بن سلمة الخروزي ٣٩٤ ، ٣٨٨ ، ٣١٤	١٣٩ ، ١٥ شاول
٤٢٥ ، ٤١٨	٧٢ ، ٧٠ ربي الرياحي
شيبان بن عبد العزيز ابو داف اليشكري ٣١٢	١٩٢ ، ١٨٨ - ١٨٧ ، ٤ شيب بن يزيد
٣١٤	٣٠٩ ، ٢٠٢
شير ٣٤٤	٣٧٣ ، ٣٤٥ (موضع) الشذ
الشيعة ٢ ، ٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ - ٦٢ ، ١٥١ ، ١٢٠ ، ١٠٥ - ١٠٢ ، ٩٨	الشرارة ٣٩٦
٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٥٠ ، ١٨٥ ، ١٥٢	الشرطه ١٠٦ ، ١٠٥ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٥٨
٣٨٩ ، ٣١٦ ، ٣١٣ ، ٣٠٦ ، ٢٦٩	٣٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٢١ ، ٣٠٥ ، ٢٧٥
٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٣٩٩ - ٣٩٦	٣٧٣ ، ٣٥٧
٤٢٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢١ ، ٤١٤ ، ٤١١	شرع ١٥
٤٤٦ ، ٤٤١ ، ٤٣١	شوقي الأزدن ٢٩٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٦١
	شريع بن هاني الحارثي ٧٥
	ابن شريك ١٠٥
	شريك بن الأعرر الحارثي ١٠٥
	الشعائر ٢٧ ، ٢٥
	الشعي انظر عامر الشعبي
	الشمر ٢٨٩ ، ٢٨٠
	الشمر ٢٨٤ ، ٥٩
	شمر ١٢٩
	شماس بن دثار المطاردي ٣٣٤
	شنيليه Schnelle ٢٠
	الشهداء ٣٩٥ ، ٢٤٢ ، ١٠٧ ، ١٠٣
	الشهر الحرام ٦٧
	شهرزور ٤٣٢ ، ٣٠٩

ذ ص -

الصائبون ١٩١ ، ١٠
صاحب صلة ايزيدور ٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ؛ ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ، ٤٢١ وانظر
ايزيدور
صاحب الخراج ٢١٩
الصاعقة ٢٠٨
الصابية ٢٣٣ ، ٢٣٥ وانظر صوافي
صالح بن طريف الضبي انظر ابو الصيداء
صالح بن عبد الرحمن ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٣

ابو الصيغاء الضبي ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٩٠
 العين ٣:٧
 ضبة والضيون ٣٢٢ ، ٣٥١
 الضحاك بن قيس القهري ٨٤ ، ١٠٧ ، ١١٦ ،
 ١١٨ ، ١٤٠ - ١٤٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩
 - ٣١١
 الضراب ٣٠ - ٣٣ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،
 - ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ - ٢٤٨ ، ٢٦٦ ،
 ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٨ - ٣٨٠ ،
 ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤٤٢
 ضرير ١٨٤
 ضرغام ٣٤٢ ، ٣٤٣
 الضياع ١٨٣

— ط —

طالقان ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥
 طارق بن عمرو ١٦٣
 الطائف ١١ ، ٩٤ - ٩٦ ، ١٢٧ ، ١٦٣
 طبرستان ٢١٣ ، ٣٥٥
 الطبري ١ ، ٦ ، ٧ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ،
 ٧٤ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٣ ،
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ،
 ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧

صالح بن علي بن عبدالله بن عباس ٤٣٠ ، ٤٣٤ ،
 صامويل ١٥
 صابرة بن شيان الحداني ١٠٤ ، ٣١٨ ،
 الصحابة ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٩٧ ،
 ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٢٦٣
 صحيفة ١١٩
 الصدقات ٧٣
 صهبة بن حرب ٣٣٧
 الصفان ٣٤٣
 صفان خذاه ٣٤٣ ، ٣٧٣ ،
 الصفانيان ٣٤٣ ، ٣٦٦ ،
 الصدق انظر الصد
 صدين ١ ، ٣ ، ٤ ، ٤٩ ، ٥١ - ٦٣ ، ٦٦ ،
 ٧٠ - ٧٥ ، ٧٩ - ٨٣ ، ٩٠ ، ١٦١ ،
 ٢٥٥
 الصلاة ١٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٧٦ ، ١٣٠ ، ٤١٧ ،
 صلاح المنجد ٢٣١
 صلة ايزيدوز الاشبيلي انظر صاحب صلة ايزيدور
 الصلت بن حرب الحنفي ٣٢٢
 الصلح ١٨
 صلح الجاية ١٥٥
 الصليب ١٧٨
 صنعاء ٣١٣
 الصوافي ٢٢٠ ، ٢٣٨ ، وانظر صافية
 الصور ٢٦٠
 صول ٣٥٥
 صوم الأربين ٢٣
 صيام عاشوراء ٢٣
 الصيد ١٢٥ ، ١٣٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ،
 ٣١٨

الطوفان ٢٠٥	٣١٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٢٨٨
طولوز ٢٧٢	٣٧٨ ، ٣٥٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٢ ، ٣٢٨
الطومار ٢٨١	٤٢٠ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٠٧ ، ٣٩٨
طي ١٤٨ ، ٣١٧ ، ٤٢٥	٤٤٤ ، ٤٣٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٥ ، ٤٢٢

طبرية ١٢٨ ، ٣٠٣

الطبول ٣٧٢

طخارستان ٣٦١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٢	٣٧٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٦٥
٤٢٦ ، ٤٢٤ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٣٨٩	٤٤٧

طرابلس الغرب ١٨١

طراخين ٣٤٥

الطراز ٤٤٣

الطرازون ٤٤٣

طرخاقان ٣٥٩

طرخان نيزك ٣٧٣ ، ٣٤٦

طرخون أو طرخان ٣٤٧ ، ٣٤٥

طرخون السغد ٣٣٩

طرخون سمرقند ٣٣٨

الطرماع ٣٤٧

الطقوس ٢٥ ، ١٠

طلائع ٨٤

طلحة ٤٩ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٢ ، ٣٩

٢٤٩ ، ٢٣٩ ، ٢٢٢

طلحة (آل) ٢٣٩

طلحة بن زريق الخزاعي (ابو منصور) ٣٣١

٤٢٠ ، ٤٠٣

طوانة ١٨٢

الطواويس ٣٦٥ ، ٣٤٨

طوس ٤٢٦ ، ٣٨٨

— ظ —

ظبيان (غطفان) ١٤٨

ابن ظبيان ١٥٩

ظلم ٥٣

— ع —

عائكة بنت يزيد ١٨١ ، ٢٥١

عارم ١٢٣

العاص ١٤١

ابو العاص ١٤١

عاصفة ١٦٣

عاصم بن عبدالله الملالي ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

عاصم بن يونس المجلي ٤٠٥

عام الجماعة ٩٣

ابن عامر انظر عبد الله بن عامر

عامر (بنو) ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨

٢٨٧

عامر الشمي ٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١١٤ ، ٢٠١

٢١٩

عامر بن ضبارة المري ٤٢٧

عامل انظر عمال

عاه ١٦٩

عائشة بنت الصديق ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٨٢

٢٥٦، ٢٤٣، ٢٣٠، ٢١١، ٢٠٥ -
 ٣٤١، ٣٣٨، ٣٣٢، ٣٥٨
 عبد الرحمن بن مخنف ١
 عبد الرحمن بن ملجم المرادي (أو التجوني أو
 نحو مراد) ٨٦ - ٨٧
 عبد الرحمن بن نعيم العامدي ٣٥٨
 عبد الصمد (المؤدب) ٢٨٠
 عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ٤٣٠ ،
 ٤٣٤
 عبد الله بن الأهمم ٣٥١ ، ٣٤٩
 عبد الله بن الجارود البدي ١٩٩
 عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب ، بنة ٩٨ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢
 عبد الله بن حنظلة الفسيل ١٢٥
 عبد الله بن خازم ٥٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٥١
 عبد الله بن خالد بن أسيد ١٠٧
 عبد الله بن خباب بن الأرت ٧١
 عبد الله بن الزبير ٥٩ ، ٧٦ ، ١١٦ ، ١٢٤ ،
 ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٢
 ١٧٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٢
 عبد الله بن سبأ ٥٧ ، ٣٩٧
 عبد الله بن أبي سفيان أخو معاوية ١٤١
 عبد الله بن عامر ٩٨ ، ٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩
 عبد الله بن عباس ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ،
 ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
 ١٩٢ ، ٣٩٦
 عبد الله بن عبد الملك ١٩٣
 عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ٦٨ ، ٤٣٠ ،
 ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩

عباد بن حصين ١٩١ ، ٣٢٣
 عباد بن زياد ٣٣١
 ابن عبادة ٧٩
 العباس ٩٢ ، ٣٠٢ ، ٤٠٥
 ابن عباس انظر عبد الله بن عباس
 ابو العباس السفاح ٢٩ - ٣٢ ، ٣٥٠ ، ٤٣٧ ،
 ٤٣٨
 العباس بن الوليد بن عبد الملك ٢٨٨ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩١
 العباسيون ، بنو العباس ٦١ ، ٩٠ ، ٩٢ ،
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٢٧٩ ، ٣٠٧ ،
 ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ -
 ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧
 عبد الحميد (الوالي) ٢١٩
 عبد الحميد ٢٤٤
 عبد الحميد بن عبد الرحمن القرشي العمري ٢١٨
 ابن عبد ربه ١٩٩
 عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي ١٠٧
 عبد الرحمن بن أبي بكر ١١٦
 عبد الرحمن بن الحكم (أخو مروان) ١٠١
 عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ١١٢
 عبد الرحمن بن زياد ٣٣١
 عبد الرحمن بن العباس الهاشمي ١٩٢ ، ١٩٥ ،
 ٢٠١
 عبد الرحمن بن عبد الله المناقي ٢٧٣ ، ٢٧٤
 عبد الرحمن بن عبد الله القشيري ٣٥٨
 عبد الرحمن بن عوف ٣٩ ، ٦٠
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٤٠١ ، ١٨٩

عبد الملك بن يزيد الازدي (ابو العون)	عبد الله بن عمر ٧٦ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٩٤
٤٣٢ ، ٤٢٥	٣١٣ ، ٣١٠ - ٣٠٥
عبد مناف ٣٨	عبد الله بن عمر بن حرب الكندي ٣٩٨
عبد المؤمن بن شيب بن زبي ٢٠٠	عبد الله بن عمر بن غيلان ١٠٧
عبد الود ١٦٩	عبد الله بن الكواء الشكري ٧٠
عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد ٤٣٠	عبد الله بن محمد بن الحنيفة (ابو هاشم) ٣٩٧
عبس (بنو) ٢٨٧ ، ٢٨٣ ، ٢١٢	٣٩٨
عبس بن طلق ٣٢٤ ، ٣٢٣	عبد الله بن محمد بن علي انظر ابو جعفر المنصور
العَمَلَات ١٤١	عبد الله (بن مروان) ٣١١
العبيد ١٠ ، ١٧ ، ٣١ ، ٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٣١٢	عبد الله بن مسعدة الفزاري ٨٤
٤٢٢ ، ٣٩٠ ، ٣٦٥ ، ٣٣٩	عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الجعفري
عبيد بن كعب النميري ١١٧ ، ١١٦	٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٨٦
عبيد الله بن ابي بكرة ١٨٩	٤٢٧ ، ٣٩٥
عبيد الله بن حُر الجعفي الكوفي ١٥٦	عبد الله بن وهب الراسبي ٧١
عبيد الله بن زياد الوالي ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٠	عبد العزيز بن مروان ١٢١ ، ١٤٩ ، ١٦٩
١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٣	١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠
١٧١ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦	عبد العزيز بن الوليد ٢١٦
٣٣١ ، ٣٣٩ ، ٣٥٣	عبد القيس (بنو) ٧٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠
عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري البصري ١٥٦	٣٤٧
١٦٢	عبد المطلب (بنو) ١٠ ، ٣٨
عبيد الله بن عباس ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣	عبد الملك بن الحجاج بن يوسف ٢٨٣
عبيد الله بن عبد الرحمن العبد شمي القرشي	عبد الملك بن عبد الله بن عامر ٣٢٥
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠١	عبد الملك بن قطن القهري ٢٧٤
ابو عبيدة ٧٧ ، ٩٢ ، ٢٥٠ ، ٣١٠ ، ٣١١	عبد الملك بن مروان الخليفة ٢٢ ، ٨٣ ، ٩٤
٣١٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٦	١١١ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ -
ابو عبيدة بن زياد اخو يزيد ٣٣١	١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢١١ -
عبيس ٢٦٨	٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ -
عتاب بن ورقة ١٦٢	٢٥١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ -
عتبة بن غزوان ٩٦	٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٩٦ ، ٤٣٩
	عبد الملك بن المهلب ٣٤٢

٣٥٦، ٣٥٤، ٣٤١، ٣٣٩، ٣٢٨
 ٣٨٢، ٣٧٥، ٣٧٠، ٣٦٢-٣٦٠
 ، ٤٢٦، ٤٠١، ٣٩٤، ٣٩٠، ٣٨٦
 ٤٤٠، ٤٣٥، ٤٢٨

المراقبيون ٤، ٦٩، ٧٠، ٧٨، ٧٩، ١٣٢، ١٥٣
 ١٧٤، ١٩١، ١٩٦-١٩٩، ٢٠٢
 ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٤، ٢٦٢، ٢٦٩
 ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٥٥، ٣٩٤، ٤٢٣
 ٤٣١

المرب ٦، ١٠، ١٣، ١٦، ٢٣، ٣٦-٣٧
 ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٢، ٥٧، ٦١، ٧٢، ٨٥
 ١٠٦-١١١، ١١٤، ١٩٥، ١٣١
 ١٣٣، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٤
 ١٦٨-١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٨-
 ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢٩-
 ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤١-٢٤٨، ٢٤٩
 ٢٤٩-٢٥٣، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٨
 ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٤
 ٣١٨-٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢
 ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢-٣٥٣، ٣٥٦
 ٣٥٨-٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٦
 ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩
 ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٨
 ٤٤١، ٤٤٧

عرش ٨٥

عرفة ١٦٣، ١٩٦

المروبة ٢٣، ٢٧، ٣٦، ٥٨، ١٧٦، ٢٠٠
 ٣٢٩، ٣٤٨، ٣٥٧، ٣٨٥، ٣٩٧
 ٣٩٩، ٤٠٧، ٤٢٣، ٤٤١

المريش ٨٠

المُتَقَاء ٤٤٣

عنك ٣٢١

عثمان بن جديع الكرمانى الأزدى ٤٢٤
 ٤٢٦

عثمان بن حيان المري ٢٠٥، ٢١٠

عثمان بن عفان ٣٨-٥٠، ٥٣-٦٣، ٦٤
 ٧٦-٨٣، ٩٧، ٩٨، ١١١، ١١٢
 ١٣١، ١٣٣، ١٤١، ١٥٠، ١٦٤
 ٢١٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٥٥
 ٢٩٠، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٩٧

عثمان بن محمد بن ابي سفيان ١٢٤

الصنانيون ٧٨

المعجم ٢٣٠، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٧
 ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٩٣، وانظر اعاجم
 فرس، ايرانيون

المدل ٢٨

عدي بن ارطاة الفزاري ٢١٨، ٢١٩، ٢٥٢
 ٢٥٦

ابن عرادة ١٣٨

الوراق ٣٠٣، ٣٢٨، ٤٧، ٥٨، ٦٤، ٦٦، ٧٩
 ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧
 ٩٨، ١٠٥، ١٠٧، ١١٠-١١٤، ١٣٩
 ١٥١-١٥٧، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٥
 ١٦٧، ١٨٤، ١٩٠-١٩٣، ١٩٤
 ٢٠٢-٢١٣، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٤
 ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٣
 ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٤-٢٥٧، ٢٦١
 ٢٦٣-٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٤
 ٢٧٧-٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٣، ٢٩٤
 ٣٠٣-٣٠٧، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٩

علي بن جديع الكرماني ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤
 - ٣٨٨ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩
 ٤٢٤ ، ٤٢٦
 علي بن ابي طالب ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢
 ٤٤ - ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٣ - ٩٣ ، ٩٧
 ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠
 ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٩٦
 ٤١٠ ، ٤٣١ ، ٤٤٠
 علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسجاد ذي
 التفنات ٣٩٦ ، ٤٣٠
 علي بن ١٦٩
 عمار البادي ٤٠١
 عمار بن ياسر ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٦
 عمار بن يزيد ٢٠٢ ، ٤٠٣
 عمار بن نعيم اللخمي ١٩٥ ، ١٩٦
 عمار بن ضبارة المري ٣١٤
 العمال (على الاقطار) ٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٣
 ٦١ ، ١١٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣
 - ٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦
 ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٧
 ٣٧٦
 عمارة ١٢٥
 عثمان ٢٨١ ، ٢٨٢
 عثمان ٢٤٠ ، ٣١٤ ، ٣١٨
 العمدة ٤٣٨
 ابن عمر انظر عبد الله بن عمر
 عمر بن الخطاب ٢٨ ، ٣٣ - ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨
 ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ٩٧
 ٩٩ ، ١٧٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥
 ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ - ٢٤٥
 ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٧

ابن عساكر ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 العشر ٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤
 العصابة ٣٩٥
 عصي ٤٠٤
 ابن عضاء الأشعري ١٢١ ، ١٢٢
 عطاء ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٠
 ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
 ٢٤١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣
 ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩
 ٣٨٣ ، ٤١٤ وانظر اعطيات
 المطر ٢٨٢
 عطية التغلبي ٣١٠
 العقاب ١٩
 المقابان ٢٦٨
 العقبة ٣٦٥
 عقبة الشاعر ٤٤٠
 عقبة بن الحجاج (واسمه في اللاتينية Aucupa)
 ٢٧٤
 عقبة بن زُرعة الخراساني ٢١٩
 العقدة الفريد لابن عبد ربه ١٩٩ ، ٢٢٩
 المقر (قصر) ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
 عقبة اليهودي ٣٧٨
 عقيل ٤
 ابو عكرمة السراج ٤٠٠ ، ٤٠١
 ابو علاقة السكسكي ٣٠٤
 علامات ٤٣٤
 علقمة النخعي ٧٠
 علوج ٢٣٠
 العلويون ٢١٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٣٩٦
 ٣٩٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ٤٤٦

عميرة ٣٦٢
 العنابس ١٤١
 عنيسة ٢٧٣
 عوانة الكلبي ٦ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ،
 ٩١ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،
 ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ٣٢٤ ،
 ٣٢٧ -

ابن عوف انظر عبد الرحمن بن عوف
 ابو عون ٤٣٤ ، ٤٣٥
 عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ٤٣٠
 عيسى بن مقل المجلي ٤٠٤ ، ٤٠٥
 عيسى بن موسى بن محمد ٤٣٠
 عين التمر ٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٣٦
 عين الجسر ٢٩٩ ، ٤٣٤
 عين الوردة ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٧
 عين الفزاري ٩٥

- غ -

الغارون ٢٧٣
 غالب ٤٠٢
 غانية ٢٨٤
 غرامة ١١٠
 غرستان ٣٤٣ ، ٣٤٤
 الغرف ٤٣
 غرينوريوس ٢٤٢
 غزوة ٣٤٣
 غزو ، غزوة ، غزوات ٦ ، ٢٢ ، ٢٧١
 غسان ١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢٨٩

عمر بن ابي ربيعة ٢٦٥
 عمر بن شبة ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٨٦
 عمر بن عبد العزيز ١٨٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ،
 ٢١٥ - ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٧ - ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦
 ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٣٩ ، ٣٥٦
 ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٨٠
 ٤٣٧

عمر بن هيرة ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤
 ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٨٧

ابن ابي العرطة الكندي ٣٦٢ ، ٣٦٣
 عمرو ٢٣٠

ابو عمرو الاوزاعي ٢٣٤

عمرو بن تميم ٣٢٤

عمرو بن حريث ١٠٢

عمرو بن حزم ٢١٤

عمرو بن الزبير ١٢٣

عمرو بن سعيد بن العاص ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣
 ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٩ -

١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٠

عمرو بن العاص ٤٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٨
 ٨٠ - ٨٣ ، ٨٧ ، ١١١ ، ١١٣

عمرو بن العرنيس الأزدى ٣١٨

عمرو بن مرتد ٣٣٢

عمرو بن مسلم الباهلي (اخو قتيبة) ٢١٩ ،
 ٣٦١

عمرو بن يزيد بن الحكم ١٤١

العميان ٢٨٢

عمير بن حباب ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٦
 ١٦٨ ، ١٧٠ -

١٩٨ Von Kremer فون كريمر
 الفمي ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٢٣٦
 ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠
 فيروز حصين ٢٠١ ، ٢٠٩
 فيروز (ملك جرجان) ٣٥٥
 فيلكان ٩٦
 فينيقيه ١٤٧

- ق -

قادة انظر قواد
 قادس ٣٣٠
 القادسيه ٦٦
 قازي . انظر قراء
 القاضي ٢٣٧ ، ٢٧٨
 القائد انظر قواد
 قبا ١٢٨
 قباذ ٢٠٥
 القبائل ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٢ ،
 ٢٥ - ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٥٨ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ - ١٠٧ ،
 ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٧ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ،
 ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١
 ٤٢٤ ، ٤٤١
 القبة ١٨٣ ، ٣٧٧

١٩١ ، ٣١ فرعون
 فرغانة ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨
 الفرما المصري ٤٣٤
 الفرنجة ٢٧٢ ، ٢٧٤
 فروة بن نوفل الاشجعي ٧٢
 فريارب ٣٤٥
 فرياب ٣٤٦
 فزارة والفراريون ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٣
 الفساق ٢١٤
 الفسطاط ٢٨
 الفضة ١٧٧
 ابو فطرُس ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨
 الفقه ٢١ ، ٢٥ ، ٤٢٠
 الفقهاء ٥٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٩
 الفلاحة ٢٠٥
 الفلاحون ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، وانظر
 الحرانون
 انفلايج ١٩٣
 فلسطين ٧٨ ، ٨٠ ، ١١٠ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ٢٠٩
 ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٧٣
 فلوتن انظر فان فلوتن
 الفلوجة العليا ٤٢٨
 فم الفرات ٤٢٨
 فم النيل ٢٥٤ ، ٤٢٨
 فنين ٤١٣ ، ٤١٧
 القهرست لابن النديم ٣

١٧٢ ، ١٣٤ - ١٢٦ ، ١١٨ ، ١١٣
 ٣٢٥ ، ٣٢٢ ، ٢٦٧ ، ٢٠٨ ، ١٩٢
 وانظر قریش
 قرعة الطيب ٤٠٣
 قرقيسياه ٦٥ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥١
 ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦
 ٣١٢
 قرماسين ٤٢٨
 القرى ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١
 ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٩٣
 قریش ١٠ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ - ٣٥
 ٣٩ ، ٥٩ ، ٩٤ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٠١
 ٢٣٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٢
 ٣٢٦ وانظر القرشيون
 قسر (اسرة) ٢٦٣
 القسري ٣٦٦
 قسطنطين ٤٣ ، ٨٣
 القسطنطينية ٩٤ ، ١٣٧ ، ١٨٢ ، ٢١٤
 ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٧١
 القصاص ١٨ ، ١٩
 قصر النجرا ٢٩٠
 قصر فرنتة ٣٣٤
 القصور ٢٧٩ وانظر القلعة
 القضاء والقضاة ٢٨ ، ٢١٩ ، ٣٠٧ ، ٤٤٢
 القضاء والقدر ٦١
 قضاة ٥٩ ، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٧
 ١٦٦ ، ١٧٢ ، ٢٠٣ ، ٢٥٩ ، ٣٠١
 ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٤٣٣
 القضيبي ٢٦١
 قطام ٨٦ ، ٨٧

قبة الصخرة ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٣
 قبر مريم المذراء ١٧٤
 قبر معاوية ٤٤١
 قبر يزيد ٣٠١
 قبرص ٢٤٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٣١٣
 قبط ونبط ٢٠٣
 القبطية (اللغة) ١٧٩
 القبلة ٢٣
 القبيلة انظر قبائل
 ابن قتبية ٣٥١ ، ٣٥٣
 قتبية بن مسلم الباهلي ٢٠٦ ، ٢١٠ - ٢١٣
 ٢١٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣
 ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٤٠٣
 قحطبة بن شيب الطائي ٢٥٤ ، ٤٠٥ ، ٤١١
 ٤١٢ ، ٤٢٥ - ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥
 قدامة ٢٢٠
 القدر انظر القضاء والقدر
 القدرية ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
 ٣٠٠
 القدس ٢٣ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ١١٠ ، ١٧٤
 ٢٦٢ ، ٣٠٥ ، وانظر بيت المقدس
 القراء ٤٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩
 ٢٠٢ ، ٢٣٠ ، ٢٥٣
 القراطيس ١٧٧
 القرآن الكريم ١٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٦
 ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٣
 ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣
 ٣٥٤ وانظر كلام الله والكتاب وكتاب الله
 القرشيون ١١ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٣٨ - ١١٢

قيس ١٤٨-١٤٦، ١٣٩، ٧٩، ٥٩، ٥٨
 ١٦٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٢، ١٥١
 ٢١٠، ٢٠٤، ٢٠١، ١٨٤، ١٧٣ -
 ٢٥٧، ٢٥٢، ٢١٩، ٢١٢، ٢١١
 ٢٦٨، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٥٩، ٢٥٨
 ٢١٨، ٣٠٩، ٣٠١، ٢٩٩، ٢٨٦
 ٣٥٢، ٣٤٢، ٣٤١، ٣٣٣، ٣٢٩
 ٤٢٦، ٣٨٣، ٣٧٦، ٣٧٠، ٣٥٧
 ٤٣٣ وانظر القيسيون
 قيس بن ثعلبة (بنو) ٤٠٢
 قيس بن سعد بن عبادة ٦٨، ٧٨، ٨٠، ٨١
 ٨٩، ٨٨، ٨٣
 قيس بن هانيء الميبي ٢٩٢، ٣٠٠
 قيس بن المهيم السلمي ٣٣٠، ٣٣١
 القيسيون ٥٩، ١٠٨، ١٠٩، ١٤٢، ١٤٠
 ١٧٠، ١٦٥، ١٥٧، ١٤٨، ١٤٣
 ٢٦٢، ٢٥٢، ٢١٢، ٢١١، ١٧٢
 ٢٩٨، ٢٩٣، ٢٨٧، ٢٨٣، ٢٦٧
 ٣٦٨، ٣٦٠، ٣٥٧، ٣٣٨، ٣١٧
 ٤٢٦، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٢، ٣٧٤
 ٤٣٩ وانظر قيس
 قيصرية (مكان) ٦٥
 القيقانية ٢٧٠
 القين ١٤٨

— ك —

كابل ١٩٥، ١٨٩، ٣٤٧
 كابستان ٣٤٣
 كاتب ١١٣، ١٧٨، ١٧٩ وانظر كتاب

القطائع ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤
 القُطَاطَانَةُ ٨٤
 قطننا ٢٨٩
 القطينة ١٤٢
 او قطينة ١٣١
 الققعاع بن خلود البسي (بنو) ٢٨٧، ٢٨٢
 النفيز ١٨٧، ٣٥٣
 النفقاس ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١
 قلزم ٧٩
 القلعة ١٧١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٥٢، ٢٥٣
 ٢٩٠، ٣٠٦، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٣٨
 قمار ٥٣
 قمقم ٢٨١
 قناة ٣١، ٧١، ٢٠٥، ٢٣٥، ٢٦٢
 ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٩٢، ٣٧١
 ٤١٧
 قناة خارقان ٤١٧
 القناطر ٢٢١
 قندايل الهند ٢٥٦
 قنرين ١١٠، ١٣٩، ١٤١، ١٥١، ١٥٤
 ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٩
 ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٧٣
 ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٩
 قهرمان ٢٣٦
 قهندز مرو ٣٨٣
 قواد ١٦، ٢٨، ٢٩٧، ٣٢١، ٣٢٩
 ٣٣١، ٣٩٢، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٤٣
 قورمس ٤١٠، ٤٢٦، ٤٢٧
 رقي ٣٥٩
 القيروان ٢٨، ٢٧٥، ٢٧٦

الكرماني انظر علي بن جديع
 كريمة (الفريد فون) ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٧٩
 كسري ٢٣٥
 كسكر ٢٠٥ ، ٣١٠
 الكسور ١٧٨
 ركيش ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٦٥
 كشر ٣٤٧
 كشكا Kashka ٣٤٦
 كعب الاشقري ٣٤٠ ، ٣٤٧
 كعب بن جعيل ٧٠
 الكعبة ٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧٥
 ١٧٦ ، ٢٦٥
 الكفار ٤٦ ، ٥٤ ، ٢٥٥
 كفتان ٣٣٨
 كفتوتنا ٣١١
 كفر سبا ٤٣٨
 كفن ٢٨١
 كلام الله ٤٣٠ وانظر القرآن الكريم
 كلب والكلبيون ٥٩ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٦
 ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣
 ١٤٥ - ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥ -
 ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٣
 ٢٥٩ ، ٢٨٦ - ٢٩٥ ، ٢٩٩ - ٣٠٣
 ٣٠٧ - ٣١٣ ، ٣٣٣ ، ٣٨٣ ، ٤٣٩
 ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب) ١ ، ٦
 ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٣٧
 كثوم بن عياض القسري ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥
 ٢٧٦
 كليليا ٢٠٥
 كم شريك ٨٢

كاتريمير Quatremère ١٢١
 الكانوليكيون ٢٤٢
 كازنج قى ٣٤٩
 كازنك ٣٥٩
 كازرنك ٣٥٩
 كافر انظر كفار
 كافر كوبات (اسلحة الموالى) ٣٩٩ ، ٤٢٣
 الكافية انظر اهل الكافية
 ابو كامل (أحد قواد الشيعة) ٤٢٦
 الكتاب (أي القرآن) ٤٤٥
 كتاب (اي رسالة) ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
 ٤٤ ، ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٦١ ،
 ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤
 ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٢ ، ٣٥٠ ، ٤٠٠
 ٤٠٤ ، ٤٠٥
 الكتاب ٢٨٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٤٠
 ٤٤١ ، ٤٤٣
 كتاب الصلة ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠
 كتاب الله ٤٢٠
 الكتابة ٩٩
 كثير ٤٠٢
 كثير بن عبد الله بن عمرو الزني ٢١
 كحيل ١٦٨ ، ٢٦٣
 الكراديس ٢٩٧
 كربلا ١٢٠ ، ١٢٧ ، ٢٥٤
 الكرج ٤٤٧
 الكرديتالية ٣٨
 كرك الهندي ٢٠٦
 كرمان ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٧ ، ٣٤٠ ، ٤٢٧

الكويت ٢٠

- ل -

اللاذقية ٢٦٠
 لاهز بن قريظ ٤٠٣ ، ٤٠٥
 لبنان ٢٩٩
 اللجام ٤٠٣
 لحم ٢٨٩
 اللواء انظر الوية
 اللواز ٢٧٣
 لوط بن يحيى بن سعيد انظر ابو مخنف
 ابو لؤؤة ٩٧
 ليدن ١٠٤
 اللبطني ٢٩٩
 ليو (الامبراطور) ٢٤٢ ، ٢٦٠

- م -

الماخوان ٤١٤ - ٤١٩
 مازدان شاه ١٧٨
 ماز سرجس ٣٧٩
 المازونون ١١٠
 ماسرجان ٣٧٩
 الماشية ٣٧٢
 ماكس او ماكسين ١٦٧
 مالك الاشتر ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٩
 ٨١ ، ٨٣ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٣٢٣
 مالك بن مسمع ٣٢٢
 مالك بن هيرة ١٤٢

الكميت ١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٤٧

كنانة ٣٧٦ ، ٣٨٣

كنانة بن بشر التجيبي ٤٥ ، ٨٢

كندة ١٤٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢

٢٨٩ ، ٣١٧ ، ٤٠١

الكنيسة ١٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٧٦

١٨٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥

الكنية ٣٩٢

الكنهوت ١٦٥٥

كوبات الخشب ٣٩٩

كوثر بن زهر بن الحارث ١٧٢ ، ٢٥٨

كورصول التركشي ٣٧٤ ، ٣٧٧

الكوفة ٤ ، ٣١ ، ٦٤ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٧

٥٦ ، ٥١ - ٦٥ ، ٦٤ ، ٦١ - ٧٠ ، ٧٥

٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ - ١٠٨ ، ١١٥

١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦١

١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٧٨

١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ - ٢٠٣ ، ٢٠٦

٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧

٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ -

٢٧٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤

٣١٣ - ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٣١ ، ٣٦٠

٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ - ٤٠٦

٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ - ٤٣٢

٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢

الكوفيون ٥١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ٩٩

١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦١ ، ١٩٠

١٩٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣٠٦

٤٠٣ ، ٤٣١

المحدثون ٢٧٧	مالك بن المهيم الخزاعي (او نصر) ٤٠٣ ،
محمد من بني مخزوم ٢٨٢	٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤٢٣ ، ٤٣٥
محمد بن ابراهيم بن محمد (أخو عبد الوهاب)	المأمون ١٧٤
٤٣٠	ابن ماهان انظر بكير بن ماهان
محمد بن أبي بكر ٤٤ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ٨٠ -	ماه افر بندون ٣٢٣ ، ٣٢٦
٨٢	ماهويه ٣٣٠
محمد بن بكير بن ماهان ٤٠١	ماوزاء خراسان ٣٤٢
محمد بن أبي حذيفة ٤٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٢	ماوزاء النهر ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ،
محمد بن الحنفية ٣٩٧ ، ٣٩٨	٢٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ -
محمد ولد لابن الخازم ٣٣٣	٣٤٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧١
محمد بن خالد القسري ٤٢٩	٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣
محمد بن خنيس ٤٠٠ ، ٤٠١	٣٩٤ ، ٤٢٥ ، ٤٤٧
محمد بن السائب الكلبي ٢٠١ ، ٢٠١	مبارك (قرية) ٢٦٣
محمد بن سعد بن أبي وقاص ٢٠٠	المبايعه ١١٧ ، ٢١٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ وانظر
ابو محمد السفياي ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٩٩	البيعه
ابو محمد الصادق ٤٠٠	المبرد ١٨٦
محمد بن عائذ ٢٣٤	متر Metz ٢٧٣
محمد بن عبد الله من ٩٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٣ -	المتطوعة ١٩٨
٥٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ٩٥ -	المنى بن عمران ٣١٣
٩٦ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٧٤ -	مجاة ١٥٣
١٧٨ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ -	مجالد بن سعيد ٢
٢٣١ ، ٣٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ -	المجذمون ١٨٤
٢٤٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ -	مجزأة بن الكونز (ابو الورد حفيد زفر بن
٢٩٧ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٧٥ ، ٣٩٦ -	الحارت) ٤٣٩
٣٩٧ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ -	مجلس الاسلام الأعلى ٣٩
٤٢٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ -	مجلس الشرزي ٣٧
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسجاد	المجوس ٢٦٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ وانظر الزرادشتية
٣٩٦ ، ٤٠٩ ، ٤٣٠ -	المحاج ٢٢١
محمد بن القاسم الثقفي ٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ -	محارب بن موسى ٣٠٧
محمد بن مخنف ١	المحالفات ٢٩

٣٤٠ ، ٣٣٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ١٩٦	محمد بن مروان ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٩٦
٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٦٢ ، ٣٤٩ ، ٣٤٧	محمد بن هشام ٢٧٨
٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٨١ ، ٣٧٩	المعمرة ٤٢١
٤١٧ ، ٤١٦ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٠٤	المحيط الاطلسي ٦٢
٤٣٣ ، ٤٣٠ ، ٤٢٩ ، ٤٢٠	ابو المخارق الراسبي ٢
المدة ٢٣٣	المختار الثقفي ٤ ، ٥٧ ، ٩٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤
الدهار ٧٢	١٩١ ، ١٨٥ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٧
مدي ١٧٨	٣٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٠ ، ١٩٩
مُدَي بطنان ١٥٤	٤٠٠ ، ٣٩٩ - ٣٩٧
المدينة ٤ - ٦ ، ١٢ ، ١٤ - ١٧ ، ٢٨ ، ٣٣	٤٢٣
٨١ - ٧٨ ، ٧٥ ، ٦٢ ، ٥٢ ، ٤٨ -	مخزوم (بنو) ٣٨ ، ١١٢ ، ١٣٢ ، ٢٨٢
- ١١٦ ، ١١٢ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٨٥	المخلد ٣٥٥
١٤٩ ، ١٤٦ - ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٦ -	مخنف بن سليم ١
١٧٨ ، ١٧٥ ، ١٦٩ ، ١٦٣ ، ١٥١	ابو مخنف ، اوط بن يحيى ١ - ٦ ، ٦٣ ، ٦٥
٢٠٥ ، ١٩٣ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨١	- ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٤ ،
٢٣٩ ، ٢٢٦ ، ٢١٧ ، ٢١٤ ، ٢١٠	١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١١٩
٢٨٢ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٥ ، ٢٥٩	١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧
٣٩٧ ، ٣١٣ ، ٢٩٧ ، ٢٨٩ ، ٢٨٣	١٤٣ - ١٤٧ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠
٤٤٥ ، ٤٤٣ ، ٤٣٨	٢١٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٧ ، ١٩٦
مذحج ، مذحجيون ٦٩ ، ٢٠٢ ، ٣١٧	٣٤٩ ، ٣٣٣ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٢٥٢
المرابذة ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٩٠ ، ٣٩١	٤٢٩
مراكش ٢٧٥	المختون ٢١٤
المربد ٣٢٤	مخيم ٤١٦
مرة ٣٠٩	مداس الطرق ٢٢١
مرج الأخرم ٤٣٩	المدائن ٦٣ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩
مرج راهط ١٤٠ - ١٤٤ ، ١٤٧ - ١٤٩ ،	٣٠٧ ، ٢٠٣ ، ١٩٢
١٦٥ ، ١٥١	المدائني ٦ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
مرج فذك ٢٣٩	٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ،
ابن مرجانة ٣٢٠	١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٢ ، ١٣٥
مرجة ٣٦٤	١٨٦ ، ١٦٦ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٤

مریم العذراء ٨٥ ، ١١٠ ، ١٧٤	المرجثة ٢٥٥ ، ٢٩٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤
مزار ١١٤ ، ٣٩٥ ، ٤٤١	٣٩٤
مزارع ٢٢ ، ٩٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣	المردثيون ١٥٣
٢٤٣ ، ٢٦٦	مرزبان ٣٥٣ - ٣٥٥ ، ٣٧٩
المزارعون ٢٤٥	مرزبانہ ٣٧٩
المزة ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٤٣٤	المرضى ٢٨٢
مزدك ٤٠٨	المرغاب ٣٤٣
مزرعة انظر مزارع	مرقص ٤٨
مزون ٣١٨ ، ٣٣٢	مرو ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ - ٣٣٧
المستشار الأول ١٨٠	٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣
المستنقات ٢٠٥ ، ٢٦٥	٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦
المستورد ٩٧ ، ٩٨	٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨
المسجد ١٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٦ ، ١٠٦ ، ١١٠	٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ - ٣٩٠
١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٥	٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ - ٤٠٩
٢٧٠ ، ٢٨٩ ، ٣٢٢ - ٣٢٦ ، ٣٤٧	٤١٠ - ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
٣٥٣ ، ٣٦٢ وانظر الجامع	مرو الروذ ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠
المسروقي ٨٥	٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١
مسعدة ١٢١	٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٩٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤
مسعر بن فدكي التميمي ٧١	٤١٨ ، ٤٢٥
مسعود بن عمرو العتكي ١٧١ ، ٣٢١ - ٣٢٧	مرو الشاذان ٣١٤
المسعودي ٦٨ ، ١١٧ ، ٤٣٤ ، ٤٣٨	مروان بن الحکم الخليفة ٣٩ ، ٤٣ ، ٨١
مسكن ٨٧ ، ٨٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٠	١٠١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١
١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧	١٢٦ - ١٢٨ ، ١٣٦ - ١٣٨ ، ١٤١
مسلم بن ذكوان ٢٩٧	١٥١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٣٩ -
مسلم بن سعيد الكلاني ٣٦٠	مروان بن محمد وهو مروان الثاني الجمدي ٢٧٢
مسلم بن عبد الرحمن الباهلي ٢٢٤	٢٩٤ - ٣١٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
مسلم بن عقبة المُرِّي ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٦	٤١٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥
١٢٩ - ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٦	٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠
مسلم بن عقيل ١٢٠	المروانيون وبنو مروان ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠
أبو مسلم الخراساني ٢٧١ ، ٣١٥ ، ٣٨٦ -	١٦٥ ، ٢٥١ ، ٢٨٨ ، ٤٣٩

مصر العليا ٤٣٤
 المصريون ٧٤ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٢
 مصعب بن الزبير ٢٢ ، ١٥١ ، ١٦٧ - ١٨٥ ،
 مضارب ٨٩
 مضر ٥٩ ، ٨٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩١ ،
 ٣١٨ ، ٣٠٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢١١
 ٣٤١ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٢
 ٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٦١ ، ٣٥٧ ، ٣٤٢
 ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٢
 : ٣٥ ، ٤٢٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٠
 المصريون ٢٦٧ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٣
 مطازح القصب ٢٢١
 'اطر ١٥٤
 مطر بن ناجية التميمي ١٩٢
 مظالم ساباط ٨٩
 المنجد ٩٥ ، ٣٤٨
 ابن معاوية انظر عبد الله بن معاوية
 معاوية بن حديج السكوني ٧٩ ، ٨١ ، ٣٠٤
 معاوية بن ابي سفيان الخليفة ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٩
 .. ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٣ - ٦٩
 ٧٤ - ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٩ - ١٢٤ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٠
 ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧
 - ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٨
 ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٨
 ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
 ٣٩٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١
 معاوية بن يزيد الثاني ١٣٨ - ١٤٠ ، ١٤٤
 المدلون ٢٣٤

٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠
 ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ - ٤٢٦ ، ٤٣٠
 ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٦
 مسعدة بن عبد الملك ٢٠٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠
 ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٤٢٨
 مسعدة بن مخلد الانصاري ٧٩ ، ٨١
 مسعدة بن هشام ٢٨١
 المنطوق ٣١ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٠
 ٦١ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٤٧
 ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٨
 ٢٢٠ - ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
 ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٥
 ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٠
 ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤
 ٣٧٨ - ٣٨١ ، ٣٩٣ ، ٤٢٣ ، ٤٤١
 - ٤٤٥
 ائسناد ٨٢
 السبع عليه السلام ١٧٧
 السجدة ٤٤١
 السبعون ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٢٨
 المسبغ ١٦٦
 المشركون ٢٣٢
 المشال ١٢٨
 المصانع ١٨٣
 مصحف ٦٧ ، ٢٩٠
 مصر ٢٨ ، ٤٢ - ٤٤ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٧٨ -
 ٨١ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١٦٩ ، ١٧٧
 ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٧ ، ٢٤٦
 ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥

٤٣٨ - ٣٤٤ ، ٢٥ - ٢٢ ، ١٨ - ٩ مكة	٤١٣ ، ٢٣٧ ، ١٩٣ ، ١٩١ ، ٩١ مسكر
٩٤ ، ٨٧ ، ٧٦ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٢	٤٤٢ ، ٤٣٤ ، ٤٢٢ ، ٤١٤
١٢٣ - ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٦ ، ١١٢	١٠٧ ، ٩٠ ، ٨٤ ، ٧٥ ، ٥ ، ٤ ابو معشر
١٣٦ - ١٣٤ ، ١٣١ ، ١٢٩ - ١٢٧	١٣٧ ، ١٢١ ، ١١٤
١٧٠ ، ١٦٤ - ١٦٢ ، ١٥٨ ، ١٤٤	١٢٨ مقل بن سنان الاشجعي
٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٨٤ ، ١٧٥ - ١٧٣	٢٥٨ ، ٢٥٧ مقل بن عمرو
٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٩ ، ٢١٠	٧٣ ، ٧٢ مقل بن قيس التميمي
٤٠٩ ، ٤٠٥ ، ٣١٣ ، ٢٩٧ ، ٢٨٢	٩٠ - ٨٨ ممول
٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٠٥ ، ٣٨٠	المغازي ٥
مكوس ٣٨٠	مغرة ٣٥٢
المكيون ٣٥	المغنون ٢٨٤
الملاحم ٣٩٩ ، ٤٠٠	المغول ٤٤٧
ابن ماجم انظر عبد الرحمن بن ملجم	المغيرة بن جنباه التميمي ٣٤٧
ملطبة ٢٧٢	المغيرة بن شعبة ٨٩ ، ٩٣ - ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٥١
الماليك ٤٤٧	ابن مفرج ١٠١
المنافقون ٢١	المنضل بن المهلب ٣٣٩ ، ٣٤١
منبج ١٥١ ، ٤٣٤	مقاتل بن حيان النبطي ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٤٢٤
المير ٨٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤	المقاتلة ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ١٩٨
٤٣١ ، ٣٥٠ ، ٣٢٦	٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٩٦
المنتصر ١٨٥	٣٢٠
المنجم ٤٤٤	المقاسم ٣٣٦
المنجنيق ٣٧٧	مقام العلماء بين ايدي الامراء (كتاب) ٤٤٥
منزه البربري ٢٧٣	المقاييس ١٧٨
منصور بن جمهور ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨	مقبرة يزيد ١١٤
٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣١٠ ، ٣٠٨	المقدسي ٣٤٣ ، ٣٤٥
المنصور العباسي انظر ابو جعفر المنصور	المقرزي ٨٢
منصور بن عمر بن ابي الخرقاء ٣٧٨	المقصورة البيضاء ٨٩
المهاجرة ٢٧ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٨ ، وانظر المهاجرين	مُقعد ١٨٤
المهاجرون ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٣٦	المكاييل ٢٠٧
١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٢	

٣١٢ . ٣١١ . ٣٠٩ ، ٢٩٨ ، ٢٧٠
 ٤٣٤ ، ٤٣٢
 الموظفون ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠
 ٢٠٦ وانظر كتاب ، عمال
 موقعة الجماجم ٢٣٥
 موقعة الجمل ٧٢
 مولار A. Müller ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٢٥
 ١٢٩ - ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨
 ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨٧
 ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٧٧
 موسين ٢
 المؤمنون ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥
 مؤنة ١٩٣
 ابن عباس ٨٦
 مياه الاصف ١٨٧
 الميت ٢٢١ ، ٢٢٧
 ميسان ٩٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣١٠
 مسرة ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٦
 مسرة الصفري ٢٧
 ميكابندوزغ ٢٠

— ن —

نائل بن قيس الجذامي ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٣
 ناحية (بنو) ٧٢ ، ٧٣
 نار انظر نيران
 نارون ٢١٨ ، ٢٧٢
 ناسك انظر نساك
 ناغضة الكاكي ١٤٠

المهالبة ، بنو المهلب ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٥٢
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥١
 ٣٥٦ ، ٣٨٣ ، ٤٠٧
 مهانوش الفانية ١٩٠
 المهدي (من المهديوية) ٢٠٨ ، ٢٣٩
 المهرجان ٢٤٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٣٩٠
 ٣٩١
 ابن المهلب انظر يزيد بن المهلب
 مهلب (آل) ٢٥٢
 مهلب بن أبي صفرة الازدي ٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧١
 ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١
 ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨
 ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٨٣
 الموالي ١٨ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٨٥
 ١٩٣ ، ١٩٨ - ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨
 ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦
 ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣
 ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢
 ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٣
 - ٤١٠ ، ٤٢٠ - ٤٢٣ ، ٤٤١
 مؤرخون ٦
 ابو موسى الاشعري ٦٦ ، ٧٥ ، ٩٠ - ٢٦٤
 موسى بن داود ٤٣٠
 موسى السراج ٤٠٤
 موسى بن عبد الله بن خازم ٢٠٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ - ٣٤٢
 موسى بن كعب التميمي ٤٠٣ ، ٤١٤
 موسى بن نصير ٢١٢
 الموسيقى ٤٨ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ٢٨٠ ، ٢٣٧
 الموصل ٨٧ ، ١٥٢ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٦٣

٣٠٢ ، ٢٨٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢٦٧
 ٤٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٠٥
 النصحاء ٣٩٢
 ابو نصر انظر مالك بن الهيثم
 نصر بن سيار ٦١ ، ٢٢٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣
 ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٣٦١
 ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥ - ٣٨٨ ، ٤١٠
 ٤١٣ - ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧
 النصرانية ١٣ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٧٣ ، ٨٣ ،
 ١١٠ ، ١٧١ ، ٢٧٤ ، ٣٧٩
 نصيبين ٧٩ ، ١٥٧ ، ٣١١
 انصر ٢٨٨
 النصر بن سعيد الحرشي ٣٠٨
 النطع ٤٤٤ وانظر انطاع
 النعمان بن بشير الانصاري ٦٣ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٧
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٤٠ ، ١٤٤
 نديم بن ثابت ٣٠٣
 النقي ١٦
 النقل ١٧٩
 النقود ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٧
 نقيب ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٣٠
 ٤٣٢
 النكاح ٢٤٤
 ابن ابي خمس ١٤٢
 نميري ١٦٦
 نهار بن قوسعة البكري ٣٤٧ ، ٣٤٨
 نهاوند ٦٦ ، ٩٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢
 نهر التزناز ١٦٨
 نهر بلخ ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ - ٣٨١
 نهر السفند ٣٤٣

الناقص انظر يزيد بن الوابد
 انفاقوس ٢٣
 ناووس ٣٧٩
 نائب انظر نواب
 نائلة الكلبية (زوج عثمان) ٤٥ ، ٦٣ ، ١٠٩
 النطيطون ١١٣ ، ٢٠٣ ، ٣٥١
 نيابة بن حفظة الكلابي ٣١٤ ، ٤٢٦
 النبي عليه السلام انظر محمد بن عبد الله
 النجاشي ٦٨
 نجدة بن عامر الخارجي ١٣٤ ، ١٦٤
 نجران ٢٤٣ ، ٢٤٧
 النجرانية ٢٤٣
 ابو النجم ٤٠٢ ، ٤١٠
 النحاس ١٨٣
 النخذ ٣٦٩
 النخع (بنو) ٦٩
 النخيلة ٦٤ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٦٢ ،
 ٢٥٤
 ابن النديم ٣
 نزار ٣٥
 نسا (بلد) ٣٩٠ ، ٤٢٥
 النساء ١٧١ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٤٠٣
 ٤٤٣
 نساجون ٣١٨
 النساطرة ٣٧٩
 نسف ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦
 نساك ٤٢٠
 نشاب ٢٧٠
 النصارى ١١٠ ، ١١١ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ،
 ١٨٣ ، ٢٣١ ، ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٦٥

الهدبيل بن زفر بن الحارث ١٧٢
 هراة ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٥٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢
 ٣٦٩ ، ٣٦٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦ ، ٣٣٣
 ٤٢٥ ، ٤١٨ ، ٣٩٠ ، ٣٨٧ ، ٣٧٥
 هرمان واغتر ٢٢١
 هري الروذ ٣٤٣
 المسمونيون ٥٤
 ابن هشام ٨٥
 هشام بن اسماعيل المخزومي ١٧٥ ، ١٨٣ ،
 ٢٦١
 هشام بن عبد الملك الخليفة ١١٤ ، ٢٠٥ ،
 ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨
 ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦
 ٣٠٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣
 ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٧٧
 ٤٣٨
 هشام بن عتبة ٦٨
 هشام بن محمد بن السائب انظر ابن الكلبي
 همدان ١٩٣ ، ٧٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٣١٧
 ٤٢٧ ، ٤٠٢
 الهمدانيون ٦٩
 هيمان بن عدي السدوسي البكري ١٨٩
 الهند ٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٩
 ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤
 هندستان ٢٠٦
 الهندية ٢٥٤
 هوازن ٢٥ ، ١٤٨
 هو فهان فون فايرسايبين ٢٠
 الهياظة ٣٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
 الهيت ٨٤

الهروان ٧١ - ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٨٨
 النواب ٢٠٦
 نواكت ٣٧٢
 نوام ٢٧٦
 نوبة ٤٤٠
 نوح بن دراج ٢٣٠
 نوروز ٢٤٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠
 نولدي ٨٠ ، ٨٥ ، ١٥٩ ، ١٧٨
 النيران ٣٧٣ ، ٤١٧
 نيزك ٣٧٣ ، ٣٤٦
 نيسابور ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥
 ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠
 ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢
 ٤٢٦ ، ٤٢٥
 النيل ٢٠٥ ، ٢٥٤ ، ٤٢٨

— ه —

هارون ٤٤٧
 ابو هاشم انظر عبد الله بن محمد بن الخنيفة
 هاشم (نو) ١٠ ، ٣٨ ، ٤٠١ ، ٤١٠
 هاشم بن عتبة ٦٨
 الهاشبات للكميت ٣٩٨
 الهاشمية ٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٠
 ٤٢٠ ، ٤١٧
 الهاشمية (بلدة) ٥٠٠
 الهاشميون ٤٤٣
 ابن هبيرة انظر عمر بن هبيرة ويوسف بن عمر
 ابن هبيرة
 الهجرة ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢
 هجين ٢٩٦
 الهدبيل ١٥٧ ، ٢٥٨

٣٨٦ ، ٣٤٨
الوثنية ٤٠٨ ، ٣٩١
وجه الفلس ٢٩١
وخشاب ٣٤٣
ورد الحمير ٢٩٦
وزعسر ٣٧٦ ، ٣٧١
الوزير ١٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ :
وستنفلد ٢١٤
الوصفاء ٢٦٣
الوصية ٤٠٥
الوضاح ٢٩٧
الوضاحية ٢٩٧
وظائف ٣٩ ، ٥٩ ، ١٨٠
الوعك ٤٣١
وفود ١١٦ - ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢٨٢
ابن ابي وقاص انظر سمع بن ابي وقاص
وقمة الجمل ٧ ، ٤٧ ، ٤٩
وكيع بن حسان بن ابي سود ٣٥١ - ٢٣٥٤
وكيع بن الدورقية ٣٣٥
وهب بن جريج ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٣١٩
٣٢٥ ، ٣٢٢
الولا ١٨ ، ٢٦
ولاية ٢٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٩٨ ، ١٧٢
١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٩ ، ٢٤٤
٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٥
٣٤١ ، ٣٦٨ ، ٤٤٤ : وانظر عمال
ولادة ١٨٤
ولاية المهدي ١١٥ ، ١٨١ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
٢١٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٦٤
٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣٤٩

المبطل ٣٤٤ ، ٣٤٥
هيكل ٣٤٨
المهيم (امير الاندلس) ٢٧٣
المهيم بن عدي ١٦٢
المهيم بن واقد ٢١٥

- و -

واحة ٣٤٤
وادي الختل ٣٧٥
وادي العوجاء ٤٣٨
وادي القرى ١٢٧
وادي هراة ٣٤٣
احط ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ - ٢٠٩ ، ٢٠٥
٢١٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢
٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣١٣
٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥
الواقدي ٤ ، ٢١٥ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٥
٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١
٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٩ ،
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٥
١٣٦ - ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ - ١٥٠ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢
١٦٤ ، ١٧٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٥٢ -
٣١٣ ، ٣٠٥
واشتيخن ٣٥٩
والي انظر ولاية
الوباء ٢٨٩
ون انظر الاوتان
الوثنيون ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ - ٥٨ ،
١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ٣٠١

يحيى بن عقيل الخُزاعي ٤٠٢
 يحيى بن محمد بن علي ٤٣٠
 يحيى بن نعيم البكري ٤٢٤ ، ٤٣٥
 يزيد بن خالد القسري ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩١
 يزيد بن زياد ٣٣١
 يزيد بن أبي سفيان ٣٩
 يزيد بن عاتكة (يزيد الثاني) ٢٥١
 يزيد بن عبد الله بن هيرة ٢٦٢
 يزيد بن عبد الملك وهو يزيد الثاني ٢١٥ ، ٢٣٣
 يزيد بن عمر بن هيرة الفزاري ٢٨٣ ، ٣٠٣
 يزيد بن قيس الأرحي ٧٠
 يزيد بن أبي مسلم ٢٥٩
 يزيد بن معاوية وهو يزيد الأول ٢٨ ، ٩١
 يزيد بن المهلب ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٣
 يزيد بن هزيل ٢٣٩

ولهاوزن ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٩٣ ، ٩٥
 الوليد بن عبد الملك ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢
 الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ٩٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٦٠
 الوليد بن عقبة ٦٤
 الوليد بن مسلم ٢٣٤
 الوليد بن معاوية بن مروان الأول (صهر
 مروان بن محمد) ٤٣٤
 الوليد بن يزيد وهو الوليد الثاني ٢٦١ ، ٢٧١
 وليك ٣٤٤

— ي —

ياقا ٤٣٣
 ياقوت ٢٧٨
 يثرب انظر المدينة
 ابو يحيى ٤٠١
 يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس ٤٣٠
 يحيى بن زيد بن علي ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥
 يحيى بن حُضَيْن البكري ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣٥

٢٦٥ ، ٢٤٣ ، ٢٢٨ ، ١٧٤ ، ٣٥	يزيد بن الوليد بن عبد الملك وهو يزيد الثالث
٤٤٤ ، ٣٧٩ ، ٢٨٦	٢٩٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٨٩
اليهودية ١٣ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٤ ، ٣٧٩	٣٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠١ - ٢٩٨
يوحنا ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٤٢	٣٨٤ -
يوسف بن عمر النقفى ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠	اليماقة ١١٠
٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٧٧	اليقوفى ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠
٤٠٥ ، ٣٨٢ ، ٣٧٥ ، ٣٠٠ ، ٢٩٣	١٥٥ ، ٩١
يوسف بن عمر بن هيرة ٢٩٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨	اليامة ١٣٤
٤٣٦ ، ٤٣٥	اليمن - اليمانيون ٥٧ ، ٥٩ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١
يوسف بن محمد بن يوسف النقفى ٢٨٣	١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ٩٨
يوم الانتقال ٣٧٢	١٩٦ ، ١٩١ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٤٨
اليوم الآخر ٩	٢٤٠ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢
يوم الاستفطار ٢٣	٢٦٣ ، ٢٥٨ - ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢
يوم الاكليل ١٦٦	٢٩٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤
يوم عرفة ١٩٦	٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٢٩٨
يوم الكتابة ١٦٧	٣٧٠ ، ٣٦١ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٢٧
اليونانية ١٧٩	٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٣
اليونانيون ٣٢	٤٣٥ ، ٤٣٤ ، ٤٢٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣
يونس ابو عاصم ٤٠٤	اليهود ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ - ٢٥

ما يقترحه الدكتور ابرهارد كونت Eberhard Kuhnt

والاستاذ يوسف زخور من تعديل في ترجمة المقدمة مشكورين

الصفحة	الترجمة	ما يقترحه الاستاذان
١٠	الهة ليس رب دين فقط	الهة ليس رباً مجرداً فقط
١١	الدولة الجامعة	الجماعة
١١	رسائله	غايته
١٢	خطأ خطوته في يثرب	مكن قدمه في يثرب
١٢	التاريخ الجديد لا يعني الانقسام	التاريخ الجديد لا يعني الانقسام المُدرك
١٢	فلم يهدم	فلم ينتقض على نفسه
١٢	منه الاعلى	غايته
١٤	شعب	اضطراب في الامن
١٥	يمثل ملك الله	يحقق ساطة الله
١٥	متساوون امامه	متساوون امام الله
١٦	حلفاء الاحزاب	الحلفاء القائمة
١٨	وتتكون بصفة عامة من الجماعات المتحالفة لا من الافراد	لا تتكون ابداً من الافراد بل من الجماعات المتحالفة
١٨	وليرد تعبيراً عما كان صدور مبدع جديد	ولم يرد في البال فكرة امكان صدور مبدع جديد
١٩	وقد كان مما يلائم الطرفين كل الملائة ومما يهمهم كل الاهمية ألا توجد قوة جبرية اياً كانت تمارس سلطانها عندهم	لان المجموع لا يختلف عن اجزائه ولا يستقل عنها وليست له قوة قاسرة ما
١٩	ليس معها تحالف	لا يبري عليها التحالف
١٩	ليس من سلام عام الا سلام الامة	ليس من سلام الا سلاماً واحداً عاماً هو سلام الامة
١٩	فهم كتلة واحدة امام غيرهم	فهم متضامنون امام غيرهم
١٩	وواجب الثأر من الاعداء ينقل من المؤمن الى المؤمن لا من الاخ الى الاخ	وواجب الثأر لا يلتزم به الاخ نحو اخيه بل المؤمن نحو المؤمن
٢٠	وهم اقوى عناصر الامة	وهم اقوى عناصر الامة روحياً
٢٠	وما اشتد الايمان الا اشتدت قوة الامة	وما انعم الايمان الا اشتدت قوة الامة
٢٠	الحرب الحقيقية	الحرب الضروس

الصفحة	الترجمة	ما يقترحه الاستاذان
٢٢	نظر المتأمل الواقف	نظر المتأمل المترقب المهتم
٢٤	وهكذا فصل الاسلام عن اليهودية	وهكذا فصل الاسلام نهائياً عن اليهودية
٢٥	وتوفي كل العرب الذين ظلموا وثنيين	وسقطت حقوق كل العرب الذين ظلموا وثنيين
٢٦	فقد انتشرت فكرة عدم التسامح	فقد انتشرت نزعة عدم التسامح
٣٣	وتوفي دون ان يتأكد من ان رعيته لم تترك	وتوفي دون ان يعنى بالا تترك رعيته من غير راع
٣٣	ولو ان هنالك رعية تقية	ولو ان هنالك اتقياء
٣٤	بل كان تقياً لا يتدخل فيما لا يعنيه	بل كان تقياً متروياً
٣٥	وايد اولاً ابا بكر	وقدم على نفسه ابا بكر
٣٥	وضمنوا لهم المقام والمنازلة	وضمنوا لهم المقام والرزق
٣٥	بان الروح التي ابدوها اضحت اكثر مما يستطيعون تحمله	بان صاحب الدار اصبح غريباً في بيته
٣٦	وكان يظن ان الرسول هاضم حقه	وكان يظن ان الرسول اقصاه
٣٦	ان يستقي من الانصار على حسن نيتهم	ان يهديه الانصار المرة تلو المرة
٣٦	بانقاذهم من الهلاك	بانقاذهم من التناحر
٣٦	فاختفت الحزازات الداخية	فاختفى الانشقاق الداخلي
٣٧	مهما بلغ استياؤها	مهما بلغ استياؤها حيناً
٣٧	ظهر فيها مزيج خطير من الارستقراطية	نشأ في قريش ذاتها بين ارستقراطية الصحابة
	الاسلامية الفعلية	الاسلامية تنافس خطير
٣٨	غير حذر	طائفاً
٣٨	نضال قريش	نضال قريش المتديد
٣٩	وقد عين عثمان مروان	وقد عين عثمان ابن عمه مروان
٣٩	فقموا قمتهم على بني امية	وذلك كان سبب عدائهم لبني امية
٤٠	ادركوا انهم بقوة الزمن	ادركوا انهم يتوالى الاحداث
٤٠	واو انهم حصلوا	واو انهم حصلوا على الافل
٤٠	ولم يرتضوا بان يخص بيت المال بالفائض	ولم يرتضوا بان يخص بيت المال بالفائض عن
	عشهم	بيت مال الامصار
٤١	فقد كان يهيمهم	فقد كان من السهل عليهم
٤٢	وبما ان موقفهم من عثمان كان جريئاً	وبما ان موقفهم من عثمان كان وقحاً

الدولة المرية وسقوطها (٣٢)

الصفحة	الترجمة	ما يقترحه الاستاذان
٤٢	بل انقوا بالخصام	بل آثروا ان ينقوا بالخصام
٤٢	وجاء الجواب من الكوفة اولا	وكانت الترازة الاولى في الكوفة
٤٣	وفي النوقمة البحرية الكبرى	وفي النوقمة البحرية الكبرى على الشاطيء Lycian coast
٤٦	ان يملا ما يحاوله	ان يتقدمها
٤٧	وفقدت الجزيرة العربية سحرها	وانقل مركز الثقل من الجزيرة العربية
٤٨-٤٧	وحكم اعيان الصحابة على انفسهم حكماً سياسياً فقد هدموا السلطان الروحي الذي به تتعاق ملامتهم	وقضى اعيان الصحابة على مركزهم السياسي فقد هدموا السلطان الروحي الذي كانوا يرتكزون عليه
٤٨	لتسمع صوتها	لتسمع مطالبها
٤٨	والعرب الذين وزدوه عن طريق المهاجرة باكثر الحين كانت لهم	والعرب المقبمون هناك ما جاءوا عن طريق الهجرة الا اقامهم . وكانت لهم
٥٢	والسياسة هي حقل التجربة له	ومجال العمل لديه هو في السياسة
٥٤	قانون وضمي مطلق	قانون وضمي اطلاقاً
٥٤	وبصورة متناقضة بعض التناقض	وبصورة متناقضة بعض التناقض حيناً ما
٥٤	واكثر اصحاب المقاومة الدينية ضميراً	واكثر اصحاب المقاومة الدينية صلابه
٥٤	كان كافراً	كان مؤملاً له
٥٥	اصبح في الواقع سخيفاً	اصبح في الواقع مخائفاً للمنطق
٥٥	ولاح انهم اشتدت قوتهم مرة اخرى بعيداً عن ميدهم	ولاح ان قوتهم لا تزال تشتد في استمرار ناشئة كل مرة من جديد

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٠	الاولى القطفة	القطفة الاولى
١١	الرابطة الاموية	الرابطة الدموية
١٧	وبقي المهاجرون مهاجرين	وبقي الموالي موالي
٢٠	الحاشية ٨ ظهرت تناقضات مثيلة في عهدته وبيننا	(يضاف) منذ عهد قريب
٢١	» ٢١ الاعلى جهة التعجب	الاعلى جهة التعجب
٢٨	دار السلام	دار الاسلام
٣٤	وكان ابو بكر	وكان ابو بكر وعمر
٣٩	المقاومون	المقاتلون
٤٤	الدار	الباب
٤٨	والعرب الذين وردوا	والعرب الذين وردوه
٤٩	والقى المؤمنون الذين كانوا في الصف الاول	(يضاف الى ذلك) وذوو المكانة منهم
٥٦	القانون الشخصي	القانون غير الشخصي
٥٩	وقد كان ازد عمان في البصرة والكوفة	وقد كان ازد عمان في البصرة وخراسان
٦٣	المدائن	المدائني
٦٨	هشام بن عتبة	هاشم بن عتبة
٧١	دومة الجندل	دومة الجندان
٧٣	من اهل البلد نفسها	من اهل البلدة نفسها
٧٥	اقل شفاء الغليل	اقل شفاء للغليل
٧٨	بعض من يتحزب اعثمان	بعض من يتحزب اعثمان (٦ : ٥)
٩٢	الذي عاش	التي عاش
١٠٢	عمر بن حريث	عمرو بن حريث
١٠٨	ازد سرات	ازد سراة
١١٩	الوليد بن عتبة بن سفيان	الوليد بن عتبة بن ابي سفيان
١٢٨	الذي تلى المعركة	الذي تلا المعركة
١٤٤	واقعد زفرا	واقعد زفر
١٤٤	النعمان بن بشر	النعمان بن بشير

المصنوع	الخطأ	الصفحة
وابو مخنف والواقدي هما	وابو مخنف والواقدي هـ	١٤٥
مضطرب	مضطربا	١٥٤
ججفل	جفل	١٧٠
انه كان	حاشية ٣٢ انه وكان	١٧٨
النضال الطويل على الخلافة	النضال الطويل عن الخلافة	١٨٥
عباد بن حصين	العباد بن الحسين	١٩١
سفيان بن الابر	سفيان بن ابرد	١٩٤
في عهد الوليد	في عهد الوليد	٢١٤
(ينقل رقم الحاشية (٢٩١) الى السطر الذي بعده عند كلمة لاجزية)		٢٣٣
مزون	مازون	٣١٨
ضرباً بكاد يكون ميمناً	ضرباً ميمناً	٣٢٢
مسمود بن عمرو	مسمود بن عمر	٣٢٣
الخطبات	الخطبات	٣٣٠
من طرف آخر	من طرف اخر	٣٣٧
يحفظ عدم استيمادهما له مكانتها	يحفظ عدم استيماده لها المكانة	٣٤١
ثابت قطنة	ثابت بن قطنة	٣٤٧
ابن ابي العمرطة	ابن العمرطة	٣٦٣
ثابت قطنة	ثابت بن قطنة	٣٦٤
غوزك	غوزوك	٣٦٤
ابو فاطمة الايادي	فاطمة الايادي	٣٦٩
كما تبدو على اهل ماوراء النهر	ولا على اهل ماوراء النهر	٣٩٣
جبل الرضوى	جبل الروضة	٣٩٧
الاي ثلاث منها	الاي ثلاث منها	٤٠٠
لاهر بن قريظ	لاهر بن قريظ	٤٠٣
السرجان	السرجات	٤٢٤
(يضاف) وبعمدة من الزمن نقلها إلى الخيرة ثم إلى الهاشمية . ولنا ان نفترض انه فعل ذلك يفترق عن ابي سلمة الذي كان يعيش في حمام عين ايضاً المدائني	حمام عين	٤٣١
ابو محمد السفياني	المدائن	٤٣٢
(تضاف الى آخر الحاشية كلمة «المرب»)	محمد السفياني	٤٣٩
	حاشية ١٠٨	٤٤٥

ثبت مصادر الكتاب

على الحروف باسماء المؤلفين

۱ - الكتب العربية

- ابن الاثير الجزري . - الكامل في التاريخ - لندن ۱۸۷۴ - ۱۸۷۶
ابو الفرج الاصفهاني . - الاغانى - بولاق ۱۲۸۵
البخاري . - الجامع الصحيح - بولاق ۱۲۸۹
البلاذري . - انساب الاشراف واخبارهم - نشر الجزء الحادي عشر منه
وليام اهلواردت ۱۸۸۳
البلاذري - فتوح البلدان - نشره اهلواردت ۱۸۸۳
ابو تمام الطائي . - حماسة ابي تمام . - نشره فريتاغ في بون ۱۸۲۸ و ۱۸۵۱
ابن حجر العسقلاني . - تهذيب تهذيب الكمال - حيدرآباد ۱۳۲۵ - ۱۳۲۷
ابن خردادبة . - المسالك والممالك - لندن ۱۸۸۹ في مجموعة المكتبة الجغرافية
ابو داود السجستاني . - سنن ابي داود . - القاهرة ، طبعة مصطفى محمد .
ابن دريد . - الاشتقاق - نشره وستنفلد عام ۱۸۵۳
الدواليبي (معروف) . - كيف استعمل الصحابة عقولهم في فهم القرآن -
مقالة نشرت في مجلة « المسلمون » السنة الاولى ص ۶۶۷
الدينوري . - الاخبار الطوال - لندن ۱۸۸۸ و ۱۹۱۲
ديوان الهذليين . - طبعة اوروبا
الزرقا (مصطفى) . - الحقوق المدنية ، مطبعة الجامعة السورية
ابن سيد الناس . - عيون الاثر - القاهرة طبعة القدسي ۱۳۵۶
الشعروستاني . - الملل والنحل - نشره كورتج لندن ۱۸۴۲ - ۱۸۴۶
الطبري . - تاريخ الامم والملوك . - لندن ۱۸۷۶ - ۱۹۰۱
ابن عبد ربه . - العقد الفريد - بولاق ۱۳۰۲
ابن العبري . - تاريخ مختصر الدول - نشره بوكوك

- ابن عساكر . - تاريخ مدينة دمشق - المجلد الاول تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد دمشق ۱۹۵۱
- ابو الفدا . - المختصر في اخبار البشر - نشرة رايسكي وأدلر ، كوبنهاغن ۱۷۸۹ - ۱۷۹۴ وطبعة مصر ۱۳۱۳
- الفوزدق . - ديوان الفرزدق - نشرة بوشيه باريس ۱۸۷۰ - ۱۸۷۱
- ابن قتيبة . - المعارف - نشرة وستنفلد غوتنجن ۱۸۵۰
- القرآن الكريم
- القطامي . - ديوان القطامي - نشرة بارت ، ليدن ۱۹۰۲
- الماوردي . - الاحكام السلطانية - نشرة انجر ، بون ۱۸۵۳
- المبرد . - الكامل - نشرة ريبط ليبسيغ ۱۸۶۴ - ۱۸۸۲
- المسعودي . - مروج الذهب ومعادن الجوهر - نشرة دي مينار ودي كورتل باريس ۱۸۶۱ - ۱۸۷۱
- المسعودي . - التنبيه والاشراف - نشرة دي غويه ليدن ۱۸۹۳ - ۱۸۹۴ من مجموعة المكتبة الجغرافية .
- المقدسي . - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - نشرة دي غويه ليدن ۱۸۷۷ من مجموعة المكتبة الجغرافية .
- المقريزي . - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - بولاق ۱۲۷۰
- ابن منظور . - لسان العرب - بولاق ۱۲۹۹ - ۱۳۰۸
- النابغة الذبياني . - ديوان النابغة .
- ابن هشام . - السيرة النبوية - نشرة وستنفلد غوطا ۱۸۵۹ - ۱۸۶۰
- الواقدي . - المغازي - نشرة وهاوزن برلين ۱۸۸۲
- ياقوت الرومي . - معجم البلدان - نشرة وستنفلد ، ليبسيغ ۱۸۶۶ - ۱۸۷۳
- يحيى بن آدم . - كتاب الحراج - نشرة جوينبيل ، ليدن ۱۸۹۶
- اليقوي . - تاريخ اليقوي - نشرة هوتسما ، ليدن ۱۸۸۳

٢. الكتب الفرنجية

- Barhebraeus. - Mukhtasar al-Duwal, éd Bedjan .
Bible .
- Brockelmann . - Dissertation über das Verhältnis von Ibn
al-Athir zu Tabari. - Strassb. , 1890 .
- Cunningham in Verhandlungen des 10. internat. Oriental,
Congresses.
- Die Continuatio Isidori Hispana, ed. Mommsen.
- Diehl . - Histoire d'Afrique , 1896.
- Doughty. - Travels in Arabia Deserta. Cambridge 1888.
- Dozy. - Histoire des musulmans d'Espagne jusqu' à la conquê-
te de l'Andalousie par les Almoravides, Leyde 1861.
- Eutychius.- Annales, éd. Pococke .
- Garis. - in D M Z. , 1897, 581.
- Van Gelder. - Muchtar.
- Gildemeister. - in Zeitschr. der Deutschen Palästina-ve-
reins, 1890.
- De Goeje.- Bijdrage tot de Gesch. der Zigeuners .
- De Goeje, in D M Z., 1884, 393 .
- Goldziher.-Muhammadanische Studien. Halle. 1889 - 1890 .
- Han . انظر الحماسة لابن تمام
- Josephus (Flavius) . - The Jewish Antiquities
- Justi. - Namenbuch.

- Juynboll, in the Indian Gids, February, 1899.
- Von Kremer. - Kulturgeschichtliche. Streifzüge, 1875 .
- Von Kremer. - Kulturgeschichte des Islams unter den Chalifen. Wien, 1875 - 1877.
- Marquart. - Eranschahr.
- A. Müller.-Der Islam in Morgen-und Abendland. Berlin 1885-87.
- Noldeke, in D M Z., 1901, 683f.
- Noldeke. - Delectus.
- Reclus. - Géographie universelle. Paris 1876 - 1894.
- Snouck Hurgronje. - Mahdi, in D M Z., 1901.
- Theophanes. - Chronographia. Bonn, 1839 - 1851.
- Van Vloten. - Recherches sur la domination arabe , in Verhadl. der Amsterdam. Akademie, 1894, Letterkunde.
- Van Vloten. - de Opkomst der Abbasiden in Chorasán . Leide 1890.
- de Vogüe.-Temple de Jerusalem 1864.
- H. Wagner. - in Nachrichten, 1902 .
- Weil. - Geschichte der Chalifen Mannheim 1848 - 1851.
- Wellhausen.-chawarig, in Nachrichten des philosophich-historischen Klasse der Göttinger Gesellschaft der Wissenschaften, 1901, V, 2
- Wellhausen, - Reste arabischen. Heidenthums. Berlin, 1897.
- Wellhausen. - Shia, in Nachrichten der Philosophich - historischen Klasse der Wissenschaften 1901, V, 2.
- Wellhausen. - Skizzen und Vorarbeiten. Berlin 1889.
- Wüstenfeld. - Register .

فهرس ابواب السكتاب

الصفحة

أ - هـ

١

كلمة العرب

التصدير

الفصل الاول : المقدمة

٩

١ - الدعوة في مكة

١٣

٢ - تكون الامة في المدينة

٢٠

٣ - تكون الدولة

٢٦

٤ - الجهاد والغنائم

٣٣

٥ - الخلافة وقريش

٣٩

٦ - الفتنة في عهد عثمان

٤٥

٧ - عهد علي بن أبي طالب

٥١

٨ - الامويون ومعارضوهم

٥٨

٩ - الخلاف القبلي في العصر الاموي

٦١

١٠ - الحاجة الى تصحيح الرأي عن الدولة العربية

الفصل الثاني : علي والحرب المدنية الاولى

٦٣

١ - وقعة صفين

٧٠

٢ - خروج الخوارج

٧٨

٣ - استيلاء معاوية على مصر

٨٣

٤ - آخر أمر علي



الصفحة

٨٧

٥ - الصلح بين معاوية والحسن

الفصل الثالث : السفانيون والحرب الاهلية الثانية

٩٤

١ - حكم معاوية

١١٥

٢ - عهد يزيد بن معاوية

١٣٧

٣ - انتقال الحكم الى مروان بن الحكم

١٥٠

٤ - الصراع بين المروانيين وعبد الله بن الزبير

الفصل الرابع : المروانيون الاولون

١٦٥

١ - الصراع القبلي

١٧٣

٢ - حكم عبد الملك والوليد

١٨٤

٣ - الحجاج في العراق

٢٠٩

٤ - عهد سليمان بن عبد الملك

الفصل الخامس : عمر بن عبد العزيز والموالي

٢١٧

١ - عمر بن عبد العزيز والخراج

٢٢٩

٢ - الخراج ايضاً

٢٤٥

٣ - فكرة عامة عن عمر بن عبد العزيز

الفصل السادس : أواخر بني مروان

٢٥١

١ - عهد يزيد الثاني

٢٦١

٢ - العراق في عهد هشام

٢٧١

٣ - حكم هشام في غير العراق

٢٨٠

٤ - عهد الوليد بن يزيد



الصفحة

٢٩٢

٥ - يزيد الثالث

الفصل السابع : مروان الثاني والحرب الاهلية الثالثة

٢٩٥

١ - اخضاع مروان للشام

٣٠٥

٢ - انتصار مروان في العراق والمشرق

الفصل الثامن : قبائل العرب في خراسان

٣١٦

١ - بداية العداء القبلي بالبصرة

٣٢٧

٢ - العرب بخراسان حتى عهد الحجاج

٣٣٩

٣ - العرب بخراسان من عهد الحجاج الى عمر بن عبد العزيز

٣٥٦

٤ - من عمر بن عبد العزيز الى ثورة الحارث

٣٦٦

٥ - من بداية ثورة الحارث الى سقوط القسري

٣٧٥

٦ - من سقوط القسري الى آخر الدولة الاموية

الفصل التاسع : سقوط الدولة العربية

٣٨٩

١ - حلة العرب بالفرس والعباسيين بالشيعة

٤٠٠

٢ - الدعوة العباسية بخراسان قبل ابي مسلم

٤٠٩

٣ - استيلاء ابي مسلم على خراسان

٤٢٤

٤ - استيلاء بني العباس على سائر ملك بني أمية

٤٤٠

٥ - مقارنة بين الحكم الاموي والحكم العباسي

٤٤٩

الدليل العام للكتاب على حروف الهجاء

٤٩٦

ما يقترحه الدكتور كونت والاس تاذ زخور من تعديل في ترجمة المقدمة

٤٩٩

جدول الخطأ والصواب

٥٠١

ثبت مصادر الكتاب



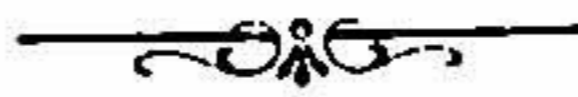
يوليوس ولهاوزن

الدولة العربية

وسقوطها

نقله إلى العربية

الدكتور يوسف العشي



دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

مطبعة الجامعة السورية